بسم الله الرحمن الرحيم

الجزء الثاني

من كتاب الأغاني

أخبار مجنون بني عامر ونسبه

هو — على ما يقوله من صحّح نسبَه وحديثَه — قَيْسٌ، وقيل : مَهْدِيٌّ، نسبه وتصحيح اسمه
والصحيحُ [أنه] قيسُ بنُ الملوّح بن مُزَاحِم بنِ عُدَسَ بنِ رَبِيعةَ بن جَعْدةَ بن كَعْب بن رَبِيعة بن عامر بن صَعْصَعةَ . ومن الدليل على أنّ اسمه قيسٌ قولُ لَيْلَى صاحبتِه فيه :

ألا ليتَ شِعْرِي والخطوبُ كثيرةٌ * متى رَحْلُ قَيْسٍ مُستقِلٌّ فراجعُ

(١) جاءت هذه الكلمة في حـ وليست في سائر النسخ . (٢) لم نقف على ضبط هذا الاسم بخصوصه ولكن العرب سمّوا مُلَوَّحا بفتح الواو وهو الذي ذكره صاحب القاموس ولم يذكر أنه سُمّي بمُلَوِّح بكسرها . (٣) كذا في أغلب الأصول . وفي ت ، حـ : «ابن مزاحم بن قيس بن عدى بن ربيعة» . وقد نقل صاحب اللسان في مادة «عدس» عن ابن الأنباري : أنّ كل ما في العرب «عدس» فإنه بفتح الدال إلا عدس بن زيد فانه بضمها وهو عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم ، وكذلك نص عليه أبو علي القالي في النوادر ج ٣ ص ٢٠٩ طبع دار الكتب المصرية .

وأخبرنى الحَسَن بن علىّ [1] قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال : سمعتُ مَنْ لا أُحْصِى يقول : اسمُ المجنونِ قيسُ بن الملوّح .

قيل كانت به لوثة ولم يكن مجنونا

وأخبرنى هاشمُ بن محمد الخُزاعىّ قال حدّثنا الرِّياشىّ ، وأخبرنى الجوهرىّ عن عمرَ بنِ شَبَّةَ أنهما سمعا الأصمعىَّ يقول — وقد سُئل عنه — : لم يكن مجنونا ولكن كانتْ به لُوثةٌ [2] كلُوثةِ أبى حَيَّةَ النُّمَيْرِىّ [3] .

اختلاف الرواة فى وجوده

وأخبرنى حبيبُ بن نَصْر المُهَلَّبِىّ وأحمد بن عبد العزيز الجَوْهرىّ عن ابن شَبَّةَ [4] عن الحِزَامىّ قال حدّثنى أيُّوبُ بنُ عَبَايَةَ قال : سألتُ بَنِى عامرٍ بطنًا بطنًا عن مجنون بنى عامر فما وجدتُ أحدا يعرفه .

وأخبرنى عمّى قال حدّثنا أحمدُ بن الحارث عن المدائنىّ عن ابن دَأْبٍ [5] قال : قلتُ لرجل من بنى عامر : أتعرِف المجنونَ وتَرْوِى من شعره شيئا؟ قال : أوَقد فرَغنا من شعر العقلاء حتى نَروِىَ أشعار المجانين! إنهم لكثيرٌ! فقلتُ : ليس هؤلاء أعنِى ، إنما أعنِى مجنونَ بنى عامر الشاعرَ الذى قتله العشقُ ، فقال : هيهات! بنو عامر أغلَظُ

---

(١) كذا فى أغلب الأصول . وفى نسخة حـ : « وأخبرنى الحرمىّ عن أحمد بن زهير » .

(٢) فى القاموس وشرحه ولسان العرب : اللوثة بالضم : الحمق ويفتح وذكر الوجهين ابن سيده فى المحكم عن ابن الأعرابىّ . وعبارة المصباح : اللوثة بالفتح : الحماقة وبالضم : الاسترخاء والحبسة فى اللسان .

(٣) له ترجمة فى الجزء الخامس عشر من الأغانى طبع بولاق .

(٤) فى ت : « قالا حدّثنا عمر بن شبة » .

(٥) هو عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب ، كان عالما بأخبار العرب وأشعارهم وكان فوق ذلك شاعرا ، وكان يضع بالمدينة الشعر وأحاديث السمر وكلاما ينسب الى العرب ، وكان من أكثر أهل الحجاز أدبا وعلما وعذوبة لفظ ومعرفة بأخبار الناس وأيامهم ، وكان لذيذ المفاكهة طيب المسامرة كثير النادرة جيد الشعر حسن الانتزاع له ، وهو من نقلة الأخبار ونقاد الأشعار ، حظى عند الهادى حظوة لم تكن لأحد قبله (انظر ترجمته فى التعليقات على كتاب التاج للجاحظ ص ١١٦ — ١١٧) .

أكبادًا من ذاك، إنما يكون هذا فى هذه اليمانية الضِّعاف قلوبُها، السَّخيفةِ عقولُها، الصَّعْلَةِ[1] رءوسُها، فأما نِزارُ فلا .

أخبرنى هاشم بن محمد قال حدّثنا الرِّيَاشى قال سمعت الأصمعى يقول : رجلان ما عُرِفَا فى الدنيا قطُّ إلا بالأسم[2] : مجنونُ بنى عامر، وابنُ القِرِّيَّةِ[3]، وإنما[4] وضعهما الرُّوَاةُ .

وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمرُ بن شبّةَ قال حدّثنى عبد الله ابن أبى سَعْد عن الحِزَامى قال: ولم أسمعه من الحزامى فكتبتُه عن ابن أبى سعد قال أحمد: وحدّثنا به ابنُ أبى سعد عن الحزامى قال حدّثنا عبدُ الجبّار بن سعيد بن سليمانَ ابن نَوْفَل بن مُسَاحِقٍ عن أبيه عن جدّه قال : سعيتُ[5] على بنى عامر فرأيتُ المجنونَ وأُتيتُ به وأنشدنى .

أخبرنى علىّ بن سليمانَ الأخفشُ قال حدّثنا أبو سَعِيد السُّكَّرى قال حدّثنا إسماعيلُ بن مُجَمِّع عن المَدَائنى[6] قال : المجنونُ المشهورُ بالشعر عند الناس صاحبُ لَيْلَى قَيْسُ بن مُعَاذ من بنى عامر، ثم من بنى عُقَيْل[7]، أحد بنى نُمَير بن عامر بن عُقَيل،

(١) كذا فى ت ، حـ . ومعناه الصغيرة رءوسها . وفى حديث أم معبد فى صفة النبىّ صلى الله عليه وسلم : « لم تزر به صَعْلة » قال أبو عبيد : الصعلة : صغر الرأس . وفى م : « الصعبة » بالباء . وفى سائر النسخ : « الصلعة » بتقديم اللام على العين وكلاهما تحريف . (٢) كذا فى ت ، م . وفى حـ : « الا بأسم مجنون بنى عامر » وفى باقى النسخ : « الا باسم مجنون مجنون بنى عامر » والصواب ما أثبتناه . (٣) انظر الكلام عليه فى ص ٩ بالحاشية رقم ٤ من هذا الجزء (٤) كذا فى ت . وفى ب ، سـ : « فانهما » . وفى باقى النسخ : « انما وضعهما » . (٥) أى خرجت عاملا على قبض الزكاة منهم . (٦) كذا فى ت ، حـ . وفى سائر النسخ : « عن المدائنىّ قال قال الخ » . (٧) فى شرح مسلم للنووى : أن عقيلا كله بالفتح الا ابن خالد عن الزهرى ويحيى بن عقيل وأبا القبيلة فبالضم . انظر شرح القاموس مادة « عقل » .

قال : ومنهم رجل آخر يقال له : مَهْدِىّ بن المُلَوّح من بنى جَعْدَة بنِ كَعْب بنِ رَبيعةَ ٱبنِ عامر بن صَعْصَعةَ .

قيل إن فتى من بنى أمية وضع حديثه وشعره ونسبه اليه

وأخبرنى عمّى عن الكُرَانِىّ قال حدّثنا ٱبن أبى سَعْد عن علىّ بن الصَّبّاح عن ٱبن الكَلْبِىّ قال : حُدّثتُ أن حديثَ المجنونِ وشِعرَه وضعه فتًى من بنى أميّةَ كان يهوَى ٱبنةَ عمّ له ، وكان يكرَه أن يظهرَ ما بينه و بينها ، فوضع حديثَ المجنون وقال الأشعارَ التى يرويها الناسُ للمجنون ونسَبها إليه .

أخبرنى الحُسَين بن يحيى وأبو الحَسَن الأَسَدِىّ قالا : حدّثنا حمّاد بن إسحاقَ عن أبيه قال : اسم المجنون قيسُ بن مُعَاذٍ أحدُ بَنِى جَعْدَةَ بنِ كَعْب بنِ ربيعةَ بن عامر ٱبن صَعْصَعة .

وأخبرنى أبو سَعْد الحسنُ بن علىّ بن زكريّا العَدَوِىّ قال حدّثنا حمّاد(١) بن طَالُوتَ ٱبن عَبّاد : أنه سأل الأصمعىّ عنه ، فقال : لم يكن مجنونا ، بل كانت به لُوثَةٌ أحدثها العشقُ فيه ، كان يهوَى ٱمرأةً من قومه يقال لها لَيْلَى ، وٱسمه قيسُ بن مُعَاذ .

وذكر عَمْرو بن أبى عَمْرو الشَّيْبانىّ عن أبيه أنّ ٱسمه قيسُ بن مُعَاذ .

وذكر شُعَيبُ بن السَّكَن عن يُونُسَ النَّحْوِىّ أن ٱسمه قيسُ بن الملوّح ، قال أبو عمرو الشَّيْبانىّ : وحدّثنى رجل من أهل اليمن أنه رآه ولقيه وسأله عن ٱسمه ونسبه ، فذكر(٢) أنه قيسُ بن الملوّح .

---

(١) كذا فى ب ، س ، ح . وفى باقى النسخ : «عثمان» . (٢) فى ت ، ح : « فعرّفه » .

وذكر هشام بن محمد الكلبىّ أنه قيس بن الملوّح، وحدّث أن أباه مات قبل اختلاطه[(١)]، فعقر على قبره ناقته وقال فى ذلك :

عقرتُ على قبر الملوّح ناقتى * بذى السَّرح[(٢)] لما أن جفاه الأقاربُ
وقلتُ لها كونى عقيرًا[(٣)] فإننى * غدًا راجلٌ أمشى وبالأمس راكبُ
فلا يُبعدَنْكَ الله يا ابنَ مُزاحِمٍ * فكلٌّ بكأس الموت لا شكَّ شاربُ[(٤)]

وذكر إبراهيم بن المنذر الحِزامىّ وأبو عُبيدة مَعْمَر بن المثنّى أنّ آسمه البَختَرِىّ آبن الجَعْد .

وذكر مُصْعَب الزُّبَيرىّ والرِّياشىّ وأبو العالية أن آسمه الأقرعُ بن مُعاذ .

وقال خالدُ بن كُلْثوم : اسمه مهدىّ بن الملوّح .

وأخبرنى الأخفش عن السُّكّرىّ عن أبى زِياد[(٥)] الكِلابىّ، قال : لَيلَى صاحبةُ المجنون هى ليلى بنتُ سَعْد بن مَهْدِىّ بن رَبيعةَ بن الحَرِيش بن كَعْب بن رَبيعة آبن عامر بن صَعْصَعة .

---

(١) يقال : اختلط عقله اذا تغير وفسد . (٢) ذو السرح : واد بأرض نجد .

(٣) عقيرا أى معقورة . وأصل العقر : قطع القوائم ثم أطلق بمعنى النحر . قال ابن الأثير : كانوا يعقرون الإبل على قبور الموتى أى ينحرونها و يقولون : إن صاحب القبر كان يعقر للأضياف أيام حياته فنكافئه بمثل صنيعه بعد وفاته . وانما أطلق العقر على النحر لأنهم كانوا اذا أرادوا نحر البعير عقروه لئلا يشرد عند النحر اه من اللسان مادة عقر . (٤) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت ، حـ : « لابدّ شارب » . (٥) اسمه يزيد بن عبد الله بن الحارث قال عنه ابن النديم فى الفهرست طبع ليزج ص ٤٤ : « إنه قدم بغداد أيام المهدى وكان شاعرا من بنى عامر بن كلاب وله مصنفات ذكرها » . وقال فى تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى فى ترجمته : « وكان إماما فى اللغة وقال على بن حمزة البصرى فى كتاب التنبيه على أغلاط الرواة : انما بدأت بنوادر أبى زياد لشرف قدرها ونباهة مصنفها » .

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكيعٌ ، قال حدّثنا أبو قِلَابةَ الرَّقَاشِىّ(١) ، قال حدّثنى عبد الصَّمَد بن المُعَذَّل ، قال : سمعتُ الأصمعىّ وقد تذاكرنا مجنونَ بنى عامر يقول : لم يكن مجنونا وإنما كانت به لُوثةٌ ، وهو القائل :

أخذَتْ محاسنَ كلِّ ما * ضَنَّتْ محاسنُه بحُسنِهْ

كادَ الغزالُ يكونُها * لولا الشَّوَى(٢) ونُشُوزُ قَرْنِهْ

لقب بالمجنون كثير غيره وكلهم كان يشبب بليلى

وأخبرنى عمر بن عبد الله بن جَمِيل العَتَكِىّ قال حدّثنا عمرُ بن شَبَّةَ قال حدّثنا الأصمعىّ قال :

سألتُ أعرابيًّا من بنى عامر بن صَعْصَعَة عن المجنون العَامِرىّ فقال : عن أيِّهم تسألُنى ؟ فقد كان فينا جماعةٌ رُمُوا بالجنون ، فعن أيّهم تسألُ ؟ فقلت : عن الذى كان يُشَبِّب بلَيْلَى ، فقال : كلُّهم كان يُشبِّب بلَيْلَى ، قلتُ : فأنشِدْنى لبعضهم ، فأنشَدَنى لمُزَاحِم بن الحارث المجنون :

ألا أيُّها القلبُ الذى لَجَّ هائمًا * بلَيْلَى(٣) وليدًا لم تُقَطَّعْ تمائمُهْ

أَفِقْ قد أفاق العاشقون وقد أَنَى(٤) * لكَ اليومَ أن تَلْقَ طبيبا تُلائمُهْ

أَجِدَّكَ(٥) لا تُنسِيكَ لَيْلَى مُلِمّةٌ * تُلِمُّ ولا عهدٌ يَطولُ تَقادُمُهْ

---

(١) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت ، حـ : «الرياشى» بالياء مكان القاف وهو تحريف ، لأن أبا قلابة ، وهو عبد الملك بن محمد ، يعرف بالرقاشىّ نسبة الى رقاش : قبيلة من قيس عيلان (انظر الأنساب للسمعانى فى مادة الرقاشى والخلاصة فى أسماء الرجال فى ترجمته وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى) .

(٢) الشوى : الأطراف .

(٣) كذا فى ت . وفى باقى النسخ : « وليدا بليلى » .

(٤) أنى : حان وقرب . وفى ت وتزيين الأسواق لداود الأنطاكى : «أبى» .

(٥) قال أبو عمرو : أجدّك لا تفعل بفتح الجيم وكسرها والكسر أفصح . ومعناه مالك أجدًّا منك ! وهو منصوب على المصدر . وقال ثعلب : ما أتاك فى الشعر من قولك أجدّك فهو بالكسر فاذا قلت بالواو وجدّك فتحت وإنما وجب الفتح لأنه صار قسما ، فكأنه حلف بجدّه والد أبيه .

قلت : فأنشِدْنى لغيره منهم، فأنشَدَنى لمُعَاذ بن كُلَيب(١) المجنون :

ألا طَالمَا لاعَبْتُ لَيْلَى وقادَنى * إلى اللّهو قلبٌ للحِسَان تَبُوعُ
وطال آمترِاءُ(٢) الشّوقِ عينِى كلّما(٣) * نَزَفتُ دُموعا تَستَجِدُّ دُموعُ
فقد طال إمساكِى على الكَبِد التى(٤) * بها مِن هَوَى لَيْلَى الغَدَاةَ صُدُوعُ

قلتُ : فأنشِدْنى لغير هذين ممن ذكرتَ، فأنشَدَنى لمَهْدِىّ بن المُلَوّح :

لو آنّ لك الدنيا وما عُدِلَتْ به * سِوَاهَا وليلى بائنٌ عنكَ بينُها(٥)
لكنتَ إلى ليلى فقيرا وإنما * يقود إليها وُدَّ نفسِك حَينُها

قلتُ له : فأنشِدْنى لمن بقى من هؤلاء، فقال : حَسْبُكَ ! فوالله إنّ فى واحد من هؤلاء لمن يُوزَنُ بعقلائكم اليومَ .

أخبرنى محمد بن خَلَف وكيعٌ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز قال قال آبن الأعرابىّ : كان مُعَاذ بن كُلَيب(٦) مجنونا، وكان يُحبّ ليلى، وشَرِكَه فى حبها مُزَاحِمُ بن الحارث العُقَيلىّ، فقال مُزَاحمٌ يومًا للمجنون :

كِلانا يا مُعاذُ يُحِبُّ لَيْلَى * بفِىّ وفيكَ مِن لَيْلَى التُّرابُ
شَرِكْتُكَ فى هَوَى من كان حظِّى * وحظُّكَ مِن مودّتها العَذابُ
لقد خَبَلَتْ فؤادَك ثم ثَنَّت(٧) * بقلبِى فهو مخبولٌ مُصابُ

قال فيقال : إنه لما سمع هذه الأبياتَ آلتُبِس وخولِط فى عقله .

(١) كذا فى ب، سـ وسيأتى قريبا مصغرا فى جميع النسخ عدا نسخة ت . (٢) الامتراء: الاستدرار . (٣) فى ب، سـ، حـ : « عنى » وهو تحريف . (٤) فى م، ى : « الذى » والكبد مؤنثة وقد اقتصر ابن جنى فيها على التأنيث وكذلك قال اللحيانى : هى مؤنثة فقط وذكر صاحب القاموس الوجهين حيث قال : وقد يذكر ونسب شارحه وجه التذكير الى الفرّاء وغيره .
(٥) بينها هنا معناه وصلُها لأنه من أسماء الأضداد، يطلق على الوصل والفراق، وربما كان من اسناد الفعل الى مصدره بكن جنونه وجدّ جدّه وضل ضلاله . وفى ب، سـ، حـ : « حائن » وهو تحريف .
(٦) فى ت : « كلب » . (٧) فى ب، سـ « بعقلى » .

وذكر أبو عمرو الشَّيْبانىّ : أنه سمع فى الليل هاتفًا يهتِف بهذه الأبياتِ، فكانت سببَ جنونه .

وذكر إبراهيمُ بن المُنْذِر الحِزَامىّ عن أيُّوبَ بنِ عَبَايَةَ : أنّ فتًى من بنى مَرْوانَ كان يهوَى آمرأةً منهم فيقول فيها الشعر وينسبُه إلى المجنون، وأنه عمِلَ له أخبارًا وأضاف إليها ذلك الشعرَ، فحَمَله الناس وزادوا فيه .

إنكار وجوده والقول بأن شعره مولد عليه

وأخبرنى عمّى عن الكُرَانىّ عن العُمَـرِىّ عن العُتْبىّ عن عَوَانَةَ أنه قال : المجنون آسم مُستعارٌ لا حقيقةَ له ، وليس له فى بنى عامر أصـلٌ ولا نسبٌ، فسئل مَنْ قال هذه الأشعار؟ فقال : فتًى من بنى أمية .

وقال الجاحظُ : ما ترك النـاسُ شـعرا مجهولَ القائل قيل فى ليْـلَى إلا نسَبوه إلى المجنون، ولا شعرا هذه سبيلُه قيل فى لُبْنَى إلا نسَبوه إلى قَيْس بن ذَرِيح (١) .

وأخبرنى محمد بن خَلَف وَكِيعٌ قال حدّثنـا هارونُ بن محمد بن عبد الملك قال حدّثنى أبو أيُّوبَ المَدِينى (٢) قال حدّثنى الحَكَم بن صالح قال : قِيلَ لرجل من بنى عامر : هل تعرِفونَ فيكم المجنونَ الذى قتله العشقُ ؟ فقال : هذا باطلٌ ، إنمـا يقتلُ العشقُ هذه اليمَـانيةَ الضِّعَافَ القلوبِ .

(١) فى ت : « قيس بن الملوح » .

(٢) كذا فى أغلب النسخ . وفى ب ، س : «المدائنى» والصواب ما أثبتناه . قال ابن النديم فى الفهرست طبع ليبزج ص ١٤٨ : أبو أيوب المدينى وآسمه سليمان بن أيوب بن محمد من أهل المدينة اهـ. والأكثر فى النسبة الى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم « مدنىّ » قال السمعانى فى الأنساب : أكثر ما ينسب اليها المدنىّ ونقـل ياقوت عن محمد بن اسمـاعيل البخارىّ : أن المدينىّ هو الذى أقام بالمدينـة ولم يفارقها ، والمدنىّ هو الذى تحوّل عنها وكان منها ثم قال : والمشهور عندنا أنّ النسبة الى مدينة الرسول مدنىّ مطلقا والى غيرها من المدن مدينىّ للفرق لا لعلة أخرى وربما ردّه بعضهم الى الأصل فنسب الى مدينة الرسول أيضا مدينىّ اهـ .

أخبرنا أحمد بن عمر بن موسى قال حدّثنا إبراهيمُ بن المُنْذِر الحِزَامىّ قال حدّثنى أيُّوبُ بنُ عَبَايَةَ قال حدّثنى مَنْ سأل بنى عامرٍ بطنًا بطنًا عن المجنون فما وجدَ فيهم أحدا يعرِفُه .

أخبرنى محمدُ بن مَزْيد بن أبى الأَزْهَر قال حدّثنا أحمدُ بن الحارث عن آبن الأعرابىّ أنه ذَكر عن جماعة من بنى عامر أنهم سُئِلوا عن المجنون فلم يعرِفوه، وذكروا أنّ هذا الشعرَ كلَّه مُوَلَّد[1] عليه .

أخبرنى أحمد بن عُبَيد الله[2] بن عَمَّار قال حدّثنى أحمدُ بن سُلَيمانَ بنِ أبى شَيْخ عن أبيه عن محمد بن الحَكَم عن عَوَانَةَ قال : ثلاثةٌ لم يكونوا قطُّ ولا عُرِفوا : ابن أبى العَقِب صاحبُ قصيدة المَلَاحِم[3]، وآبنُ القِرِّيَّة[4]، ومجنونُ بنى عامر .

---

(١) كذا فى أغلب النسخ، والمولد : المفتعل، يقال : جاء بكتاب مولد أى مفتعل . وفى ب، سـ : «مؤلف» . (٢) فى ت : «عبد الله» وقد تقدّم غير مرة كما أثبتناه فى الأصل .

(٣) الملاحم : جمع ملحمة وهى الواقعة العظيمة فى الفتنة ولها علم خاص يبحث فيه عن معرفة أوقات الفتن بالدلائل النجومية، قال صاحب كتاب مدينة العلوم : وقد عرفت أن علم أحكام النجوم من أضعف العلوم دلالة فلا تعويل عليه أصلا اهـ من كتاب أبجد العلوم لصديق حسن خان طبع الهند ص ٦٣٦

(٤) هو أيوب بن زيد بن قيس، والقرّية أمه وهو من بنى هلال بن ربيعة وكان لَسِنا خطيبا، قتله الحجاج لاتهامه بالميل الى آبن الأشعث، وقد عرف به آبن خلكان فى تاريخه فقال : «هذا آبن القرّية الذى يذكره النحاة فى أمثالها فيقولون : ابن القرّية زمان الحجاج، ثم أورد عبارة صاحب الأغانى هذه وقال : «ابن القرّية يعنى هذا المذكور وآبن أبى العقب الذى تنسب اليه الملاحم وآسمه يحيى بن عبد الله بن أبى العقب والله أعلم» .

وقد ذكر صاحب كشف الظنون يحيى هذا باسم يحيى بن عقب ووصفه بأنه معلم الحسن والحسين رضى الله عنهما وملحمته منظومة لامية أوّلها :

رأيت من الأمور عجيب حال * لأسباب يسطرها مقالى

أخبرنى أبو الحسن الأسدىّ قال حدّثنا الرِّياشىُّ قال سمعتُ الأصمعىَّ يقول : الذى أُلقِىَ على المجنون من الشعر وأُضيفَ إليه أكثرُ مما قاله هو .

أخبرنى عيسى بن الحُسين الورّاقُ قال حدّثنا عمرُ بن شبّةَ قال حدّثنى إسحاقُ قال : أنشدتُ أيُّوبَ بنَ عَبَايةَ هذين البيتين

وخبّرتُمانى أنّ تيماءَ[1] منزلٌ * لِلَيلَى إذا ما الصَّيفُ ألقَى المَرَاسِيَا

فهذِى شهورُ الصَّيفِ عنّا قد انقضَتْ * فما لِلنَّوَى ترمِى بليلَى المَرَامِيَا

وسألتُه عن قائلهما ، فقال : جميلٌ ، فقلتُ له : إنّ الناس يَروُونهما للمجنون ، فقال : ومَن هو المجنونُ[2] ؟ فأخبرتُه ، فقال : ما لهذا حقيقةٌ ولا سمعتُ به .

وأخبرنى عمّى عن عبد الله بن شَبِيب عن هارونَ بن موسى الفَرْوِىّ[3] قال : سألت أبا بكر العَدَوِىّ عن هذين البيتين فقال : هما لجَمِيل ، ولم يَعرِف المجنونَ ، فقلتُ : فهل معهما غيرُهما؟ قال : نعم ، وأنشدنى :

وإنّى لأخشَى أن أموتَ فُجَاءةً * وفى النفس حاجاتٌ إليكِ كما هِيَا

وإنّى لَيُنْسِينِى لِقاؤكِ كلّما * لقيتُكِ يوما أنْ أَبُثَّكِ ما بِيَا

وقالوا به داءٌ عَيَاءٌ أصابه * وقد علِمتْ نفسى مكانَ دوائِيا

---

(١) تيماء بالفتح والمدّ : بلد صغير فى أطراف الشام بين الشأم ووادى القرى والأبلق الفرد ، حصن السموءل بن عاديا اليهودى مشرف عليها فلذلك كان يقال لها : تيماء اليهودىّ اهـ من معجم البلدان لياقوت .

(٢) كذا فى ت وفى ب ، سـ : « وما المجنون » وفى باقى النسخ : « وما هو المجنون » .

(٣) فى ت ، ب ، سـ ، حـ : « القروى » . وفى سائر النسخ : « المروى » والموجود فى كتب التراجم « هارون بن موسى بن أبى علقمة الفروى » بالفاء، فلعل القروى أو المروى محرّفة عنها .

وأنا أذكر(١) مما وقع إلىّ من أخباره جُمَلًا مستحسنةً، مُتبرِّئًا من العهدة فيها، فإن أكثر أشعاره المذكورة فى أخباره ينسُبها بعضُ الرُّوَاة إلى غيره وينسُبها مَنْ حُكِيَتْ عنه إليه، وإذا قدّمتُ هذه الشريطةَ برئتُ من عيبِ طاعنٍ ومتتبّعٍ(٢) للعيوب .

بدء تعشقه ليلى

أخبرنى بخبره فى شَغَفِه بليلى جماعةٌ من الرُّواة، ونسختُ ما لم أسمعه من الروايات وجمعتُ ذلك فى سِياقة خبره ما ٱتّسقَ ولم يختلِفْ، فاذا ٱختلفَ نَسَبتُ كلَّ رواية الى راويها .

فممن أخبرنى بخبره أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ وحبيبُ بن نصر المُهَلَّبىّ، قالا : حدّثنا عمرُ بن شَبّةَ عن رجاله وإبراهيمُ بنُ أيوبَ عن ٱبن قُتَيبة، ونسختُ أخبارَه من رواية خالد بن كُلْثوم وأبى عَمْرو الشَّيْبانى وٱبن دَأْبٍ وهشَام بن محمد الكلْبىّ وإسحاقَ بنِ الجَصَّاص وغيرِهم من الرُّوَاة .

قال أبو عمرو الشَّيْبانىّ وأبو عُبَيدةَ : كان المجنونُ يهوَى ليلى بنتَ مَهْدِىّ بن سَعْد بن مهدىّ بن رَبيعة بن الحَرِيش بن كَعْب بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعةَ وتُكنَى أمَّ مالكٍ، وهما حينئذ صبيان، فعَلِق كلُّ واحد منهما صاحبَه وهما يرعَيانِ مواشِىَ أهلِهما، فلم يزالا كذلك حتى كَبِرا فحُجِبتْ(٣) عنه، قال: ويدل على ذلك قوله :

صوت

تَعلّقتُ لَيْلَى وهى ذاتُ ذُؤَابةٍ(٤) * ولم يَبْدُ للأَتراب من ثَدْيها حجمُ
صغيرَيْن نرعَى البَهْمَ يا ليتَ أننا * إلى ٱليوم لم نَكْبَرْ ولم تَكْبَرِ البَهْمُ

---

(١) فى ا، م : «وأنا ذاكر» . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر النسخ : «ومتبع» .
(٣) فى ت : «وحجبت» بالواو . (٤) كذا فى جميع النسخ، والذؤابة : شعر الناصية . وفى ديوانه وكتاب الشعر والشعراء فى ترجمته : «وهى غرّ صغيرة» . وفى تزيين الأسواق : «وهى ذات تمائم» .

فى هذين البيتين للأخضر الجُدّىّ لحنٌ من الثقيل الثانى بالوُسْطى، ذكره هارونُ ابن محمد بن عبد الملك الزيات والهشامىّ .

أخبرنا الحسينُ بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيُّوبَ بنِ عَبَايةَ ونسختُ هذا الخبرَ بعينه من خطّ هارونَ بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال : حدّثنا عبدُ الله بن عمرو بن أبى سعد قال حدّثنا الحسنُ بن علىّ قال حدّثنى أبو عتّاب(١) البصرىّ عن إبراهيمَ بن محمد الشافعىّ قال :

بينا ابنُ مُلَيكةَ يؤذّن إذ سمع الأخضرَ الجُدّىَّ يُغنّى من(٢) دار العاص بن وائل :

وعُلِّقْتُها غَرّاءَ ذاتَ ذوائبٍ * ولم يَبْدُ للأتراب من ثديها حجمُ
صغيرين نرعى البَهْمَ(٣) يا ليتَ أننا * إلى اليوم لم نكْبَرْ ولم تكبر البَهْمُ

قال : فأراد أن يقول : حىّ على الصلاة فقال : حىّ على البَهْم ، حتى سمعه أهلُ مكةَ فغدا يعتذرُ إليهم .

وقال ابنُ الكلبىّ : حدّثنى مَعْروف المكىّ والمُعَلَّى بن هِلال(٤) و إسحاقُ بن الجَصّاص قالوا :

كان سببُ عشقِ المجنون ليلَى ، أنه أقبل ذات يوم على ناقة له كَرِيمةٍ وعليه حُلّتان من حُلَل الملوك ، فمرّ بامرأة من قومه يقال لها : كَرِيمةُ ، وعندها جماعةُ نسوةٍ يتحدّثن فيهنّ ليلى ، فأعجبهنّ جمالُه وكمالُه ، فدعَوْنه الى النزول والحديث(٥) ، فنزل وجعل يُحدّثهنّ وأمر عبدًا له كان معه فعقرَ لهنّ ناقتَه ، وظلّ(٦) يُحدّثهنّ بقيةَ

(١) كذا فى ت ، ب ، س ، حـ . وفى سائر النسخ : « أبو غياث النصرى » .
(٢) كذا فى أغلب النسخ وفى ت « فى دار » . (٣) البهم : جمع بهمة وهى الصغير من أولاد الضأن والمعز والبقر من الوحش وغيرها ، الذكر والأنثى فى ذلك سواء . (٤) فى ت : « هليل » بالتصغير . (٥) فى ت : « الى النزول والحديث معهم » ولعل أصلها « معهنّ » .
(٦) هكذا فى ب ، س ، م ، أ وفى سائر النسخ : « وجعل » .

يومه، فبينا هو كذلك، إذ طلع عليهم فتًى عليه بُرْدةٌ (١) من بُرَدِ (٢) الأعراب يقال له: "مُنَازِلٌ (٣)" يَسُوق مِعْزًى له، فلما رأينه أقبلْنَ عليه وتَرَكْنَ المجنونَ، فغَضِب وخرج من عندهنّ وأنشأ يقول:

أأَعقَرُ مِنْ جَرَّا (٤) كَرِيمةَ ناقتِي * ووَصْلِي مَفْروشٌ (٥) لِوَصْلِ مُنَازِلِ
إذا جاء قَعْقَعنَ الحُلِيَّ ولم أكُنْ * إذا جئتُ أرضَى صوتَ تلكَ الخلاخِلِ
متى ما انتضَلْنا (٦) بالسِّهام نضَلْتُه * وإن نَرْمِ رَشْقًا (٧) عندها فهو ناضِلِي

قال: فلما أصبح لِبس حُلَّتَه وركب ناقة له أخرى ومضى متعرِّضًا لهنّ، فألفَى لَيْلَى قاعدةً بفِناء بيتها وقد عَلِق حبُّه بقلبها وهَوِيَتْه، وعندها جُوَيرياتٌ يتحدّثْنَ معها، فوقَف بهنّ وسلّم، فدَعونَه إلى النزول وقلن له: هل لك في مُحادثة مَنْ لا يَشْغَلُه عنك مُنازِلٌ ولا غيرُه؟ فقال: إي لَعَمْرِي (٨)، فنزل وفعل مثلَ ما فعله بالأمس، فأرادت أن تعلم، هل لها عنده مثلُ ما له عندها، فجعلتْ تُعرِضُ عن

---

(١) كذا في أغلب النسخ وفي ت «إذ طلع فتى عليهم في بردة الخ». (٢) كذا في ح وفي بقية الأصول «برود» وقد رجحنا ما في ح لأنّ الموجود في كتب اللغة أنّ بردة تجمع على بُرَد ولم يذكروا أنها تجمع على برود، وجمع فُعْلة على فُعُول يتوقف على السماع نحو شُعبة وشُعوب انظر شرح الأشموني على الخلاصة في باب جمع التكسير. (٣) لم نقف لهذا الاسم على ضبط معين وقد ضبط بضم الميم في نسخة أ. وقد سمى العرب منازل كمساجد ومنازل كمساعد. (٤) أي من أجل، يقال: فعلت ذلك من جرّاك أي من أجلك ومما أُنشِدَ على هذا:

أمن جرّا بني أسد غضبتم * ولو شئتم لكان لكم جوارُ

(٥) كذا في أغلب النسخ ومعناه ممهد لوصله وسبيل اليه. وفي ت وتزيين الأسواق: «مقرون بوصل منازل». (٦) أي ترامينا بالسهام، ونضلته: غلبته. (٧) الرشق: رمي أهل النضال ما معهم من السهام في جهة واحدة. (٨) كذا في أغلب النسخ. وفي ت، ح: «إيه لعمري».

حديثه ساعةً بعد ساعة وتُحدّث غيرَه ، وقد كان عَلِق بقلبه مثلُ حبها إياه وشَغَفَتْه واستملحها ، فبينا هى تُحدِّثه ، إذ أقبل فتًى من الحىّ فدعته وسارّته سِرارا طويلا ، ثم قالت له : انصرف ، ونظرت إلى وجه المجنون قد تغيّر وانْتُقِع[1] لونه وشقّ عليه فعلُها ، فأنشأت تقول :

كِلانا مُظهرٌ للناس بغضًا * وكلٌّ عند صاحبه مَكينُ
تُبلِّغُنا العيونُ بما أردنا * وفى القلبين ثَمّ هوًى دَفينُ

فلما سمع البيتين شَهَق شَهْقةً شديدة وأُغمِىَ عليه ، فمكث على ذلك ساعةً ، ونضَحوا الماءَ على وجهه [حتى أفاق][2] وتمكّن حبُّ كل واحد منهما فى قلب صاحبه حتى بلغ منه كلَّ مبلغ .

خطبته ليلى واختيارها عليه غيره وشعره فى ذلك

أخبرنى الحَسَن بن علىّ قال حدّثنى هارونُ بن محمد بن عبد الملك قال حدّثنى عبدُ الرحمن بن إبراهيم عن هِشَام بن محمد بن موسى المكىّ عن محمد بن سَعيد المَخْزومىّ عن أبى الهَيْثم العُقَيلىّ قال :

لما شُهِرَ أمرُ المجنون وليلى وتناشد الناسُ شعرَه فيها ، خطَبها وبذَل لها خمسين ناقةً حمراء ، وخطَبها وَرْدُ بن محمد العُقَيلىّ وبذَل لها عَشْرًا من الأبل وراعِيَها ، فقال أهلُها : نحن مُخيِّروها بينكما ، فمَن اختارَتْ تزوّجتْه ، ودخلوا إليها فقالوا : والله لئن لم تختارِى وَرْدًا لنُمثِّلَنّ بك ، فقال المجنونُ :

ألا يا لَيلَ إن مُلِّكتِ فينا * خِيارَكِ فانظُرى لِمَنِ الخِيارُ
ولا تَستَبْدِلى مِنّى دَنِيًّا * ولا بَرَمًا[3] إذا حُبَّ[4] القُتَارُ[5]

(١) يقال : انتقع لونه إذا تغير من هم أو فزع . (٢) زيادة فى ت ، حـ .
(٣) البرم : اللئيم . (٤) فى سـ : « حث » بالثاء . (٥) القتار : ريح اللحم المشوى .

يُهَوِّل فى الصغير إذا رآه * وتُعجِزُه مُلِمَّاتٌ كِبَارُ
فمثلُ تأيُّمٍ منه نكاحٌ * ومثلُ تَمَوُّلٍ منه افتقارُ

فاختارتْ وَرْدًا فتزوّجتْه على كُرْهٍ منها .

حكاية أبيه عن جنونه بليلى

وأخبرنى أحمدُ بن عبد العزيز وحَبيبُ بن نَصْر قالا : حدثنا عمرُ بن شبّةَ قال ذكر الهَيْثمُ بن عَدِىّ عن عثمان بنِ عِمارةَ بن حُرَيم(١) المُرّى قال :

خرجتُ إلى أرض بنى عامر لألقى المجنونَ، فَدُلِلْتُ عليه وعلى مَحَلَّته، فلقِيتُ أباه شيخا كبيرا وحَوْلَه إخوةٌ للمجنون مع أبيهم رجالا ، فسألتُهم عنه فبَكَوْه(٢)، وقال الشيخ : أمَا والله لهو كان آثَرَ عندى من هؤلاء جميعا ، وإنه عَشِقَ امرأةً من قومه والله ما كانت تطمع فى مثله ، فلما فشا أمرُه وأمرُها كره أبوها أن يُزَوّجَه إياها بعد ما ظهر من أمرهما ، فزوّجها غيرَه ، وكان أوّلَ ما كَلِفَ بها يجلس إليها فى نفرٍ من قومها فيتحدّثون كما يتحدّثُ الفِتيانُ(٣) ، وكان أجملَهم وأظرفَهم وأرواهم لأشعار العرب ، فيُفيضونَ فى الحديث فيكون أحسنَهم فيه إفاضةً ، فتُعرِضُ عنه وتُقبِلُ على غيره ، وقد وقع له فى قلبها مثلُ ما وقع لها فى قلبه ، فظنّتْ به ماهو عليه من حبها ، فأقبلت عليه يوما وقد خَلَتْ فقالت :

(١) كذا فى أ ، م «حريم» بالحاء والراء المهملتين وهو الموافق لما جاء فى تاريخ ابن جرير الطبرى ص ٢٨١ قسم ٣ وفى ت : «عثمان بن عميرة بن جرير المرى» . وفى سائر النسخ : «عثمان ابن عمارة بن خزيم المرى» . (٢) فى ت ، حـ : «فبكوا» .
(٣) كذا فى ت . وفى أ ، سـ ، م : «فيتحدّثان كما يتحدّث الفتيان الى الفتيات» وفى ب : «فيتحدّثان كما يتحدّث الفتيان الى الفتيان» وفى حـ «فيتحدّثان كما يتحدّث الفتيان» .

صـــوت

كِلانا مُظهِرٌ للنـاس بغضًا * وكلٌّ عنـد صاحبـه مَكينُ
وأسرارُ الملاحِظِ ليس تخفَى * إذا نطَقتْ بما تُخفِى العيونُ(١)

ـــ غنّتْ فى الأوّل عَريبُ خفيفَ رَمَلٍ ، وقيل : إنّ هذا الغناء لشارِيةَ(٢) ، والبيتُ الأخير ليس من شعره ـــ قال : فخرّ(٣) مغشيًّا عليه ثم أفاق فاقدًا عقلَه ، فكان لا يلبَسُ ثوبا إلا خرّقه ولا يمشى إلا عاريا ويلعب بالتراب ويجمعُ العظامَ حولَه ، فإذا ذُكرتْ له ليلى أنشأ يحدِّث عنها عاقلًا ولا يُخطِئ حرفًا ، وترك الصلاةَ ، فإذا قيل له : مالكَ لا تُصلّى ! لم يَرُدّ حرفا ، وكنا نحبسه ونُقيّده ، فيعَضُّ لسانَه وشفتَه ، حتى خشينا عليه فخلّينا سبيلَه فهو يهيمُ .

قصته مع عمر بن عبد الرحمن بن عوف

قال الهيثمُ : فولّى مروانُ بن الحَكَم عمرَ بن عبد الرحمن بن عَوْف صدقاتِ بنى كعبٍ وقُشَيرٍ وجَعْدةَ والحَريشِ وحَبيبَ وعبدِ الله ، فنظر إلى المجنون قبل أن يَسْتحكِمَ جُنُونُه(٤) فكلّمه وأنشده فأُعجِبَ به ، فسأله أن يخرجَ معه ، فأجابه إلى ذلك ، فلما أراد الرَّواحَ جاءه قومُه فأخبروه خبرَه وخبرَ ليلى ، وأنّ أهلها آستَعدَوُا السلطانَ عليه ، فأهدرَ دمَه إن أتاهم ، فأضربَ عما وعده(٥) وأمر له بقَلَائصَ ، فلما عَلِم بذلك وأُتِى بالقلائص ردّها عليه وآنصرف .

---

(١) فى ت ، حـ وتزيين الأسواق : «وقد تغرى بذى اللحظ العيون» . وفى تزيين الأسواق رواية أخرى وهى : « وقد تغرى بذى اللحظ الظنون » . (٢) سيأتى التعريف بها فى الجزء الرابع عشر طبع بولاق ولم نعثر لها على ضبط ، والأقرب أن يكون ضبطها بفتح الياء على زنة اسم الفاعل من شرى . (٣) كذا فى ب ، س ، م ، ا . وفى ت ، حـ « غنت فى الأوّل عريب مع البيت الأخير وهو الثانى وليس هو من شعر المجنون خفيف رمل ، وقيل : ان هذا الغناء لشارية قال : فخرّ مغشيا عليه الخ » . (٤) كذا فى أغلب النسخ وفى ت ، حـ « حبه » .
(٥) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت ، حـ : « فانصرف عما وعده به وأمر له بقلائص » .

المجامع فرآه يلعب بالتراب وهو عُرْيان، فقال لغلام له : ياغلام، هاتِ ثوبا، فأتاه به، فقال لبعضهم : خذ هذا الثوبَ فألقِه على ذلك الرجلِ، فقال له : أتعرِفه جُعِلتُ فِدَاكَ؟ قال : لا، قال : هذا ٱبنُ سيِّدِ الحىّ، لا والله ما يلبسُ الثيابَ ولا يزيد على ما تراه يفعله الآن، وإذا طُرِحَ عليه شىء خَرَّقَه، ولو كان يلبسُ ثوبا لكان فى مال أبيه ما يكفيه، وحَدَّثَه عن أمره، فدعا به وكلَّمه، فجعل لا يعقِل شيئا يكلِّمه به، فقال له قومه : إن أردت أن يُجيبكَ جوابا صحيحا فاذكر له ليلى، فذكرها له وسأله عن حبِّه إياها، فأقبل عليه يحدِّثه بحديثها ويشكو إليه حبَّه إياها ويُنشِدُه شعرَه فيها، فقال له نوفل : الحبّ صيَّرك إلى ما أَرَى؟ قال : نعمْ، وسينتهِى بى إلى ما هو أشدّ مما تَرَى، فعجِب منه وقال له : أتُحِبُّ أن أزوّجكها؟ قال : نعم، وهل إلى ذلك من سبيلٍ؟ قال : انطلق معى حتى أَقْدَمَ على أهلها بكَ وأخطبَها عليكَ وأُرَغِّبَهم فى المهر لها، قال : أَتُرَاك فاعلا؟ قال : نعم، قال : ٱنظر ما تقول! قال : لك علىّ أن أفعلَ بكَ ذلك، ودعا له بثياب فألبسه إياها، وراح معه المجنونُ كأَصحِّ أصحابه[1] يحدّثه ويُنشِدُه، فبلغ ذلك رهطَها فتلقّوه فى السلاح[2]، وقالوا له : يٱبنَ مُسَاحِقٍ، لا والله لا يدخل المجنونُ منازلَنا أبدا أو يموتَ، فقد أهدَرَ لنا السلطانُ دمَه، فأَقْبَلَ[3] بهم وأَدْبر، فأبَوْا، فلما رأى ذلك قال للمجنون : انصرفْ، فقال له المجنون : والله ما وَفَيْتَ لى بالعهد، قال له : انصرافُك بعد أن آيسنى القومُ من إجابتكَ أصلحُ من سَفْكِ الدماء، فقال المجنون :

---

(١) كذا فى أغلب النسخ. وفى ت : «وراح أصحابه معه والمجنون كأصح ما يكون». (٢) كذا فى أغلب النسخ. وفى ب، س : «بالسلاح». (٣) يريد أنه بذل الجهد فى إقناعهم أن يدخلوه معه وقلبهم على جميع الوجوه فلم يُجْدِه شيئا. قال فى لسان العرب مادة قبل : «وقد أقبل الرجل وأدبره وأقبل به وأدبر فما وجد عنده خيرا».

المجامع فرآه يلعب بالتراب وهو عُرْيان، فقال لغلام له : ياغلام، هاتِ ثوبا، فأتاه به، فقال لبعضهم : خذ هـذا الثوبَ فألقِه على ذلك الرجلِ، فقال له : أتعرِفه جُعِلتُ فِدَاك ؟ قال : لا، قال : هذا ٱبنُ سيِّدِ الحيّ، لا والله ما يلبسُ الثيابَ ولا يزيد على ما تراه يفعله الآن، وإذا طُرِحَ عليـه شيءٌ خَرَّقَه، ولو كان يلبسُ ثوبا لكان فى مال أبيه ما يكفيه، وحَدَّثَه عن أمره، فدعا به وكلَّمه، فجعل لا يعقِل شيئا يكلّمه به، فقال له قومه : إن أردت أن يُجيبكَ جوابا صحيحا فاذكر له ليلى، فذكرها له وسأله عن حبِّه إياها، فأقبل عليه يحدّثه بحديثها ويشكو إليه حبَّه إياها ويُنشِده شعرَه فيها، فقال له نوفل : الحبّ صيَّرك إلى ما أرَى ؟ قال : نعمْ، وسينتهى بى إلى ما هو أشدّ مما تَرَى، فعَجِب منـه وقال له : أتُحبُّ أن أزوّجكَها ؟ قال : نعم، وهل إلى ذلك من سبيلٍ ؟ قال : انطلق معى حتى أَقْـدَمَ على أهلها بكَ وأخطبَها عليكَ وأُرَغِّبَهـم فى المهر لها، قال : أتُرَاك فاعلا ؟ قال : نعم، قال : ٱنظر ما تقول ! قال : لك علىّ أن أفعلَ بكَ ذلك، ودعا له بثياب فألبسه إياها، وراح معـه المجنونُ كأصحِّ أصحابه (١) يحدّثه ويُنشِدُه، فبلغ ذلك رهطَها فتلقَّوه فى السلاح (٢)، وقالوا له : يٱبنَ مُسَاحِقٍ، لا والله لا يدخل المجنونُ منازلَنا أبدا أو يموتَ، فقد أهدَرَ لنا السلطانُ دمَه، فأقبل بهم وأدبر (٣)، فأبَوْا، فلما رأى ذلك قال للجنون : انصرفْ، فقال له المجنون : والله ما وفَيْتَ لى بالعهد، قال له : انصرافُك بعد أن آيسنى القومُ من إجابتكَ أصلحُ من سَفْكِ الدماء، فقال المجنون :

---

(١) كذا فى أغلب النسخ. وفى ت : «وراح أصحابه معه والمجنون كأصح ما يكون». (٢) كذا فى أغلب النسخ. وفى ب، س : «بالسلاح». (٣) يريد أنه بذل الجهـد فى إقناعهم أن يدخلوه معه وقلبهم على جميع الوجوه فلم يُجْدِه شيئا. قال فى لسان العرب مادة قبل : «وقد أقبل الرجل وأدبره وأقبل به وأدبر فما وجد عنده خيرا».

صـــوت

أيا ويحَ مَنْ أمسى تُخُلِّسَ عقلُه(١) * فأصبح مذهوبًا به كلَّ مذهبِ
خليًّا من الخُلّانِ إلا مُعَذَّرًا(٢) * يُضاحكني(٣) مَنْ كان يهوى تجنُّبي

الغناء(٤) لحُسين بن مُحْرِز ثقيلٌ أوّلُ بالوُسْطَى من جامع أغانيه :

إذا ذُكِرتْ ليلى عَقَلتُ وراجعتْ * روائعُ(٥) عقلى مِن هوًى مُتَشَعِّبِ
وقالوا صحيحٌ ما به طيفُ جِنَّةٍ(٦) * ولا الهمُّ إلا بافتراء التكذُّبِ(٧)
وشاهدُ وجْدِى دمعُ عينى وحُبُّها * بَرَى اللحمَ عن أحناءِ(٨) عظمى ومنكِبى

صـــوت

تجنَّبتَ ليلى أن يَلِجَّ بكَ الهوى * وهيهاتَ كان الحبُّ قبل التجنُّبِ
ألا إنّما غادرْتِ يا أمّ مالكٍ * صَدًى(٩) أينما تَذهبْ به الريحُ يَذْهَبِ

---

(١) تخلس : سلب . (٢) هو المقصر الذى لا عذر له ولكنه يتكلف العذر ، ومنه قوله تعالى : (وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم) . (٣) كذا فى جميع الأصول وهو الموافق لما فى الديوان طبع بولاق . وسيأتى فى جميع الأصول ص ٣٩ من هـذا الجزء « إلا مجاملا يساعدنى » . (٤) فى ب ، س ، ء ، م ، أ هـذه الزيادة وهى : « غنى فى هذين البيتين يحيى المكىّ خفيف رمل رواه عنه ابنه أحمد الغناء لحسين بن محرز الخ » . (٥) كذا فى جميع الأصول عدا نسخة حـ وهو الموافق لما فى الديوان طبع بولاق . والروائع : جمع رائعة أى مرتاعة ، قال فى اللسان مادة روع : «وقد يكون رائع فاعلا بمعنى المفعول، أنشد ابن الأعرابىّ : * شذّانها رائعة من هدره * أى مرتاعة . وفى نسخة حـ : «عوازب» وسيرد كذلك فى جميع النسخ ص ٣٩ من هذا الجزء . والعوازب : جمع عازبة من عزب بمعنى غاب . (٦) طيف جنة : مس من الجن . (٧) فى ديوان الشعر والشعراء * ولا لم الا افتراء التكذب * واللم : الجنون ، وقيل : طرف منه يلم بالانسان . (٨) الأحناء : جمع حنو وهو كل شىء فيه اعوجاج كعظم الحجاج (العظم الذى ينبت عليه الحاجب) واللحى والضلع . (٩) الصدى : الجسد من الآدمى بعد موته ، ويطلق على الرجل النحيف الجسد ، كما أنه يطلق على الصوت الذى يسمعه المصوّت عقب صياحه راجعا اليه من نحو الجبل والبناء المرتفع .

الغناء لإسحاق خفيفُ ثقيلٍ أوّلَ[(١)] بإطلاق الوَتَر فى مجرى البِنْصر[(٢)]، وفيه لابن جامعٍ هَزَجٌ من رواية الهشامىّ وهى قصيدة طويلة .

ومما يُغَنّى فيه منها قولُه :

صوت

فلم أرَ ليلَى بعد مَوْقِفِ ساعةٍ * بخَيْفِ مِنًى تَرمِى جِمارَ المحصَّبِ
ويُبْدِى الحصَى منها إذا قذَفتْ به * من البُرْدِ أطرافَ البَنانِ المخضَّبِ
فأصبحتُ من لَيْلَى الغَداةَ كناظرٍ * مع الصبح فى أعقابِ نجمٍ مُغرِّبِ
ألا إنما غادرتِ يا أُمَّ مالكٍ * صَدًى أينما تذهبْ به الريحُ يذهبِ

فيه ثقيلٌ أوّلُ مطلقٌ باستهلال ، ذكر ابنُ المكىّ أنه لأبيه يحيى ، وذكر الهشامىّ أنه للواثق ، وذكر حَبَش أنه لابن مُحْرِز ، وهو فى جامع أغانى سليمانَ منسوبٌ إليه .

أنشدنى الأخفش عن أبى سعيد السُّكَّرىّ عن محمد بن حَبِيبَ للمجنون :

فواللهِ ثم اللهِ إنّى لدائبٌ * أُفَكّر ما ذنبِى إليها وأَعجَبُ
وواللهِ ما أدرِى عَلامَ قتلتِنى * وأىَّ أمورى فيك ياليلَ أركبُ
أأقطَعُ حبلَ الوصلِ فالموتُ دونه * أمَ اشربُ رَنْقاً[(٣)] منكمُ ليس يُشرَبُ
أمَ اهرُبُ حتى لاأرَى لى مجاورا * أمَ اصنعُ ماذا أم أبوح فأُغلَبُ
فأيّهما ياليلَ ما ترتضينَه * فإنّى لمظلومٌ وإنّى لمُعتَبُ

(١) فى أ ، م ، ء : « ثانى ثقيل أوّل » . (٢) فى ت ، حـ : « فى مجرى البنصر من روايته » . (٣) رنقا : كدرا .

حجه مع أبيه الى مكة لسلوان ليلى ودعوته هو استزادة حبها ودوامه

أخبرنى أحمدُ بن عبد العزيز الجَوْهرىّ وحبيبُ بن نصر المهلّبىّ قالا : حدّثنا عمرُ بن شَبّةَ قال : ذكر هشام بنُ الكلبىّ ووافقه فى روايته أبو نصر أحمد بن حاتم وأخبرنا الحَسَن بن علىّ قال حدّثنا آبن أبى سَعْد قال حدّثنى علىّ بن الصَّبّاح عن هشام آبن الكلبىّ عن أبيه :

أن أبا المجنون وأمّه ورجالَ عَشيرته آجتمعوا إلى أبى لَيْلى فوعَظوه وناشدوه اللهَ والرحِمَ، وقالوا له : إنّ هذا الرجل لَهَالكٌ، وقبلَ ذلك ففى أقبحَ من الهلاكِ بذهاب عقله، وإنكَ فاجعٌ به أباه وأهلَه، فنشَدْناكَ اللهَ والرحمَ أن تفعل ذلك، فوالله ما هى أشرفُ منه، ولا لكَ مثلُ مالِ أبيه، وقد حكَّمكَ فى المَهْر، وإن شئتَ أن يخلَعَ نفسَه إليكَ من ماله فعل، فأبى وحلف بالله وبطلاق أمّها[1] إنه لايزوّجه إيّاها أبدا، وقال : أفضحُ نفسى وعشيرتى وآتِى مالم يأته أحدٌ من العرب، وأَسِمُ آبنتى بِمِيسَمِ فضيحةٍ ! فانصرَفُوا عنه، وخالفهم لوقته فزوّجها رجلا من قومها وأدخلها إليه[2]، فما أَمْسَى إلا وقد بنَى بها، وبلغه الخبرُ فأيِس منها حينئذ وزال عقلُه جملةً، فقال الحىّ لأبيه : احْجُجْ به إلى مكة وآدعُ اللهَ عز وجلّ له، ومُره أن يتعلّقَ بأستار الكعبة، فيسألَ الله أن يُعافِيَه ممّا به ويُبغِّضَها إليه، فلعل الله أن يُخلِّصَه من هذا البلاء، فحجّ به أبوه، فلما صاروا بمِنًى سمع صائحا فى الليل يَصيحُ : يا ليلى، فصرخ صَرْخةً ظنّوا أنّ نفسه قد تَلِفَتْ وسقط مَغشيًّا عليه، فلم يزل كذلك حتى أصبح ثم أفاق حائلَ[3] اللون ذاهلًا، فأنشأ يقولُ :

---

(١) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت : « بطلاق امرأته » . (٢) كذا فى أغلب النسخ . وفى حـ : « وأخرجها اليه » . وفى ت : « وأرحلها اليه » (٣) حائل اللون : متغيره .

صــــوت

عَرَضتُ على قلبى العزاءَ فقال لى * من الآنَ فايأسْ لا أعزَّكَ من صَبْرِ
إذا بان مَنْ تهوَى وأصبح نائيًا * فلا شيءَ أجدَى من حُلُولك فى القبر
وداعٍ دعا إذ نحن بالخَيْف من مِنًى * فهيَّجَ أطرابَ[1] الفؤاد وما يدرِى
دعا بآسم ليلى غيرَها فكأنَّما * أطارَ بليلى طائرًا كان فى صدرِى
دعا باسم ليلى ضلَّل اللهُ سعيَه * وليلَى بأرض عنه نازحة قفرِ

الغناء لعَرِيبَ خفيفُ ثقيلٍ — ثم قال له أبوه: تعلَّقْ بأستار الكعبة وآسألِ اللهَ أن يُعافيَكَ من حبّ ليلى، فتعلّقَ بأستار الكعبة وقال: اللهم زِدْنى لليلى حبًّا وبها كَلَفًا ولا تُنْسِنى ذكرَها أبدا، فهام[2] حينئذ وآختلَط فلم يَضْبِطْ. قالوا: فكان يَهِيمُ فى البَرِّيَّة مع الوحش ولا يأكل إلا ما ينبُت فى البرِّيّة من بقل ولا يشربُ إلا مع الظباء إذا وردَتْ مناهلَها، وطال شعرُ جسده ورأسه وألِفَتْه الظباءُ والوحوشُ فكانتْ لا تنفِرُ منه، وجعل يَهيمُ حتى يبلغَ حدودَ الشأم، فإذا ثاب إليه عقلُه سأل مَنْ يمرّ به من أحياء العرب عن نجد، فيقالُ له: وأين[3] أنت من نجد! قد شارفتَ الشأم! أنتَ فى موضع كذا، فيقول: فأرونى وِجْهةَ الطريق، فيرحَمونه ويَعرِضُون عليه أن يحملوه أو يكسوه فيأبى، فيدُلُّونه على طريق نجد فيتوجّه نحوَه.

أخبرنى عمّى قال حدّثنى الكُرَانىّ قال حدّثنا العُمَرىُّ عن الهيثم بن عدىّ وأخبرنا حبيبُ بن نَصْر المهلّبىّ وأحمد بن عبد العزيز الجَوْهرىّ قالا حدّثنا عمرُ بنُ شَبَّةَ قال ذكر الهَيْثم بن عَدِىّ عن أبى مِسْكين قال:

(١) كذا فى جميع الأصول، والأطراب: جمع طرب وهو خفة تعترى الشخص من شدة الفرح أو الحزن. والذى فى ديوانه وكتاب الشعر والشعراء: «أحزان». (٢) كذا فى أغلب النسخ. وفى ت: «فهاج». (٣) فى ت: «أين أنت» بدون واو.

خرج منّا فتًى حتى إذا كان ببئر ميمونٍ[١] إذا جماعةٌ فوقَ بعض تلك الجبالِ ، وإذا[٢] معهم فتًى أبيضُ طُوَالٌ[٣] جَعْدٌ[٤] كأحسنِ مَنْ رأيتُ من الرجال على هُزَالٍ منه وصُفرةٍ ، وإذا هم مُتعلِّقون به ، فسألتُ عنــه ، فقيل لى : هــذا قيسٌ المجنونُ خرج به أبوه يستجيرُ له بالبيت ، وهو على أن يأتىَ به قبرَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليدعوَ له هُنَالكَ لعــلّه يُكشَفُ ما به ، فإنه يصنع بنفسه صَنِيعًا يرحَمه منه عدوُّه ، يقول : أَخرِجونى لعلّى أتنسّم صَبَا نَجْدٍ ، فيُخرِجونه فيتوجهون به نحوَ نجدٍ ، ونحن مع ذلك نخاف أن يُلقِىَ نفسَه من الجبل ، فإن شئتَ الأجرَ[٥] دنوتَ منــه فأخبرتَه أنك أقبلتَ من نجدٍ ، فدنوتُ منه وأقبلوا عليــه فقالوا له : يا أبا المَهْدىّ ، هذا الفتى أقبل من نجــد ، فتنفَّسَ تَنَفُّسَةً[٦] ظننتُ أنّ كبِدَه قد انصدعَتْ ، ثم جعل يسألنى[٧] عن وادٍ وادٍ وموضعٍ موضعٍ ، وأنا أُخبِرُه وهو يبكى أحرَّ بكاءٍ وأَوْجعَه للقلب ، ثم أنشأ يقول :

ألا ليت شِعرى عن عُوَارِضَتَىْ قَنًا[٨] * لطول الليــالِى هل تغيّرَتَا بعــدِى
وهــل جارتانا بالبَتِيــل[٩] إلى الحِمَى * على عَهْدِنا أم لم تَدُوما على العهــدِ

---

(١) قال فى ياقوت : وبئر ميمون بمكة ، وقال البكرىّ فى معجم ما استعجم ص ٥٦٩ : هى بئر بمكة بين البيت والحجون بأبطح مكة ، وهى منسوبة الى ميمون بن الحضرمىّ حفرها فى الجاهلية ، وعندها توفى أبو جعفر المنصور . (٢) كذا فى ت ، ح . وفى باقى النسخ : «فإذا» بالفاء . (٣) الطوال بالضم : المفرط الطول . (٤) كذا فى ت ، ح والجعد : أن يكون الرجل معصوب الجوارح شديد الأسر والخلق غير مسترخ ولا مضطرب ، وفى باقى النسخ « جعدة » بالتاء ولم نجده فى كتب اللغــة التى بأيدينا وصفا للمذكر . (٥) زيادة فى ب ، س . (٦) فى ت ، ح : «تنفسا خلت أنّ كبده الخ» . (٧) فى ت ، ح : « يسائلنى » . (٨) فى ب ، س : « قبا » بالباء وهو تحريف . انظر الحــاشية رقم ٣ ص ٣٥٣ من الجزء الأوّل من الأغانى . وقنا وعوارضة : جبلان لبنى فزارة . (٩) كذا بالديوان وهو جبل بنجد . وفى ب ، س : « النثيل » . وفى ح ، ى : « الثقيل » . وفى م ، أ : « البقيل » . وفى ت : « البنيك » ولعل ما فى هذه النســخ تحريف فانا لم نقف على واحد من هذه الألفاظ اسم موضع . وفى أ نقلا عن نســخة أخرى : « العقيق » .

وعن عُلْوِيَّاتِ[(١)] الرياح إذا جرتْ * بريح الخُزَامَى هل تَهُبُّ على نجد
وعن أُقْحُوانِ الرمل ما هو فاعلٌ * إذا هو أَسْرَى ليلةً بِثَرًى جَعْد[(٢)]
وهل أَنْفُضَنَّ الدهرَ أفنانَ لِمَّتى * على لاحقِ المتنينِ مُنْدَلِقِ الوَخْد[(٣)]
وهل أسمعنَّ الدهرَ أصواتَ هَجْمةٍ[(٤)] * تَحَدَّرُ من نَشْزٍ[(٥)] خَصِيبٍ إلى وَهْد

سؤاله زوج ليلى عن عشرته معها

أخبرنى عمّى قال حدّثنا الكُرانىّ قال حدّثنا العُمَرِىّ عن الهَيْثم بن عدىّ والعُتْبىّ قالا :

مرّ المجنونُ[(٦)] بزوج ليلى وهو جالسٌ يَصْطَلِى فى يوم شاتٍ، وقد أتى ٱبنَ عمٍّ له فى حىّ المجنونِ لحاجةٍ، فوقفَ عليه ثم أنشأ يقول :

صـــوت

بِربِّك[(٧)] هل ضَمَمْتَ إليكَ ليلَى * قُبيلَ الصبحِ أو قَبَّلْتَ فاها[(٨)]
وهل رَفَّتْ[(٩)] عليك قُرونُ ليلى * رَفِيفَ الأُقْحُوانةِ فى نَدَاها

(١) علويات : جمع عُلْوية نسبة الى العالية وهى ما فوق أرض نجد الى تهامة وهذه النسبة نادرة والقياس عالىّ . (٢) يقال : تراب جعد أى نَدٍ . (٣) لاحق : ضامر من قولهم لحق الفرس لحوقا أى ضمر . والمتنان : جنبتا الظهر عن اليمين والشمال ، والواحد متن يذكر ويؤنث ، والمندلق : السريع ، يقال : اندلقت الخيل اذا خرجت فأسرعت . والوخد : ضرب من سير الخيل والإبل وهو سعة الخطو فى المشى . (٤) الهجمة : القطعة الضخمة من الإبل . والوهد : المكان المطمئن من الأرض . (٥) كذا فى سـ ، أ والنشز : المكان المرتفع . وفى بقية النسخ : « نشر » بالراء المهملة وهو تحريف . (٦) فى ت : « مر المجنون ذات يوم الخ » . (٧) فى خزانة الأدب للبغدادى ج ٤ ص ٢١٠ : «بدينك » . (٨) فى خزانة الأدب للبغدادى ج ٤ ص ٢١١ :
* وهل قبلت قبل الصبح فاها * (٩) قال البغدادى فى خزانة الأدب ج ٤ ص ٢١٣ :
«رفت بفتح الراء المهملة من رف لونه يرف بالكسر رفيفا ورفا اذا برق وتلألأ ، أراد شدّة سواد شعرها . وصحفه ابن الملا فى شرح المغنى بجعل المهملة معجمة فقال : الزفيف : إهداء العروس الى بعلها ، وغفل عن قوله : رفيف الأقحوانة وهى البابونج . والقرون : الذوائب جمع قرن بفتح القاف وسكون الراء » اهـ والظاهر أنه من رفيف النبات وهو اهتزازه نضارة وحسنا .

فقال : ٱللهم إذ حلّفتنى فنَعَمْ ، قال : فقبَض المجنونُ بكلتا يديه قبضتين من الجمر ، فما فارقهما حتى سقَط مغشيًّا عليه ، وسقط الجمرُ مع لحم راحتيه ، وعضّ على شفته فقطعها ، فقام زوجُ ليلى مغموما بفعله مُتعجِّبا منه فمضى .

غنّى فى البيتين المذكورين فى هذا الخبر الحُسَين بن مُحْرِز ، ولحنه رَمَل(١) بالوسطى عن الهشامىّ .

مروره بجبلى نعمان ومكثه فيهما الى هبوب الصبا وما قاله فى ذلك من الشعر

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز وحبيبُ بن نصر المُهَلّبىّ قالا : حدّثنا عمرُ بن شَبّة قال قال محمد بن الحكَم عن عَوَانة : إنه حدّثه ووافقه ٱبنُ نصر وٱبنُ حبيبَ قالوا : إنّ أهلَ المجنون خرجوا به معهم إلى وادى القُرَى(٢) قبل توحشه ليَمتاروا(٣) خوفا عليه [من](٤) أن يضيعَ أو يهلِكَ ، فمرّوا فى طريقهم بجبلى نَعمانَ(٥) ، فقال له بعضُ فِتيانِ الحىّ : هذان جبلا نَعمانَ ، وقد كانت ليلى تنزِلُ بهما ، قال : فأىّ الرياح يأتى من ناحيتهما؟ قالوا : الصَّبَا ، قال : فوالله لا أَرِيمُ(٦) هـذا الموضعَ حتى تَهُبَّ الصبا ، فأقام ومَضَوْا فامتاروا لأنفسهم ، ثم أتَوْا عليـه فأقاموا معه ثلاثةَ أيام حتى هبّتِ الصَّبا ، ثم ٱنطلق معهم فأنشأ يقول :

---

(١) كذا فى أغلب النسخ . وفى م ، أ ، ء : «خفيف» .

(٢) وادى القرى : واد بين الشأم والمدينة كانت به قرى منظومة ، وبها سمى وادى القرى . قال ياقوت : وآثار القرى الى الآن بها ظاهرة إلا أنها فى وقتنا هذا كلها خراب ومياهها جارية تندفق ضائعة لا ينتفع بها أحد . أنظر معجم ياقوت فى كلمة القرى . (٣) من الامتيار وهو جلب الطعام للبيع وغيره .

(٤) زيادة فى ت ، حـ . (٥) هو نعمان الأراك وهو واد بين مكة والطائف . وقيل وادٍ لهذيل على ليلتين من عرفات . (٦) لا أريم : لا أبرح . وفى ت : «لا أريم من هذا الموضع» . وكلاهما صحيح .

صــــوت

أيا جبلَى نعمانَ باللهِ خلّيَا * سبيلَ الصَّبا يخلُصْ إلىّ نسيمُها(1)
أجدْ بردَها أو تَشفِ منّى حرارةً * على كَبِدٍ لم يبقَ إلا صميمُها(2)
فانّ الصَّبا ريحٌ إذا ما تنسّمَتْ * على نَفْسِ محزونٍ تجلّتْ همُومُها(3)

ارتحال أهل ليلى عن منازلهم وما قاله فى ذلك من الشعر

أخبرنى علىُّ بنُ سليمانَ الأخفشُ قال حدّثنى محمدُ بن الحسين بن الحَرُونِ(4) قال حدّثنى الكِسْرَوِىُّ(5) عن جماعةٍ من الرواة قال(6) :

لمـا منعَ أبو ليلى المجنونَ وعشيرتُه مِنْ تزويجه بهـا، كان لا يزال يَغْشَى بيوتَهم ويهجُم عليهم، فشكَوْه إلى السلطان فأهدرَ دمَه لهم، فأخبروه بذلك فلم يرُعْهُ وقال : الموتُ أرْوحُ لى(7) فليتَهم قتلونى ، فلمّـا علموا بذلك وعرَفوا أنه لا يزال يطلبُ غِرّةً(8) منهم حتى إذا تفرّقوا دخل دورَهم، فارتحلُوا عنها وأبْعدُوا، وجاء المجنونُ عشيّةً فأشرفَ على دورهم فإذا هى منهم بَلَاقِعُ(9) ، فقصـد منزلَ ليلى الذى كان بيتُها فيـه ، فألصَقَ صـدرَه به وجعل يُمرِّغُ خدَّيه على ترابه [ويبكى](10) ، ثم أنشأ يقول، — وذكر هـذه الأبياتَ آبن حبيبَ وأبو نصر له [بغير خبر](11) — :

---

(1) كذا فى ت وتزيين الأسـواق فى ترجمة المجنون ص ٧٢ طبع بولاق . وفى سائر النسخ : « نسيم الصبا » . (2) صميمها : أصلها . (3) كذا فى أغلب النسخ والديوان . وفى ت ، حـ وتزيين الأسواق : « مهموم » .
(4) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت ، حـ : « الحسن » . (5) كذا فى أغلب النسخ وفى حـ : « الكردوسى » . (6) كذا فى أغلب النسـخ . وفى ت : « قالوا » .
(7) فى ت : « أروح إلى » . (8) غرّة : غفلة . (9) بلاقع : خوال، والواحد بلقع . (10) زيادة فى ت . (11) زيادة فى م ، أ ، ء .

أيا حَرَجَاتِ(١) الحىّ حيث تحمّلوا(٢) * بِذِى سَلَمٍ(٣) لا جادَكُنّ رَبيعُ
وخَيماتُك اللاتى بمُنعَرَج اللِّوى * بَلِينَ بِلًى لم تَبلَهنّ رُبُوعُ
نَدِمتُ على ما كان منّى ندامةً * كما يَندَمُ المغبونُ حين يبيعُ
فقدتُك من نفسٍ شَعَاعٍ(٤) فإنّنى * نهيتُك عن هذا وأنتِ جميعُ(٥)
فقرَّبتِ لى غيرَ القريب وأشرفتْ(٦) * إليكِ ثَنَايا(٧) ما لهنّ طُلُوعُ(٨)

حديثه مع نسوة فيهن ليلى

وذكر خالدُ بن جَمِيل(٩) وخالدُ بن كُلثوم فى أخبارهما التى صنعاها أنّ ليلى وعدَتْه قبل أن يختلطَ أن تستزيره(١٠) ليلةً إذا وجدت فُرصةً لذلك، فمكث مدّةً يراسلها فى الوفاء وهى تَعده وتُسَوِّفُه(١١)، فأتى أهلَها ذاتَ يوم والحىُّ خُلُوفٌ(١٢)، فجلس إلى نسوة من أهلها حَجْرةً(١٣) منها بحيث تسمعُ كلامَه، فحادثهنّ طويلا ثم قال: ألا أُنشِدُكنّ أبياتا أحدثتُها فى هذه الأيام؟ قلن: بَلَى، فأنشدهنّ:

(١) الحرجات: جمع حرجة وهى الغيضة، وسميت بذلك لضيقها، وقيل: الشجر الملتف، وهى أيضا الشجرة تكون بين الأشجار لا تصل اليها الآكلة وهى ما رعى من المال. (٢) كذا فى ت. وفى سائر النسخ: «حين». (٣) ذو سلم: موضع بالحجاز. (٤) يقال: نفس شعاع اذا انتشر رأيها فلم تتجه لأمر جزم. (٥) الجميع: ضدّ المتفرق. (٦) كذا فى ت، ء، م وديوان المجنون والأغانى فى ترجمة قيس بن ذريح ج ٨ طبع بولاق. وفى سائر الأصول: «فأشرفت» بالفاء ومعناه ظهرت وارتفعت. (٧) الثنايا: جمع ثنية وهى العقبة وهى المرقى الصعب فى الجبل يريد بذلك أن الوصول الى ليلى صعب لا يستطيعه. (٨) ستأتى هذه الأبيات فى قصيدة منسوبة الى قيس بن ذريح فى ترجمته بالجزء الثامن من الأغانى طبع بولاق. (٩) كذا فى أغلب النسخ. وفى ت: «خالد بن حمل» بالحاء ولم نوفق لتصحيح هذا الاسم. (١٠) كذا فى أغلب النسخ. وفى ى: «أن تزوره». (١١) مأخوذ من كلمة سوف، كأن المماطل يقول مرة بعد مرة سوف أفعل. (١٢) يقال: حىّ خلوف اذا غاب الرجال وأقام النساء. (١٣) حجرة: ناحية.

صــــوت

يا لَلرِّجال لِهَــمٍّ باتَ يَعْرونِى * مُسْتَطْرَفٍ(١) وقَــديمٍ كاد يُبْلِينِى
مَنْ عاذرِى من غريمٍ غيرِ ذى عُسُرٍ(٢) * يأبَى(٣) فيمطُلُنِى دَيْنِى ويَــلْوِينِى
لا يُبعِــدُ النقدَ مِنْ حقّى فينكرَه * ولا يُحدِّثُنِى أنْ سوفَ يَقْضِينِى
وما كشُكرِىَ شكرٌ لو يوافِقُنِى * ولا مُنایَ سِــواه لو يُوافِينِى(٤)
أطعتُه وعصيتُ الناس كلَّهُــمُ * فى أمرِهِ وهواه وهو يَعْصِينِى

قال(٥) : فقلن له : ما أنصفكَ هــذا الغريمُ الذى ذكرتَه ! وجَعلْنَ يتضاحَكْنَ وهو يبكى ، فاستحيَتْ ليلى منهن ورقّت له حتى بكتْ ، وقامت فدخلت بيتَها وانصرف هو .

ــ فى الثلاثة الأبيات الأُوَلِ من هــذه الأبيات هَزَجٌ طُنْبورِىّ لِلْمَسْدُودِ ــ قالا فى خبرهما هــذا : وكان للمجنون ٱبنا عمٍ يأتيانِه فيُحدّثانه ويُسَلّيَانه ويؤانسانه ، فوقف عليهما يوما وهمــا جالسان ، فقالا له : يا أبا المهدىّ ألا تجلسُ ؟ قال : لا ، بل أَمضِى إلى منزل ليــلى فأترسَّمه وأرى آثارَها فيه ، فأشفِى بعضَ ما فى صدرى بها ، فقالا له : فنحن معكَ ، فقال : إذا فعلتما أكرمتُمَا وأحسنتُمَا ، فقاما معه حتى أتى دار ليــلَى ، فوقف بها طويلا يتتبَّع آثارَها ويبكى ويقفُ فى موضعٍ موضعٍ منها ويبكى ، ثم قال :

(١) كذا فى أكثر النسخ . وفى حـ : «مستطرفا وقديما كان يبكينى» . (٢) العسر : لغــة فى العسر ضدّ اليسر . قال عيسى بن على : كل اسم على ثلاثة أحرف أوّله مضموم وأوســطه ساكن فن العرب من يثقله ومنهم من يخففه مثــل عسر وعسر وحلم وحلم . أنظر اللسان مادة عسر .
(٣) فى أ ، ب ، سـ : «يأتى» وهو تحريف . (٤) فى ت ، حـ : «يواتينى» .
(٥) كذا فى جميع النسخ ، ولعــله : «قالا» بالتثنية لأنّ الخبــر مروى عن خالد بن جميــل وخالد ابن كلثوم .

صـــوت

يا صاحِبَىَّ أَلِمَّا بِى بِمــنزلة * قد مرّ حينٌ عليها أيُّمـا حين
إنى أرى رَجَعاتِ الحبّ تقتُلُنى(١) * وكان فى بدئها ما كان يكفينى
لا خيرَ فى الحبّ ليستْ فيه قارِعةٌ * كأنّ صاحبَها فى نَزْعِ مَوتون(٢)
إن قال عُذّالُه مَهْـلًا فلانُ لهم * قال الهوى غيرُ هذا القولِ يَعنِينى(٣)
أَلْقَى من اليأس(٤) تاراتٍ فتقتُلُنى * ولِلــرجاء بشاشاتٌ فتُحْيِينى

الغناء لإبراهيمَ(٥) خفيفُ ثقيلٍ من جامع غنائه .

وقال هشام بن الكلبىّ عن أبى(٦) مسكين : إن جماعة من بنى عامر حدّثوه قالوا : كان رجل من بنى عامر بن عُقَيل يقال له : قيسُ بن مُعاذ، وكان يُدعَى المجنونَ، وكان صاحبَ غَزَلٍ ومجالسةٍ للنساء، فخرج على ناقة له يسيرُ، فمرّ بامرأة من بنى عُقَيل يقال لهـا : كريمةُ، وكانت جميلةً عاقلةً ، معها نسوة فعرفْنَــه ودعوْنَه إلى النزول والحـديث ، وعليه حُلّتانِ له فاخرتان وطَيْلَسانٌ وقَلَنْسُوةٌ ، فنزل فظلّ يُحدّثهنّ ويُنشِــدُهنّ وهنّ أعجبُ شىءٍ به فيما يُرَى ، فلمّا أعجبَــه ذلك منهنّ عقرَ لهنّ ناقتَه ،

(١) فى ت : «قاتلى» . (٢) فى ت بين هذا البيت والذى بعده ما نصه : « الموتون مضروب على الوتين وهو عرق معلّق بنياط القلب » ولا ندرى هل هو من أصــل الكتاب أتى به المؤلف تفســيرا للموتون أو أنــ الناسخ وجده بهامش بعض النسخ فألحقه بالأصل . وتفسير الموتون بالمضروب على الوتين مطابق لقولهم فى كتب اللغة : وتَنه : أصاب وتينه ، ونظيره مكلىّ اذا أصيبت كليته ، ومكبود اذا أصيبت كبده . (٣) كذا فى ت ، حـ . وفى باقى النسخ : « يغنينى » بالغين المعجمة .
(٤) كذا فى ديوان الشعر والشــعراء فى ترجمــة المجنون طبع ليــدن ص ٣٥٨ وفى سائر النســخ : « من الحب » . (٥) كذا فى أغلب النســخ : وفى م ، ء ، ا : « لابن أمية » .
(٦) كذا فى ت ، حـ . وفى سائر النسخ : «ابن مسكين» ، وقد سبق فى ص ٢٢ من هذا الجزء باسم « أبى مسكين » باتفاق النسخ ، وسيأتى كذلك بالجزء الثالث عشر من الأغانى طبع بولاق ص ١٢٢

وقُمْنَ إليها فجعلنَ يَشوِين(١) ويأكلن إلى أن أمْسَى ، فأقبل غلامٌ شابٌّ حسنُ الوجه مِن حيّهن فجلس إليهنّ ، فأقبلنَ عليه بوجوههنّ يَقُلْنَ له : كيف ظَلِلْتَ(٢) يا مُنازِلُ اليومَ ؟ فلما رأى ذلك من فِعلهنّ غَضِب ، فقام وتركهنّ وهو يقول :

أأعقِرُ من جَرّا كريمةَ ناقتِي * ووصلِيَ مَفْرُوشٌ لِوصلِ مُنازِلِ
إذا جاء قَعقَعنَ الحُلِيَّ ولم أكُنْ * إذا جئتُ أرضَى صوتَ تلكَ الخلاخلِ(٣)

قال : فقال له الفتى : هَلُمَّ نتصارَعْ أو نتناضَلْ ، فقال له : إن شئتَ ذلكَ فقُمْ إلى حيثُ لا تَراهُنَّ ولا يَرَيْنَكَ ، ثم ما شئتَ فافعلْ ، وقال :

إذا ما انتضَلْنا فى الخلاء نَضَلْتُه * وإن يَرمِ رَشْقًا عندها فهو ناضِلِي(٤)

وقال ابنُ الكلبيّ فى هذا الخبرِ : فلما أصبح لبِسَ حُلّته وركِبَ ناقتَه ومضى مُتعرِّضًا لهنّ ، فألفَى ليلَى جالسةً بفِناء بيتها ، وكانت معهنّ يومئذ جالسةً ، وقد عَلِقَ بقلبها وهَوِيَتْه ، وعندها جُوَيرِياتٌ يُحدِّثْنَها ، فوقف بهنّ وسلّم ، فدعَوْنه إلى النزول وقُلْنَ له : هل لكَ فى مُحادَثةِ مَنْ لا يَشغَلُه عنك مُنازِل ولا غيرُه ؟ قال : إى لَعَمْرِى ، فنزل وفعلَ فَعلتَه بالأمس ، فأرادتْ أن تعلَمَ هل لها عنده مثلُ ما لَه عندها ، فجعلتْ

(١) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت : « يشتوين » وكلاهما صحيح . (٢) فى ت : « ظلت » وهى لغة فيها . (٣) جاء هذا الشطر فى تزيين الأسواق ص ٦٣ طبع بولاق هكذا : * اذا جئت بل أخفين صوت الخلاخل * وقال فى تفسيره : يقول قد أظهرن صوت الحلىّ حين جاء منازل ، وهذه كناية عن قيامهنّ له ، ولم يكن ذلك عند مجيئى .

(٤) كذا فى ت ، حـ وتزيين الأسواق . وفى باقى النسخ : « ناضل » بغير ياء المتكلم ، وآثرنا ما أثبتناه بالأصل لأنه أتم مقابلة لقوله نضلته ، ولأن قوله «نضلته» هكذا بالضمير ظاهر فى أنّ الشاعر أتى بهذا البيت فى هيئة المتصل بالبيتين السابقين وهذا يستدعى كسر اللام حتى يكون على رويّهما كما تقدّم فى صحيفة ١٣ من هذا الجزء .

تُعْرِضُ عن حديثه ساعةً بعد ساعةٍ وتُحدِّثُ غيرَه، وقد كان عَلِقَ حبُّها بقلبه وشغفه(١) وآستملَحَها، فبينا هى تُحدِّثه إذ أقبل فتى من الحىّ فدعتْه فسارَّته سِرَارا طويلا ثم قالت له آنصرف، فانصرَف، ونظرتْ إلى وجه المجنون قد تغيَّر وآمتُقِع(٢) وشَقَّ عليه ما فعلَتْ، فأنشأَتْ تقول :

كِلَانَا مُظهِرٌ للناس بُغضًا * وكلٌّ عند صاحبه مَكِينُ

تُبَلِّغُنَا العيونُ مَقَالَتَيْنا * وفى القلبين ثَمَّ هَوًى دَفِينُ

[قد نسبت هـذا الشعر متقدّما](٣) فلمـا سمع هذين البيتين شَهَقَ شَهْقةً عظيمةً وأُغْمِىَ عليـه فمكث [كذلك](٣) ساعةً، ونضَحُوا المـاءَ على وجهه حتى أفاق، وتمكَّنَ حبُّ كُلِّ واحدٍ منهما فى قلب صاحبه وبلغَ منه كلَّ مَبْلغ .

حدّثنى عمّى عن عبد الله بن أبى سعدٍ عن إبراهيمَ بن محمد بن إسماعيلَ القُرَشىّ قال حدّثنا أبو العالية عن أبى ثُمَـامةَ الجَعْدِىّ قال :

لا يُعرَفُ فينا مجنونٌ إلا قيسُ بنُ الملوّح .

حديث اتصاله بليلى فى صباه

قال : وحدّثنى بعضُ العَشـيرة قال : قلتُ لقيس بن الملوّح قبـل أن يُخَـالَطَ : ما أعجبُ شىء أصـابك فى وَجْدِكَ بليـلى ؟ قال : طَرَقَنَا(٤) ذاتَ ليـلةٍ أضـيافٌ ولم يكن عنـدنا لهم أُدْمٌ ، فبعثنى أبى إلى منزل أبى ليلى وقال لى : اطلب [لنـا](٣) منـه أُدمًا ، فأتيتُـه فوقفتُ على خِبائه فصحْتُ به ، فقـال : ما تشاء ؟

(١) فى ت : «وشغفته» . (٢) كذا فى أغلب النسخ وفى ب ، س : «انتقع» وامتقع وانتقع وابتقع بمعنى واحد وهو أن يتغير من حزن أو فزع ، قال صاحب اللسان فى مادة نقع : وامتقع بالميم أجود . (٣) زيادة فى ت . (٤) كذا فى ت ، حـ . وفى سائر النسخ : «طرقتنا» بالتاء ، وكلاهما جائز لأن الفعل مسند الى جمع تكسير وحذف التاء فى مثل هذا أجود .

فقلتُ : طَرقَنَا ضِيفانٌ ولا أُدمَ عنـدنا لهم فارسَلَنى أبى نَطْلُبُ(١) منكَ أُدمًا ، فقال : يا ليلى، أخرجى إليه ذلكَ النَّحْىَ(٢)، فأملئى له إناءه من السمن ، فأخرجَتْه ومعى قَعبٌ(٣)، فجعلَتْ تَصُبُّ السمنَ فيـه وتَحدَّثُ ، فألهانا الحديثُ(٤) وهى تَصُبُّ السمنَ وقد آمتلأ القَعْبُ ولا نعلَمُ جميعًا، وهو يَسيلُ حتى آستنقَعَتْ أرجلُنا فى السمن، قال: فأتيتُهم ليلةً ثانيةً أطلُبُ نارا، وأنا مُتَلَفِّعٌ بِبُرْدٍ لى، فأخرجَتْ لى نارا فى عُطْبةٍ(٥) فأعطتْنيها ووقَفْنا نتحدَّثُ، فلمّا آحترقتِ العُطبةُ خَرقْتُ من بُرْدِى خرقةً وجعلتُ النارَ فيها، فكلما آحترقتْ(٦) خرقتُ أخرى وأذْكيتُ بها النارَ حتى لم يبق علىّ من البرد إلا ما وارَى عورتى، وما أعقِل ما أصنعُ، وأنشدنى :

أَمُسْتَقْبِلِى نَفْحُ الصَّبا ثم شَائِقِى * بِبَرْدِ ثَنَـايا أُمّ حَسَّانَ شائِق

كأنَّ على أنيابها الخمرَ شَجَّها(٧) * بماء الندى من آخرِ الليلِ عَاتِق(٨)

وما شِمتُــه(٩) إلا بعيـنى تَفَرُّسًا * كما شِيم فى أعلى السَّحابةِ بَارِقُ

ومن الناس مَنْ يروِى هذه الأبياتَ لنُصَيبٍ، ولكن هكذا رُوِى فى [هذا](١٠) الخبر .

---

(١) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت : «أطلب» . (٢) النّحى عند العرب : الزقّ الذى يوضع فيه السمن خاصة . (٣) القعب : القدح الضخم الغليظ، وقيل : قدح من خشب مقعّر . (٤) كذا فى ت . وفى سائر النسخ : « فألهى بالحديث » . (٥) العطبة : خرقة تؤخذ بها النار، قال الكميت :

نارا من الحرب لا بالمرخ ثقبها * قدح الأكف ولم تنفخ بها العطب

ويقال : «أجد ريح عطبة» أى قطنة أو خرقة محترقة . (٦) كذا فى ت . وفى باقى النسخ : « فلما احترقت » . (٧) شجها : مزجها . (٨) العاتق : البكر التى لم تَبِنْ عن أهلها . ويحتمل أن تكون كلمة «عاتق» محرّفة عن «غابق» وهو الساقى فى الغبوق أى العشىّ . (٩) كذا فى ت . وفى باقى النسـخ : «ذقتـه» وشمته من الشيم وهو النظر الى نحو النار والسحاب والبرق . يقال شام السحاب والبرق شيما أى نظر اليه أين يقصد وأين يمطر . (١٠) زيادة عن ت .

حدّث الأصمعى أنه لم يكن مجنونا وروى من شعره

اخبرنا محمدُ بن خلف وَكِيعٌ عن عبد الملك بن محمد الرَّقَاشىّ(١) عن عبد الصَّمَد ابنِ المعذَّلِ قال :

سمعتُ الأصمعىّ يقول — و[قد](٢) تذاكرنا مجنونَ بنى عامر — قال : هو قيسٌ آبنُ معاذ العُقَيلىُّ، ثم قال : لم يكن مجنونا إنما كانت به لُوثةٌ، وهو القائل :

أخذَتْ محاسنَ كلِّ ما * ضَنَّتْ محاسنُه بحُسْنِهْ

كاد الغزالُ يكونُها * لولا الشَّوَى ونُشُوزُ قَرْنِهْ

قال : وهو القائل :

[صوت](٢)

ولم أرَ ليلَى بعد موقفِ ساعةٍ * بخَيْفِ مِنًى ترمى جِمارَ المحصَّبِ

ويُبْدِى الحصى منها إذا قَذَفَتْ به * من البُرْدِ أطرافَ البَنَانِ المُخَضَّبِ

فأصبحتُ مِن لَيْلَى الغداةَ كناظرٍ * مع الصبح فى أعقابِ نجمٍ مُغَرِّبِ

ألا إنما غادرْتِ يا أمَّ مالكٍ * صَدًى أينما تَذْهَبْ به الريحُ يذهَبِ

فى هذه الأبيات لحنٌ من الثقيل الأوّل، ابتداؤه نشيدٌ من صنعة الواثق وهو المشهور. وذكره آبنُ المكىّ لأبيه يحيى. وهو فى جامع غناء سُلَيم بنِ سَلّام(٣) له. وذكره حبشٌ فى موضعين من كتابه فنسبه فى طريقة الثقيل الأوّل فى أحدهما إلى آبن مُحْرِز، والآخر إلى يحيى المكىّ. وزعم الهشامىّ أن فيه لِسُلَيم(٣) بنِ سَلّام لحنا آخر من الثقيل الأوّل.

(١) كذا فى ت . وفى سائر الأصول «القرشى» وما أثبتناه هو الصواب وانظر الحاشية رقم ١ ص ٦ من هذا الجزء .   (٢) زيادة فى ت .   (٣) كذا فى ت سليم بن سلام بضم السين فى الأوّل وفتح اللام المخففة فى الثانى ولم نقف على ضبطه فى غير هذه النسخة . وفى سائر النسخ «سليمان بن سلام» وهو تحريف اذ المغنى هو سليم بن سلام، وستأتى له ترجمة مستقلة فى ج ٦ من الأغانى طبع بولاق .

أخبرنا الحسنُ(١) بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن عبد الجبّار الصُّوفىّ قال حدّثنى إبراهيمُ بن سَعْد الزُّهْرِىّ قال : أتانى رجل من عُذْرةَ لحاجة ، فجرى ذكرُ العشق والعُشّاق ، فقلتُ له : أنتم أرقُّ قلوبًا أم بنُو عامرٍ ؟ قال : إنّا لأرقُّ الناس قلوبا ، ولكن غلبتْنا بنو عامرٍ بمجنونها .

شىء من أوصافه

أخبرنى أحمدُ بن عمر بن موسى بن زكويه(٢) القطّان إجازةً قال حدّثنا إبراهيمُ بن المُنْذر الحِزَامىُّ قال أخبرنى عبدُ الجبار بنُ سليمانَ بنِ نَوْفل بن مُسَاحِقٍ عن أبيه عن جدّه قال : أنا رأيتُ مجنونَ بنى عامر ، وكان جميلَ الوجه أبيضَ اللون قد علاه شُحُوبٌ(٣) ، وآستَنْشَدتُه فأنشدَنى قصيدتَه التى يقول فيها :

تذكّرتُ ليلَى والسّنينَ الخواليَا * وأيامَ لا أُعْدِى(٤) على اللّهوِ(٥) عَادِيَا

أخبرنى محمدُ بنُ الحسن الكِنْدِىُّ خطيبُ مسجد القادسية قال حدّثنا الرِّياشىّ قال : سمعت أبا عثمانَ المازنىَّ يقول : سمعتُ مُعَاذا و بشرَ بن المفضَّل جميعًا يُنشدَان هذين البيتين ويَنْسُبانهما لمجنون بنى عامر :

طمِعْتُ بليلَى أن تَرِيعَ(٦) وإنّما * تُقَطِّعُ(٧) أعناقَ الرجالِ المطامعُ
وداينتُ ليلَى فى خَلَاءٍ ولم يكن * شهودٌ على ليلى عُدُولٌ مَقَانِعُ(٨)

---

(١) كذا فى ت . وفى أغلب النسخ : « الحسين » وقد تقدّم مرارا « الحسن بن على » باتفاق الأصول . (٢) كذا وقع هذا الاسم فى جميع الأصول، ولم نقف له على ضبط بعينه . (٣) يقال : شحب لونه يشحَب شحوبا اذا تغير لعارض مرض أو سفر ونحوه . (٤) لا أعدى : لا أعين ولا أنصر . (٥) كذا فى ت . وفى سائر النسخ : « على الدهر » . وقد جاء هذا الشطر فى الديوان هكذا : * وأيام لا نخشى على اللهو ناهيا *
(٦) يقال : راع الشىء يَرِيع رَيْعا أى رجع وعاد . (٧) كذا فى جميع الأصول . ورواية اللسان فى مادة ريع : « تُضَرِّبُ » . (٨) جمع مقنع بفتح الميم وهو العدل من الشهود يقال : فلان شاهد مقنع أى رضًا يُقنع به .

وحدّثني محمدُ بن يحيى الصُّولِيّ قال حدّثنا أبو خَليفة [الفَضْلُ بنُ الحُبَاب](١) عن ابن سَلّام قال : قضى عُبَيْدُ(٢) الله بنُ الحَسَن بنِ الحُصَين بن أبي الحرّ(٣) العَنْبَرِيُّ على رجل من قومه قضيّةً أوجبها الحكمُ عليه ، وظنّ العَنْبَرِيُّ أنه تحامَلَ عليه وانصرف مُغْضَبًا ، ثم لقيه في طريق ، فأخذ بلجام بغلته وكان شديدًا أيِّدًا(٤) ، ثم قال له : إيهٍ يا عُبيدَ الله(٥) !

طَمِعْتُ بليلى أن تَرِيعَ وإنّما * تُقَطِّعُ أعناقَ الرجالِ المطامعُ

فقال عُبَيْدُ(٢) الله :

وبايعتُ ليلَى في خلاءٍ ولم يكنْ * شهودٌ عدولٌ عند ليلى مَقَانِعُ

خَلِّ عن البغلة . قال الصُّولِيّ في خبره هذا : والبيتان للبَعِيث(٦) هكذا ، قال : فلا أدرى أمن قوله هو أم حكاية عن أبي خليفةَ ! .

زيارة ليلى له وحديثه معها

أخبرنا محمد بن القاسم الأَنْبارِيّ عن عبد الله بن خَلَف الدلّال قال حدّثنا زكريا ابن موسى عن شُعَيب بن السَّكَن عن يونُس النحويّ قال :

لما اختلطَ عقلُ قيس بن الملوَّح وترك الطعامَ والشرابَ ، مضت أُمُّه إلى ليلى فقالت لها : إنّ قيسا قد ذهب حُبُّكِ بعقله ، وترك الطعامَ والشرابَ ، فلو جئته وقتًا لرجوتُ أن يثوبَ إليه [بعضُ](٧) عقلِه ، فقالت ليلى : أمّا نهارا فلا [لأنني لا](٧)

(١) زيادة في ت . (٢) كذا في ت . وفي سائر الأصول : «عبد الله» والصحيح ما أثبتناه فانه عبيد الله بن الحسن بن حصين التيمي العنبري قاضي البصرة . انظر كتاب تهذيب التهذيب والخلاصة في أسماء الرجال . (٣) كذا في تهذيب التهذيب وتقريب التهذيب والخلاصة في أسماء الرجال . وفي جميع الأصول : « ابن الحرّ » . (٤) أيدا : قويا . (٥) كذا في ت وفي باقي النسخ « يا أبا عبد الله » . (٦) استشهد صاحب اللسان في مادة « ريع » بالبيت الأوّل ونسبه للبعيث . (٧) زيادة في ت .

آمنُ قومِى على نفسى ولكن ليــلاً ، فأتته ليلا فقالت له : يا قيسُ، إنّ أمّكَ تزعُم أنك جُننتَ من أجلى وتركتَ المطعمَ والمشربَ، فاتقِ اللهَ وأبقِ على نفســك، فبكى وأنشأ يقول :

قالتْ جُننتَ على أيْشٍ[1] فقلتُ لهــا * الحبُّ أعظــمُ ممّـا بالمجانينِ
الحبُّ ليس يُفيقُ الدهرَ صاحبُهُ * وإنمــا يُصرَعُ المجنونُ فى الحينِ

قال : فبكَتْ معــه ، وتحدّثا حتى كاد الصبحُ أن يُسفِرَ، ثم ودّعتْــه وانصرفتْ ، فكان آخرَ عهدِه بها .

سبب جنونه بيت شعر قاله

أخبرنا ابنُ المَرْزُبانِ قال قال القَحْذَمِىُّ : لمّـا قال المجنونُ :

قضاها لغيرِى وابتلانى بحبّها * فهلّا بشىءٍ غيرِ ليلى ابتلانيَا

سُلِب عقله . الغناء لحَكَمٍ ثقيلٌ أوّلُ، وقيل إنه لابن المِرْبِدْ[2] . وفيه لمتيّمَ خفيفُ ثقيــلٍ أوّل من جامع أغانيها[3] . وحدّثنى جَحْظة بهــذا الخبر عن مَيْمونِ بنِ هارونَ أنه بلغه أنه لمــا قال هذا البيت بَرِصَ .

(١) كذا فى أغلب النسخ . وقد ذكر الشهاب الخفاجىّ فى «شفاء الغليل» أنها مخففة من أىّ شىء وقد قيل إنها سمعت من العرب وإنها وردت فى شعر قديم، كما قيل إنها مولدة . ثم قال : وقول الشريف فى حواشى الرضى : إنها كلمة مستعملة بمعنى أىّ شىء وليست مخففة منهــا ليس بشىء ، وتخفيفها من أىّ شىء كما يقال : ويلمّه فى معنى ويل لأمه لكثرة الاستعمال . وفى ت «على رأسى» ، وكذلك ورد فى كتاب تزيين الأسواق لداود الأنطاكى، فانه قال فى سوق الحكاية : «فسلمت عليه ثم قالت له :

أُخبِرتُ أنك من أجلى جننتَ وقد * فارقتَ أهلكَ لم تعقِــل ولم تُفِقِ

فرفع رأسه اليها وأنشد : * قالت جننتَ على رأسى فقلتُ لهــا * الخ »

(٢) كذا فى أغلب النسخ . وفى ب، س «ابن المزبر» وهو تحريف أنظر الحاشية رقم ٣ ص ٣٦١ من الجزء الأوّل من هذا الكتاب . (٣) كذا فى أغلب النسخ وفى أ، ب، س «أغانيه» وهو تحريف إذ هى متيم الهاشمية . أنظر ترجمتها مستقلة بالجزء التاسع من هذا الكتاب طبع بولاق .

سبب تسمية المجنون واختلاف الرواة فى ذلك

أخبرنى الحسن بن علىّ [قال حدّثنا محمد بن طاهر](١) القرشىّ عن ابن عائشة قال : إنما سمّى المجنونَ بقوله :

ما بالُ قلبِكَ يا مجنونُ قد خُلِعَا * فى حبّ مَنْ لا تَرَى فى نَيْلِه طمَعَا
الحبُّ والودّ نِيطا بالفؤاد لها * فأصبحا فى فؤادى ثابتَيْنِ معَا

حدّثنا وَكِيعٌ عن ابن يونس(٢) قال قال الأصمعىّ : لم يكنِ المجنونُ مجنونا، إنما جنّنه العشقُ، وأنشدَ له :

يُسَمُّونَنِى المجنونَ حين يَرَوْنَنِى * نَعَمْ بِىَ مِن ليلى الغداةَ جنونُ
لَيَالِىَ يُزْهَى بِى(٣) شَبَابٌ وشِرَّةٌ(٤) * وإذ بِىَ مِنْ خَفْضِ المعيشة لِينُ

أخبرنى محمدُ بن المرْزُبان عن إسحاقَ بن محمد بن أبانَ قال حدّثنى علىّ بن سَهْل عن المدائنىّ : أنه ذُكِرَ عنده مجنونُ بنى عامر فقال : لم يكن مجنونا، وإنما قيل له المجنون بقوله :

وإنّى لمجنونٌ بليلَى مُوَكَّلٌ * ولستُ عَزُوفًا(٥) عن هواها ولا جَلْدَا
إذا ذُكِرَتْ ليلَى بكيتُ صَبَابةً * لِتَذْكارِها حتى يَبُلَّ البُكَا الخَدَّا

أخبرنى عمرُ بن جَمِيلٍ العَتَكِىّ قال حدّثنا عمرُ بن شبّةَ قال حدّثنا عَوْنُ بن عبد الله العامرىّ أنه قال : ما كان واللهِ المجنونُ الذى تَعْزُونه إلينا مجنونًا، إنما كانت به لُوْثةٌ وسَهوٌ(٦) أحدثهما به حُبُّ ليلَى، وأنشدَ له :

(١) زيادة فى ت . (٢) فى ت : « حدّثنا وكيع قال حدثنا محمد بن يونس » .
(٣) فى ت : «يزهانى شباب وشرّة» أى يطيش بى الشباب ويستخفنى . (٤) كذا فى ت ، حـ . والشرّة : حرص الشباب ونشاطه . وفى باقى النسخ : « شدّة » والظاهر أنه تحريف .
(٥) كذا فى ت وكتاب تزيين الأسواق طبع بولاق ص ٨١ ، وفى سائر الأصول : «من» وما أثبتناه بالأصل هو الموافق لما فى كتب اللغة من تعدّى فعل عزف بعن ، يقال : عزف عن الشىء عزوفا فهو عزوف أى انصرف عنه زهدا فيه أو كراهة له . (٦) فى ت « فيه » .

وبى مِنْ هَوَى ليلى الذى لو أَبُثُّه * جماعةَ أعدائِى بكتْ لِى عُيونُها
أَرَى النفسَ عن ليلى أبتْ أن تُطيعَنى * فقد جُنَّ مِن وَجْدِى[1] بليلَى جُنونُها

أخبرنى ٱبن المرزُبانِ قال قال العُتْبِيّ : إنما سمى المجنونَ بقوله :

يقول أُناسٌ عَلّ مجنونَ عامرٍ * يرومُ سُلُوًّا قلتُ أنّى لِمَا بِيَا
وقد لامنِى فى حُبِّ ليلى أقاربِى[2] * أخى وٱبنُ عمّى وٱبنُ خالِى وخاليَا
يقولون ليلَى أهلُ بيتِ عَدَاوةٍ * بنفسىَ ليلى مِن عَدُوٍّ وماليَا
ولو كان فى ليلى شَذًا[3] من خصومةٍ[4] * للَوَّيتُ أعناقَ المَطِىّ المَلاوِيَا[5]

أخبرنى هاشم [بن محمد][6] الخزاعىّ عن عيسى بن إسمعيلَ قال قال ٱبن سَلّام : لو حلفتُ أن مجنونَ بنى عامرٍ لم يكن مجنونا لَصَدَقتُ، ولكن تَوَلَّه[7] لمّا زُوِّجت ليلى وأيقنَ اليأسَ منها ، ألم تسمعْ إلى قوله :

---

(١) فى ت ، حـ : «من وجد» منكرا بغير ياء المتكلم . (٢) كذا فى ت وديوانه وفى سائر الأصول « قرابتى » وما أثبتناه أكثر فى الاستعمال وأبعد عن الخلاف قال صاحب اللسان : تقول : بينى وبينه قرابة وهو ذو قرابتى وهم أقرباى وأقاربى ، والعامة تقول : هو قرابتى ، ثم قال : ويقال : فلان ذو قرابتى وذو قرابة منى وذو مقربة ، ومنهم من يجيز « فلان قرابتى » والأول أكثر ، وفى حديث عمر : «إلا حامى على قرابته» أى أقاربه ، سموا بالمصدر كالصحابة . (٣) كذا فى أكثر النسخ بالذال المعجمة ومعناه الحدّ . وفى م : « شدا » بالدال المهملة وفسره ابن الأعرابىّ وابن خالويه بالبقية وفسره غيرهما بالحدّ وهما روايتان فى البيت ، قال صاحب اللسان : وأنشده الفرّاء بالدال المهملة وأنشده غيره بالذال المعجمة وأكثر الناس على الدال وهو الحدّ . (٤) كذا فى اللسان فى الموادّ « شدا ، وشذا ، ولوى » . وفى جميع الأصول : « الخصوم » . (٥) الملاوى : جمع ملوى وهو مصدر ميمىّ من لوى بمعنى عطف . (٦) زيادة فى ت ، وقد تقدّم ذكر هاشم هذا غير مرّة منسوبا الى أبيه محمد مكنى بأبى دلف . (٧) كذا فى أغلب النسخ ، يقال : توله أى أصابه الوله وهو ذهاب العقل من شدّة الوجد وفقدان الحبيب . وفى ت ، حـ : « تدله » بالدال المهملة والتدله أيضا : ذهاب العقل من عشق أو نحوه .

أيا ويحَ مَنْ أمسى تُخُلِّسَ عقلُه * فأصبح مذهوبًا به كلَّ مذهبِ
خَليعًا(١) مِنَ الخُلّانِ إلا مُجامِلًا(٢) * يُساعدنى مَنْ كان يَهْوَى تَجنُّبى
إذا ذُكِرتْ ليلى عَقَلتُ وراجَعتْ * عوازِبُ قلبى مِنْ هَوًى مُتَشَعِّبِ

[أخبرنى به الحسنُ بن على عن دينار بن عامر التغلَبىّ عن مسعود بن سعد عن ابن سَلّام ونحوه .

أخبرنى محمدُ بن خَلَف بن المَرْزُبانِ قال أنشدنى صالح بن سعيد قال أنشدنى يعقوبُ بن السِّكّيت للمجنون :

يُسَمُّونَنِى المجنونَ حين يروْنَنِى * نَعَمْ بِىَ مِن ليلَى الغداةَ جُنونُ(٣)]

قال : وأنشدنا له أيضا :

صـــوت

وشُغِلْتُ عن فهم الحديثِ سِوَى * ما كانَ فيكِ فإنه(٤) شُغْلِى
وأُديمُ لَحْظَ مُحَدِّثى لِيَرَى * أنْ قد فهِمتُ وعِندكُمْ عَقْلِى

الحديث من تكنيته ليلى بأم مالك

أخبرنى ابنُ المرزُبانِ عن محمد بن الحَسَن بن دِينار الأحْوِلِ عن علىّ بن المُغيرة الأثْرَمِ عن أبى عُبيدةَ :

---

(١) كذا فى أغلب الأصول وهو الموافق لما فى الديوان طبع بولاق . والخليع : المخلوع أى المنزوع . وفى ت « خليا » وهكذا ورد فى جميع النسخ فيما تقدّم ص ١٩ من هذا الجزء . (٢) كذا فى جميع الأصول وقد تقدّم فى ص ١٩ من هذا الجزء فى جميع الأصول « معذرا » . (٣) ما بين القوسين زيادة فى ت . (٤) كذا فى أغلب الأصول . وفى ت والديوان طبع بولاق : « وحبكم شغل » .

أنّ صاحبةَ مجنونِ بنى عامر التى كَلِفَ بها ليلَى بنتُ مَهْدِىّ بن سَعْد بن مهدىّ [بن رَبيعة](١) بن الحَرِيش، وكنيتها أمُّ مالكٍ. وقد ذكر هذه الكنيةَ المجنونُ فى شعره فقـال :

تكادُ بِلادُ اللهِ يا أمَّ مالكٍ * بمـا رَحُبَتْ يومًا علىَّ تَضِيقُ

وقال أيضا :

فإنّ الذى أمّلتُ مِن أُمّ مالكٍ * أشابَ قَذَالِى(٢) وٱستهـامَ فُؤاديَا
خليلَىَّ إن دارَتْ على أُمّ مالكٍ * صُرُوفُ الليـالِى فابغِيَا لِىَ ناعيَا(٣)

وقال أبو عَمْرو الشيبانىّ : عَلِقَ المجنون ليـلَى بنتَ مهدىّ بن سعد من بنى الحَرِيش، وكنيتُها أمُّ مالكٍ، فشُهِرَ بها وعُرِفَ خبرُه فَحُجِبَتْ عنه، فشَقّ ذلك عليه فخطبها إلى أبيها فردّه وأبى أن يزوّجه إياها، فاشتدّ به الأمرُ حتى جُنَّ وقيـل له : «مجنونُ بنى عامر»، فكان على حاله(٤) يجلِسُ فى نادى قومه فلا يَفهَمُ ما يُحَدَّثُ به ولا يعقِله إلا إذا ذُكِرَتْ(٥) ليلى. وأنشد له أبو عمرو :

صـــــوت

قصيدته الرائية

ألا ما لِليـلَى لا تُرَى عند مَضْجَعِى * بليـلٍ ولا يَجْـرِى بذلكَ طائرُ
بَـلَى إنّ عُجْمَ الطيرِ تَجـرِى إذا جَرَتْ * بليـلَى ولكنْ ليس للطيرِ زاجرُ
أزالَتْ عن العهـد الذى كان بيننا * بِذِى الأَثْلِ(٦) أم قد غيّرتْهـا المقادرُ

---

(١) زيادة فى ت. (٢) القـذال : جماع مؤخر الرأس. (٣) ناعيا : مناديا بموتى. (٤) فى ت : «حالة». (٥) كذا فى ت، حـ وهو الموافق لقوله فيما تقدّم فى ص ١٧ من هذا الجزء : «فاذا أحبوا أن يتكلم أو يثوب عقـله ذكروا له ليلى». وفى سائر الأصول : «ولا يعقله أحد» وهذا لا يستقيم الا أن يُقرأ ما قبله هكذا «فلا يُفْهَمُ ما يُحَدَّثُ به الخ». (٦) فى ت وفى تزيين الأسواق طبع بولاق ص ٧٩ : «بذى الأيك».

فوالله مافى القــرب لى منك راحةٌ * ولا البعــدُ يُسْلِينِى ولا أنا صابرُ
ووالله ما أدرِى بأيّةِ حِيــلَةٍ * وأىّ مَرَامٍ أو خِطَـارٍ(١) أُخاطِــرُ
وتالله إنّ الدهرَ فى ذاتِ بيننا * علىّ لهـا فى كلِّ حالٍ لجـائرُ
فلو كنتِ إذ أزمعتِ هجرِى تركتِنِى * جميعَ(٢) القُوَى والعقــلُ مِنّىَ وافـرُ
ولكنّ أيامِى بحَقْــلِ(٣) عُنَــيزَةٍ * وبالرَّضْمِ أيامٌ جنـاها التّجَاوُرُ
وقد أصبح الوُدُّ الذى كان بيننـا * أمانِىَّ نفسٍ والمؤمّــلُ حائرُ
لَعَمْرِى لقــد رَنَّقْتِ(٤) يا أمَّ مالكٍ * حياتِى وسـاقَتْنِى إليكِ المقـادرُ

قال أبو عمرو : وأخبرنى بعض الشاميين قال : دخلتُ أرضَ بنى عامر، فسألتُ عن المجنون الذى قتله الحبُّ ، فخبّرونى عنه أنه كان عاشقا لجارية منهم يقال لهـا ليـلى ، رَبَا معها ثم حُجِبَتْ عنه، فاشتدّ ذلك عليه وذهب عقلُه ، فأتاه إخوانٌ من إخوانه يلومونه على ما يَصنعُ(٥) بنفسه، فقال :

صـــوت

يا صاحِبَىّ ألِمَّا بى بمــنزلةٍ * قد مرّ حينٌ عليهـا أيّمـا حينِ
فى كل منزلةٍ ديوانُ مَعْرِفةٍ * لم يُبْقِ باقيــةً ذكرُ الدواوينِ
إنى أرَى رَجَعَاتِ الحبِّ تقتلُنى * وكان فى بدئها ما كان يكفينِى

الغناء لابن جامع خفيفُ ثقيلٍ .

(١) الخطار : مصدر خاطر بمعنى راهن . (٢) جميع : مجتمع . (٣) الحقل : المزرعة و يطلق على الموضع البكر الذى لم يزرع فيه قط . وعنيزة : موضع بين البصرة ومكة . والرضم : موضع على ستة أميال من زُبالَة ، وزبالة : منزل معروف بطريق مكة من الكوفة . (٤) رنقت : كدرت ، والترنيق كما يطلق على التكدير يطلق على ضدّه الذى هو التصفية . (٥) كذا فى ت ، حـ . وفى سائر الأصول : « صنع » .

جنونه بليلى وهيامه على وجهه من أجلها

أخبرنى هاشم الخزاعىّ عن [العباس بن الفرج](١) الرِّياشىّ قال :

ذكر العُتْبىّ عن أبيه قال : كان المجنونُ فى بدء أمره يَرَى ليلى ويألَفُها ويأنَس بها ثم غُيِّبتْ عن ناظره، فكان أهلُه يُعزُّونه عنها ويقولون : نُزَوِّجك أنفسَ جاريةٍ فى عَشيرتك، فيأبَى إلا لَيْلَى ويَهْذِى بها ويذكُرها(٢) [فكان ربّما استراحَ إلى أمانيّهم ورَكَن إلى قولهم](٣)، وكان ربما هاج عليه الحزنُ والهمّ فلا يَمْلكُ(٤) ممّا هو فيه أن يَهِيم على وجهه، وذلك قبل أن يتوحَّش مع البهائم فى القِفَار، فكان قومُه يلومونه ويَعْذُلُونه، فأكثروا عليه فى الملامةِ والعَذْلِ يوما فقال :

صوت

يا لَلرِّجالِ لِهَمٍّ بات يَعْرُونِى * مُستطْرَفٍ وقديمٍ(٥) كان يَعْنِينى
على غَرِيمٍ مَلِيءٍ(٦) غيرِ ذى عُدُمٍ(٧) * يأبَى فيمْطُلُنِى دَيْنِى ويَلْوِينِى(٨)
لا يذكُرُ البعضَ مِن دَيْنِى فيُنكرَه(٩) * ولا يُحَدِّثُنِى أنْ سوف يَقْضِينِى
وما كشُكْرِى شُكْرٌ لو يُوافِقُنِى(١٠) * ولا مُنًى كمُناه إذ يُمَنّينِى

(١) زيادة فى ت وفيها تصريح باسم الراوى واسم أبيه المعروفين فى كتب التراجم .
(٢) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت : « ويهذى بذكرها » .
(٣) هذه الزيادة وقعت فى هامش نسخة ت وعليها كلمة « صح » .
(٤) أى لا يمسك نفسه عن الهيام بها .
(٥) كذا فى ت . وفى سائر النسخ : « وقديما » .
(٦) ملىء بالهمز أى ثقة غنىّ . قال صاحب اللسان : وقد أولع فيه الناس بترك الهمز وتشديد الياء .
(٧) عدم أى فقر ومثله العدم بضم العين وسكون الدال . قال صاحب اللسان : اذا ضممت أوّله خففت فقلت : العدم واذا فتحت أوّله ثقلت فقلت : العدم .
(٨) يلوينى : يمطلنى، يقال : لواه دينه وبدينه : مطله .
(٩) كذا فى ب، س . وفى ت : « لا يبعد النقد من دينى فيذكره » . وفى أ، ء، م : « لا ينكر البعض من دينى فينظره » . وفى حـ : « لا ينكر البعض من دينى فينكره » .
(١٠) كذا فى ب، س، حـ . وفى باقى النسخ : « إذ يوافقنى » .

أطعتُه وعَصَيتُ النـاسَ كُلَّهُـمُ * فى أمره ثم يأبَى فهـو يَعْصِينِى
خَيرِى لمن يبتغِى خيرى ويأمُلُه * من دون شَرِّى وشَرِّى غيرُ مأمونِ
وما أُشارِكُ فى رأيِى أخا ضَعَفٍ (١) * ولا أقولُ أخِى مَنْ لا يُوَاتِينِى (٢)

فى هذه الأبيات هَزَجٌ طُنْبُورِىٌّ للسَّدودِ من جامعه .

وقال أبو عمرو الشَّيْبانىّ : حدّثنى رَبَاح (٣) العَامِرىّ قال : كان المجنونُ أوّلَ ماعَلِقَ (٤) ليلى كثيرَ الذِّكر لهـا والإتيانِ بالليل إليها، والعربُ تَرى ذلك غيرَ منكرٍ أن يتحدّثَ الفِتْيَانُ إلى الفَتَيات ، فلما عَلِمَ أهلُها بعشقه لهـا منعوه مِنْ إتيانها وتقدّموا إليـه (٥) ، فذهبَ لذلك عقلُه ويَئِسَ (٦) منه قومُه وٱعتَنَوْا بأمْرِه (٧)، وٱجتمعوا إليه ولامُوه وعذَلوه على ما يصنعُ بنفسـه ، وقالوا : والله ماهى لك بهـذه الحال ، فلو تناسيتَها رَجَوْنا أن تَسلُوَ قليلا ، فقال لمّـا سمِـع مقالتَهم وقد غلب عليه البكاء :

---

(١) الضعف هكذا بالتحريك : لغة فى الضعف بالفتح والسكون . ويستعمل فى ضـعف الرأى والعقل ، وأنشد عليه ابن الأعرابىّ هذا البيت . ويستعمل فى ضعف الجسم وأنشد عليه :

ومن يلق خيرا يغمز الدهر عظمه * على ضعف من حاله وفتـور

(٢) كذا فى الأصول ، ومعناه : يساعدنى ، ورواه صاحب اللسان هكذا :

* ولا ألين لمن لا يبتغى لينى *

(٣) فى ت ، م : « رياح » ولم نعثر على مايرجح احدى الروايتين ، وقد سبق التنبيه على قول الحافظ الذهبىّ : إنّ ٱسم رباح بالموحدة أكثره فى الموالى . انظر الحاشية رقم ١ ص ٣٢٤ من الجزء الأوّل من هـذا الكتاب . (٤) فى ت : « عشق » . (٥) أمروه بألّا يعود الى التحدّث اليها . (٦) فى ت : « أيس » . (٧) فى ت ، حـ : « واغتنموا بأمره » .

صــــوت

فواكبِدًا(١) مِن حُبِّ مَنْ لا يُحِبّنِي * ومِن زَفَراتٍ مالهنّ فَنَاءُ
أَرَيْتِك(٢) إن لم أُعطِك الحبَّ عن يدٍ(٣) * ولم يكُ عنــدى إذ أبيْتِ إباءُ
أتارِكَتِي للمــوت أنتِ فميّتٌ * وما للنفــوس الخائفاتِ بَقَاءُ

ثم أقبــل على القوم فقال : إنّ الذى بى ليس بهيّنٍ ، فأقِلُّوا من مَلامِكم فلستُ بسامعٍ فيها ولا مُطِيعٍ لقول قائلٍ .

قصة حبه ليلى فى رواية رباح العامرى

أخبرنى عمّى ومحمــدُ بنُ حبيبٍ(٤) وٱبنُ المَرْزُبان عن عبــد الله بن أبى سَعْد عن عبد العزيز بن صالح عن أبيه عن ٱبن دَأْبٍ عن رَبَاحِ(٥) بنِ حبيب العَامِرىّ :

أنه سأله عن حال المجنون وليــلى ، فقال : كانتْ ليلَى من بنى الحَرِيش وهى بنت مَهْدِىّ(٦) بن سـعيد بن مهدىّ بن رَبِيعة بن الحَرِيش ، وكانت من أجمل النســاء وأظرفهنّ وأحسَنِهِنّ جِسما وعقلا وأفضلهنّ أدبا وأملحهن شكلا ، وكان المجنون كَلِفًا بمحادثة النساء صَبًّا بهنّ ، فبلغه خبرُها ونُعِتَتْ له ، فصبا إليها وعزمَ على زيارتها ، فتأهبَ لذلك ولبِس أفضلَ ثيابِه ورجّلَ جُمّتَــه ومسّ طِيباً كان عنــده ، وٱرتحَــلَ ناقةً له كريمةً برَحْلٍ حسنٍ وتقلّد سيفَه وأتاها ، فسلّم فردّتْ عليه الســلامَ وتحفّتْ(٧) فى المسئلة ، وجلس إليها فحادثتْه وحادثَها فأكثرا ، وكلٌّ واحد منهما مُقبِلٌ على

(١) كذا فى ب ، س ، ت وهو مندوب متوجع له لحقته ألف الندبة بعد حذف ياء المتكلم . وفى بقية النسخ : «فوا كبدى» بياء المتكلم . (٢) أصله أرأيتك حذفت همزته ، وهى كلمة تقولها العرب للاستخبار فهى بمعنى أخبرنى . (٣) يقال : أعطاه كذا عن يد أى عن ٱنقياد وٱستسلام . (٤) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت : «عمى وحبيب بن نصر» . (٥) فى ت : «رياح» بالياء . (٦) تقدّمت فى ص ١١ من هذا الجزء «ليلى بنت مهدى بن سعد» . (٧) كذا فى ت . وفى حـ : «أحفت المسألة» ومعناها بالغت فى ملاطفتــه والسؤال عنــه . وفى بقية النسخ : «أخفت المسألة» بالخاء المعجمة وهو تحريف .

صاحبه مُعْجَبٌ به ، فلم يزالا كذلك حتى أمسيا ، فانصرف إلى أهله فباتَ بأطولِ ليلةٍ شوقا إليها ، حتى إذا أصبح عاد إليها فلم يزل عندها حتى أمسى ، ثم آنصرَفَ إلى أهله فبات بأطولَ من ليلته الأولى وآجتهدَ أن يُغْمِضَ فلم يقدِر على ذلك ، فأنشأ يقول :

نَهارِى نهارُ الناسِ حتى إذا بدا * لِيَ الليلُ هَزَّتْنِى إليكِ المضاجعُ
أُقَضِّى نهارِى بآلحديث وبِالْمُنَى * ويَجمَعُنِى والهمَّ بالليلِ جامعُ
لَقَد ثَبَتَتْ فى القلب منكِ محبّةٌ * كما ثبتَتْ فى الراحتين الأصابعُ (١)

ـ عَروضه من الطويل . والغناءُ لإبراهيمَ الموصلىّ رملٌ بالوُسْطَى عن عمرو ـ قال : وأدامَ زِيارَتها وترك مَنْ كان يأتيه فيتحدّثُ إليه غيرَها ، وكان يأتيها فى كلّ يوم فلا يزال عندها نهارَه أجمعَ حتى إذا أمسى آنصرفَ ، فخرج ذاتَ يومٍ يريدُ زيارتَها فلما قَرُب من منزلها لقيَته جاريةٌ عَسْراءُ (٢) فتطير منها ، وأنشأ يقول :

وكيف يُرَجَّى وصلُ لَيْلَى وقد جرى * بِجَدِّ (٣) القُوَى والوصلِ أعسرُ حاسرُ (٤)
صَدِيعُ (٥) العَصَا صَعْبُ المرام إذا آنتحى (٦) * لوصلِ آمرِئٍ جُذَّتْ عليه الأواصرُ (٧)

---

(١) ستأتى هذه الأبيات فى قصيدة منسوبة الى قيس بن ذريح بالجزء الثامن من الأغانى طبع بولاق .

(٢) أى شؤم . (٣) الجدّ : القطع . والقوى : جمع قوّة وهى الطاقة الواحدة من طاقات الحبل . (٤) الحاسر : الكاشف يوصف به الرجل والمرأة ، يقال : آمرأة حاسر بغير هاء اذا حسرت عنها درعها ، وكل مكشوفة الرأس والذراعين : حاسر . (٥) من الصدع بمعنى الشق وهو كناية عن الفراق . قال أبو الهيثم : العصا تضرب مثلا للاجتماع و يضرب انشقاقها مثلا للافتراق الذى لا يكون بعده اجتماع ، وذلك لأنها لا تدعى عصا اذا انشقت (انظر لسان العرب مادّة صدع) . (٦) انتحى : قصد . (٧) الأواصر : جمع آصرة وهى ما عطفك على رجل من رحم أو قرابة أو صهر أو معروف .

ثم سار إليها فى غدٍ فحدّثها بقصته وطِيَرته ممن لقيه ، وأنه يخاف تغيُّرَ عهدِها وانتكاثَه وبكى ، فقالت : لا تُرَعْ(١)، حاشَ لِلهِ من تَغَيُّرِ عهدى ، لا يكون والله ذلك أبدا إن شاء اللهُ ، فلم يزل عندها يُحَادثها(٢) بقية يومه ، ووقع له فى قلبها مثلُ ما وقع لها فى قلبه ، فجاءها يوما كما كان يجىء ، وأقبل يُحدِّثها فأعرضَتْ عنه ، وأقبلتْ على غيره بحديثها ، تريد بذلك مِحْنَتَه وأن تعلمَ مافى قلبه ، فلما رأى ذلك جَزِعَ جَزَعًا شديدا حتى بان فى وجهه وعُرِفَ فيه ، فلما خافَتْ عليه أقبلَتْ عليه كالمُسِرَّة إليه فقالت :

كِلَانا مُظهرٌ للناس بغضا * وكلٌّ عند صاحبه مَكِينُ

فسُرِّىَ(٣) عنه وعلم ما فى قلبها ، فقالت له : إنما أردتُ أن أمتحنَكَ والذى لكَ عندى أكثرُ من الذى لى عندكَ ، وأُعطِى اللهَ عهدا إن جالستُ بعد يومى هذا رجلا سواكَ حتى أذوقَ الموتَ إلا أن أُكرَه على ذلك ، قال : فانصرفَتْ(٤) عنه وهو من أشدّ الناس سرورا وأقرِّهم عينا ، وقال :

أظُنُّ هواها تارِكى بمَضَلَّةٍ(٥) * من الأرض لا مالٌ لدىَّ ولا أهلُ
ولا أحدٌ أُفضِى(٦) إليه وصيّتِى * ولا صاحبٌ إلا المطيّةُ والرَّحْلُ
مَحَا حبُّها حبَّ الأُلَى كُنَّ قبلها * وحَلَّتْ مكانا لم يكن حُلَّ مِنْ قبلُ

شعره فيها بعد أن تزوجت وأيس منها

أخبرنى جعفرُ(٧) بن قُدَامةَ عن أبى العَيْناء عن العُتْبِىّ قال :

(١) لا ترع : لا تخف ولا يلحقك فزع . (٢) كذا فى ت . وفى سائر النسخ : « يحدّثها » . (٣) أى انجلى همه وانكشف . (٤) فى ت : «فانصرف عشيا وهو الخ» . (٥) المضلة بفتح الضاد وكسرها : الأرض التى يضل فيها . (٦) كذا فى جميع الأصول. ولم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا أفضى متعدّيا بنفسه والوارد تعديه بالباء فيقال : أفضيت إليه بسرّى ، ولعله فى الأصل « أقضى » بالقاف تقول : قضيت إليه الأمر أى أنهيته إليه وأبلغته ذلك .
(٧) كذا فى ت وقد تقدّم كذلك غير مرّة . وفى باقى النسخ : « أبو جعفر » .

لما حُجِبتْ ليلى عن المجنون خطبها جماعةٌ فلم يرضَهُم أهلُها ، وخطبها رجل من ثقيفٍ[1] مُوسِرٌ فزوّجوه وأخْفَوْا ذلك عن المجنون ثم نُمِيَ إليه طَرَفٌ منه لم يتحقَّقْه ، فقال :

دعَوْتُ إلهي دعوةً ما جهلتُها * وربِّي بما تُخفِي الصدورُ بصيرُ[2]
لئن كنتَ تُهدِي[3] بردَ أنيابها العُلا * لأفقرَ مِنِّي إنّني لَفقيرُ
فقد شاعتِ الأخبارُ أنْ قد تزوّجَتْ * فهل يأتيَنِّي بالطلاق بشيرُ

وقال أيضا :

ألا تلك ليلَى العامريّةُ أصبحَتْ * تقَطَّعُ إلا من ثقيفٍ حبالُها
هُمُ حبَسُوها مَحْبَسَ البُدْنِ وابتغَى * بها المالَ أقوامٌ ألا قَلَّ مالُها
إذا التفتتْ[4] والعِيسُ صُعْرٌ[5] من البُرَى * بنخلةَ جلّت عبرةَ العين حالُها

قال : وجعل يمرّ ببيتها فلا يسأل عنها ولا يلتفِتُ إليه[6] ، ويقول إذا جاوزه :

---

(١) كذا في ت . وفي باقي النسخ : من بني ثقيف وثقيف : أبو حيّ من قيس أو من هوازن ، والأغلب عليه التذكير فيصرف . قال سيبويه : أما قولهم : هذه ثقيف فعلى ارادة الجماعة . قال صاحب اللسان : وانما قال ذلك لغلبة التذكير عليه وهو مما لا يقال فيه من بني فلان ، وكذلك كل ما لا يقال فيه من بني فلان التذكير فيه أغلب ، ولهذا أثبتنا ما في نسخة ت بالأصل اذ مقتضى عبارة اللسان أنه يقال : فلان من ثقيف ولا يقال من بني ثقيف ، كما يقال : فلان من قريش أو معدّ ولا يقال : من بني قريش أو من بني معدّ .

(٢) كذا في أغلب النسخ . وفي ت « خبير » .

(٣) في نسخة ت وكتاب تزيين الأسواق ص ٦٦ طبع بولاق :

* لئن كان يهدى برد أنيابها العلا *

(٤) كذا في الديوان . وفي جميع الأصول : « اذا ما التفت » .

(٥) صعر : جمع أصعر من الصعر وهو ميل في العنق . والبرى : جمع برة وهي الحلقة تجعل في أحد جانبي منخر البعير . ونخلة : اسم موضع .

(٦) في ب ، س ، حـ : « اليها » .

صـــوت

ألا أيها البيتُ الذى لا أزُوره * وإن حَلّه شخصٌ إلىّ حبيبُ
هجرتُكَ إشفاقًا وزرتُك خائفا * وفيك علىّ الدهرَ منك رقيبُ
سأستعتِبُ الأيامَ فيكَ لعلّها * بيومِ سُرورٍ فى الزمان تؤوبُ

الغناء لعَرِيبَ ثانى ثقيلٍ بالوسطى . قال : وبلغه أن أهلَها يريدون نقلَها إلى الثَّقفىّ فقال :

صـــوت

كأنّ القلبَ ليلةَ قيلَ يُغدَى * بلَيْلَى العامريّةِ أو يُرَاحُ
قَطَاةٌ عزّها[1] شَرَكٌ فباتَتْ * تُجاذِبُه وقد عَلِقَ الجَناحُ

ـ عَرُوضه من الوافر . الغناء لابن المكىّ خفيفُ ثقيلٍ [أوّل][2] بالوسطى فى مجراها عن إسحاق ، وفيه خَفيفُ ثقيلٍ آخر لسُلَيْمان مطلقٌ فى مجرى البِنْصر ، وفيه لإبراهيمَ رَمَلٌ بالوُسْطَى فى مجراها عن الهِشَامىّ ـ قال : فلما نُقِلتْ [ليلى][2] إلى الثّقفىّ قال :

طرِبتَ وشاقتكَ الحُمُولُ[3] الدّوافعُ * غَداةَ دعا بالبين أسْفَعُ[4] نازعُ قصيدته العينية
شَحَا[5] فَاهُ نعبًا[6] بالفراق كأنه * حريبٌ[7] سليبٌ نازحُ الدار جازِعُ

---

(١) عزّها : غلبها . وفى ب ، سـ : « غرّها » بالغين والراء ، والأوّل أنسب بالتشبيه .
(٢) زيادة فى ت . (٣) الحمول : فى الأصل الهوادج واحدها حمل ثم اتّسع فيها وصارت تستعمل فى الإبل التى عليها الهوادج . والدوافع : المتدفعة فى السير . (٤) كذا فى أغلب النسخ وتزيين الأسواق . وفى ب ، سـ : « أسحم » والأسفع والأسحم معناهما واحد وهو الأسود . والنازع : المسرع . والمراد بالأسفع النازع « الغراب » . (٥) شحا فاه يشحوه ويشحاه : فتحه . (٦) نعبا : صياحا وتصويتا . (٧) الحريب : من سلب حريبته وهى ماله الذى يقوم به أمره .

فقلتُ ألا قد بيّن(١) الأمرُ فانصرف * فقد راعنا بالبين قبلكَ رائعُ
سُقيتَ سُمُوما(٢) من غراب فإنّنى * تبيّنتُ ما خبّرتَ مذ أنتَ واقعُ(٣)
ألم تر أنّى لا مُحِبٌّ ألومُه * ولا ببديلٍ بعدهم أنا قانعُ
[ألم تر دارَ الحىّ فى رونقِ الضحى * بحيثُ انحنتْ للهضبتين الأجارعُ(٤)]
وقد يتناءى الإِلْفُ من بعد أُلْفةٍ * ويصدعُ ما بين الخليطين صادعُ
وكم من هوًى(٥) أو جيرةٍ قد ألِفتُهم * زمانا فلم يمنعهمُ البينَ مانعُ(٦)
كأنّى غداةَ البين ميّتُ جوبةٍ(٧) * أخو ظمإٍ سُدّتْ عليه المشارعُ
تخلّس(٨) من أوشال(٩) ماءٍ صُبَابةً * فلا الشُّربُ مبذولٌ ولا هو ناقعُ(١٠)
وبيضٍ تَطَلّى بالعبير كأنها * نِعاجُ المَلا(١١) جِيبتْ(١٢) عليها البراقعُ
تحمّلنَ من وادى الأراكِ(١٣) فأومضت(١٤) * لهنّ بأطراف العيون المدامعُ

(١) بيّن بمعنى تبين، ومنه المثل: «قد بيّن الصّبحُ لذى عينين». (٢) كذا فى أغلب النسخ. وفى ت، حـ وتزيين الأسواق لداود الأنطاكى طبع بولاق: «سماما» وهو جمع لسم كسموم.
(٣) وقع الطائر: نزل عن طيرانه على شجرة أو غيرها. (٤) زيادة فى ت وتزيين الأسواق. والهضبتان: مثنى هضبة وهى الرابية أو الجبل المنبسط على الأرض أو الجبل المخلوق من صخرة واحدة، والأجارع: جمع أجرع، والأجرع كالجرعاء: الأرض ذات الحزونة تشاكل الرمل أو الرملة السهلة المستوية أو القطعة من الرمل لاتنبت شيئا (انظر اللسان فى مادتى هضب وجرع).
(٥) الهوى بمعنى المهوىّ وهو المحبوب، ومنه قول الشاعر:

هَوَاىَ مع الركب اليمانين مُصْعِدٌ * جنيبٌ وجُثْمانى بمكة مُوثَقُ

(٦) كذا فى ت وتزيين الأسواق. وفى باقى النسخ: «فلم يمنعه للبين مانع».
(٧) الجوبة: فضاء أملس سهل بين أرضين. (٨) تخلس الشىء: انتهبه وأخذه خلسة.
(٩) الأوشال: جمع وشل وهو الماء القليل. والصبابة: بقية الماء تبقى فى الاناء والسقاء.
(١٠) هو من نقع بمعنى روى. (١١) الملا: الصحراء. (١٢) أى قطعت.
(١٣) هو واد قرب مكة. (١٤) فى ت: «وأومضت» بالواو.

فما رِمْنَ[(١)] ربعَ الدار حتى تشابهتْ * هجائنُها[(٢)] والجُونُ منها الخواضعُ[(٣)]
وحتى حملنَ الحُورَ[(٤)] من كلّ جانب * وخاضت سُدُولَ[(٥)] الرَّقْم منها الأكارعُ[(٦)]
فلما استوتْ تحتَ الخدور وقد جرى * عَبِيرٌ ومسكٌ بالعرانينِ رادعُ[(٧)]
أشرْنَ بأن حُثُّوا الجِمالَ فقد بدا * من الصيف يومٌ لافحُ الحرِّ ماتعُ[(٨)]
فلمّا لحِقْنَا بالحُمُول تباشرَتْ * بنا مُقْصِراتٌ[(٩)] غاب عنها المطامعُ[(١٠)]
يعرِضنَ[(١١)] بالدَّلِّ المَليح وإن يُرِدْ * جَنَاهُنَّ مشغوفٌ فهنّ موانعُ

(١) كذا فى ت ، ح . ومعناه ما برحن . يقال : ما رام المكان أى ما برحه . وفى باقى النسخ : « رضن » بالضاد ولم يظهر له معنى . (٢) الهجائن : الابل البيضاء الكريمة واحدها هجان . والجَون : جمع جون بفتح الجيم وهو الأسود المشرب بحمرة ، ويطلق على الأسود اليحمومى وعلى الأبيض فهو من أسماء الأضداد . (٣) الخواضع : الابل وإنما يقال لها خواضع لأنها تخضع أعناقها حين يجدّ بها السير، قال جرير :

ولقد ذكرتك والمطىّ خواضعٌ * وكأنهنّ قطَا فَلَاةٍ مَجْهَلِ

(٤) الحور : جمع حوراء وهى البيضاء أو من فى عينها حور وهو شدّة سواد المقلة فى شدّة بياضها . (٥) السدول : جمع سديل وهو ما يجلل به الهودج من الثياب . (٦) الأكارع : جمع أكْرُع والأكرع جمع كراع ، أو الأكارع كما يقول سيبويه جمع كراع على غير قياس . والكراع من الانسان : ما دون الركبة الى الكعب ، ومن الدابة قوائمها مطلقا . (٧) المراد بالرادع هنا المردوع به الجسد أو الثوب وهو العبير والمسك . وأصل الردع اللطخ بالطيب والزعفران ، يقال : قميص رادع ومردوع أى فيه أثر الطيب والزعفران ، وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما : « لم ينه عن شىء من الأدوية الا عن المزعفرة التى تردع الجلد » أى تنفض صبغها عليه . (٨) الماتع : الطويل . (٩) كذا فى ت ، ب ، س . وهو جمع مُقْصِرَة أى داخلة فى القَصْر وهو العشىّ ، يقال : أتيته قَصْرًا أى عشيا ، وأقصرنا أى دخلنا فى قَصْر العشىّ ، كما تقول أمسينا من المساء . وفى سائر النسخ : « مُعْصِرَاتٌ » بالعين المهملة وهو جمع مُعْصِرَة من أعْصَرَتِ الجاريةُ اذا بلغت عَصْرَ شبابها ، أو من أعْصَرَت أى دَخلتْ فى العَصْر (انظر لسان العرب مادتى قصر وعصر) . (١٠) كذا فى جميع النسخ . وفى ت وتزيين الأسواق : « المطالع » باللام . (١١) كذا فى ت . وفى ب ، س : « تعرّضن » . وفى أ ، ح ، م : « تعرّض » .

فقلتُ لأصحابى ودمعى مُسْبَلٌ * وقد صَدَعَ الشملَ المشتَّتَ صادعُ
أليلَى بأبواب الخُدورِ تعرّضَتْ * لِعَيْنِى أم قرنٌ من الشمس طالعُ

مروره مع ابن عم له على حمامة تهدل وما قال فى ذلك من الشعر

أخبرنى عيسى بنُ الحُسَين الوَرّاق قال حدّثنا الهَيْثمُ بنُ فِرَاسٍ قال حدّثنى العُمَرِىُّ عن الهَيْثم بنِ عَدِىّ :

أنّ أبا المجنون حجّ به لِيدعوَ الله عزّ وجلّ فى الموقف أن يُعافِيَه، فسار ومعه[1] ابنُ عمه زيادُ بنُ كعب بن مُزَاحِم، فمرّ بحمامة تدعو[2] على أَيْكة فوقف يبكى، فقال له زياد : أىّ شىء هذا؟ ما يُبْكيك أيضا؟ سر بنا نلحقِ الرُّفْقةَ، فقال :

أأن هتفَتْ يوما بوادٍ حمامةٌ * بكيتَ ولم يَعْذِرك بالجهل عاذرُ
دعَتْ ساقَ حُرٍّ[3] بعد ماعلَتِ الضُّحَى * فهاج لكَ الأحزانَ أن ناحَ طائرُ
تُغَنِّى[4] الضُّحَى والصُّبحَ فى مُرْجَحِنَّةٍ[5] * كِثَافِ الأعالِى تحتها الماءُ حائرُ[6]
كأن لم يكن بالغَيْل[7] أو بطنِ أَيْكةٍ[8] * أو الجِزْعِ[9] من تولِ[10] الأشاءةِ حاضرُ

(١) كذا فى ت . وفى سائر النسخ : « فسار معه الخ » . (٢) تدعو : تصوّت وتنوح . (٣) ساق حرّ : أصله صوت القمارى، ويطلق على الذكر من القمارى تسمية له باسم صوته وهو المراد هنا (انظر اللسان مادتى سوق وحرّ) . (٤) كذا فى ت وتزيين الأسواق . وفى م : « تعى » هكذا بدون إعجام . وفى باقى النسخ هكذا : « نعىّ » . (٥) كذا فى أغلب الأصول، والمرجحنة : المهتزة المتمايلة . (٦) حائر : متردّد . (٧) الغيل : اسم لعدّة مواضع والظاهر أنّ المراد هنا واد لبنى جعدة وهم قوم المجنون . (٨) الأيكة : الغيضة الملتفة الأشجار، ولم نجد فى الكتب التى بأيدينا « أيكة » ولا « بطن أيكة » اسما لموضع خاص (٩) الجزع ـ بالكسر، وقال أبو عبيدة : اللائق به أن يكون مفتوحا ـ : منعطف الوادى ولعله هنا اسم لموضع خاص، وقد يكون جزع بنى جماز وهو واد باليمامة . (١٠) كذا فى ب، س . وفى بقية النسخ : « قول » بالقاف ولم يظهر لكلتا النسختين معنى . والأشاءة : موضع باليمامة فيه نخيل فلعل كلمة « تول » محرّفة عن « تال » والتال : صغار النخل واحدته تالة .

يقولُ زِيادٌ إذ رأى الحىَّ(١) هَجَّرُوا(٢) * أرَى الحىَّ قد ساروا فهل أنتَ سائرُ
وإنّى وإن غَالَ(٣) التقادُمُ حاجتى * مُلِمٌّ على أوطانِ لَيْلَى فَنَاظِرُ(٤)

هيامه الى نواحى الشام وما يقوله من الشعر عند عوده ورؤية التوباد

أخبرنى [محمد بن مَزْيَد](٥) بن أبى الأزهر عن الزُّبَيْر عن محمد بن عبد الله البَكْرى. عن موسى بن جعفر بن أبى كَثير وأخبرنى عمى عن [عبد الله](٥) بن شَبِيب عن [هارون بن موسى](٥) الفروى(٦) عن موسى بن جعفر بن أبى كَثير وأخبرنى ٱبنُ المَرْزُبان عن ٱبن الهَيْثم عن العُمَرى عن العُتْبى قالوا جميعا :

كان المجنونُ وليلَى وهما صَبيّان يَرْعَيان غنما لأهلهما عند جبلٍ فى بلادهما يقال له التَّوْبادُ(٧)، فلما ذهب عقلُه وتوحّش، كان يجيء إلى ذلكَ الجبلِ فيقيمُ به، فإذا تذكر أيامَ كان يُطِيفُ هو وليلى به جَزِع جزعاً شديدا وٱستوحش فهام على وجهه حتى يأتىَ نواحىَ الشامِ، فإذا ثاب إليه عقلُهُ رأى بلدا لا يعرفه فيقولُ للناس الذين يلقاهم : بأبى أنتم، أين التَّوْبادُ من أرض بنى عامر ؟ فيقال له : وأين أنت من أرض بنى عامر ! أنت بالشأم عليك بنجم كذا فأُمَّه، فيمضى على وجهه نحوَ ذلك النجم حتى يقعَ بأرض اليمن، فيَرى بلادا يُنكِرها وقوما لا يَعرِفهم فيسألهم عن التَّوباد

(١) كذا فى ب، س، ت. وفى باقى النسخ : «أن رأى». (٢) هجروا : ساروا فى وقت الهاجرة. (٣) غال الشيءَ : ذهب به. (٤) كذا فى ت، حـ وتزيين الأسواق. وفى باقى النسخ : «مناظر» بالميم. (٥) زيادة فى ت. (٦) كذا فى ت «الفروى» بالفاء وهو الموافق لما فى كتب التراجم مثل تهذيب التهذيب والخلاصة والأنساب للسمعانى. وفى بقية النسخ : «المروى» بالميم، وهو تحريف. (٧) كذا فى جميع الأصول «التوباد» بالدال المهملة وهو الموافق لما فى معجم ما ٱستعجم للبكرى إذ قال فى ضبطه : هو بفتح أوّله وباء معجمة بواحدة ودال مهملة وأنشد عليه : * وأجهشت للتوباد حين رأيته * البيت. وضبطه ياقوت بالذال المعجمة فقال فى معجمه : «توباذ» بالفتح ثم السكون والباء موحدة وآخره ذال معجمة : جبل بنجد.

وأرض بنى عامر، فيقولون: وأين أنتَ من أرض بنى عامر! عليك بنجم كذا وكذا، فلا يزال كذلك حتى يقع على التَّوبادِ، فإذا رآه قال فى ذلك :

أبياته النونية التى يصف فيها انصباب الدمع

وأجْهَشْتُ[1] للتَّوبادِ حين رأيتُه * وكَبَّرَ[2] للرحمن حينَ رآنِى

وأذرَيتُ[3] دمعَ العين لمّا عرفتُه * ونادى بأعلى صوته فدعانى

فقلتُ له قد كان حولكَ جيرةٌ * وعهدِى بذاكَ الصّرمِ منذ زمانِ[4]

فقال مَضَوْا واستودَعُونِى بلادَهم[5] * ومَنْ ذا الذى يبقَى على الحدَثانِ

وإنى لأبكِى اليومَ من حَذَرِى غدًا * فِراقَكَ والحيَّانِ مُجْتَمِعانِ[6]

سِجَالًا وتَهْتَانًا[7] ووَبْلًا وديمَةً * وسَحًّا وتَسْجامًا[8] الى هَمَلَانِ[9]

---

(١) أجهشت : تهيأت للبكاء . (٢) كذا فى جميع الأصول . وفى الديوان : «وهلّل» .

(٣) كذا فى ت والديوان وتزيين الأسواق . وفى بقية الأصول : «وأذرفت» ولم نجد «أذرف» فى كتب اللغة التى بأيدينا، وإنما يقال : ذرفت العين الدمع وذرّفته بالتضعيف أى أسالته .

(٤) ورد بدل هذا البيت فى الديوان بيت آخر وهو :

فقلت له أين الذين عهدتهم * حواليك فى خصب وطيب زمان

وجاءت القصيدة فى تزيين الأسواق مشتملة على البيتين فأورد البيت الذى فى الأصول ثم جاء بعده بالبيت الثانى هكذا :

وقلت له أين الذين عهدتهم * بقربك فى حفظ وطيب أمان

(٥) كذا فى أغلب النسخ والديوان . وفى ت وتزيين الأسواق لداود الأنطاكى : « ديارهم » .

(٦) كذا فى أغلب الأصول والديوان . وفى ت وتزيين الأسواق : «مؤتلفان» . (٧) يقال : هتنت السماء تهتن هتنا وتهتانا أى صبت . (٨) يقال : سجمت السحابة مطرها تسجيما وتسجاما اذا صبته . (٩) كذا فى الديوان، والهملان : فيض العين بالدموع . وفى جميع الأصول « وتنهملان » .

سبب ذهاب عقله

أخبرنى[1] عمى عن [عبد الله][2] بن شَبيب عن هارونَ بنِ موسى الفَرْوىّ عن موسى بن جعفر بن أبى كَثير قال : لما قال المجنونُ :

خليلىّ لا والله لا أملكُ الذى * قضى اللهُ فى ليلى ولا ما قضَى لِيَا
قضاها لغيرى وآبتلانى بحبّها * فهلّا بشىءٍ غيرِ ليلَى آبتلانيَا

سُلِبَ عقلَه .

وحدّثنى جحظةُ عن ميمون بن هارونَ عن إسحاقَ الموصلىّ أنه لما قالها بَرِصَ .

شعره حين توهم أن صائحا يصيح : ياليلى

قال موسى بن جعفر فى خبره المذكور : وكان المجنونُ يسير مع أصحابه فسمع صائحا يصيح : ياليلى فى ليلةٍ ظلماءَ أو توهَّم ذلكَ ، فقال لبعض مَنْ معه : أما تسمعُ هذا الصوتَ ؟ فقال : ما سَمِعْتُ شيئا ، قال : بلى ، والله هاتفٌ يهتِفُ بليلى ، ثم أنشأ يقول :

أقولُ لأدنَى صاحِبَىَّ كُلَيمةً * أُسِرُّ من الأقصى أجِبْ ذا المناديَا
إذا سِرْتُ فى الأرضِ الفَضاءِ رأيتُنِى * أُصانِعُ رَحْلِى[3] أن يَمِيلَ حِيالِيَا
يمينًا إذا كانت يمينًا وإن تكن * شِمالًا يُنازِعْنِى الهوَى عن شِمالِيَا

(١) جاء فى صلب نسخة س بعد انتهاء القصيدة وقبل قوله «أخبرنى» ما نصه : «الجهش : أن يفزع الانسان الى غيره وهو مع ذلك متهيئ للبكاء كالصبى يفزع الى أمه وقد تهيأ للبكاء ، يقال : جهش اليه يجهش ، وفى الحديث "طال بنا العطش فجهشنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم" وكذلك الاجهاش يقال : جهشت بنفسى وأجهشت» ولم نثق بصحة هذه الزيادة حتى نثبتها فى الصلب لأنا وجدناها فى نسخة م موضوعة فى الصلب قبل القصيدة بل قبل البيت الأوّل التى هى شرح لبعض مفرداته ووجدناها بحاشية نسخة أ فى صورة شرح لقوله «وأجهشت» ومعزوّة الى الجوهرىّ وهى نص عبارته فى كتاب الصحاح ، والظاهر أنّ بعض النساخ وجد هذا التعليق على حاشية إحدى نسخ الكتاب فظنه من الأصل وأدخله فى الصلب . (٢) زيادة فى ت . (٣) كذا فى ب ، س والديوان والرحل : ما يوضع على البعير للركوب ثم يعبر به عن البعير وهو المراد هنا . وفى أغلب النسخ : «رجلى أن تميل حياليا» .

شعره فى منى وغيرها يرويه غرير ابن طلحة

وقال ابنُ شَبِيبٍ وحدّثنى هارونُ بنُ موسى قال : قلتُ لِغُرَيْرِ(١) بنِ طلحةَ المخزوميّ : مَن أشعرُ الناس ممن قال شعرا فى مِنًى ومكّةَ وعرفاتٍ ؟ فقال : أصحابُنا القُرَشيُّون، ولقد أحسنَ المجنونُ حيث يقول :

وداعٍ دعا إذ نحن بالخَيْف من مِنًى * فهيَّجَ أحزانَ(٢) الفؤادِ وما يدرى
دعا باسم ليلى غيرَها فكأنما * أطارَ بليلى طائراً كان فى صدرى

فقلت له : هل تَروِى للمجنون غيرَ هذا ؟ قال : نعم، وأنشدنى له :

أما والذى أرسَى ثَبِيراً مكانه * عليه السَّحابُ فوقه يتنصَّبُ(٣)
وما سَلَكَ المَوْماةَ(٤) من كلّ جَسْرةٍ(٥) * طَليحٍ(٦) بجفن السّيف تَهْوِى فتَرْكَبُ
لقد عِشْتُ مِنْ ليلى زمانا أُحبُّهَا * أخا الموت إذ بعضُ المحبين يكذبُ

(١) اختلفت النسخ فى هذا الاسم فوقع فى ب، حـ : « عرير » بمهملات وفى سـ : « جرير » وفى ت : « عزيز » بعين مهملة وزايين وفى م، ء، أ : « شرير » بشين معجمة وراءين وقد اعتمدنا فيما أثبتناه بالصلب على ما جاء فى تاج العروس حيث ذكر فى مادة « غرر » من يسمون بغُرَير كزبير وعدّ منهم غُرَير بن طلحة القرشىّ .

وجاء هذا الاسم فى الجزء الثالث عشر من الأغانى ص ١١٧ طبع بولاق هكذا « غُرَيْر بن طلحة » بغين معجمة ثم مهملتين وجاء فى تاج العروس فى مادة رقم بعد ذكر أبى عبد الله الأرقم المخزومى ما نصه : « ومن ولده عزيز بن طلحة بن عبد الله بن عثمان بن الأرقم » والظاهر أنه هو غُرَير بن طلحة وإنما وقعت نقطة الغين على الراء .

وفى كتاب الأنساب للسمعانى فى اسم « الأرقمى » : « والمشهور بهذه النسبة عزيز بن طلحة بن عبد الله بن الأرقم من أهل مكة » هكذا بعين مهملة وزايين معجمتين والظاهر أنه « غُرير » حتى يوافق ما ذكره صاحب تاج العروس فى مادة غرر .

(٢) كذا فى أغلب الأصول وديوانه وكتاب الشعر والشعراء . وفى ت : « أطراب » وهو ما اتفقت عليه الأصول فيما تقدّم بصحيفة ٢٢ من هذا الجزء . (٣) يتنصّب : يرتفع .
(٤) كذا فى أغلب الأصول . وفى ت : « البوباة » بالباء وكلاهما صحيح فان الموماة والبوباة معناهما واحد وهو الفلاة . (٥) يقال : ناقة جسرة ومتجاسرة : ماضية فى سيرها . وفى ت : « نضوة » وهى التى هزلها السير . (٦) يقال : ناقة طليح اذا جهدها السير وهزلها .

أخبرنى محمد بن مزيد عن حماد [ابن إسحاق](١) عن أبيه قال : كانت كنيةُ ليلى أمَّ عمرو، وأنشدَ للمجنون :

صـــوت

أبى القلبُ إلا حُبَّهُ عامريّةً * لها كنيةٌ عمرٍو وليس لها عمرُو
تكادُ يدى تَنْدَى إذا ما لمستُها * وينبُتُ فى أطرافها الورقُ الخُضْرُ

الغناء لعريبَ ثقيلٌ أوّلُ، وقال حبش : فيه لإسحاق خفيفُ ثقيلٍ .

تزوّج ليلى برجل من ثقيف وما قاله المجنون فى ذلك من الشعر

أخبرنى هاشمُ [بن محمد](١) الخزاعىّ عن دماذ عن أبى عُبيدةَ(٢) قال : خطب ليلَى صاحبةَ المجنون جماعةٌ من قومها فكرِهَتْهم ، فخطبها رجلٌ من ثَقِيف موسرٌ فرضيتْه ، وكان جميلا فتزوّجها وخرج بها، فقال المجنونُ فى ذلك :

ألا إنّ ليــلى كالمَنِيحةِ(٣) أصبحَتْ * تَقَطَّعُ إلا من ثقيف حِبالُها
فقد حبسوها مَحْبَسَ البُدْنِ وٱبتغى * بها الربحَ أقوامٌ تَساحَتَ(٤) مالُهــا
خليليَّ هل مِنْ حيلةٍ تعلمانها * يُدَنِّى لنــا تكليمَ ليلَى ٱحتيالُهــا
فإن أنتمــا لم تَعْــلَمَاها فلستُما * بأوّلِ باغٍ حاجةً لا ينالُهــا
كأنّ مع الركب الذين ٱغتدَوْا بها * غمامةَ صيفٍ زعزعَتْها شَمالُهــا

---

(١) زيادة فى ت . (٢) فى ت : « قال حدّثنا أبو غسان دماذ» . وأبو غسان كنية دماذ . انظر صحيفة ١٥٣ حاشية رقم ١ من الجزء الأوّل من الأغانى . (٣) المنيحة فى الأصل : الشاة أو الناقة يعطيها صاحبها رجلا يشرب لبنها ثم يردّها اذا انقطع اللبن، ثم كثر استعمالها فى كل موهوب . وفى ت « العامرية » بدل « كالمنيحة » . (٤) كذا فى أغلب الأصول . يقال أسحت ماله : استأصله وأفسده ، ومال مسحوت ومسحت أى مذهب . وأسحتت تجارته : خبثت وحرمت ، ولم نجد فى كتب اللغة « تساحت » على وزن تفاعل من هذه المادة وفى ت وتزيين الأسواق « ألا قلّ مالها » وهكذا جاءت فى جميع النسخ كما تقدّم فى ص ٤٧ من هذا الجزء .

نظرتُ بمُفْضَى سَيْلِ جَوْشَنَ[1] إذ غَدَوْا[2] * تَخُبُّ بأطـراف المَخَـارِمِ[3] آلُهـا
بشافيـةِ الأحزان[4] هيّج شوقَها * مُجَامَعَـةُ الأُلَّافِ ثم زِيالُهـا
إذا ٱلتفتتْ من خَلْفِها وهي تَعْتَـلي * بهـا العِيسُ جَلَّى عَبْرَةَ العينِ حَالُهـا

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفشُ قال أنشدني أحمد بن يحيى ثَعْلَبٌ عن أبي نصر أحمدَ بن حاتم قال : وأنشدناه المبرّد للمجنون فقال :

صـــوت

وأَحْبِسُ عنكِ النفسَ والنفسُ صَبَّةٌ * بِذِكْرَاكِ وٱلمَمْشَى إليـكِ قـريبُ
مخافةَ أن تسعى الوُشَاةُ بِظِنَّـةٍ * وأَحْرُسُكم أن يستـريبَ مُرِيبُ
فقد جعلتْ نفسي ـ وأنتِ ٱجترمتِهِ * وكنتِ أعزَّ الناسِ ـ عنكِ تَطِيبُ
فلو شئتِ لم أَغضَبْ عليكِ ولم يزلْ * لكِ الدهرَ منّي ما حييتُ نصيبُ
أَمَا والذي يَبْـلُو[5] السرائرَ كلَّهـا * ويعـلَمُ ما تُبْـدِي به وتَغِيبُ
لقد كنتِ ممن تَصْطَفِي النفسُ[6] خُلَّةً * لهـا دون خُلَّانِ الصَّـفاء حُجُوبُ

---

(١) كذا في أغلب النسخ ، ولم نجد في بلاد العرب ما يسمى جوشن الا جبلا في غربيّ حلب . وفي ت : « جوشين » وهو مثنى جوش وهو جبـل في بلاد بني القين بين أذرعات والبادية ، وثني مع جبل آخر لهم يقال له «جدد» فيقال : جوشان ، قال البعيث :

تجاوزن من جوشين كلّ مفازة * وهنّ سوام في الأزمة كالإجْلِ

(٢) كذا في نسختي ب ، س . وفي باقي النسخ : « والصحى » . (٣) كذا في ت « المخارم » بالراء المهملة : جمع مخرم وهو الطريق في الجبل أو الرمل . وفي بقية النسخ : «المخادم» بالدال المهملة ولم نجد له معنى مناسبا . (٤) في ت وتزيين الأسواق : «بمنهلة الأجفان» . (٥) كذا في ت والديوان . وفي سائر النسخ : « يُبْلِي السرائر» . (٦) كذا في ت والديوان . وفي باقي النسخ : « يصطفي الناسُ » .

ذكر يحيى المكّىّ أنه لابن سُرَيج ثقيلٌ أوّلُ، وقال الهِشَامىّ : إنه من منحول يحيى إليـــه .

خبر أبى الحسن البغاء والمرأة التى أحبت صديقا له من قريش

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنى الحَسَن(1) بن محمد بن طالب الدّينارى قال حدّثنى إسحاق الموصلىّ، وأخبرنى به محمد بن مَزْيد والحُسَين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثنى سَعِيد بن سُلَيمان عن أبى الحسن البَبَّغَاء قال :

بينا أنا وصديق لى من قريش نمشى بالبلاط(2) ليــلا ، إذا بظلّ نسوة فى القمر، فسمعتُ إحداهنّ تقول : أهو هو؟ فقالت لها أخرى(3) معها : إى والله إنه لهو هو! فدنت منّى ثم قالت : يا كهلُ، قل لهذا الذى معك :

ليستْ لياليكَ فى خاخٍ(4) بعائدةٍ * كما عهدتَ ولا أيامُ ذى سَلَمِ

فقلت : أجِبْ فقد سمعتَ، فقال : قد والله قُطِعَ بى وأُرتِجَ علىّ فأجبْ عنّى(5)، فقلت :

فقلتُ لها يا عزّ كلُّ مصيبةٍ * اذا وُطِّنتْ يوما لها النفسُ ذَلَّتِ

ثم مضينا حتى إذا كنا بمَفْرِق طريقيــــن مضى الفتى إلى منزله ومضيتُ إلى منزلى، فإذا أنا بجويرية تجذب ردائى فالتفتُّ ، فقالت لى : المرأةُ التى كلمتَهــا تدعوكَ ، فمضيتُ معها حتى دخلت دارا واسعة ثم صرتُ إلى بيتٍ فيه حصيرٌ، وقد ثُنِّتْ لى وسادةٌ فجلستُ عليهــا ، ثم جاءت جاريةٌ بوسادة مَثْنية فطرحتها ، ثم جاءت المرأةُ فجلستْ عليها، فقالت لى : أنت المجيبُ؟ قلتُ : نعم، قالت: ما كان أفظّ جوابكَ

---

(١) كذا فى أغلب النسخ وفى ت ، حـ « الحسين بن محمد » . (٢) البلاط : ضرب من الحجارة تفــرش به الأرض ثم سمى المكان بلاطا اتساعا ، وهو معروف بالمدينــة وقد تكرر ذكره فى الأحاديث . انظر النهاية لابن الأثير فى مادّة « بلط » . (٣) كذا فى ت بالتنكير . وفى باقى النسخ : « الأخرى » . (٤) كذا فى ب ، سـ . وفى سائر النسخ : « جمع » وجمع هو المزدلفة . (٥) هذه الكلمة ساقطة من ب ، سـ .

وأغلظَه! فقلت لها : ما حضرنى غيرُه، فسكتَتْ، ثم قالت : لا، والله ما خلق اللهُ خلقا أحبَّ إلىّ من إنسان كان معكَ! فقلت لها : أنا الضامنُ لكِ عنه ما تُحِبّينَ، فقالت : هيهاتَ أن يقع بذلك وفاءٌ، فقلت : أنا الضامن وعلىّ أن آتيَك به فى الليلة القابلة فانصرفتُ، فإذا الفتى ببابى، فقلتُ : ما جاء بكَ ؟ قال : ظننتُ أنها ستُرسل إليكَ وسألتُ عنكَ فلم أعرف لك خبرا، فظننتُ أنكَ عندها، فجلستُ أنتظرك، فقلت له : وقد كان الذى ظننتَ، وقد وعدتُها أن آتيَكَ فأمضىَ بك إليها فى الليلة المقبلة، فلما أصبحنا تهيأنا وانتظرنا المساءَ، فلما جاء الليلُ رحَلنا إليها، فإذا الجاريةُ منتظرةٌ لنا، فمضت أمامَنا حين رأتنا حتى دخلتْ تلك الدارَ ودخلْنا معها، فإذا رائحةٌ طيبة ومجلسٌ قد أُعِدّ ونُضّد، فجلسنا على وسائدَ قد ثُنيتْ [لنا] (١)، وجلستْ مَليًّا ثم أقبلتْ عليه فعاتبته مليًّا ثم قالت :

صـــوت

وأنتَ الذى أخلفتَنى ما وعدتَنى * وأشمتَّ بى مَن كان فيكَ يلومُ

وأبرزتَنى للناس ثم تركتَنى * لهم غَرَضًا أُرمَى وأنتَ سَليمُ

فلو كان قولٌ يَكلِمُ الجلدَ قد بدا * بجِلْدىَ من قول الوشاة كُلُومُ

هذه الأبيات لأُمية (٢) امرأة ابن الدُّمَينة، وفيها غناء لإبراهيم الموصلىّ ذكره إسحاق ولم يُجنِّسه . وقال الهشامىّ : هو خفيفُ رملٍ . وفيه لعَريبَ خفيفُ ثقيلٍ أوّل يُنسب إلى حَكَم الوَادِى وإلى يعقوبَ . قال : ثم سكتَتْ وسكت الفتى هُنَيهةً ثم قال :

غَدَرْتِ ولم أغدِر وخُنْتِ ولم أَخُنْ * وفى بعض هذا للمحبّ عَزاءُ

جزيتُكِ ضِعفَ الودّ ثم صَرَمتِنى * فحُبُّكِ من قلبى إليكِ أداءُ

(١) زيادة فى ت . (٢) كذا فى ت «لأمية» وهو الموافق لما سيأتى فى ترجمة ابن الدمينة فى ج ١٥ ص ١٥١ أغانى طبع بولاق . وفى باقى النسخ : «لآمنة» وهو تحريف .

فالتفتت إلىّ فقالت : ألا تسمع ما يقول ! قد خبرتُكَ، فغمزتُه أن كُفَّ فكفّ، ثم أقبلتْ عليه وقالت :

صــــوت

تجاهلْتَ وَصلِي حينَ جَدّتْ عَمَايتِي[1] * فهلّا صرَمتَ الحبلَ إذ أنا أُبصِرُ

ولى من قُوَى الحبل الذى قد قطعتَه * نصيبٌ وإذ رأيى جميعٌ مُوفَّرُ

ولكنما آذنتَ بالصَّرْمِ بغتةً * ولستُ على مثل الذى جئتَ أَقدِرُ

— الغناء لإبراهيمَ ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن عمرو — فقال :

لقد جعلتْ نفسِي — وأنتِ اجترمتِه * وكنتِ أعزَّ الناس — عنكِ تطيبُ

قال : فبكت، ثم قالت : أو قد طابتْ نفسُك! لا، والله مافيك بعدها خير، ثم التفتت إلىّ وقالت : قد علمتُ أنك لا تفى بضمانك ولا يفى به عنك . وهذا البيت الأخير للمجنون، وإنما ذُكر هذا الخبرُ هنا وليس من أخبار المجنون لذكره فيه.

رجع الخبر إلى سِيَاقَةِ أخبار المجنون

رأى المجنون أبيات أهل ليلى فقال شعرا

أخبرنى عمّى قال حدّثنا الكُرانىّ عن العُمَرىّ عن الهيثم بن عدىّ أن رهطَ المجنون اجتازوا فى نُجْعَةٍ[2] لهم بحىّ ليلى، وقد جمعتْهم نُجعةٌ فرأى أبياتَ أهل ليلى ولم يُقدِم[3] على الإلمام بهم وعدَلَ أهلَهُ إلى جهة أخرى، فقال المجنونُ :

(١) كذا فى جميع النسخ ، يقال : جدّ به الأمر أى اشتدّ . وفى ت : « لجت » وهو من لجّ به الشىء : لزمه وأبى أن ينصرف عنه . (٢) النجعة عند العرب : الذهاب فى طلب الكلأ والعشب فى موضعه . (٣) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت : « يقدر » .

لعمرُكَ إنّ البيتَ بالقِبَــلِ[1] الذى * مررتُ ولم أُلمِمْ عليـــه لَشَــائِقُ
وبالجِزْعِ[2] مِن أعلى الجنيبــةِ[3] منزلٌ * شَجَـا حَزَنَ صـــدرِى به مُتَضَايِقُ
كأنى إذا لم أَلْقَ ليــلى مُعَــلَّقٌ * بسِبَّينِ[4] أَهْفُو[5] بين سَهْــلٍ وحَالِقِ[6]
على أننى لو شئتُ هاجت صبابتى * علىّ رســـومٌ عىّ فيهـا التّناطُقُ
لَعَمْـــرُكِ إن الحبَّ يا أُمَّ مالكٍ * بقلبِي برانى اللهُ منــــه لَلَاصِــقُ
يَضمُّ علىّ الليـــلُ أطرافَ حُبِّكم * كما ضَمَّ أطرافَ القميصِ البَنَـائِقُ

صـــــوت

وماذا عسى الواشونَ أن يتحــدّثوا * ســوى أن يقولوا إننى لكِ عاشقُ
نَعَم صدق الواشـــون أنتِ حبيبةٌ * إلىّ وإن لم تَصْفُ منكِ الخلائقُ

الغناء لمتيَّم ثقيلٌ أوّلُ من جامعها . وفيه لدِعَامةَ رملٌ عن حَبَش .

حديث ليلى مع جارة لها من عقيل

أخبرنى أحمد بن جعفر جحظةُ قال حدّثنى أحمــدُ بن الطَّيِّب قال قال ابن الكلبىّ : دخلَتْ ليلى على جارة لها من عُقَيلٍ وفى يدها مِسْواكٌ تَستاكُ به، فتنفّستْ ثم قالت : سقى الله من أهدى لى هــذا المِسْواكَ؛ فقالت لهـا جارتُها : مَنْ[7] هو؟ قالت : قيسُ بنُ الملوّح ، وبكت ثم نَزَعتْ ثيابَها تغتسلُ ؛ فقالت : وَيْحَه ! لقد

(١) القبل : الناحيــة . وفى ت : « بالظاهر الذى » والظاهر يطلق على المكان المرتفع ، فيقال : ظواهر الأرض أى أشرافها وأعاليها . (٢) الجزع : منعرج الوادى ومنعطفه . (٣) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت « الجنينة » وفى ياقوت الجُنَيْنة : روضة نجدية بين ضريّة وحزن بنى يربوع وأنها صحراء باليمامة أيضا . ولم نجد الجنيبة اسما لموضع خاص ولعله تصغير جنبة بمعنى الناحية . (٤) السب : الحبــل كالسبب أى يذهب فى الهواء . (٥) أهفو : أذهب فى الهواء . (٦) الحالق : الجبل المرتفع وفى هذا البيت إقواء وهو اختلاف حركة الروىّ . (٧) كذا فى ت . وفى أغلب النسخ : « ومن » بالواو .

عليّ منّي ما أهلكه مِنْ غير أن أستحقّ ذلك، فنشدتُك اللهَ ، أصدَق فى صفتى أم كَذَب؟ فقالت : لاوالله، بل صدق؛ قال : وبلغ المجنونَ قولُها فبكى ثم أنشأ يقول:

نُبِّئْتُ ليلى وقد كنّا نبخّلها (١) * قالت سقى المزنُ غيثًا منزلا خربَا
وحبّذا راكبٌ كنّا نَهَشّ به * يُهدِى لنا من أَراكِ الموسم القُضُبَا
قالتْ لجارتها يوما تُسائلُها * لمّا آستحمّت وألقتْ عندها السَّلَبا (٢)
يا عَمْرَكِ اللهَ أَلّا (٣) قُلْتِ صادقةً * أَصَدَقَتْ صِفةُ المجنون أم كَذَبَا

ويروى : "نشدتُكِ اللهَ" ويروى : "أصادقًا وصفَ المجنونُ أم كذبا" .

سمع المجنون بخروج ليلى مع زوجها فقال شعرا

وقال أبو نصر فى أخباره : لما زُوِّجَتْ ليلى بالرجل الثقفيّ سمع المجنونُ رجلا من قومها يقول لآخر : أنتَ ممن يُشَيِّعُ لَيْلَى ؟ قال : ومتى تخرج ؟ قال : غدًا ، ضَحْوةً أو الليلةَ، فبكى [المجنونُ (٤)] ثم قال :

صـــوت

كأنّ القلبَ ليلةَ قيل يُغدَى * بليلى العامريّةِ أو يُراحُ
قطاةٌ عَزَّها شَرَكٌ فباتتْ * تُجاذِبه وقد عَلِقَ الجناحُ

الغناء ليحيى المكيّ خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو ، وفيه رَمَلٌ ينسب إلى إبراهيمَ وإلى أحمد بن يحيى المكيّ؛ وقال حَبَش : فيه خَفيفُ ثقيلٍ [بالوسطى] (٤) لسُليم .

(١) فى ت : «سقى الله منه منزلا جدبا» . وفى تزيين الأسواق : «قالت سقى الله منه منزلا خربا» .
(٢) السَّلَبُ : كلّ ما على الانسان من الثياب .
(٣) ألّا هنا للتحضيض بمعنى هلّا .
(٤) زيادة فى ت .

وعظه رجل من بنى عامر فأنشده شعرا

وقال الهيثمُ بنُ عدىّ فى خبره: حدّثنى عبد الله بن عَيّاش الهَمْدَانىّ (١) قال حدّثنى رجلٌ من بنى عامر قال: مُطِرنا مَطَرًا شديدا فى ربيع آرتبعْناه، ودام المطرُ ثلاثا ثم أصبحنا فى اليوم الرابع على صَحْوٍ وخرج الناس يمشون على الوادى، فرأيت رجلا جالسا بَجْرَةٍ (٢) وحدَه فقصدْتُه، فإذا هو المجنون جالسٌ وحدَه يبكى فوعظتُه وكلّمتُه طويلا وهو ساكتٌ لم يرفع رأسَه إلىّ، ثم أنشدنى بصوت حزين لا أنساه أبدا وحُرْقَتُه:

صوت

جَرَى السَّيْلُ (٣) فاستبكانِىَ السيلُ إذ جرى * وفاضَتْ له من مُقْلَتَىَّ غُروبُ (٤)
وما ذاكَ إلا حينَ أيقنتُ أنه * يكون بوادٍ أنتِ فيه (٥) قريبُ
يكون أُجَاجًا دونكم فإذا آنتهى * إليكم تَلَقَّى طيبَكم فيطيبُ
أَظَلُّ غريبَ الدارِ فى أرض عامرٍ * ألا كلُّ مهجورٍ هناكَ غريبُ
وإن الكثيبَ الفردَ من أيمن الحمى * إلىّ وإن لم آته لحبيبُ
فلَا خيرَ فى الدنيا إذا أنتَ لم تَزُر * حبيبا ولم يَطرَبْ إليكَ حبيبُ

وأوّل هذه القصيدة — وفيه أيضا غناء —:

صوت

ألا أيّها البيتُ الذى لا أزوره * وهِجْرانُه منّى إليه ذُنوبُ
هجرتُكَ مشتاقا وزرتُكَ خائفًا * وفيكَ علىّ الدهرَ منكَ رقيبُ (٦)
سأستَعْطِفُ الأيامَ فيكَ لعلّها * بيومِ سرورٍ فى هواكَ تُثِيبُ

(١) كذا فى أغلب النسخ. وفى ت: «عبد الله بن عباس المذلىّ». (٢) بَجْرَة: ناحية.
(٣) كذا فى أغلب النسخ. وفى ب، س، ح: «جرى الدمع فاستبكانى السيل» وهو تحريف.
(٤) الغروب: جمع غرب وهو الدمع. (٥) فى ت وتزيين الأسواق: «منه».
(٦) كذا فى ت وتزيين الأسواق. وفى باقى النسخ: «وفىّ عليك الدهر منك رقيب».

هذه الأبيات فى شعر محمد بن أميّة مَرْوِيّةٌ (١)، ورُويت ها هنا للجنون [فى هذه القصيدة] (٢). وفيها لعَريبَ ثقيلٌ أوّلُ. ولعبد الله بن العباس ثانى ثقيل. ولأحمد بن المكىّ خفيفُ ثقيل:

وأُفرِدْتُ إفرادَ الطريد وباعدتْ * إلى النفس حاجاتٌ وهنّ قريبُ
لئن حال يأسٌ (٣) دون ليلى لربّما * أتى اليأسُ دون الأمر فهو عَصِيبُ (٤)
ومنّيتنى حتى إذا ما رأيتنى * على شَرَفٍ للناظرين يَرِيبُ
صددتِ وأشمتِّ العدوَّ بصرْمنا * أثابكِ ياليلَى الجزاءَ مُثيبُ

لقاؤه فى توحشه ليلى بفلاة وشعره فى ذلك

أخبرنى هاشم بن محمد الخُزاعىّ قال حدّثنا محمد بن زكريا الغَلاّبىّ قال حدّثنا مَهْدِىّ بن سَابق قال حدّثنا بعضُ مشايخ بنى عامر أن المجنون مرّ فى توحّشه فصادف حىّ ليلَى راحلًا ولقيها بفَلاةٍ فعرفها وعرفته فصَعِقَ وخرّ مغشيًّا على وجهه، وأقبل فتيانٌ من حىّ ليلى فأخذوه ومسحوا الترابَ عن وجهه، وأسندوه إلى صدورهم وسألوا ليلى أن تقِفَ له وَقْفةً، فرقّتْ لِمَا رأته به، وقالت: أمّا هذا فلا يجوز أن أفتضحَ به، ولكن يا فلانةُ ـ لأمةٍ لها ـ اذهبى إلى قيس فقولى له: ليلى تقرأُ عليك السلامَ، وتقول لكَ: أَعزِزْ علىّ بما أنتَ فيه، ولو وجدتُ سبيلا إلى شفاء دائكَ لوقيتُكَ بنفسى منه، فمضتِ الوليدةُ إليه وأخبرتْه بقولها، فأفاقَ وجلس وقال: أَبْلِغيها

(١) كذا وقعت هذه العبارة فى أغلب النسخ. وفى ت ما نصه: «هذان البيتان الأوّلان فى شعر محمد بن أمية مدوّنان». وقد رجح صاحب تزيين الأسواق: أنّ البيت الأوّل للجنون وأن الثانى والثالث ليسا له. (٢) زيادة فى ت. (٣) كذا فى أغلب النسخ وفى ت وتزيين الأسواق: «لئن حال واش». (٤) كذا فى تزيين الأسواق. وقد ورد فى جميع الأصول: «أتى اليأس دون الأمر وهو قريب» وبهذه الرواية يكون فيه الإيطاء وهو تكرير القافية مع اتحاد المعنى.

السلامَ وقولى لها : هيهاتَ! إنّ دائى ودوائى أنتِ، وإنّ حياتى ووفاتى لفى يديكِ، ولقد وُكِّلْتِ بى شقاء لازما وبلاء طويلا . ثم بكى وأنشأ يقول :

أقول لأصحابى هى الشمس ضوءُها * قـريبٌ ولكنْ فى تَنَاوُلِها بُعْدُ
لقـد عارضَتْنا الريحُ منها بنفحةٍ (١) * على كَبِدى من طيبِ أرواحها بَرْدُ
فما زلتُ مَغْشِيًّا علىّ وقد مَضتْ * أَناةٌ (٢) وما عنـدى جوابٌ ولا رَدُّ
أُقَلَّبُ بالأيدى وأهـلى بِعَـوْلةٍ (٣) * يُفَدُّوننى لو يستطيعون أن يَفْدُوا
ولم يبق إلا الجـلدُ والعظمُ عاريا * ولا عظمَ لى إن دام ما بى ولا جِلْدُ
أدُنياىَ مالى فى ٱنقطاعى وغُربتى (٤) * إليك ثوابٌ منـكِ دَينٌ ولا نَقْـدُ
عِدِينِى ـ بنفسى أنتِ ـ وعدًا فربّما * جلا كُربةَ المكروب عن قلبه الوعدُ
وقـد يُبتـلَى قومٌ ولا كَبليّتى * ولا مثلَ جَدّى (٥) فى الشقاء بكم جَدُّ
غَزَتْنِى جنودُ الحبّ من كلّ جانبٍ * إذا حان من جندٍ قُفُولٌ (٦) أتى جُندُ

وقال أبو نصر أحمد بن حاتم : كان أبو عمرو المدنىّ (٧) يقول قال نَوْفَل بن مُسَاحِق : أُخبِرتُ عن المجنون أن سببَ توحّشه أنه كان يوما بِضَرِيّةَ جالسا وحده إذ ناداه منادٍ من الجبل :

كِلانَا يا أُخَىّ يُحِبُّ لَيْـلَى * بِفِىَّ وفِيـكَ من لَيْلَى الترابُ

(١) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت : * لقد عارضتنا ريح ليلى بنفحة *
(٢) أناة : انتظار . (٣) العولة كالعول : رفع الصوت بالبكاء . (٤) كذا فى ت وتزيين الأسواق . وفى سائر النسخ : « ورغبتى » . (٥) الجدّ بالفتح : الحظ والنصيب .
(٦) القفول : رجوع الجند بعد الغزو . (٧) كذا فى أغلب الأصول . وفى ت : « قال ابن عمرو المرّى » .

لقـــد خَبَلتْ فـؤادكَ ثم ثَنَّتْ * بقلبي فهــو مهمــومٌ مُصــابُ
شَرِكْتُكَ فى هَوَى مَن ليس تُبـدِى * لنا الأيامُ منـه سِـوَى ٱجتنـابِ (١)

خبر نوفل ابن مساحق مع المجنون

قال : فتنفس الصُّعَداءَ وغُشِيَ عليه، وكان هذا سببَ توحّشه فلم يُرَ له أثرٌ حتى وجده نوفـلُ بن مُسَاحِقٍ . قال نوفل : قدِمتُ الباديةَ فسألتُ عنـه ، فقيل لى : توحّش وما لنا به عهـدٌ ولا ندرى إلى أين صار، فخرجتُ يوما أتصيَّدُ الأَرْوِى (٢)، ومعى جماعةٌ من أصحابى، حتى إذا كنتُ بناحية الحِمَى إذا نحن بأَرَاكةٍ (٣) عظيمة قد بدا منها قَطِيعٌ من الظباء، فيها شخصُ إنسانٍ يُرَى من خَلَل تلك الأراكةِ، فعجِبَ أصحابى من ذلك ، فعرفتهُ وأتيته وعرفتُ أنه المجنونُ الذى أُخبِرتُ عنه، فنزلتُ عن دابتى وتخفّفتُ من ثيابى (٤) وخرجتُ أمشى رُوَيدًا حتى أتيت الأراكةَ فٱرتقيت حتى صرت على أعلاها وأشرفتُ عليه وعلى الظباء، فإذا به وقد تدلّى الشعَرُ على وجهه، فلم أكد أعرفُه إلا بتأمّل (٥) شديد، وهو يرتَعِى فى ثمر تلك الأراكةِ، فرفع رأسَه فتمثّلتُ ببيت من شعره :

أتَبكِى على ليـلى ونفسُك باعَدتْ (٦) * مَزَارَكَ من ليـلى وشِعْبَاكُما معَا

قال : فنفَرَتِ الظباءُ ، وٱندفع فى باقى القصـيدة يُنشِدُها ، فمـا أنسى حُسْنَ نَغْمَته وحسنَ صوته وهو يقول :

---

(١) كذا فى جميع النسخ . وفيه إقواء وهو اختلاف حركة الروىّ بالرفع أو الجر . وقد تقدّم البيتان الأوّلان فى ص ٧ من هذا الجزء وثالثهما هكذا :

شركتك فى هوى من كان حظى * وحظَّك من مودّتها العـــذاب

(٢) الأروى : الوعول وهى تيوس الجبل واحده أروية . (٣) الأراكة : واحدة الأراك وهو شجر كثير الورق والأغصان ينبت بالغور تتخذ منه المساويك . انظر اللسان مادة أرك . (٤) أى نزعت شيئا منها . (٥) فى ت : « إلا بعد تأمل شديد » . (٦) كذا فى جميع الأصول . وفى ترجمة الصمة القشيرى فى ج ٥ ص ١٢٣ أغانى طبع بولاق : « حننت الى ريا » .

فما حَسَنٌ أن تأتىَ الأمرَ طائعا * وتَجْزَعَ أن داعى الصبابةِ أسمعَا
بكتْ عَينِيَ اليسرى فلما زجرتُها * عن الجهل بعد الحلم أسبلَتا معَا
وأذكُرُ أيامَ الحِمَى ثم أَنثَنِى * على كَبِدى من خَشيةٍ ان تَصدَّعا
فليسَتْ عَشيَّاتُ الحِمَى برواجِعٍ * عليكَ[1] ولكن خَلِّ عينيكَ تَدمعَا[2]
معى كُلُّ غِرٍّ قد عصَى عاذلاتِه * بوصل الغَوانِى من لَدُنْ أن تَرَعرَعَا
إذا راحَ يمشِى فى الرداءين أسرَعتْ * إليه العيونُ الناظراتُ التطلُّعَا

قال : ثم سقط مغشيًّا عليه ، فتمثَّلتُ بقوله :

يا دارَ ليلى بسِقْطِ[3] الحىّ قد دَرَسَتْ * إلا الثُّمَامَ[4] وإلا مَوْقِدَ النَّارِ
ما تفتأ الدهرَ من ليلى تموت كذا * فى موقف وقفتَه أو على دارِ
أبْلَى عظامَكَ بعد اللحمِ ذِكْرُكَها * كما يُنَحِّتُ[5] قِدْحَ[6] الشَّوْحَطِ البارِى

فرفع رأسه إلىّ وقال : مَنْ أنت حيّاك اللهُ ؟ فقلت : أنا نوفلُ بنُ مُساحقٍ ، فحيّانى فقلت له : ما أحدثتَ بعدى فى يأسكَ منها؟ فأنشدَنى يقول :

(١) كذا فى أغلب النسخ وديوان الحماسة . وفى ت وتزيين الأسواق : « اليك » .
(٢) هذا البيت والأبيات الأربعة قبله أوردها المؤلف على هذا الترتيب فى ترجمة الصمة القشيرى على أنها للصمة ثم قال : وهذه الأبيات تُروى لقيس بن ذريح ويُروى بعضها للمجنون ، والصحيح فى البيتين الأوّلين أنهما لقيس بن ذريح وروايتهما أثبت وقد تواترت الروايات بأنهما له من عدّة طرق ، والأخر مشكوك فيها أهى للمجنون أم للصمة . وأورد أبو علىّ القالى هذه الأبيات الخمسة فى جملة أبيات نسبها الى الصمة القشيرى . أنظر ج ١ ص ١٩٠ أمالى القالى طبع دار الكتب المصرية .
(٣) السقط مثلث السين : حيث انقطع معظم الرمل ورقّ .
(٤) الثمام : نبت فى البادية ، كان العرب يسدّون به خصاص البيوت ، وهو من النبات الذى لا يطول ، ولهذا كانوا يقولون للشىء الذى لا يعسر تناوله : « هو على طرف الثمام » .
(٥) كذا فى جميع الأصول ، ولم نجد فى كتب اللغة التى بأيدينا « نحّت » هكذا مضعفا من هذه المادة ، ولعلها يجّب ، يقال : نجّب الشجرةَ والعود اذا قشر ما عليهما من اللحاء .
(٦) القدح : السهم . والشوحط : ضرب من النبع تتخذ منه القسىّ ، وهو من أشجار الجبال .

ألا حُجِبَتْ ليلى وآلى أميرُها * علىّ يمينا جاهدًا لا أزورُها
وأوعدنى فيها رجالٌ أبوهُمُ * أبى وأبوها خُشِّنَتْ لى صُدورُها
على غير جُرمٍ غيرَ أنى أُحبُّها * وأنّ فؤادى رهنُها وأسيرُها

قال : ثم سَنَحَتْ له ظِباء فقام يعدو فى أثرها حتى لحقها فمضى معها .

حدّثنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى على بن الصَّبّاح عن ٱبن الكلبىّ قال : لما قال مجنون بنى عامر :

قضاها لغيرِى وٱبتلانى بحبّها * فهلّا بشىءٍ غيرِ ليلى ٱبتلانيا

نُودِى فى الليل : أنت المتسخِّط لقضاء الله والمعترض فى أحكامه ! وٱختُلِس عقلُه فتوحّش منذ تلكَ الليلةِ وذهب مع الوحش على وجهه . وهذه القصيدة التى قال فيها هذا البيتَ من أشهر أشعاره ، والصوت المذكور بذكره أخبارُ المجنون ها هنا منها ، وفيها أيضا عدّة أبيات يُغنَّى فيها ، فمن ذلك :

صـــوت

قصيدته اليائية

أعُدُّ الليالى ليلةً بعد ليلةٍ * وقد عِشتُ دهرًا لا أعُدُّ اللياليَا
أرانى إذا صَلّيتُ يمّمتُ نحوَها * بوجْهى وإن كان المصلَّى ورائيَا
وما بِىَ إشراكٌ ولكنّ حبّها * كعُودِ(1) الشجَا أعيا الطبيبَ المُداوِيَا
أُحبُّ من الأسماء ما وافقَ ٱسمَها * وأشبَهه أو كان منه مُدانيَا

فى هذه الأبيات هَزَجٌ خفيفٌ لمعان(2) معزفى :

---

(1) فى ت : «كثل» . (2) كذا فى ب ، س ، حـ وفى باقى النسخ هكذا : «لسان» بدون عين بعد اللام ، ولم نهتد الى تصحيح هذه الكلمة والتى بعدها .

صــــوت

وخبّرتمانى أنّ تيماءَ منزلٌ * لليلى إذا ما الصيفُ ألقَى المراسيا
فهذى شهورُ الصّيف عنّى قد انقضَتْ (١) * فما للنّوى ترمِى بليلَى المراميا

فى هذين البيتين لحنٌ من الرمل صنعتْه عجوزُ عُمير الباذَغِيسى (٢) على لحن إسحاق :

* أماوىَّ إنّ المالَ غادٍ ورائحٌ *

وله حديث قد ذُكِرَ فى أخبار إسحاق . وهذا اللحن إلى الآن يغنّى ، لأنه أشهرُ فى أيدى الناس ، وإنما هو لحن إسحاق أُخِذَ فجُعِلَ على هذه الأبياتِ وكِيدَ بذلكَ :

صــــوت

فلو كان واشٍ باليمامة بيتُه * ودارِى بأعلَى حَضْرَمَوْتَ اهتدى لِيَا (٣)
وماذا لهم ـ لا أحسنَ اللهُ حالَهُم (٤) ـ * من الحظّ فى تصْرِيم ليلى حِباليَا
فأنتِ التى إن شئتِ أشقَيتِ عِيشتى * وإن شئتِ بعدَ اللهِ أنعمتِ باليَا (٥)
وأنتِ التى ما من صديقٍ ولا عِدًا * يَرى نِضْوَ (٦) ما أبقيتِ إلا رَثَى لِيَا

---

(١) فى ت وتزيين الأسواق والديوان : «عنّا» . (٢) نسبة الى « باذَغِيس » بالغين المعجمة وهى ناحية تشتمل على قرى من أعمال هراة ومرو الروذ . انظر معجم ياقوت .

(٣) كذا فى جميع الأصول . والنحويون يروونه كما جاء فى ديوانه هكذا :

ولو أنّ واشٍ باليمامة داره * ودارى بأعلى حضرموتَ اهتدى ليا

ويستشهدون به على أنّ من العرب من يسكّن الياء من الاسم المنقوص فى حالة النصب . انظر شرح الأشمونى فى باب المعرب والمبنى . (٤) كذا فى الديوان وتزيين الأسواق . وفى جميع النسخ : «حفظهم» . (٥) كذا فى ت والديوان وتزيين الأسواق ، وفى باقى النسخ : « الذى » وهو تحريف . (٦) أصل النضو : المهزول من الدواب ويطلق على المبلى من الثياب وقد يستعمل فى الإنسان . ويريد الشاعر هنا جسمه الذى أضناه الحبّ وأبلاه .

أَمَضروبةٌ ليــلى على أن أزورَها * ومُتَّخَذٌ ذنبًا لهـا أنْ تَرانيـا
إذا سِرْتُ فى الأرض الفضاءِ رأيتُنى * أُصانِـعُ رَحْـلى[1] أن يَميــلَ حِيَاليَـا
يمينًـا إذا كانت يمينًـا وإن تكن * شِمالًا يُنازِعْنِى الهـوى عن شِماليَـا
أُحِبُّ من الأسمـاء ما وافق آسمَها * وأشبَهَـهُ أو كان منـه مُدانيـا
هى السحرُ إلا أنّ للسحر رُقْيَةً * وإنّى لا أُلْفِى لهـا الدهرَ راقيـا

وأنشد أبو نصر للجنون وفيه غناء :

صــــوت

تكاد يدى تَنْــدَى إذا ما لمستُها * ويَنبُتُ فى أطرافها الوَرَقُ الخُضْرُ
أبى القلبُ إلا حُبَّهـا[2] عامريّةً * لها كُنيةٌ عمرٌو وليس لهـا عمرُو

الغناء لعَرِيبَ ثقيلٌ أوّلُ، وذكر الهشامىّ أن فيه لإسحاق خفيفَ ثقيلٍ .

رثاؤه لأبيه

أخبرنى محمد بن مَزيدَ بن أبى الأزهر قال حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيـه عن الهَيْثم بنِ عَدِىّ قال : أنشدنى جماعةٌ من بنى عُقَيلٍ للجنون يرثى أباه، ومات قبل اختلاطه وتوحّشه، فعقر على قبره ورثاه بهذه الأبيات :

عقَرتُ على قـبر الملوّح ناقتى * بذِى السَّرْحِ لمّـا أن جَفتْه[3] أقاربُهْ
وقلتُ لهـا كونى عقــيرًا فإنّنى * غداةَ غدٍ ماشٍ وبالأمس راكبُهْ

(١) كذا فى الديوان وتزيين الأسواق . وفى جميع النسخ «أصانع رجلى أن تميل حواليا» . وانظر فيا تقدّم ص ٥٤ حاشية رقم ٣ من هذا الجزء .

(٢) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت « حُبَّه » . (٣) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت : « جفاه » وكلاهما صحيح .

فلا يُبعِدنْكَ اللهُ يابنَ مزاحِمٍ * وكلُّ امرئٍ للْموتِ(١) لا بدّ شاربُهْ
فقد كنتَ طَلّاعَ النِّجادِ(٢) ومُعطِيَ الْـ * ـجياد وسيفًا لا تُفَلُّ مَضارِبُهْ

وعظه رجل من بنى جعدة فقال شعرا

أخبرنى حبيب بن نصر المهلّبى قال حدّثنا عبدالله بن شبيب عن الحِزامىّ عن محمد بن مَعْنٍ قال : بلغنى أنّ رجلا من بنى جعدةَ بن كعب كان أخًا وخِلًّا للمجنون، مرّ به يوما وهو جالسٌ يخطّ فى الأرض ويعبَثُ بالحصى، فسلّم عليه وجلس عنده، فأقبل يخاطبه ويَعِظُه ويُسَلّيه، وهو ينظر إليه ويلعب(٣) بيده كما كان وهو مُفكّر قد غمره ما هو فيه، فلما طال خطابه إياه قال : يا أخى، أمّا لكلامى جوابٌ ؟ فقال له : والله يا أخى ما علمتُ أنك تكلّمنى فاعذِرْنى ، فإنى كما ترى مذهوبُ العقلِ(٤) مُشْتَرَكُ اللُّبّ وبكى، ثم أنشأ يقول :

صوت

وشُغِلتُ عن فَهم الحديث سوى * ما كان منكِ فإنه شُغْلى
وأُديمُ لَحْظَ مُحَدِّثى ليرَى * أنْ قد فهمتُ وعندكم عقلى

شعره فى حمام يتجاوب

الغناء لِعَلُّويَهْ . وقال الهيثم : مرّ المجنون بوادٍ فى أيام الربيع وحَمامُه يتجاوبُ فأنشأ يقول :

---

(١) كذا فى ت . وفى سائر النسخ : «فالموت» .
(٢) يقال : فلان طلّاع الثنايا وطلّاع أنجد اذا كان يعلو الأمور فيقهرها بمعرفته وتجاربه وجودة رأيه . والنجاد والأنجد : جمع نجد وهو الطريق فى الجبل، وكذلك الثنية . (٣) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت : «ويعبث» . (٤) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت ، حـ : «مذهوب بى» .

صـــوت

ألا يا حَمَامَ الأيكِ ما لكَ باكيًا * أفارقتَ إلفًا أم جفاكَ حبيبُ
دعاكَ الهوى والشوقُ لما ترنّمتْ * هَتُوفُ(١) الضحى بين الغصون طَروبُ
تُجاوِبُ وُرْقًا قد أذِنَّ(٢) لصوتها * فكلٌّ لكلٍّ مُسْعِدٌ(٣) ومُجيبُ

الغناء لرذاذ(٤) ثقيلٌ أوّلُ مطلق فى مجرى الوسطى .

خروج زوج ليلى وأبيها الى مكة واختلاف المجنون اليها

وقال خالد بنُ حمل(٥) : حدّثنى رجالٌ من بنى عامر أنّ زوجَ ليلى وأباها خرجا فى أمرٍ طَرَقَ الحىَّ إلى مكة، فأرسلتْ ليلى بأمةٍ لها إلى المجنون فدعتْه فأقام عندها ليلةً فأخرجتْه فى السَّحَر، وقالت له : سِر(٦) إلىّ فى كلّ ليلة ما دام القومُ سَفْرًا(٧)، فكان يختلِفُ إليها حتى قدِموا . وقال فيها فى آخر ليلة لَقِيها وودّعتْه :

تمتّعْ بليلى إنما أنتَ هامةٌ(٨) * من الهام يدنو كلَّ يوم حِمَامُها
تمتّعْ إلى أن يرجعَ الركبُ إنهم * متى يرجعوا يَحْرُمْ عليكَ كلامُها

---

(١) هتفت الحمامة هتفا : ناحت، فهى هتوف . (٢) أى استمعن لصوتها وأصغين اليه . (٣) من أسعدت المرأةُ المرأة اذا ساعدتها بالنياحة فى مصيبتها . وكانت النساء فى الجاهلية اذا أصيبت إحداهنّ بمصيبة فيمن يعز عليها بكت حولا وأسعدها على ذلك جاراتها وذوات قرابتها، فاذا أصيبت صواحباتها بعد ذلك بمصيبة أسعدتهنّ . وفى الحديث : «لا إسعاد ولا عَقْرَ فى الاسلام» .
(٤) كذا وقع هنا هذا الاسم فى حـ بالذال المعجمة وهو الموافق لما اتفقت عليه النسخ فيما تقدّم بالجزء الأوّل ص ٩٦ و ١٠٠ وفى سائر النسخ لرداد بالدال المهملة . (٥) كذا فى أغلب النسخ بالحاء المهملة . وفى حـ : «جمل» بالجيم المعجمة وفى ت : «جميل» . (٦) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت : «صر» بالصاد المهملة . (٧) السفر : جمع سافر وهو مَنْ خرج الى السفر .
(٨) الهامة : أعلى الرأس واسم طائر، وكان العرب يزعمون أنّ عظام الموتى وقيل أرواحهم تصير هامة فتطير، ونشأ من هذا الزعم قولهم : «هذا هامة اليوم أو غد» أى يموت اليوم أو غدا .

مرض ولم تعده ليلى فقال شعرا

وقال الهيثم : مَرِضَ المجنونُ قبل أن يختلط فعاده قومُه ونساؤهم ولم تَعُدْه ليلى فيمن عاده، فقال :

صـــوت

ألا ما لليلَى لا تُرَى عنـد مَضْجَعِى * بليـــلٍ ولا يَجْـــرِى بها لِىَ طائرُ
بلى إنّ عُجْمَ الطير تجرى إذا جَرَتْ * بليــلَى ولكن ليس للطـــير زاجرُ
أحالَتْ عن العهد الذى كان بيننا * بذى الرِّمْثِ(١) أم قـــد غيّبتْها المقابرُ

الغناء لِسُليم ثانى ثقيل بالوسطى عن الهشامىّ .

فوالله ما فى القرب لى منك راحةٌ * ولا البُعـــدُ يُسْلِينِى ولا أنا صابرُ
ووالله ما أدرِى بأيّةِ حِيــلةٍ * وأىّ مَرَامٍ أو خِطـارٍ أُخاطـرُ
ووالله إنّ الدهـــرَ فى ذاتِ بيننا * علىّ لهـا فى كلّ أمرٍ لجـائرُ
فلو كنتِ إذ أزْمَعْتِ(٢) هَجْرِى تركتِنى * جميعَ(٣) القُوى والعقلُ منّى وافـــرُ
ولكنّ أيامى بحَفْـــلِ(٤) عُنَـيزةٍ * وذِى الرِّمْثِ أيامٌ جنـاها التجاوُرُ
فقـد أصبح الودُّ الذى كان بيننا * أمانىَّ نفس إن تَخَـــبَّرَ خابرُ
لعَمْرِى لقـد أرْهَقْتِ يا أمّ مالكٍ * حيـاتى وساقَتْنِى إليـــك المقادرُ

خبر الظبى الذى ذكره ليلى

أخبرنى عمّى قال حدّثنى محمد بن عبـد الله الأصبهانىّ المعروف بالحَزَنْبَل عن عمرو بن أبى عمرو الشيبانىّ عن أبيه قال : حدّثنى بعضُ بنى عُقَيل قال : قيل للمجنون

---

(١) الرمث : شجر يشبه الغضا لا يطول وينبسط ورقه . وذو الرمث : واد لبنى أسد . انظر ياقوت .

(٢) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت ، حـ : « إذ أجمعت » وهو بمعنى « أزمعتِ » .

(٣) أى مجتمع القوى .

(٤) كذا فى ب ، ت بالفاء . والحفل : الاجتماع يقال : حفل الماء أى اجتمع ، وحفل الوادى اذا جاء بملء جنبيه . والمراد هنا موضع الحفل . وعنيزة : بقعة ينتهى اليها ماء أودية ، وهى لبنى عامر . وفى حـ ، ى : «حقل» بالقاف ، والحقل : المزرعة . وفى أ ، م : « بجفل » بالجيم والفاء ولم يظهر له معنى مناسب .

أىّ شىء رأيتَــه أحبُّ إليكَ؟ قال : ليلى، قيل : دَعْ ليلى فقد عرفنا ما لها عندكَ (١) ولكن ســواها ، قال : والله ما أعجبنى شىء قطّ فذُكِرَتْ ليلى إلا ســقط من عينى وأذهب ذكرُها بشاشتَه عندى، غيرَ أنى رأيتُ ظبيا مرّةً فتأملتُه وذكرتُ ليلى بجعل يزداد فى عينى حُسنًا، ثم إنه عارضه ذئبٌ وهرب منه فتبعتُه حتى خَفِيا عنّى فوجدتُ الذئبَ قد صرعه وأكل بعضَه ،فرميتُه بسهم فما أخطأتُ مقتلَه ،وبقَرتُ بطنَه فأخرجتُ ما أكل منه، ثم جمعتُه إلى بقية شِلْوِه (٢) ودفنتُه وأحرقتُ الذئبَ، وقلتُ فى ذلك :

أبى اللهُ أن تبقَ لحىّ بشاشــةٌ * فصبرًا على ما شاءه اللهُ لى صــبراَ
رأيتُ غزالا يرتَعِى وَسْطَ روضةٍ * فقلتُ أَرَى ليلى تراءتْ لنـا ظُهْرا
فيا ظبىُ كُلْ رَغْدا هنيئا ولا تخف * فإنكَ لى جارٌ ولا تَرْهَبِ الدهرَا
وعندى لكم حِصنٌ حصينٌ وصارمٌ * حُسَامٌ إذا أعملتهُ أحسنَ الهَــبْرَا (٣)
فـا راعنى إلا وذئبٌ قــد آنتحَى (٤) * فأعلقَ فى أحشائه النابَ والظُّفْرَا
ففوّقتُ (٥) سهمى فى كَتُوم (٦) غَمَزْتُهـا * فخالط سهمى مُهجَةَ الذئبِ والنَّحْرَا (٧)
فأذهب غيظى قتلُه وشــفى جَوًى * بقلبِىَ إن الحرَّ قــد يُدرِكُ الوَتْرا

---

(١) فى ت : « حالها » . (٢) الشلو : الجســد من كلّ شىء ويطلق على العضو من أعضاء اللحم . (٣) الهبر : القطع . ومنه قول علىّ عليه السلام : « أنظروا شزرا وآضربوا هَبْرًا » . وفى حديث الشُراة : «فهبرناهم بالسيوف» . (٤) انتحى : اعترض . (٥) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت وتزيين الاسواق : «فبوّأتُ» أى سدّدت يقال : بوّأ الرمح نحوه اذا قابله به وسدّده . (٦) كذا فى ت ، حـ . والكتوم من القسىّ : التى لا ترنّ اذا أنبضت . وكانت قوس رسول الله صلى الله عليه وسلم تسمى الكتومَ لانخفاض صوتهـا اذا رمى عنها . وفى سائر النسخ : « كاوم » . (٧) كذا فى أغلب النســخ . وفى ت « والسَّحْرا » والسّحر : الرئة والكبد وسواد القلب ونواحيه وقيل : القلب .

بلغه أن زوج ليلى سبه فقال فيه شعرا

قال أبو نصر: بلغَ المجنونَ قبل توحّشه أنّ زوجَ ليلى ذكره وعضهه(١) وسبّه وقال: أوَ بلَغَ من قدر قيس بن الملوّح أن يدّعي محبّةَ ليلى ويُنَوِّه باسمها! فقال ليَغيظَه بذلك:

فإن كان فيكم بعلُ ليلى فإنّني * وذي العرش قد قبّلتُ فاها ثمانيا

وأشهَدُ عند الله أنّي رأيتُها * وعشرون منها أصبعا مِنْ ورائيا

أليس من البلوى التي لاشَوَى(٢) لها * بأن زُوِّجتْ كلبا وما بُذلتْ ليا

خبر رفقة أبوا أن يعدلوا معه الى جهة رهط ليلى

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا عبد الله بن عمرو بن أبي سعد قال حدّثنا عليّ بن الصباح عن ابن الكلبيّ قال: خرج المجنونُ في عِدّةٍ من قومه يريدون سَفَرا لهم، فمرّوا في طريق يتشعّب وِجْهَتين: إحداهما ينزلها رهطُ ليلى وفيها زيادةُ مرحلةٍ، فسألهم أن يَعدِلوا معه إلى تلك الوِجهة فأبَوْا، فمضى وحده وقال:

صوت

أأترُكُ ليلى ليس بيني وبينها * سوى ليلةٍ إنّي إذًا لَصَبُورُ

هَبُوني امرأً منكم أضلّ بعيرَه * له ذِمّةٌ إنّ الذّمام كبيرُ

وللصّاحبُ المتروكُ أعظمُ حرمةً * على صاحبٍ مِنْ أن يَضلّ بعيرُ

عفا اللهُ عن ليلَى الغداةَ فإنها * إذا وَلِيَتْ حُكمًا عليّ تجُورُ

---

(١) عضهه يعضهه عضها: قال فيه ما لم يكن. (٢) لا شوى لها أي لا بقيا لها. والمراد وصف البلوى بمنتهى الشدّة يقال: القتل الخطّة التي لا شوى لها أي لا بُقْيا لها، ومنه قول الهذليّ:

فإنّ من القول التي لا شوى لها * إذا زلّ عن ظهر اللسان انفلاتها

يريد بالقول الكلمة التي لا إبقاء لها أي القاتلة.

الغناء لابن سريج خفيفُ رملٍ بالوسطى عن [عمرو وفيه للغريض ثانى ثقيل بالوسطى عن] حَبَش[١]، وفيه لابن المَارِقىّ خفيفُ ثقيلٍ عن الهشامىّ، وفيه لعَلُّوِيَةَ رَمَلٌ بالبِنْصر .

هتفت حمامة فقال شعرا

وذكر عمرو بن أبى عمرو الشَّيْبانىّ عن أبيه : أن المجنونَ كان ذاتَ ليلة جالسا مع أصحاب له من بنى عمّه وهو وَلِهٌ يتلظَّى ويتململ وهم يَعِظونه ويُحادِثونه، حتى هتفتْ حمامةٌ من سَرْحةٍ[٢] كانت بإزائهم، فوثب قائما وقال :

صــــوت

لقد غَرّدتْ[٣] فى جنح ليل حمامةٌ * على إلفها تبكى وإنى لنائمُ
كَذبتُ وبيتِ الله لو كنتُ عاشقًا * لَمَا سَبَقَتْنى بالبكاء الحمائمُ[٤]

ثم بكى حتى سقطَ على وجهه مَغْشيًّا عليه، فما أفاق حتى حَمِيَت الشمسُ عليه من غدٍ[٥] . الغناء فى هذين البيتين لعبد الله بن دَحْمانَ ثقيلٌ أوّلُ مطلق فى مجرى الوسطى

(١) زيادة فى ت . (٢) السرحة : واحدة السرح، وهو كل شجر لا شوك فيه وقيل كل شجر طال . (٣) فى الديوان : «هتفت» . (٤) كذا ورد هذا البيت متصلا بالبيت الذى قبله فى جميع النسخ وجاء بهامش ت بيتان كتب فى آخرهما «صح» وأشير الى أن محلهما بعد البيت الأوّل أعنى قوله : لقد غرّدت فى جنح ليل الخ . والبيتان هما :

فقلت اعتذارا عند ذاك وإننى * لنفسى فيما قد رأيت للائم
أأزعم أنى عاشق ذو صبابة * بليلى ولا أبكى وتبكى البهائم

والأبيات الأربعة وردت فى الديوان على نحو ما جاء فى ت إلا قوله «رأيت» فى البيت الأوّل فقد جاء بدله فى الديوان «أتيت» . والاقتصار على البيتين المثبتين فى الأصل موافق لما ذكره المؤلف بعد فيهما من الغناء . (٥) كذا فى ت . وفى باقى النسخ : «فى غد» .

مرور رجل به وهو برمل يبرين

وذكر أبو نصر عن أصحابه أن رجلا مرّ بالمجنون وهو برملِ يَبْرِينَ(١) يُخَطِّط فيه، فوقف عليه متعجبا منه وكان لا يعرفه، فقال له : ما بك يا أخى ؟ فرفع رأسه إليه وأنشأ يقول :

بِيَ اليأسُ والداءُ الهُيَامُ(٢) أصابنى * فإيّاكَ عنّى لا يكُنْ بكَ ما بِيَا
كأنّ جفونَ العينِ تَهْمِى(٣) دموعُها * غداةَ رأتْ أظعانَ(٤) ليلى غواديَا
غُروبٌ(٥) أمَرَّتْها نواضِحُ بُزَّلٌ * على عَجَلٍ تُجْم يُرَوِّينَ صاديَا

مرّ به نفر من اليمن فقال شعرا

وقال خالد بن جمل(٦) : ذكر حمّادٌ الراويةُ أن نفرا من أهل اليمن مرّوا بالمجنون، فوقفوا ينظرون إليه فأنشأ يقول :

ألا أيها الركبُ اليمانُونَ عرِّجوا * علينا فقد أمسى هوانا يمانيَا
نُسائلكم هل سالَ نَعْمانُ بعدنا * وحَبَّ إلينا بطنُ نَعْمانَ وادِيَا

(١) يبرين — ويقال : أبرين بالألف — قرية كثيرة النخل والعيون العذبة وفيها رمل كثير، بينها وبين الأحساء مرحلتان . انظر ياقوت فى يبرين وأبرين . وجاء فى معجم ما استعجم للبكرى : «وحدّ اليمن مما يلى المشرق رمل بنى سعد الذى يقال له رمل يبرين ، وهو منقاد من اليمامة حتى يشرع فى البحر» .
(٢) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت والديوان وتزيين الأسواق «أو داء الهيام» والهيام : شبه الجنون من العشق، يقال : هام الرجل هياما فهو هائم اذا ذهب على وجهه عشقا .
(٣) كذا فى أغلب النسخ . وفى ب ، س : «تمشى» وهو تحريف .
(٤) الأظعان : جمع ظعينة وهى الجمل يظعن عليه .
(٥) الغروب : جمع غرب وهو الدلو الكبير الذى يستقى به على السانية . وأمرّتها : جعلتها تمرّ وتذهب . والنواضح : جمع ناضح ، وهو ما يستقى عليه الماء من نحو البعير والثور وغيرهما من النضح وهو سقى الزرع وغيره بالسانية . والبزل : جمع بازل وهو البعير الذى استكمل السنة الثامنة وطعن فى التاسعة وفطر نابه .
(٦) كذا فى أغلب النسخ بالجيم . وفى ت ، حـ : «حمل» بالحاء المهملة ، وهو الموافق لأغلب النسخ فيما تقدّم فى ص ٧٢ من هذا الجزء .

يقول فى هذه القصيدة :

صـــوت

ألا ياحمامَىْ قصرِ وَدّانَ[١] هِجْتُما * علىّ الهوَى لمّا تغنّيتُما لِيَا
فأبكيتُمانى وسْطَ صَحْبِى ولم أكن * أُبالِى دموعَ العينِ لو كنتُ خاليَا

غنّى فى هذين البيتين عَلُّويَه غناء لم يُنسبْ .

فوالله إنّى لا أُحبُّ ، لغير أن * تَحُلّ بِهَا[٢] ليلى، البِراقَ الأعَاليَا
ألا ياخليلى حُبُّ ليلَى مُجَشّمى * حياضَ المنايا أو مُقِيدِى[٣] الأعاديا
ويا أيها القُمْرِيّتان تجاوَبا * بلَحْنيكما ثم اسجَعَا عَلّلاَنِيَا
فإن أنتما استَطْربتما[٤] وأردتُما * لحَاقًا بأطرافِ[٥] الغَضَى فاتْبعانيَا

بلغه أن زوج ليلى سيرحل بها فقال شعرا

قال أبو نصر : وذكر خالد بن كلثوم أنّ زوجَ ليلى لمّا أراد الرحيلَ بها إلى بلده بلغ المجنونَ أنه غادٍ بها فقال :

صـــوت

أمُزْمِعةٌ للبين ليلَى ولم تمُتْ * كأنكَ عمّا قد أظلّك غافلُ
ستَعلم إن شطّتْ بهم غُرْبةُ[٦] النّوَى * وزالوا بليلَى أنّ لُبّك زائلُ

(١) سبق الكلام على « ودّان » بصفحة ٣٢٤ بالجزء الأوّل . (٢) كذا فى ت وفى باقى النسخ «به» والبراق : جمع بُرقة وهى أرض غليظة مختلطة بحجارة ورمل . (٣) أى يجعل قيادى فى يد الأعداء، يقال : أقاده خيلا أعطاه إياها يقودها . (٤) استطربتما : طلبتما الطرب . (٥) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت والديوان وتزيين الأسواق : « بأطلال » .
(٦) غربة النوى : بعدها .

الغناء للزُّبَير بن دَحْمانَ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطَى :

قال أبو نصر قال خالد : وحدّثنى جماعةٌ من بنى قُشَير أنّ المجنونَ سقِم سَقاما(١) شديدا قبلَ آختلاطه حتّى أشفَى على الهلاك ، فدخل إليــه أبوه يعلّله(٢) فوجده يُنشِدُ هــذه الأبياتَ ويبكِى أحرَّ بكاء ويَنشِجُ(٣) أحرَّ نشيج :

ألا أيّها القلبُ الذى لجَّ هائمًـا * بليــلَى وليــدًا لم تُقطَّع تمــائمُه
أَفِقْ قد أفاقَ العاشقون وقد أَنَى(٤) * لــالكَ(٥) أن تلقَى طبيبــا تلائمُه
فمــالَكَ مسلوبَ العَزاء كأنّمــا * تَرى نأىَ ليلَى مَغْرَما أنتَ غارِمُه
أَجِدَّكَ(٦) لا تُنسِيكَ ليــلَى مُلِمّــةٌ * تُلِمُّ ولا يُنسيك عهــدا تَقادُمُه

خبر نظره الى أظعان ليلى وقد رحل بها زوجها

قال : ووقف مستترا ينظر الى أظعان ليلى وقد رحَل بها زوجُها وقومُها، فلما رآهم يرتحلون بكى وجَزِع ، فقال له أبوه : ويحكَ ! إنمــا جئنا بك مُتخفّيا ليتروّحَ بعضُ مابك بالنظر إليهم، فاذا فعلتَ ما أرَى عُرِفْتَ، وقد أهدرَ السلطانُ دمَكَ إن مررتَ بهم ، فأمسِكْ أو فآنصرِف؛ فقــال : مالى ســبيلٌ إلى النَّظر إليهم يرتحلون وأنا ساكنٌ غيرُ جازِع ولا باكٍ فآنصرِفْ بنا، فآنصرفَ وهو يقول :

صـــوت

ذُدِ الدّمعَ حتى يظعَنَ الحىّ إنّمــا * دموعُكَ إن فاضت عليكَ دليلُ
كأنّ دموعَ العينِ يومَ تحمّلوا(٧) * جُمانٌ على جَيبِ(٨) القميص يسيلُ

(١) فى ت «سقا» وكلاهما صحيح . (٢) يعلله : يحدّثه ويسليه . (٣) ينشج : من نشج الباكى نشجا أى غص بالبكاء فى حلقه من غير انتحاب . (٤) كذا فى أغلب الأصول، ووردت فى أوّل هذا الجزء فى ت «أبى» انظر ص ٦ حاشية ٤ (٥) كذا فى ب ، س . وفى ت «لمـابك» وفى بقيــة الأصول «لمـالك» ووردت فى أوّل هذا الجزء : «لك اليوم» انظر ص ٦ (٦) كذا فى أغلب النسخ وفى ب : «وجدتك» . (٧) تحملوا : ارتحلوا . (٨) جيب القميص : ما يفتح على النحر .

أخبرنى محمد بن خلف بن المَرْزُبان قال أنشدنى إسحاق بن محمد عن بعض أصحابه عن ابن الأعرابىّ للمجنون :

صــــوت

ألا ليتَ ليلَى أطفأتْ حَرَّ زَفْرةٍ * أُعالجها لا أستطيع لها رَدَّا
إذا الرِّيحُ من نحوِ الحِمَى نَسَمَتْ لنا * وجدتُ لَمَسْراها ومَنْسَمِها(١) بَرْدَا
على كَبِدٍ قد كاد يُبدِى بها الهوَى * نُدُوبا(٢) وبعضُ القوم يحسَبُنى(٣) جَلْدَا

هذا البيت الثالثُ خاصّةً يُروى لابن هَرْمةَ فى بعض قصائده، وهو من المائة المختارة التى رواها إسحاقُ، أوّلُه :

* أفاطمَ إنّ النّأىَ يُسلى من الهوَى(٤) *

وقد أُخرِج فى موضع آخر. غنّى فى هذين البيتين عبدُ آل(٥) الهذلىّ، ولحنُه المختارُ على ماذكره جحظةُ ثانى ثقيل، وهما(٦) فى هذه القصيدة :

وإنّى يَمَانىُّ الهوى مُنجِدُ النّوَى * سبيلان ألقى من خلافهما جَهْدَا
سقَى اللهُ نجدًا من رَبيعٍ(٧) وصَيِّفٍ(٨) * وماذا يُرَجَّى من ربيعٍ سقَى نَجْدَا

---

(١) كذا فى ت، حـ وتزيين الأسواق، وفى بقية الأصول «ومبسمها» وهو تصحيف.
(٢) كذا فى ت، حـ وتزيين الأسواق، وفى بقية الأصول «كان».
(٣) الندوب: جمع ندب، والندب: جمع ندبة وهى أثر الجرح. وقيل: الندب واحد كالندبة والجمع أنداب وندوب.
(٤) كذا فى أغلب النسخ. وفى ت «يسلى ذوى الهوى».
(٥) كذا فى ت وهو الموافق لما سيأتى فى ذكر الهذلى وأخباره فى ج ٤ طبع بولاق وهو عبد آل بن مسعود. وفى بقية الأصول «عبدان» بالنون وهو تحريف.
(٦) كذا فى أغلب النسخ. وفى ت: «وتمام هذه القصيدة».
(٧) الربيع: المطر فى الربيع.
(٨) الصيف: المطر يجىء فى الصيف أو بعد الربيع.

بلى إنّه قد كانَ للعيش قُرّةٌ * وللصَّحب والرُّكبان منزلةً حَمْدَا(١)

أبَى القلبُ أن ينفكَّ من ذِكر نسوةٍ * رِقاقٍ ولم يُخلَقن شُؤْمًا(٢) ولا نُكْدَا

إذا رُحنَ يَسحَبنَ الذُّيولَ عَشيّةً * ويقتُلْنَ بالألحاظ أنفُسَنا عَمْدَا

مَشَى عَيطَلاتٌ(٣) رُجَّحٌ بخصورها * رَوادفُ(٤) وَعْثاتٌ(٥) تردُّ الخُطا رَدَّا

وتَهتزّ ليلَى العامريّةُ فوقَها * ولاثتْ(٦) بسِبٍّ(٧) القَزِّ ذا غُدُرٍ(٨) جَعْدَا

إذا حرّكَ المِدرَى(٩) ضَفائرَها العُلا * مَجَجْنَ نَدَى الريحانِ والعنبرَ الوَرْدَا

وأخبارُ الهُذَليّينِ(١٠) تُذكر في غير هذا الموضع إن شاء اللهُ لئلا تنقطعَ أخبارُ المجنون، ولهما في المائة الصوت المختارة أغانٍ تذكر أخبارُها معًا إن شاء الله .

خبر ظبية صادها رجلان فسألهما أن يطلقاها

أخبرني أحمد بن جعفر جحظةُ قال حدّثني ميمونُ بن هارونَ قال ذكر الهيثمُ ابن عديّ، وأخبرني محمد بن خلَف [بن المرزبان(١١)] عن أحمدَ بن الهيثم عن العُمريّ عن الهيثم بن عديّ قال : مرّ المجنونُ برجلين قد صادا ظَبيةً فربطاها بحبل وذهبا بها، فلما نظر إليها وهي تَركُضُ في حِبالها دمَعتْ عيناه، وقال لهما : حُلّاها وخُذَا مكانَها

---

(١) حمدا أي محمودة يقال : رجل حمد ومنزل حمد أي محمود وهو من قبيل الوصف بالمصدر فيوصف به المذكر والمؤنث . (٢) في ت وتزيين الأسواق : «شوها» : جمع شوهاء . (٣) العيطلات : جمع عيطلة وهي الطويلة العنق في حسن، وتوصف به المرأة والناقة، والمراد بها هنا النياق . (٤) الروادف : الأعجاز . قال ابن سيدة : ولا أدري أهو جمع ردف على غير قياس أو هو جمع رادفة . (٥) الوعثات : الليِّنات . (٦) لاثت : لفت وعصبت، يقال : لاث العمامة على رأسه لوثا اذا لفها وعصبها . (٧) السبّ : الخمار . (٨) الغدر : جمع غديرة وهي الذؤابة . (٩) المدرى : المشط وقيل : حديدة على شكل سنّ من أسنان المشط وأطول منه يسرّح بها الشعر المتلبد . (١٠) هما سعيد وعبد آل ابنا مسعود، وقد ذكرا بالجزء الرابع من الأغاني طبع بولاق ص ١٥٢ (١١) زيادة في ت .

شاةً من غنمى — وقال ميمونٌ فى خبره : وخُذَا مكانها قَلُوصًا من إبلى — فأعطاهما وحَلَّاها فولَّتْ تعدو هاربةً . وقال المجنونُ للرجلين حين رآها فى حبالها :

ياصاحِبَيَّ اللَّذَيْنِ اليومَ قـد أخذا * فى الحبـل شِـبْهًا لليـلى ثم غَلَّاها
إنى أرى اليـومَ فى أعطاف شاتِكُما * مَشَابِهًا أشبهَتْ ليـلَى فَحُـلَّاهَا

قال : وقال فيها وقد نظر إليها [وهى](1) تعدو أشدَّ عدوٍ هاربةً مذعورةً :

صـــوت

أيا شِبهَ ليـلَى لا تُرَاعِى فإنّنى * لكِ اليومَ من وَحْشيَّةٍ لَصَديقُ
ويا شِبهَ ليلَى لو تَلَبَّثتِ ساعةً * لعلَّ فؤادى مِنْ جَوَاه يُفِيقُ
تَفِـرُّ وقد أطلقتُها من وَثَاقِها * فأنتِ لليـلَى لو علِمْتِ طَلِيقُ

خبره مع نسوة عذلنه فى حب ليلى

وذكر أبو نصر عن جماعة من الرواة وذكر أبو مسلم ومحمد بنُ الحسن الأحولُ أن ابنَ الأعرابىّ أخبرهما أنّ نسوةً جلسن إلى المجنون فقلن له : ما الذى دعاك إلى أن أحللتَ بنفسك ماترى(2) فى هَوَى ليلى، وإنما هى امرأة من النساء، هل لكَ فى أن تصرِفَ هواكَ عنها إلى إحدانا فنُسَاعِفَكَ ونَجزِيَكَ بهواكَ ويَرجِعَ إليك ما عَزَبَ من عقلك وجسمك؟ فقال لهنّ : لو قَدَرتُ على صرف الهوى عنها إليكنّ لصرفتُه عنها وعن كلّ أحد بعدها وعِشتُ فى الناس سويًّا مستريحا؛ فقلن له : ما أعجبك منها(3)؟ فقـال : كلّ شىء رأيتُه وشاهدتُه وسمعتُه منها أعجبنى، والله ما رأيتُ شيئا منها قطّ إلا كان فى عينى حَسَنًا وبقلبى عَلِقًا، ولقد جَهَدتُ أنْ يَقبُحَ منها عنـدى شىءٌ أو يَسمُجَ أو يُعابَ لأسلُوَعنها فلم أجده؛ فقلن له : فَصِفْها لنا، فأنشأ يقول :

(1) زيادة فى ت .   (2) كذا فى أغلب النسخ . وفى م ، أ : «ترى» بالنون .
(3) كذا فى أغلب النسخ . وفى ب ، س : «فيها» .

بيضاءُ خالصةُ البياض كأنها * قمرٌ توسّط جُنحَ ليلٍ مُبرَدِ
مَوْسُومةٌ بالحسن ذاتُ حواسدٍ * إنّ الجمالَ مَظِنةٌ للحسّدِ
وتَرى مدامعُها تَرقرقَ مُقْلَةٍ * سوداءَ ترغبُ عن سواد الإثمد
خَوْدٌ(١) إذا كثُرَ الكلامُ تعوّذَتْ * بِحمَى الحياء وإن تَكلّمْ تقصِدِ(٢)

قال : ثم قال ابنُ الأعرابىّ : هذا والله من حَسَنِ الكلام ومُنَقّح(٣) الشِّعر .

وأنشد أبو نصر للمجنون أيضا ، وفيه غناء ، قال :

كأنّ فؤادى فى مخالبِ طائرٍ * إذا ذُكِرتْ ليلى يَشُدُّ(٤) بها قَبْضَا
كأنّ فِجَاجَ الأرض حَلْقةُ خاتَمٍ * علىّ ، فما تزدادُ طولًا ولا عَرضَا

أخبرنى الحسن بن على قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَهْ قال حدّثنا أبو مسلم عن القَحْذَمىّ قال : قال رجل من عشيرة المجنون له : إنى أُريد الإلمامَ بحىّ ليلى فهل تُودِعُنى إليها شيئا؟ فقال : نعم! قِفْ بحيثُ تسمعُكَ ثم قُلْ : أودع رجلا شعرا ينشده على مسمع من ليلى

صــــوت

اللهُ يعلمُ أنّ النفسَ هالكةٌ(٥) * باليأس منكِ ولكنّى أُعنِّيها(٦)
مَنّيتُكِ النفسَ حتى قد أضرّ بها * واستيقَنَتْ خُلُفًا ممّا أُمنّيها
وساعةٌ منكِ أَلْهُوهَا وإن قَصُرَتْ * أشهَى إلىّ من الدنيا وما فيها

(١) الخود : الفتاة الحسنة الخلق الشابة ما لم تصر نَصَفًا . (٢) يقال : قصد فى الأمر قصدا : توسط وطلب السداد ولم يجاوز الحدّ . (٣) فى ت : « ومليح الشعر » .
(٤) كذا فى جميع النسخ . وفى تزيين الأسواق : « يشدّ به » . وفى الديوان : « اذا ذكرتها النفس شدّت به قبضا » . (٥) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت وتزيين الأسواق : « قد هلكت » . (٦) أعنيها : أكلفها ما يشقّ عليها .

قال : فمضى الرجل ، ولم يزل يرقُبُ خَلوةً حتى وجدها ، فوقف عليها ثم قال لها : يا ليلى لقد أحسنَ الذى يقول :

اللهُ يعلم أنّ النفسَ هالكةٌ * باليأس منكِ ولكنّى أُعَنّيها

وأنشدَ الأبيات ؛ فبكت بكاء طويلا ثم قالت : أبلِغْهُ السلامَ وقل له :

نفسِى فداؤكَ، لو نفسى ملكتُ إذًا * ما كان غيرُكَ يَجْـزِيها ويُرضِيها

صبرًا على ما قضاه الله فيكَ على * مرارةٍ فى آصطبارى عنكَ أُخفِيها

قال : فأبلغه الفتى البيتين وأخبره بحالها ؛ فبكى حتى سقط على وجهه مغشيًّا عليه ، ثم أفاق وهو يقول :

عَجِبتُ لعُروةَ العُـذْرِىّ أضحى * أحاديثًا لقومٍ بعـد قـومِ

وعروةُ مات موتا مُسْـتَريحًا * وها أنا ميّتٌ فى كلّ يومِ

أخبرنا محمد بن يحيى الصُّولىّ قال أنشدنا أحمد بن يحيى ثعلبٌ عن أبى نصر للمجنون :

صـــوت

أيا زينـةَ الدنيـا التى لا ينـالُها * مُناىَ ولا يبـدو لقلبى صَريمُها

بعينى قَـذاةٌ من هـواكِ لَوَ آنّها * تُداوَى بمن تَهوَى[(1)] لصحّ سقيمُها

وما صبرَتْ عن ذكركِ النفسُ ساعةً * وإن كنتُ أحيانا كثيرًا ألومُها

سأل أبو المجنون رجلا أن يبلغه أن ليلى تشتمه

أخبرنى الحسن بن على قال حدّثنا عبدُ الله بنُ أبى سعد قال حدّثنا علىّ آبن الصَّبّاح عن آبن الكلبىّ قال : سأل الملوّحُ أبو المجنون رجلا قَـدِمَ من الطائف

(١) كذا فى ت . وفى سائر النسخ « أهوى » .

أن يمرّ بالمجنون فيجلسَ إليه فيخبرَه أنه لقِيَ ليلى وجلس إليها، ووصفَ[1] له صفاتٍ منها ومن كلامها يعرفها المجنونُ، وقال له: حَدِّثه بها، فإذا رأيتَه قد آشرأبّ[2] لحديثك واشتهاه فعرِّفه أنك ذكرتَه لها ووصفتَ ما به فشتَمَتْه وسبّته، وقالت: إنه يكذب عليها ويُشهِّرها بفعله، وإنها ما آجتمعت معه قطّ كما يصفُ؛ ففعل الرجلُ ذلك، وجاء إليه فأخبره بلقائه إياها؛ فأقبل عليه وجعل يسائله عنها[3]، فيخبره بما أمره به الملوَّحُ، فيزداد نشاطا ويثوبُ إليه عقلُه، إلى أن أخبره بسبّها إياه وشتمِها له؛ فقال وهو غير مُكترثٍ لما حكاه عنها:

صوت

تمرّ الصَّبا صَفْحًا بساكن ذى الغَضَى * ويَصدَعُ قلبي أن يَهُبّ هُبُوبُها

إذا هبّتِ الريحُ الشَّمالُ فإنما * جوايَ بما تُهدِى إليّ جَنُوبُها

قريبةُ عهدٍ بالحبيب وإنما * هَوَى كلِّ نفسٍ حيثُ كان حبيبُها

وحسبُ الليالى أن طَرَحْنَكَ مَطْرَحًا * بدار قِلًى تُمسِى وأنتَ غريبُها

حلالٌ لِلَيلَى شتمُنا وآنتقاصُنا[4] * هنيئًا ومغفورٌ لليلى ذُنُوبُها

ذكر أبو أيوب المدينيّ[5] أن الغناء فى هذا الشعر لابن سريج ولم يذكر طريقته. وفيه لمتيَّم غِناءٌ يُنسبُ. وذكر الهيثمُ بن عديّ أن المجنونَ قال — وفيه غناء —:

---

(١) كذا فى ت. وفى باقى النسخ «ويصف له». (٢) اشرأب: رفع رأسه لينظر.
(٣) زيادة فى ت. (٤) كذا فى أغلب النسخ. وفى ب، س، ح: «شتمها وانتقاصها». (٥) فى أغلب النسخ: «المدنى». وفى ت: «المدائنى»، وما أثبتناه هو الذى جاء فى أغلب النسخ فى مواضع تقدّمت (انظر الحاشية رقم ٢ ص ٨ من هذا الجزء).

صـــوت

كأن لم تكن ليـلى تُزارُ بذى الأَثْلِ (١) * وبالجِزْعِ من أجزاع وَدّانَ (٢) فالنخلِ (٣)
صديقٌ (٤) لنـا فيما نَرَى غـير أنها * تَرى أن حيّ قد أحلّ لها قتـلِى

وصف رجل المجنون لليلى فبكت وقالت شعرا

أخبرنى عمّى قال حدّثنا الكُرانى قال حدّثنا العُمَرِى عن الهيثم بن عَدِى عن عثمانَ ابن عمارة بن حريم (٥) عن أشياخ من بنى مُرّة قالوا : خرج منا رجلٌ إلى ناحية الشأم والحجاز وما يلى تيْماءَ والسَّراةَ (٦) وأرضَ نَجْد، فى طلب بُغية له ، فإذا هو بخيمة قد رُفعتْ له وقد أصابه المطرُ فعدَل إليها وتنحنحَ ، فإذا آمرأةٌ قد كلّمته فقالتْ : انزل، فنزل . [قال] (٧)

---

(١) الأثل : واحدته أثلة وهى شجرة مستقيمة تعمل منها القصاع والأقداح ، و يقال لها : سمرة . ولم نجد فى أسماء المواضع إلا «ذات الأثل» وهو موضع فى بلاد تيم الله بن ثعلبة ، وقد تجىء فى الشعر باسم ذى الأثل كما قال الشاعر :

فإن ترجع الأيام بينى و بينكم * بذى الأثل صيف مثل صيفى ومربعى

انظر ياقوت فى مادة الأثل . ومن المحتمل أن يريد الشاعر بذى الأثل موضعا به شجر الأثل . (٢) كذا فى أغلب النسخ . والجزع : منقطع الوادى . وفى ت : « وبالسدر من أجزاع » والسدر : النبق واحدته سدرة ، والمراد موضع به هذا الشجر . (٣) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت : « فالنحل » بالحاء . قال ياقوت فى الكلام على ودّان : وقرأت بخط كراع الهنائى على ظهر كتاب المنضد من تصنيفه : قال بعضهم : خرجت حاجا فلما جزت بودّان أنشدت :

أيا صاحب الخيمات من بعد أرثد * الى النخل من ودّان ما فعلتْ نُعُم

فقال رجل من أهلها : انظر هل ترى نخلا؟ فقلت : لا ؛ فقال : هذا خطأ إنما هو النحل ، ونحل الوادى : جانبه . ولم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا أن من معانى النحل جانب الوادى . (٤) الصديق يوصف به المذكر والمؤنث ، قال كثير :

ليالىَ من عيش لهـونا بوجهه * زمانا وسُعْدَى لى صديقٌ مواصـلُ

(٥) كذا فى ت ، ى « ابن حريم » بالحاء والراء المهملتين ، وهو الموافق لما جاء فى تاريخ ابن جرير الطبرى ص ٢٨١ قسم ٣ طبع أوربا وفى ب ، س ، حـ ، م « عن حزيم » بالحاء المهملة والزاى المعجمة . (٦) السراة : الجبال والأرض الحاجزة بين تهامة ونجد . (٧) زيادة فى ت .

وراحتْ إبلُهم وغنمُهم فإذا أمرٌ عظيم، فقالت : سَلُوا هذا الرجلَ من أين أقبل ؛ فقلت : من ناحية تِهامةَ ونجدٍ؛ فقالت : ادخل أيها الرجلُ، فدخلتُ إلى ناحية من الخيمة، فأرخَتْ بيني و بينها سِترًا ثم قالت لى : يا عبدَالله، أيَّ بلادِ نجدٍ وطِئتَ ؟ فقلت : كلَّها؛ قالت : فبِمنْ نزلتَ هناكَ ؟ قلت : ببنى عامر؛ فتنفَّستِ الصُّعداءَ ثم قالت : فبأىِّ بنى عامر نزلتَ ؟ فقلتُ : ببنى الحَرِيش؛ فآستعبرَتْ ثم قالت : فهل سمعتَ بذكر فتًى منهم يقال له : قيس بن الملوّح و يلقّب بالمجنون؟ قلتُ : بلى والله ! وعلى أبيــه نزلتُ ، وأتيتُه فنظرتُ إليــه يهيمُ فى تلك الفيافى ، و يكون مع الوحش لا يعقل [ولا يفهم][1] إلا أن تُذكَرَ له آمرأةٌ يقال لهــا ليــلى ، فيبكى و يُنشِدُ أشعارا قالهــا فيها . قال : فرفَعَتِ السترَ بينى و بينها، فاذا فِلْقةُ قمرٍ لم تَرَ عينى مثلَها، فبكتْ حتى ظننتُ ـــ والله ـــ أنّ قلبها قد آنصدعَ، فقلتُ : أيّتها المرأةُ، اتّقِى اللهَ فما قلتُ بأسا، فمكثتْ طو يلا على تلك الحالِ من البكاء والنحيب ثم قالتْ :

ألا ليتَ شِعرِى والخُطوبُ كثيرةٌ * متى رَحْلُ قيسٍ مُسْــتقِلٌّ فراجعُ
بنفسىَ مَنْ لا يســتقلّ برَحْلِه * ومَنْ هو إن لم يَحفَظِ اللهُ ضائعُ

ثم بكتْ حتى سقطَتْ مغشيًّا عليها، فقلتُ لها : مَنْ أنتِ يا أمةَ اللهِ؟ وما قِصَّتُكِ؟ قالت : أنا ليلى [صاحبته][1] المشئومةُ [واللهِ][1] عليه غيرُ المؤنسةِ[2] له ؛ فما رأيتُ مثلَ حزنها ووجدِها عليه [قطّ][1] .

خبر شيخ من بنى مرة لقى المجنون وشهده ميتا فى واد

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ وحبيبُ بن نصر المهلبىّ قالا : حدّثنا عمرُ بن شبّة قال ذكر الهيثم بن عدىّ عن عثمانَ بن عمارة، وأخبرنى عثمانُ[3] عن الكُرانىّ عن العُمَرىّ عن لَقِيط، وحدّثنا إبراهيمُ بن أيوبَ عن عبد الله بن مسلم قال ذكر الهيثمُ

(١) زيادة فى ت . (٢) فى ت : «المواسية» . (٣) فى ت : «عمّى عن الكرانىّ» .

ابنُ عدىّ عن عثمانَ بنِ عمارةَ، وذكر أبو نصر أحمدُ بن حاتم صاحبُ الأصمعىّ وأبو مسلم المُسْتَمْلِى عن ابن الأعرابىّ — يزيد بعضهم على بعض —

أنّ عثمانَ بنَ عمارة المرّى أخبرهم أنّ شيخا منهم من بنى مرّة حدّثه أنه خرج الى أرض بنى عامر ليلقَى المجنونَ، قال : فدُلِلْتُ على مَحَلّته فأتيتُها، فإذا أبوه شيخ كبيرٌ وإخوةٌ له رجال، وإذا نَعَمٌ[1] كثيرٌ وخيرٌ ظاهرٌ، فسألتُهم عنه فاستعبَروا جميعا، وقال الشيخُ : والله لهو كان آثرَ فى نفسى من هؤلاء وأحبّهم الىّ! وإنه هَوِىَ امرأةً من قومه، والله ما كانت تَطمعُ فى مثله، فلمّا أن فشا أمرُه وأمرُها كره أبوها أن يُزوّجَها منه بعد ظهور الخبر فزوّجها من غيره، فذهب عقلُ ابنى ولَحِقَه خَبَلٌ وهام فى الفَيَافِى وَجْدًا عليها، فحبسناه وقيّدناه،[2] فجعل يَعَضُّ لسانَه وشفتَيْه حتى خِفْنا [عليه][3] أن يقطعَها[4] فخلّينا سبيلَه، فهو يهيم فى [هذه][3] الفيافى مع الوحوش يُذْهَبُ إليه كلّ يوم بطعامه فيوضَعُ له حيث يراه، فإذا تنحَّوا عنه جاء فأكلَ منه . قال : فسألتُهم أن يَدُلّونى عليه، فدَلّونى على فتًى من الحىّ كان صديقًا له وقالوا : إنه لا يأنسُ إلا به ولا يأخذ أشعارَه عنه غيرُه، فأتيتُه فسألتُه أن يَدُلّنى عليه، فقال : إن كنتَ تريد شِعرَه فكلُّ شِعْرٍ قاله إلى أمسِ عندى، وأنا ذاهبٌ إليه غدًا فإن كان قال شيئا أتيتُكَ به، فقلتُ : بل [أريد أن][3] تَدُلّنى عليه لآتيَه، فقال لى : إنه إن نَفَر منك نفر منّى فيذهبُ شعرُه، فأبَيْتُ إلا أن يَدُلّنى عليه، فقال : اطلبه فى هذه الصحارى [فإذا رأيتَه][3] فادنُ [منه][3] مستأنِسا ولا تُرِه أنك تَهابُه، فإنه يتهدّدك ويتوعّدك

---

(١) كذا فى ب، س، حـ . وفى باقى النسخ : «نَعَم كثيرة» بالتاء وكلاهما صحيح لأن النعم يذكر ويؤنث . (٢) فى ت : «فكان» . (٣) زيادة فى ت . (٤) كذا فى أغلب الأصول . وفى ت «يقطعهما» .

أن يَرمِيَكَ بشىء ، فلا يُروعنَّكَ وٱجلِسْ صارفًا بصرَكَ عنه وٱلحظه أحيانا ، فإذا رأيتَه قد سكن من نِفَاره فأَنْشِدْه شعرا غَزَلًا ، وإن كنتَ تَروِى من شعر قيس بن ذَرِيح شيئا فأَنشِدْه إياه فانه مُعجَبٌ به؛ فخرجتُ فطلبتُه يومى إلى العصر فوجدتُه جالسا على رَمْل قد خطّ فيه بأصبعه خطوطا، فدنوتُ منه غيرَ منقبِض، فنفر منّى نفورَ الوحش من الإنس، وإلى جانبه أحجارٌ فتناول حجرا فأعرضتُ عنه ، فمكث ساعةً كأنه نافرٌ يريد القيامَ، فلمّا طال جلوسى سكَن وأقبلَ يخطّ بأصبعه ، فأقبلتُ عليه وقلت : أحسنَ والله قيسُ بن ذَرِيح حيث يقول :

ألا يا غرابَ البينِ ويحكَ نبِّنى * بعلمك فى لُبنَى وأنتَ(١) خبيرُ
فإن أنتَ لم تُخبِر بشىءٍ علمتَه * فلا طِرْتَ(٢) إلا والجناحُ كسيرُ
ودُرْتَ بأعداءٍ حبيبُكَ فيهمُ * كما قد تَرانى بالحبيب أَدورُ

فأقبل علىّ وهو يبكى فقال : أحسنَ والله، وأنا أحسنُ منه قولًا حيث أقولُ :

كأنّ القلبَ ليلةَ قِيلَ يُغدَى * بليلى العامريّةِ أو يُراحُ
قطاةٌ عزّها شَرَكٌ فباتت * تُجاذِبه وقد عَلِقَ الجناحُ

فأمسكْتُ عنه هُنيهةً ، ثم أقبلتُ عليه فقلتُ : ولَأحسنَ واللهِ قيس بن ذَرِيح حيث يقول :

وإنى لَمُفْنٍ دمعَ عَيْنَيَّ بٱلبكا * حِذَارًا لِمَا قد كان أو هو كائنُ
وقالوا غدًا أو بعد ذاكَ بليلةٍ * فِراقُ حبيبٍ لم يَبِن وهو بائنُ
وما كنتُ أخشى أن تكونَ مَنِيّتِى * بكفّيكِ إلا أن مَنْ(٣) حَانَ حَائِنُ

(١) كذا فى ت ، ب . وفى سائر النسخ : «فأنت» بالفاء وقد اتفقت جميع النسخ فى الروايات الآتية للبيت على الواو . (٢) كذا فى أغلب النسخ . وفى سه : «فلا عشت» .

(٣) كذا وقع هذا الشطر فى جميع النسخ ، وقد ورد فى الديوان هكذا : «بكفى إلا أنّ ماحان حائن» .

قال : فبكى — والله — حتى ظننتُ أنّ نفسَه قد فاضتْ ، وقد رأيتُ دموعَه قد بلّتِ الرملَ الذى بين يديه ، ثم قال : أحسنَ لعَمرُ اللهِ ، وأنا والله أشعرُ منه حيث أقول :

صــــوت

وأدْنيتِنى حتى إذا ما سَـــبَيْتِنى * بقولٍ يُحِلُّ العُصْمَ(١) سَهْلَ الأباطحِ

تناءيْتِ عنّى حينَ لا لِىَ حيــلةٌ * وخلّفتِ ما خلّفتِ بين الجــوانحِ(٢)

— ويروى : «وغادَرْتِ ماغادَرْتِ(٣) ... » — ثم سنحَتْ له ظبيةٌ فوثب يعدُو خلفَها حتى غاب عنّى وانصرفتُ ، وعُدتُ من غدٍ فطلبتُه فلم أجده ، وجاءت امرأةٌ كانت تصنعَ له طعامه إلى الطعام(٤) فوجدَتْه بحاله ، فلما كان فى اليوم الثالث غدوتُ وجاء أهلُه معى فطلبناه يومَنا فلم نَجِـده ، وغَدَوْنا فى اليوم الرابع نَسْـتَقْرِى أثَرَه حتى وجدناه فى وادٍ كثـير الحجارة خَشِنٍ ، وهو ميتٌ بين تلك الحجارةِ ، فاحتملَه أهلُه فغسّلوه وكفنوه ودفنوه .

الحزن على المجنون ندم أبى ليلى على وعدم تزويجه بها

قال الهيثمُ : فحدّثنى جماعةٌ من بنى عامر : أنه لم تبقَ فتاةٌ من بنى جعدةَ ولا بنى الحَرِيشِ إلا خرجتْ حاسرةً صارخةً عليه تندُبه ، واجتمعَ فِتيانُ الحىّ يبكون عليــه أحرَّ بكاء ، ويَنْشِجُون عليه أشدّ نَشِيجٍ ، وحضرهم حىُّ ليلى مُعَزِّين وأبوها معهم فكان أشدَّ القوم جزعا وبكاءً عليه ، وجعل يقول : ما علمنا أن الأمرَ يبلُغ كلَّ هذا ، ولكنّى كنتُ امرأً عربيّــا أخاف مِن العار وقُبْحِ الأُحْدُوثة ما يخافه مثلى ، فزوّجتُها

(١) العصم : جمع أعصم وهو الوعل الذى فى ذراعيه بياض . والوعل : تيس الجبل . يريد أنّ قولها يخلب العصم ويستنزلها من الجبال وهى مساكنها الى الأباطح السهلة . (٢) فى ت « وغادرت غادرت بين الجوانح» وهو الموافق لما فى الديوان وتزيين الأسواق . (٣) كذا فى جميع الأصول وفى ت « ويروى وخلّفت ما خلّفت » . (٤) كذا فى ت . وفى باقى النسخ طعاما .

وخرجتْ عن يدى ، ولو علمتُ أن أمره يجرى على هذا ما أخرجتُها عن يده ولا آحتملتُ ما كان علىّ فى ذلك . قال : فما رُئِىَ يومٌ[١] كان أكثرَ باكيةً وباكيا على ميّتٍ من يومِئذ .

نسبة ما فى هذا الخبر من الأغانى

[منها[٢]] الصوتُ الذى أوّله :

أَلَا يا غرابَ البين ويحكَ نَبِّنِى * بعلمِكَ فى لُبْنَى وأنتَ خبيرُ

الغناء لابن محرز[٣] ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن الهِشامىّ ، وذكر إبراهيمُ أنّ فيه لحنًا لحَكَمٍ . وفى رواية ابن الأعرابىّ أنه أنشده مكانَ :

ألا يا غرابَ البينِ ويحكَ نَبِّنِى * بعلمكَ فى لُبنَى وأنتَ خبيرُ

صوت

ألا يا غرابَ البينِ هل أنتَ مُخْبِرِى * بخيرٍ كما خبَّرْتَ بالنَّـأيِ والشَّرِّ

وخبّرتَ[٤] أن قد جَدّ بَيْنٌ وقرّبوا * جِمالًا لبينٍ[٥] مُثْقَلاتٍ من الغَدْرِ

وهِجتَ قذَى عينٍ بلُبنَى مريضةٍ * إذا ذُكِرَتْ فاضتْ مدامعُها تجرِى

وقلتَ[٦] كذاكَ الدهرُ ما زال فاجعًا * صدقتَ وهل شىءٌ بباقٍ على الدهرِ

(١) فى جميع الأصول التى بين أيدينا « يوما » بالنصب وظاهر مخالفته للقواعد .
(٢) زيادة فى ت .
(٣) فى ت « الحسين بن محرز » وفيها تصريح باسمه . (٤) كذا فى ت . وفى سائر النسخ : « أخبرت ... ... » . (٥) فى ت « للبنى » . (٦) فى ت « فقلت » .

الشعر لقيس بن ذَرِيح، والغناءُ لابن جامع، ثقيلٌ أوّلُ بالسبّابة فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لبَحْرٍ ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى عن عمرو . وفيه لدَحْمانَ ثانِى ثقيلٍ عن الهشامىّ وعبد الله بن موسى .

ومنها الصوت الذى أوّلُه :

كأنّ القلبَ ليلةَ قِيلَ يُغْدَى * بليلى العامريّةِ أو يُرَاحُ

ومنها الصوت الذى أوّلُه :

وأدنيتِنِى حتى إذا ما سبيتِنِى * بقولٍ يُحِلّ العُصْمَ سهلَ الأباطِحِ

الغناء لإبراهيم، خفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن الهشامىّ .

بكاء أبى ليلى على المجنون وشعر وجد بعد موت المجنون فى خرقة

أخبرنا الحسين بن القاسم الكَوْكَبِىّ قال حدّثنا الفَضْل الرَّبَعِىّ عن محمد بن حَبِيبَ قال :

لما مات مجنونُ بنى عامرٍ وُجد فى أرض خَشِنةٍ بين حجارةٍ سُودٍ، فحضر أهلُه وحضر [معهم](١) أبو ليلى ــ المرأةِ التى كان يهواها ــ وهو متذمّم(٢) من أهله، فلما رآه ميتا بكى واَسترجع وعلم أنه قد شَرِكَ فى هلاكه، فبينما هم يقلّبونه إذ وجدوا خِرْقةً فيها مكتوبٌ :

أَلَا أيها الشيخُ الذى ما بنا يرضَى * شَقِيتَ ولاهُنِّيتَ من عَيشك الغَضّا(٣)
شَقِيتَ كما أشقيتَنى وتركتَنى * أهِيمُ مع الهُلّاكِ لا أَطْعَمُ الغَمْضَا(٤)

(١) زيادة فى ت . (٢) أى مستنكف متقبض . (٣) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت وتزيين الأسوق : « الخفضا » . وفى ديوانه : « ولا أدركت من عيشك الخفضا » .
(٤) كذا فى ت وتزيين الأسواق والديوان . وفى أغلب النسخ ذكر بدل هذا البيت البيت الأخير :
« كأن فجاج الأرض حلقة خاتم * علىّ فما تزداد طولا ولا عرضا »
ثم كرر هذا البيت مرة ثانية بعد كلمة صوت .

صـــوت

كأنّ فؤادى فى مخالب طائرٍ * إذا ذُكِرَتْ ليلَى يَشُدّ بها قَبْضَا
كأن فِجاجَ الأرضِ حَلْقةُ خاتمٍ * علىّ فما تزدادُ طُولًا ولا عَرْضَا

فى هذين البيتين رَمَلٌ ينسب إلى سُلَيم وإلى آبن محرز، وذكر حَبَش والهشامىّ أنه لإسحاق .

عوتب على التغنى بالشعر فقال شعرا

أخبرنى محمد بن خَلَف قال حدّثنى أبو سَعِيد السُّكَّرِىّ عن محمد بن حَبِيب قال حدّثنى بعض القُشَيْرِيين(١) عن أبيه قال :

مررتُ بالمجنون وهو مُشرِفٌ على وادٍ فى أيام الربيع، وذاك قبل أن يختلطَ، وهو يتغنّى بشعر لم أفهمه، فصحتُ به : يا قيسُ، أما تشغَلُك ليلى عن الغناء والطرب! فتنفّس تنفُّسا ظننت أنّ حيازيمه(٢) قد آنقدّتْ، ثم قال :

صـــوت

وما أُشرِفُ الأيفاعَ(٣) إلا صَبابةً * ولا أُنشِدُ الأشعارَ إلا تَداويا
وقد يجمعُ اللهُ الشتيتَين بعد ما * يظنّان جَهْدَ(٤) الظنّ أن لا تلاقيا
لَحَى(٥) اللهُ أقوامًا يقولون إنّنى * وجدتُ(٦) طَوالَ الدهرِ للحبّ شافيا

التقاؤه بقيس بن ذريح وطلبه منه إبلاغ سلامه لليلى

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا الزُّبَيرُ بن بَكّار قال حدّثنا إسماعيلُ بن أبى أُوَيْس قال : اجتاز قيسُ بنُ ذَرِيح بالمجنون وهو جالسٌ وحدَه فى نادِى قومِه، وكان

---

(١) فى ت : «القرشيين» . (٢) الحيازيم : ضلوع الفؤاد . وفى ت : «قد انصدعت» .
(٣) الأيفاع : جمع يفع واليَفَع كاليَفَاع : ما أشرف وعلا من الرمل . (٤) كذا فى أغلب النسخ . والجهد : الغاية . وفى ت وتزيين الأسواق والديوان : «كلّ الظنّ» . (٥) يقال لحاه الله : قبحه ولعنه وأبعده . (٦) كذا فى أغلب النسخ . وفى ت وتزيين الأسواق والديوان «إننا وجدنا» .

كلّ واحد منهما مشتاقا إلى لقاء الآخر، وكان المجنونُ قبل توحّشه لا يجلس إلا مُنفردا ولا يُحدِّث أحدا ولا يردّ على متكلّم جوابا ولا على مُسلّم سلاما ، فسلّم عليه قيسُ بن ذَريح فلم يردّ عليه السلامَ؛ فقال له : يا أخى، أنا قيسُ بن ذَريح؛ فوثب إليه فعانقه وقال: مرحبا بك يا أخى، أنا والله مذهوبٌ [بى](١) مُشْتَرَكُ اللّبِ فلا تلُمنى، فتحدّثا ساعة وتشاكيا و بكيا، ثم قال له المجنونُ: يا أخى، إنّ حىَّ ليلَى منا قريبٌ، فهل لك أن تمضىَ إليها فتبلّغها عنى السلامَ؟ فقال له : أفعل . فمضى قيسُ بن ذَريح حتى أتى ليلى فسلّم وانتسب؛ فقالت له : حيّاكَ الله، ألكَ حاجة؟ قال : نعم، ابنُ عمّكِ أرسلنى إليكِ بالسلام؛ فأطرقَتْ ثم قالت : ما كنتَ أهلا للتحيّة لو علمتُ أنك رسولُه ، قل له عنّى : أرأيتَ قولكَ :

أبَتْ ليلةٌ بالغَيلِ(٢) يا أمّ مالكٍ * لكم غيرَ حبٍّ صادقٍ ليس يكذبُ
ألا إنما أبقيتِ يا أمَّ مالكٍ * صَدًى(٣) أينما تذهبْ به الريحُ يذهبِ(٤)

أخبرنى عن ليلة الغَيل، أىُّ ليلة هى ؟ وهل خلوتُ معكَ فى الغَيل أو غيره ليلا أو نهارا؟ فقال لها قيسٌ : يا ٱبنة عمّ ، إن الناس تأوّلوا كلامَه على غير ما أراد ، فلا تكونى مثلَهم، إنما أخبر أنه رآكِ ليلةَ الغَيل فذهبتِ بقلبه، لا أنه عنَاكِ بسوء ؛ قال: فأطرقتْ طويلا ودموعُها تجرى وهى تُكفكفُها، ثم ٱنتحبَتْ حتى قلتُ تقطّعَتْ حَيازِيمُها، ثم قالت: ٱقرأ على ٱبن عمّى السلامَ، وقل له : بنفسى أنتَ! والله إنّ وجدى بكَ لفوقَ ما تجدُ، ولكن لا حيلةَ لى فيكَ؛ فٱنصرفَ قيسٌ إليه ليخبره فلم يجدْه .

---

(١) زيادة فى ت . (٢) الغيل بالفتح ثم السكون : اسم وادلبنى جعدة .
(٣) انظر الكلام على معنى الصدى فيا تقدّم فى ص ١٩ حاشية رقم ٩ من هذا الجزء .
(٤) فى هذين البيتين اقواء لاختلافهما بحركة الروىّ ضما وكسرا وقد ورد هذا البيت الأخير فى جملة أبيات مكسورة الروىّ فى ص ١٩ من هذا الجزء .

رأى ليلى فبكى ثم قال شعرا

أخبرني الحسن بن علي قال حدثني محمد(١) بن القاسم بن مَهْرُويَهْ قال حدّثني عمّي عن ابن الصّباح عن ابن الكلبيّ عن أبيه قال : مرّ المجنونُ بعد اختلاطه بليلى [وهي](٢) تمشي في ظاهر البيوت بعد فقدٍ لها طويلٍ ، فلما رآها بكى حتى سقط على وجهه مغشيا عليه ، فانصرفتْ(٣) خوفا من أهلها أن يلقَوْها عنده ، فمكث كذلك مليًّا ثم أفاق وأنشأ يقول :

بكى فرحًا بليلى إذ رآها * محبٌّ لا يرى حَسَنًا سواها

لقد ظفِرَتْ يداه ونال مُلكًا(٤) * لئن كانتْ تراه كما يراها

الغناء لابن المكيّ رملٌ بالبنصر . وفيه لعَريبَ ثقيلٌ أوّلُ عن الهشاميّ . وفيه خفيفُ رملٍ ليزيد حوراءَ(٥) . وقد نُسِبَ لحنُه إلى ابن المكيّ ولحنُ ابن المكيّ إليه .

صوت

من المائة المختارة من رواية عليّ بن يحيى

رُبَّ ركبٍ قد أناخوا عندنا * يشربون الخمرَ بالماء الزّلالِ

عَصَفَ(٦) الدهرُ بهم فانقرضوا * وكذاكَ الدهرُ حالاً بعد حالِ

الشعر لعديّ بن زيد العِبَاديّ ، والغناء لابن مُحْرِز ، ولحنُه المختارُ خفيفُ [رملٍ(٧) بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه خفيفُ رملٍ] آخر بالبنصر ابتداؤه

(١) كذا في ت ، وهو ما اتفقت عليه النسخ في مواضع تقدّمت في الجزء الأوّل من الأغاني وفي هذا الجزء أيضا . وفي أغلب النسخ « موسى بن مهرويه » .

(٢) زيادة في ت . (٣) كذا في أغلب النسخ . وفي ب ، س ، حـ : «فانصرف» وهو تحريف . (٤) في ت : « وطاب عيشا » . (٥) كذا في أغلب النسخ . وفي ب ، س : « خورا » بالخاء المعجمة وهو تحريف وستأتي ترجمته ، في الجزء الثالث من الأغاني طبع بولاق . (٦) أي ذهب بهم وأهلكهم . (٧) زيادة في ت .

نشيدٌ ذكر عمرو بن بانة أنه لابن طُنبورةَ، وذكر أحمد بن المكىّ أنه لأبيه. وهذه الأبياتُ قالها عدىّ بن زيد العِبَادىّ على سبيل المَوْعظة للنُّعْمان بن المُنْذِر، فيقال: إنها كانت سببَ دخوله فى النصرانية.

عظة عدىّ بن زيد للنعمان بن المنذر وتنصر النعمان

حدّثنى بذلك أحمد بن عِمْرانَ(1) المؤدّب قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُويَهْ قال حدّثنا عبد الله بن عمرو قال حدّثنى علىّ بن الصَّبَّاح عن ٱبن الكَلْبىّ قال: خرج النعمانُ بنُ المنذر إلى الصيد ومعه عدىُّ بن زيد فمرّوا بشجرةٍ، فقال له عدىّ بن زيد: أيُّها الملكُ، أتدرى ما تقولُ هذه الشجرةُ؟ قال: لا، قال تقول:

رُبَّ ركبٍ قد أناخوا عندنا * يشربون الخمرَ بالماء الزُّلالِ
عصَفَ الدهرُ بهم فٱنقرضوا * وكذاكَ الدهرُ حالًا بعد حالِ

قال: ثم جاوز الشجرةَ فمرّ بمقبرةٍ، فقال له عدىّ: أيّها الملكُ، أتدرى ماتقول هذه المقبرةُ؟ قال: لا، قال تقول:

أيها الركبُ المُخِبّـو * نَ على الأرض المُجِدّون
فكما أنتمْ كُنّا * وكما نحن تكونون

فقال له النعمان: إنّ الشجرة والمقبرة لا يتكلّمان(2)، وقد علمتُ أنك إنما أردتَ عِظَتِى، فما السبيلُ التى تُدرِكُ بها النجاةُ؟ قال: تدعُ عبادةَ الأوثان وتعبدُ اللهَ وتدينُ بدين المسيح عيسى بنِ مريمَ، قال: أوَفى(3) هذا النجاةُ؟ قال: نعم، فتنصّر يومئذ. وقد قيل: إنَّ هذه القصةَ كانت لعدىّ مع النعمان الأكبر بن المُنْذِر، وإنّ النعمان الذى قتله هو ٱبن المنذر بن النعمان الأكبر الذى تنصر. وخبرهذا [يأتى](4) مع أحاديث عدىّ.

(1) كذا فى أغلب النسخ. وفى ت: «محمد». (2) كذا فى أغلب النسخ. وفى ت: «لم يتكلما». (3) كذا فى أغلب النسخ. وفى ت: «أفى» بدون واو. (4) زيادة فى ت.

ذكر عدىّ بن زيد ونسبه وقصته ومقتله

نسبه

هو عَدىّ بن زيد بن حَمّاد(۱) بن زيد بن أيُّوب بن مَحْروف(۲) بن عامر بن عُصَيَّة ابن آمرئ القَيْس بن زيد مَنَاةَ بن تَمِيم بن مُرّ بن أُدّ بن طابِخة بن إليـاس بن مُضَر ابن نِزار. وكان أيوبُ هذا فيما زعم آبن الأعرابىّ أوّلَ مَنْ سُمّىَ من العرب أيوبَ، شاعرٌ فصيحٌ(۳) من شعراء الجاهلية، وكان نصرانيا وكذلك كان أبوه وأمه وأهلُه، وليس

عدىّ بن زيد لا يعدّ فى فحول الشعراء

ممن يُعدّ فى الفحول، وهو قروىّ. وكانوا قد أخذوا عليه(٤) أشياء عِيب فيها. وكان الأصمعىّ وأبو عبيدةَ يقولانِ: عدىُّ بنُ زيد فى الشعراء بمنزلة سُهَيلٍ فى النجوم يعارضها ولا يَجرى معها مَجْراها. وكذلك عندهم أُمَيةُ بنُ أبى الصَّلْت، ومثلهما كان عندهم من الإسلاميين الكُمَيتُ والطِّرِمّاحُ. قال العَجّاج: كانا يسألانى عن الغريب فأُخبرهما به، ثم أَراه فى شعرهما وقد وضعاه فى غير مواضعه؛ فقيل له: ولِمَ ذاك؟ قال: لأنهما قَـرَوِيّانِ يَصِفَانِ مالم يَرَيَا فيضعانه فى غير موضعه، وأنا بدوىّ أصِفُ ما رأيتُ فأَضَعُهُ فى مواضعه. وكذلك عندهم عدىٌّ وأُمَيةُ.

سبب نزول آل عدى الحيرة

قال ابنُ الأعرابىّ فيما أخبرنى به علىّ بن سُلَيمان الأخفشُ عن السُّكَّرىّ عن محمد ابن حَبِيبَ عنه وعن هِشَام بن الكَلْبِىّ عن أبيه قال: سببُ(٥) نزول آلِ عَدِىّ بن زيد

(۱) كذا فى أغلب النسخ ومعاهد التنصيص ص ١٤١ طبع بولاق سنة ١٢٧٤ ھ وفى ى «حمار» بالراء واضطربت النسخ فيما يأتى فى هذا الاسم، وسنجرى فى كتابته على ما أثبتناه هنا بالأصل. وجاء هذا الاسم فى كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة مرة هكذا «حماد» بالدال ومرة «حماز» بالزاى. وفى شعراء النصرانية «حمار» بالراء، وكتب فى التعليق عليه ويروى خمار وحماد وحماز. (۲) كذا فى ب، س، حـ. وفى ى، أ، م «مجروف» بالجيم. واضطربت النسخ بعد هذا فترة يجىء بالجيم ومرة يجىء بالحاء المهملة. وفى شعراء النصرانية «مجروف» بالجيم وكتب عليه فى التعليق ويروى «محروف» أى بالحاء المهملة. (۳) كذا فى حـ، ى وفى باقى الأصول «شاعرا فصيحا». (٤) كذا فى حـ، ى، أ. وفى سائر النسخ: «أخذوا عليه فى أشياء». (٥) كذا فى ب، س، حـ. وفى ى، م، أ: «أنه كان سبب».

الحيرةَ أن جدَّه أيوبَ بنَ مَحْرُوف كان منزلُه اليمامةَ فى بنى آمرئ القيس بن زيد مناةَ، فأصاب دما فى قومه فهرَب فلَحِقَ بأَوْس بنِ قَلَّامٍ(١) أحد بنى الحارث بن كعب بآلحيرة. وكان بين أَيُّوبَ بن مَحْرُوف وبين أوس بن قَلَّامٍ هـذا نسبٌ من قِبَلِ النساء، فلما قدِم عليه أَيُّوبُ بنُ محروفٍ أكرمه وأنزله فى داره، فمكث معه ماشاء الله أن يمكُثَ، ثم إن أوسا قال له : يآبنَ خالٍ، أتريدُ المُقامَ عنـدى وفى دارى ؟ فقال له أيُّوبُ : نعمْ، فقد علمتُ أنى إن أتيتُ قومى وقد أصبتُ فيهـم دمًا لم أَسْـلَمْ ، وما لى دارٌ إلا دارُكَ آخرَ الدهر، قال أوس : إنى قد كبِرتُ وأنا خائف أن أموتَ فلا يَعرِفُ ولدى لكَ من الحقِّ مثلَ ما أعرِفُ، وأخشى أن يقعَ بينكَ و بينهم أمرٌ يقطعون فيه الرَّحِمَ، فانظر أحبَّ مكانٍ فى الحِيرة إليكَ فأَعلِمْنى به لِأُقْطِعَكَه أو أبتاعَه لكَ، قال : وكان لأيوبَ صديقٌ فى الجانب الشرقىّ من الحِـيرة ، وكان منزلُ أَوْس فى الجانب الغربىّ، فقـال له : قد أحببتُ أن يكون المنزلُ الذى تُسكِنُنيهِ عند منزل عِصَامِ ابنِ عَبْدَةَ أحدِ بنى الحارث بن كَعْب، فآبتاعَ له موضعَ داره بثلثمائة أُوقيةٍ من ذهبٍ وأنفق عليها مائتى أوقية ذهبا، وأعطاه مائتين من الإبل بِرِعَائها وفرسًا وقَيْنةً، فمكث فى منزل أوس حتى هلَك، ثم تحوّل إلى داره التى فى شرقىّ الحيرة فهلك بها . وقد كان أيوبُ آتصـل قبل مَهْلَكِهِ بالملوك الذين كانوا بالحِيرة وعرفوا حقَّه وحقَّ آبنه زيد ابن أيوب، وثبت أيوب فلم يكن منهم مَلِكٌ يَملِكُ إلا ولِولَدِ أيوبَ منه جوائزُ وحُمْلانٌ(٢).

مقتل زيد بن أيوب

ثم إنّ زيدَ بنَ أيوبَ نكح آمرأة من آل قَلَّام فولدت له حمّادا، فخرج زيدُ بنُ أيوبَ

(١) جرينا فى ضبط هـذا الاسم على نحو ما جاء فى تاريخ ابن جرير الطـبرى ص ٨٥٠ قسم ١ طبع أوروبا ، والقسم الرابع من شـعراء النصرانية ص ٤٣٩ طبع بيروت سنة ١٨٩٠ م .

(٢) الحملان بالضم : ما يحمل عليه من الدواب فى الهبة خاصة .

يومًا من الأيام يريد الصيدَ فى ناس من أهل الحِيرةِ وهم مُنتدُون[١] بِحَفير — المكانِ الذى يذكره عدىّ بن زيد فى شعره — فأنفرد فى الصيد وتباعد من أصحابه، فلقيه رجلٌ من بنى آمرئ القيس الذين كان لهم الثأرُ قِبَلَ أبيه، فقال له — وقد عَرَفَ فيه شَبَهَ أيوبَ — : مِمَّنِ الرجلُ؟ قال: من بنى تَميم، قال: مِنْ أيِّهم؟ قال: مَرَئِىّ[٢]، قال له الأعرابىّ: وأين منزلُك؟ قال: الحيرةُ، قال: أمن بنى أيوبَ أنتَ؟ قال: نعم، ومن أين تعرف بنى أيوبَ؟ وآستوحش من الأعرابىّ وذكر الثأر الذى هرب أبوه منه، فقال له: سمعتُ بهم، ولم يُعلِمْه أنه قد عرفه، فقال له زيدُ بن أيوبَ: فمن أىّ العرب أنتَ؟ قال: أنا آمرؤ من طيئ، فأمنه زيدٌ وسكتَ عنه، ثم إن الأعرابىّ اغتفلَ[٣] زيدَ بنَ أيوب فرماه بسهم فوضعه بين كتفيْه ففَلَقَ قلبَه، فلم يَرِمْ[٤] حافرُ دابته حتى مات؛ فلبِثَ أصحابُ زيد حتى إذا كان الليلُ طلبوه وقد آفتقدوه وظنُّوا أنه قد أمعن فى طلب الصيد، فباتوا يطلبونه حتى يئسوا منه، ثم غَدَوْا فى طلبه فاقتفَوْا أثره حتى وقفوا عليه ورأوْا معه أثرَ راكب يُسايرُه فآتبعوا الاثرَ حتى وجدوه قتيلًا، فعرفوا أنّ صاحبَ الراحلة قتله، فآتبعوه وأغذُّوا السيرَ فأدركوه مساءَ الليلة الثانية، فصاحوا به وكان مِن أرمَى الناس فآمتنع منهم بالنَّبْلِ حتى حال الليلُ بينهم وبينه وقد أصاب رجلا منهم فى مَرْجِعِ كَتِفَيه[٥] بسهم فلما أجنَّه الليلُ ماتَ وأفلتَ الرامى، فرجعوا وقد قَتَلَ زيدَ بن أيوب ورجلًا[٦] آخر معه من بنى الحارث بن كعب. فمكث حماد

تولى حماد بن زيد الكتابة للنعمان الأكبر

(١) إنتدى القوم: اجتمعوا. وحفير: موضع بالحيرة ذكره البكرى فى «معجم ما آستعجم» وأنشد عليه قول عدىّ بن زيد:

قد أرانا وأهلنا بحفير * نحسب الدهر والسنين شهورا

(٢) نسبة الى آمرئ القيس، ويقال فى النسبة إليه: «آمرئىّ» أيضا. (٣) كذا فى أغلب الأصول ولم نجد فى معاجم اللغة التى بأيدينا آغتفل فلانا بمعنى تغفله أو استغفله. وفى م: «اعتقل».

(٤) أى لم يبرح. (٥) مرجع كتفيه: أسفلهما. (٦) كذا فى أغلب النسخ. وفى أ، م: «وقد قُتِلَ زيدُ بن أيوب ورجل آخر».

فى أخواله حتى أيفع ولحِق بالوُصَفَاء(١)؛ فخرج يومًا من الأيام يلعب مع غلمان بنى لحيان، فلطم اللِّحيانىُّ عينَ حماد فشجّه حمّادٌ، فخرج أبو اللحيانىّ فضرب حمادا، فأتى حمادٌ أُمَّه يبكى، فقالت له: ماشأنك؟ فقال: ضربنى فلان لأن ٱبنَه لطمنى فشجَجْتُه، فجزِعتْ من ذلك وحوّلته إلى دار زيد بن أيوبَ وعلّمته الكتّابةَ فى دار أبيه، فكان حمادٌ أوّلَ من كتَب من بنى أيُّوبَ، فخرج مِنْ أكْتَبِ الناس وطُلِبَ حتى صار كاتبَ الملكِ النُّعْمان(٢) الأكبر، فلبِث كاتبا له حتى وُلد له ٱبنٌ من ٱمرأة تزوّجها من طيئ فسماه زيدا بٱسم أبيه، وكان لحمّاد صديقٌ من الدَّهَاقين(٣) العُظَماء يقال له فرّوخ ماهَان، وكان مُحسنا إلى حماد، فلما حضرَتْ حمادًا الوفاةُ أوصى بٱبنه زيد إلى الدِّهقان، وكان من المَرَازِبة(٤)، فأخذه الدِّهقانُ إليه فكان عنده مع ولده، وكان زيدٌ قد حذَق الكتّابةَ والعربيةَ قبل أن يأخذه الدِّهقانُ، فعلّمه لمّا أخذه الفارسيّةَ فلقِنَها(٥)، وكان لبيبا فأشار الدِّهْقانُ على كِسْرى أن يجعلَه على البَرِيد فى حوائجه، ولم يكن كسرى يفعل ذلك إلا بأولاد المَرَازِبة، فمكث يتولّى ذلك لكِسْرى زمانًا؛ ثم إنّ النُّعمانَ النَّصْرىَّ اللَّخْمىَّ هلك، فٱختلف أهلُ الحِيرة فيمن يُمَلِّكونه إلى أن يعقِدَ كِسْرى الأمرَ لرجل يَنْصِبُه، فأشار عليهم المَرْزُبانُ بزيد بن حمّاد، فكان على الحِيرة إلى أن مَلَّكَ كِسْرى المُنْذِرَ بنَ ماءِ السماء

سبب اتصال زيد ابن حماد بكسرى

تمليك زيد بن حماد على الحيرة

---

(١) يقال: أيفع الغلام فهو يافع اذا شارف الاحتلام. والوصفاء: جمع وصيف وهو الغلام دون المراهق. ويقال: وصف الغلام اذا بلغ الخدمة فهو وصيف.

(٢) كذا فى أ، حـ. وفى باقى النسخ: «مَلِك» بدون أل. (٣) الدهاقين: جمع دهقان وهو التاجر فارسىّ معرّب. (٤) المرزبان بضم الزاى: أحد مرازبة الفرس وهو الفارس الشجاع المقدّم على القوم دون الملك وهو فارسىّ معرّب. (٥) كذا فى أغلب الأصول، ولقنها: فهمها. وفى ب، سـ: «فلقفها» بالفاء، يقال: لقف الشىء يلقفه لقفا أى تناوله بسرعة ويستعمل فى سرعة الأخذ لما يرمى باليد أو باللسان ومنه رجل ثقف لقف أى سريع الفهم لما يرمى اليه من كلام باللسان، وسريع الأخذ لما يرمى اليه باليد، وقد يفرد لقف فيكون معناه ما تقدّم.

ونكح زيدُ بن حمّاد نعمةَ بنتَ ثعلبةَ العَدَوِيّةَ فولدت له عَدِيًّا، وملك المنذرُ وكان لا يَعصِيه فى شىء، ووُلِدَ للمَرْزُبان ابنٌ فسمّاه «شاهَانْ مَرْد». فلما تحرّك عدىٌّ بن زيد وأيفعَ طرَحه أبوه فى الكُتّاب(١)، حتى إذا حَذَقَ أرسله المَرْزُبانُ مع ابنه «شاهَانْ مَرْد» إلى كُتّاب الفارسية، فكان يختلِف مع ابنه ويتعلّمُ الكتابةَ والكلامَ بالفارسيّة حتى خرج من أفهم الناس بها وأفصحهم بالعربية وقال الشعرَ، وتعلّم الرمىَ بالنُّشّاب فخرج من الأساورة(٢) الرُّماةِ، وتعلّم لعِبَ العجم على الخيل بالصَّوَالجة(٣) وغيرها. ثم إنّ المَرْزُبانَ وفَد

تعلم عدىّ بن زيد الكتابة والكلام بالفارسية

على كسرى ومعه ابنه «شاهان مرد»، فبينا هما واقفان بين يديه إذ سقط طائران على السُّور فتطاعما كما يتطاعمُ الذكر والأنثى فجعل كلٌّ واحدٍ منقارَه فى منقار الآخر، فغضِبَ كسرى من ذلك ولحِقَتْه(٤) غَيرةٌ، فقال للمرزُبان وابنه: لِيَرْمِ كلُّ واحدٍ منكما واحدا من هذَيْنِ الطائرَيْنِ، فإن قتلتماهما أدخلتُكما بيتَ المال وملأتُ أفواهَكما بالجوهر، ومَنْ أخطأ منكما عاقبتُه؛ فاعتمدَ كلُّ واحد منهما طائرا منهما ورَمَيَا فقتلاهما جميعا، فبعثَهما إلى بيت المال فمُلِئَتْ أفواهُهما جَوْهَرًا، وأثبتَ «شاهان مرد» وسائرَ أولادِ المَرْزُبانِ فى صَحَابته؛ فقال فرّوخُ ماهان عند ذلك للملك: إنّ عندى غلاما من العرب مات أبوه وخَلّفَه فى حِجْرِى(٥) فربّيتُه، فهو أفصحُ الناسِ وأكتبُهم بالعربيّة

اتصاله بكسرى وتوليه الكتابة فى ديوانه

---

(١) الكُتّابُ: موضع تعليم الكتابة، يقال: سلّم ولدَه فى الكُتّاب أى المكتب. وأنكر المبرّد هذا المعنى وقال: من جعل الموضعَ الكُتّابَ فقد أخطأ. وقال الشهاب فى شرح الشفاء: انّ الكُتّاب للمكتب واردٌ فى كلامهم كما فى الأساس وغيره ولا عبرة بمن قال: إنه مولد (انظر تاج العروس مادة كتب).

(٢) الأساورة: جمع الأسوار بالضم أو الكسر وهو الجيد الرمى بالسهام. وقال أبو عبيد: أساورة الفرس: فرسانهم المقاتلون. وقال الخوارزمى فى «مفاتيح العلوم»: العجم لا تضع اسم أسوار إلا على الرجل البطل الشجاع. (٣) الصوالجة: جمع صولجان وهو عصا يعطف طرفها يضرب بها الكرة على الدواب، وهو فارسىّ معرّب، فأما العصا التى اعوج طرفاها خلقة فى شجرتها فهى المحجن.

(٤) كذا فى أغلب النسخ. وفى حـ: «من تلك الحال». (٥) فى حـ: «وخلّفه عندى».

والفارسيّة، والملكُ محتاجٌ إلى مثله ،فإن رأى أن يُثبِتَه فى وَلَدى فعلَ؛ فقال : آدعه ، فأرسل إلى عدىّ بن زيد، وكان جميلَ الوجه فائقَ الحُسْن وكانت الفُرسُ تتبرّك بالجميل الوجه، فلما كلّمه وجده أظرفَ الناس وأحضرَهم جوابا ، فرَغِبَ فيه وأثبته مع وَلَدِ المرزُبان، فكان عدىّ أوّلَ مَنْ كتبَ بالعربيـة فى ديوان كِسْرى ، فرغِبَ أهـلُ الحِيرة إلى عدىّ ورَهِبُوه ، فلم يزلْ بالمَدَائن فى ديوان كسرى يؤذَنُ له عليـه فى الخاصّة وهو مُعجَبٌ به قريبٌ منه، وأبوه زيد بنُ حماد يومئذ حىّ إلا أنّ ذِكْرَ عدىّ قد آرتفع وخَمَلَ ذِكْرُ أبيه، فكان عدىّ إذا دخل على المنذرقام جميعُ مَنْ عنده حتى يقعدَ عدىّ، فعلَا له بذاكَ صِيتٌ(١) عظيمٌ، فكان إذا أراد المُقَامَ بالحيرة فى منزله ومع أبيـه وأهله آستأذنَ كسرى فأقام فيهم الشهرَ والشهرَين وأكثرَ وأقلَّ . ثم إنّ كسرى أرسل عدىَّ بن زيد إلى ملِكِ الروم بهديّةٍ من طُرَفِ ما عنده، فلما أتاه عدىّ بها أكرمه وحمله إلى عُمّاله على البريد ليُرِيَه سَعةَ أرضه وعَظِيمَ(٢) مُلْكِه — وكذلك كانوا يصنعون — فمن ثَمّ وقع عدىّ بدِمَشْقَ، وقال فيها الشعرَ. فكان مما قاله بالشأم وهى(٣) أوّلُ شعر قاله فيما ذكر :

عدىّ أوّل من كتب بالعربيـة فى ديوان كسرى

إرسال كسرى له الى ملك الروم

رُبَّ دارٍ بأسفلِ الجِزْعِ مِنْ دُو مَـةَ(٤) أشهَى إلىّ مِنْ جَيْرُونِ(٥)

(١) فى حـ ، أ ، م : « صوت » وكلاهما صحيح فان الصوت لغة فى الصيت . (٢) كذا فى ب ، سـ . وفى باقى النسخ : « وعِظَمَ مُلكه » . (٣) كذا فى جميع النسخ والضمير عائد على الأبيات الثلاثة الآتية . وفى معاهد التنصيص ص ١٤٣ طبع بولاق سنة ١٢٧٤ هـ : «وهو أوّل شعر قاله» .
(٤) دومة : قرية من قرى غوطة دمشق ، والظاهر أنها غير مرادة فى هذا البيت ، واسم لموضع بين الشأم والموصل . قال البكرى فى معجم ما آستعجم : « ودومة هذه من منازل جذيمة الأبرش ، وهذه دومة الحيرة أمّا دومة الجندل فهى على عشر مراحل من المدينة وعشر من الكوفة وثمان من دمشق وكان بها طائفة من النصارى » . (٥) جيرون : بناء عند باب دمشق وهو سقيفة مستطيلة على عمد وسقائف وحولها مدينة تطيف بها ، والمعروف اليوم أن بابا من أبواب الجامع بدمشق وهو بابه الشرقىّ يقال له : « باب جيرون » وقال قوم : جيرون هى دمشق نفسها . انظر معجم ياقوت .

وندامَى لا يفرحون بما نا * لوا ولا يرهبونَ[1] صَرْفَ المَنُونِ
قد سُقِيتُ الشَّمُولَ فى دار بِشْرٍ * قَهْوَةً مُزَّةً[2] بماء سَخِينِ

ثم كان أوّلُ ما قاله بعدها قولَه :

لِمَنِ الدارُ تعفّتْ بِخِيَمْ[3] * أصبحتْ غيّرَها طولُ القِدَمْ
ما تَبِينُ العينُ من آياتها * غيرَ نُؤْيٍ مثلِ خطٍّ بالقَلَمْ
صالحًا قد لفَّها فاستوسَقَتْ[4] * لفَّ بازىٍّ حَمَامًا فى سَلَمْ[5]

تولية أهل الحيرة زيدا أبا عدىّ على الحيرة وإبقاء اسم الملك للنذر

قال : وفسد أمرُ الحيرة وعدىّ بدمشق حتى أصلح أبوه بينهم ، لأن أهلَ الحيرة حين كان عليهم المنذرُ أرادوا قتلَه لأنه كان لا يعدِل فيهم ، وكان يأخذُ من أموالهم ما يُعجبه ، فلما تيقّن أن أهلَ الحيرة قد أجمعوا على قتله بعث إلى زيد بن حماد آبن زيد بن أيوب ، وكان قبلَه على الحيرة ، فقال له : يا زيدُ أنتَ خليفةُ أبى ، وقد بلغنى ما أجمعَ عليه أهلُ الحيرة فلا حاجة لى فى مُلكِكُم ، دونكموه مَلِّكُوه مَنْ شئتم ؛ فقال له زيد : إنّ الأمر ليس إلىّ ، ولكنّى أَسْبُرُ[6] لكَ هذا الأمرَ ولا آلُوكَ نصحًا ، فلما أصبح غدا إليه الناسُ فحَيَّوْهُ تحيّةَ الملك ، وقالوا له : ألا تبعثُ إلى عبدك الظالم — يَعْنُونَ المنذرَ — فتُرِيحَ منه رعيّتَكَ ؟ فقال لهم : أَوَلَا خيرٌ من ذلكَ ! قالوا : أَشِرْ علينا ؛ قال : تَدَعُونه على حاله فإنه من أهل بيت مُلكٍ ، وأنا آتيه فأُخْبِرُه أنّ أهلَ الحيرة قد آختاروا رجلا يكون أمرُ الحيرة إليه إلا أن يكون غزوٌ أو قتالٌ ،

---

(١) فى م ، أ : «يتّقون» . (٢) كذا بالأصول ولعلها مُزّة والمُزّة : الخمر اللذيذةُ الطعم وتفتح ميمها ، سميت بذلك للذعها اللسان ، قال الأعشى :

نازعتهم قضب الريحان متكئا * وقهوة مُزّة راووقها خضل

وقد ورد هذا البيت فى اللسان بضم الميم فى مادة مزز وفى المخصص فى باب الخمر بفتحها . (٣) خيم : موضع . (٤) أى جمعها فآجتمعت . (٥) السلم : شجر ورقه القرظ الذى يدبغ به .
(٦) سبر الأمر : آختبره وآستخرج كنهه .

فلك اسم المُلْكِ وليس إليكَ سوى ذلك من الأمور؛ قالوا : رأيُك أفضلُ . فأتى المنذرَ فأخبره بما قالوا، فقَبِل ذلك وفرِح، وقال : إنّ لك يا زيدُ علىّ نعمةً لا أكفُرُها ما عرفتُ حقّ سبد — وسبد صنم كان لأهل الحيرة — فولّى أهلُ الحيرة زيدا على كل شىء سوى آسم المُلْكِ فإنهم أقرّوه للنذر . وفى ذلك يقول عدىّ :

نحن كنّا قــد علمتُمْ قبلَكُمْ * عَمَدَ البيتِ وأوتادَ الإصَارِ(٢)

قدوم عدىّ الحيرة وخروج المنذر لقائه

قال : ثم هلك زيدٌ وآبنُه عدىّ يومئذ بالشأم . وكانت لزيدٍ ألفُ ناقةٍ للحَمَالاتِ(٣) كان أهلُ الحيرة أعْطَوْه إياها حين ولّوْه ما ولّوْه، فلما هلك أرادوا أخذَها، فبلغ ذلك المنذرَ، فقال : لا، واللّاتِ والعُزّى لا يؤخذ ممـا كان فى يد زيدٍ ثُفْرُوقٌ(٤) وأنا أسمعُ الصّــوتَ .

ففى ذلك يقول عدىّ بن زيد لأبنه النُّعْمانِ بنِ المنذرِ :

وأبــوكَ المــرءُ لم يُشْــنأْ(٥) به * يومَ سِيمَ الخَسْفَ منّا ذو الخَسَارِ

قال : ثم إنّ عديا قَدِم المدائنَ على كسرى بهديّةٍ قيصرَ، فصادف أباه والمَرْزُبانَ الذى ربّاه قد هلكا جميعا، فآستأذن كسرى فى الإلمـام بالحيرةِ فأذِن له فتوجّه إليها، وبلغ المنذرَ خبرُه فخرج فتلقّاه فى الناس ورجع معه . وعدىّ أنبلُ أهل الحيرة فى أنفسهم، ولو أراد أن يُملّكوه لملّكوه، ولكنه كان يُؤْثِرُ الصيدَ واللّهوَ واللعبَ على المُلْكِ، فمكث

(١) لم نجد اسم هذا الصنم فى كتاب الأصنام لأبن الكلبىّ ولا فى كتب اللغة التى بين أيدينا . وقد آطلعنا على مقالة للأب انستانس الكرملى نشرت فى صحيفة دار السلام البغدادية فى عدد تشرين الثانى سنة ١٩١٩ م وأورد صاحب المقالة المذكورة كلام الأغانى هذا وقال فيه : « ولعله مصرىّ الأصـل اذ كان عند أبناء وادى النيل إله يعرف باسم (سوبدو) » . (٢) الإصار : الطنب وهو حبل الخباء والسرادق ونحوهما .
(٣) الحمالات : جمع حَمَالة بالفتح وهى الدية والغرامة التى يحملها قوم عن قوم . (٤) الثفروق : علاقة ما بين النواة والقِمَع من التمرة، وقال الأصمعىّ : الثفروق قمع البسرة والتمرة، ويكنى به عن القلة فيقال : ماله ثفروق أى ماله شىء، والذفروق بالذال لغة فيه . انظر اللسان فى مادة « ثفرق » . (٥) كذا فى أغلب النسخ . وفى حـ « لم نشق به » .

سنينَ يبدو في فَصْلَى السَّنة فيقيمُ في جفير[١] ويشتُو بالحيرة، ويأتي المدائنَ في خلال ذلك فيخدُم كسرَى، فمكث كذلك سنينَ؛ وكان لا يؤثِرُ على بلادِ بني يَرْبوع مَبْدًى من مَبَادِى العربِ ولا ينزل في حىّ من أحياء بني تميم غيرهم، وكان أخِلّاؤه من العرب كلُّهم بني جعفر، وكانت إبله في بلاد بني ضَبَّةَ وبلاد بني سَعْد، وكذلك كان أبوه يفعل: لايجاوز هذين الحيَّيْن بإبله. ولم يزل على حاله تلك حتى تزوّج هندَ[٣] بنتَ النعمان ابن المنذر، وهى يومئذ جاريةٌ حين بلغَتْ أو كادتْ. وخبرُه يذكر في تزويجها بعد هـــذا.

تزوّجه هند بنت النعمان

قال ابنُ حبيبَ وذكر هِشَام بنُ الكَلْبيّ عن إسحاق بن الجَصَّاص وحَمَّاد الراوية وأبي محمد بن السائب قال: كان لعدىّ بن زيد أخوان: أحدُهما اسمه عَمَّار ولقبُه أُبَىّ، والآخر اسمه عمرو ولقبه سُمَىّ، وكان لهم أخ من أمهم يقال له عدىّ بنُ حَنْظَلة من طيئ، وكان أُبَىّ يكون عند كسرى، وكانوا أهلَ بيتٍ نصارى يكونون مع الأكاسرة، ولهم معهم أُكُلٌ[٤] وناحيةٌ، يُقطِعونَهمُ القطائعَ ويُجزِلُون صِلاتِهم. وكان المنذرُ لما ملكَ جعل ابنَه النعمانَ بنَ المنذر في حِجْرِ عدىّ بن زيد، فهم الذين أرضَعوه وربَّوْه، وكان للمنذر ابنٌ آخر يقال له «الأسودُ»، أُمّهُ ماريةُ بنتُ الحارث بنِ جُلْهُم من تَيْم الرِّبَابِ،

جعل المنذر ابنه النعمان في حجر عــدىّ

---

(١) أى يخرج الى البادية. (٢) كذا في جميع النسخ وجفير بفتح الجيم وكسر الفاء ذكره ياقوت في معجمه وقال: هو موضع في شعر حجر الملك آكل المرار. وقال البكرى في «معجم ما استعجم»: هو ماءة في ضرية، ومعلوم أن ضرية بنجد، أما جفير كزبير فقرية بالبحرين ذات رياض ومياه ومنازه. (٣) كذا في أ، م بالمنع من الصرف وفي ب، س، حـ «هنــدا» بالصرف وكلاهما صحيح إلا أن المنع أكثر. (٤) الأُكُل: الرزق يقال: فلان ذو أكل اذا كان ذا رزق وحظ واسع في الدنيا.

فأرضعه وربّاه قومٌ من أهل الحيرة يقال لهم بنو مَرِينا(١) ينتسبون إلى لخم وكانوا أشرافا . وكان للمنذر سوى هذين من الولد عشرةٌ، وكان وَلَدُه يقال لهم "الأشاهبُ"(٢) من جمالهم، فذلك قول أعشى بن قيس بن ثعلبة :

وبنو المنذرِ الأشاهبُ فى الحِيْـ * ـرَةِ يمشونَ غُـدْوةً كالسيوفِ

سعى عدىّ بن زيد فى ولاية النعمان بن المنذر وسبب الخلاف بينه وبين عدىّ بن مرينا

وكان النعمانُ من بينهم أحمرَ أبرشَ(٣) قصيرا ، وأُمّه سَلْمَى بنتُ وائل بن عَطيَّةَ الصائغ من أهل فَدَكَ(٤)، فلما ٱحتُضِرَ المنذرُ وخلَّفَ أولادَه العشرةَ، وقيل : بل كانوا ثلاثة عشر، أوصى بهم إلى إيَاس بن قَبِيصةَ الطَّائى، وملَّكه على الحيرة إلى أن يَرَى كسرى رَأْيَهُ ، فمكث مُمَلَّكًا عليها أشهُرًا وكسْرى فى طلب رجل يُملِّكه عليهم، وهو كسرى بنُ هُرْمُزَ، فلم يجد أحدا يَرْضاه فضَجِرَ، فقال : لأبعثنّ إلى الحيرة ٱثنىْ عشرَ ألفا من الأَسَاورة، ولأُمَلِّكنّ عليهم رجلا من الفُرْس، ولآمرنَّهم أن ينزلوا على العرب فى دُورِهم ويَمْلِكُوا عليهم أموالَهم ونساءَهم، وكان عدىٌّ بن زيد واقفا بين يديه، فأقبل عليه وقال : ويحكَ ياعدىٌّ : مَن بقى من آل المنذر؟ وهل فيهم أحدٌ فيه خيرٌ؟ فقال : نعم أيها الملكُ السعيدُ، إنّ فى ولد المنذر لبقيةً وفيهم كلِّهم خيرٌ، فقال : ٱبعث إليهم فأحضِرْهم، فبعث عدىٌّ إليهم فأحضرَهم وأنزلهم جميعا عنـده، ويقال : بل شَخَص

(١) بنو مرينا : قوم من أهـل الحيرة من قبائل العباد، وهم الذين ذكرهم ٱمرؤ القيس فى قوله :

فلو فى يوم معركة أصيبوا * ولكن فى ديار بنى مرينا

وليس مرينا بكلمة عربية . (انظر تاج العروس واللسان مادة مرن) . (٢) الشهبة فى الأصل : بياض يخالطه سواد وقيل البياض الذى يغلب على السواد، وقد يقال على مطلق البياض كما قالوا سنة شهباء أى بيضاء لكثرة الثلج وعدم النبات . وفى القاموس « والأشاهب بنو المنذر لجمالهم » قال شارحه السيد مرتضى : سموا بذلك لبياض وجوههم . (٣) الأبرش : الأرقط الأنمر وهو الذى يكون فيه بقعة بيضاء وأخرى أىّ لون كان . (٤) فدك : قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان

عديّ بن زيد إلى الحيرة حتى خاطبهم بما أراد (١) وأوصاهم، ثم قَدِم بهم على كسرى. قال: فلما نزلوا على عديّ بن زيد أرسل إلى النعمان: لستُ أُملِّكُ غيرَكَ فلا يُوحشنَّكَ ما أُفَضِّلُ به إخوتَكَ عليك من الكرامة فإنى إنما أغترُّهم بذلك، ثم كان يُفَضِّلُ إخوتَه جميعًا عليه فى النُّزُلِ والإكرام والملازمة ويُرِيهِمْ تنقُّصًا للنُّعْمان وأنه غيرُ طامعٍ فى تمام أمرٍ على يده، وجعلَ يخلو بهم رجلًا رجلًا فيقول: إذا أدْخلتُكم على الملِكِ فالبَسُوا أنخرَ ثيابكم وأجملَها، وإذا دعا لكم بالطعام لتأكلوا فتباطئوا فى الأكل وصَغِّرُوا اللُّقَمَ ونَزِّرُوا ماتأكلون، فإذا قال لكم: أتَكْفُونَنِى العربَ؟ فقولوا: نعم، فإذا قال لكم: فإن شذّ أحدُكم عن الطاعة وأفسد، أتَكْفُونَنِيه؟ فقولوا: لا، إنّ بعضَنا لايقدر على بعض، لِيَهابَكم ولا يَطْمَعَ فى تفرّقكم ويعلَمَ أن للعرب مَنَعةً وبأسا فقبِلوا منه؛ وخلا بالنعمان فقال له: ٱلبَسْ ثيابَ السفر وٱدخُل مُتقلِّدا بسيفك، وإذا جلستَ للأكل فعظِّم اللُّقَمَ وأسرع المضغَ والبلعَ وزِدْ فى الأكل وتجوَّعْ قبل ذلك، فإنّ كسرى يُعجبه كثرةُ الأكل من العرب خاصّةً، ويَرَى أنه لاخير فى العربىّ إذا لم يكن أكُولا شَرِهًا، ولا سِيَّما إذا رأى غيرَ طعامه ومالا عَهْد له بمثله، وإذا سألكَ هل تكفِينِى العربَ؟ فقل: نعم، فإذا قال لك: فَمَنْ لى بإخوتكَ؟ فقل له: إن عجزتُ عنهم فإنى عن غيرهم لأعْجَزُ. قال: وخلا ٱبنُ مَرِينَا بالأسْود فسأله عما أوصاه به عدىّ فأخبره، فقال: غَشَّكَ والصليبِ والمعموديّةِ ومانصَحَك، ولئن أطَعتنى لتُخالفنَّ كلَّ ما أمركَ به ولتُمَلَّكَنّ، ولئن عصيتَنى لَيُمَلَّكَنّ النعمانُ ولايغرّنك ماأراكَه من الإكرام والتفضيل على النعمان، فإن ذلك دهاء فيه ومكر، وإن هذه المَعَدِّيّةَ لاتخلو من مكرٍ وحيلةٍ؛ فقال له: إن عديا لم يألُنِى نصحا وهو أعلم بكِسْرى منك، وإن خالفتُه أوحشتُه وأفسد علىّ

(١) فى ب، سـ: «أرادوا» والصواب ما أثبتناه.

وهو جاء بنا ووصَفَنا و إلى قوله يرجع كسرى ، فلمّا أَيِسَ ٱبنُ مَرِينَا من قبوله منه قال : سَتعلمُ . ودعا بهم كسْرى، فلما دخلوا عليه أعجبه جمالُهم وكمالُهم ورأى رجالا قلَّمَا رأى مثلَهم، فدعا لهم بالطعام ففعلوا ما أمرهم به عدىّ ، بجعل ينظر إلى النعمان مِنْ بينهم ويتأمّلُ أَكله ، فقال لعدىّ بالفارسية : إن يكن فى أحد منهم خيرٌ ففى هذا ، فلما غسلوا أيديَهم جعل يدعو بهم رجلا رجلا فيقولُ له : أتكفِينى العربَ ؟ فيقولُ : نعم أكفِيكَها كلَّها إلا إخوتى ، حتى آنتهى إلى النعمان آخرهم فقال له : أتكفينى العربَ؟ قال : نعم قال : كلَّها؟ قال : نعم، قال : فكيف لى بإخوتك؟ قال : إن عجزتُ عنهم فأنا عن غيرهم أعجزُ ؛ فملّكه وخلع عليه وألبسه تاجا قيمته ستون ألفَ درهم فيه اللؤلؤ والذهبُ .

توعد عدىّ بن مرينا لعدىّ بن زيد بأن يهجوه ويبغيه الغوائل ما بقى

فلما خرج وقد مُلِّك قال آبن مَرِينَا للأسود : دونكَ عُقْبَى خلافِكَ لى! . ثم إن عديًّا صنع طعاما فى بِيعةٍ وأرسل إلى آبن مرينا أن آئتنى بمن أحببتَ فإنّ لى حاجةً ، فأتى فى ناس فتغدَّوْا فى البِيعة ، فقال عدىُّ بنُ زيد لآبن مرينا : يا عدىّ ، إنّ أحقّ مَنْ عرفَ الحقّ ثم لم يَلُم عليه مَن كان مثلكَ ، وإنى قد عرفتُ أنّ صاحبَك الأسودَ بنَ المنذر كان أحبَّ إليك أن يُمَلَّك من صاحبِى النعمانِ ، فلا تلُمْنِى على شىء كنتَ على مثله ، وأنا أُحبُّ ألّا تَحقِدَ علىّ شيئا لو قدَرتَ عليه رَكِبْتَه ، وأنا أُحبُّ أن تُعطِيَنى من نفسك ما أُعطيكَ من نفسى ، فإنّ نصيبى فى هذا الأمرِ ليس بأوفرَ من نصيبك ؛ وقام إلى البِيعة فحلف ألّا يَهْجوَه أبدا ولا يَبْغِيَه غائلةً ولا يَزْوِىَ عنه خيرا ابدا . فلما فرغ عدىُّ بن زيد، قام عدىُّ بن مرينا فحلف مثلَ يمينه ألّا يزالَ يهجُوه أبدا ويَبغيه الغوائلَ ما بقى . وخرج النعمانُ حتى نزل منزلَ أبيه بالحيرة ، فقال عدىُّ بن مرينا لعدىّ بن زيد :

ألا أبلغ عديًّا عن عدىٍّ * فلا تجزعْ وإن رثَّتْ(١) قُوَاكا

هياكلَنا تبرُّ لغير فَقْرٍ(٢) * لتُحمَدَ(٣) أو يَتِمَّ به غِنَاكا(٤)

فإن تظفَرْ فلم تظفَر حميدًا * وإن تَعطَبْ فلا يَبْعُدْ سِوَاكا

ندمتَ نَدامةَ الكُسَعِىّ(٥) لمَّا * رأتْ عيناكَ ما صنعتْ يداكا

تدبير عدىّ بن مرينا المكيدة لعدىّ بن زيد

قال : ثم قال عدىُّ بن مَرِينا للأسود : أما إذا لم تظفَر فلا تعجِزَنَّ أن تطلبَ بثأرك من هذا المَعَدِّىّ الذى فعل بكَ ما فعل ، فقد كنتُ أُخبِرك أن مَعَدًّا لا ينـام كيدُها ومكرها وأمرتُكَ أن تَعصِيَه فخالفتَنى؛ قال : فما تريد؟ قال : أريد ألَّا تأتيَكَ فائدةٌ من مالك وأرضك إلا عَرَضتَها علىّ ففعلَ . وكان ٱبنُ مرينا كثيرَ المـال والضَّيعةِ، فلم يكن فى الدهر يومٌ يأتى إلا على باب النعمان هديَّةٌ من ٱبن مرينا، فصار من أكرمِ الناس عليه حتى كان لا يَقْضِى فى ملكه شيئا إلا بأمر ٱبن مرينـا ، وكان إذا ذُكِر عدىُّ بنُ زيد عند النعمان أحسنَ الثناءَ عليـه وشيَّع(٦) ذلك بأن يقول : إن عدىَّ بنَ زيد فيه مكر وخديعة ، والمَعَدِّىُّ لا يصلح إلا هكذا . فلما رأى مَنْ يُطيفُ بالنعمان منزلةَ ٱبنِ مرينا عنده لزموه وتابعوه ، فجعل يقول لمن يَثق به من أصحابه : إذا رأيتمونى أذكر عديًّا عند الملك بخير فقولوا : إنه لكذلكَ ، ولكنه لا يَسلَم عليه

(١) رثَّت : ضعفت . (٢) كذا فى م « فقر » بالراء المهملة . وفى باقى النسخ «فقد» بالدال المهملة . (٣) كذا فى حـ وشعراء النصرانية « لتُحمد » بالتاء . وفى باقى النسخ « ليحمد » بالياء . (٤) كذا فى حـ بالغين المعجمة . وفى باقى النسخ « عناكا » بالعين المهملة . (٥) الكسعىّ : نسبة الى كسع : حىّ من قيس عيلان وقيل هم حىّ من اليمن رماة . والكسعىّ هذا يضرب به المثل فى الندامة وهو رجل رامٍ رمى بعدما أظلم الليل عيرا فأصابه وظنّ أنه أخطأه فكسر قوسه ثم ندم من الغد حين نظر الى العير مقتولا وسهمه فيه ، فصار مثلا لكل نادم على فعل يفعله .
وإياه عنى الفرزدق بقوله :

ندمتُ ندامة الكسعىّ لمّا * غـدت منّى مطلّقةً نَوَارُ

(انظر اللسان مادة كسع) . (٦) شيّع : أتبع .

أحدٌ، وإنه ليقول : إنّ الملكَ ــ يعنى النعمان ــ عاملُه، وإنه هو ولّاه ما ولّاه؛ فلم يزالوا بذلك حتى أضْغَنوه عليه، فكتبوا كتابا على لسانه إلى قهرمانٍ(١) له ثم دسّوا إليه حتى أخذوا الكتاب منه وأتَوْا به النعمانَ فقرأه فآشتدّ غضبُه، فأرسل إلى عدىّ بن زيد: عزمتُ عليك إلّا زُرتَنِي فإنّى قد آشتقتُ إلى رؤيتك، وعدىٌّ يومئذ عند كسرى، فاستأذَنَ كسرى فأذِنَ له . فلما أتاه لم ينظر إليه حتى حبسه فى محبِس لا يدخل عليه فيه أحدٌ، فجعل عدىٌّ يقول الشعر وهو فى الحبس، فكان أوّلُ ما قاله وهو محبوس من الشعر :

حبس النعمان لعدىّ ابن زيد وما خاطب به عدىّ النعمان من الشعر

ليتَ شِعْرِى عن الهمام ويأتيــ * ــكَ بِخَبْرِ الأنباء عطفُ السؤالِ
أين عنّا إخطارُنا(٢) المالَ والأنــ * ــفُسَ إذ ناهَدُوا(٣) لِيومِ المِحالِ(٤)
ونِضالِى فى جنبكَ الناسَ يرمُو * ن وأرْمِى وكُلُّنا غَيرُ آلِ(٥)
فأُصِيبُ الذى تُريد بلا غِشٍّ * وأُرْبِى عليهمُ وأُوَالِى
ليتَ أنّى أخذتُ حَتْفِى بكَفِّى * ولم ألْقَ مِيتَةَ الأقْتالِ(٦)
مَحَلوا مَحْلَهُمْ(٧) لصَرْعَتِنَا العا * مَ فقد أوقَعُوا الرحَا بالثِّفالِ(٨)

(١) القهرمان : أمين الملك وخاصته فارسىّ معرّب، ويطلق فى لغة الفرس على القائم بأمور الرجل كالخازن والوكيل . (٢) إخطار المال والنفس : بذلهما وجعلهما خطرا . قال صاحب اللسان : والمخطر : الذى يجعل نفسه خطرا لقرن فيبارزه ويقاتله، وساق فى الاستشهاد على هذا المعنى بيت عدىّ هذا «أين عنا إخطارنا» البيت . (٣) المناهدة فى الحرب : المناهضة . وفى المحكم : المناهدة فى الحرب : أن ينهد بعض الى بعض وهو فى معنى النهوض الا أن النهوض قيام عن قعود، والنهود : نهوض على كل حال . (انظر المخصص لأبن سيده فى ج ٦ واللسان مادة نهد) . (٤) المحال : الكيد أو المكر . (٥) أى غير مقصر . (٦) الأقتال : جمع قتل (بالكسر) وهو العدوّ . (٧) يقال : محل فلان بصاحبه (مثلثة الحاء) اذا سعى به الى السلطان . (٨) الثفال بالكسر : الجلد الذى يبسط تحت رحا اليد ليقى الطحين من التراب، وقد يطلق الثفال على الحجر الأسفل من الرحا .

وهى قصيدة طويلة . قالوا : وقال أيضا وهو محبوس :

أرِقْتُ لمكفهِرٍّ بات فيــه * بوارِقُ يرتقِينَ رءوسَ شِيبِ
تـلُوح المشرَفيّـةُ فى ذُرَاه * ويجلو صفحَ دَخدارٍ قَشيبِ

و يروى : تخالُ المشرفيّةُ . الدخدار: فارسية معرّبة وهو الثوب المصون . يقول فيها :

سعى الأعداءُ لا يألون شرًّا * علىّ[1] وربِّ مكّة والصليبِ
أرادوا كى تُمَهَّلَ عن عَدىٍّ * ليُسجَن أو يُدَهْدَه[2] فى القَليبِ
وكنتُ لِزازَ[3] خَصمِكَ لم أُعَرِّدْ[4] * وقد سَلَكوكَ[5] فى يومٍ عصيبِ
أُعَالِنُهــمْ وأُبطِنُ كُلَّ سرٍّ * كما بينَ اللِّحاءِ[6] إلى العَسيبِ
فَفُـزْتُ عليهـمُ لمّـا التقَينـا * بتاجِكَ فوزَةَ القِـدْحِ الأَرِيبِ[7]
وما دَهْرِى[8] بأن كُدِّرتُ فضلًا * ولكن ما لقيتُ من العَجيبِ

---

(١) كذا فى م ، أ وهو المناسب للعنى . وفى ب ، س ، حـ «عليك» . (٢) دهده الشىء : حدره من علو الى سفل تدحرجا .

(٣) أى لا أدع خصمك يخالف و يعاند ، يقال : فلان لزاز لفلان أى لا يدعه يخالفــه و يعانده .

(٤) الذى فى جميع الأصول وشعراء النصرانيــة « لم أعدّد » بالدال المهملة وهو تحريف وما أثبتناه هو الوارد فى لسان العرب فى مادة « سلك » والتعريد : الاحجام والنكول يقال : عرّد الرجل عن قرنه اذا أحجم ونكل وفرّ . (٥) سلكوك أى أدخلوك ، وفى التنزيل : (كذلك سَلَكْنَاه فى قلوبِ المجرِمينَ) أى أدخلناه . (٦) اللحاء : ما على العود من القشر . والعسيب : جريد النخل اذا نحى عنه خوصه . ولعــل المراد أن الشرّ يبق عنــده مكتوما مستورا كما أن ما بين العصا ولحائها يكون مســتورا عن أعين الناظرين . (٧) لم نجد للأريب معنى يناسب القدح ومن أسماء القداح "الرقيب" وبعضهم يسميه "الضريب" وكلاهما متفق مع هذه القافية ولم نجزم بالتحريف ؛ وقد وجدنا آرب على القوم : فاز عليهم وفلج . وأرب عليه : قوى ، وأرب الدهر يأرب إذا اشتدّ . فلعل وصف القدح بالأريب يرجع الى معنى الفــوز . (٨) يقال : ما دهرى بكذا أى ما إرادتى وغايتى كذا . قال متمم بن نويرة :

لعمرى وما دهرى بتأبين هالكٍ * ولا جَزَعًا مما أصاب فأوجعا

أَلا مَنْ مُبلِغُ النعمانِ عنّى * وقـد تُهدَى(١) النَّصيحةُ بالمغِيبِ
أَحَظّى كان سِلْسِلةً وقَيْدًا * وغُـلًّا والبيانُ لَدَى الطبيبِ
أتاكَ بأنّنى قـد طالَ حبسِى * ولم تَسْأَم بمسجونٍ حَرِيبِ(٢)
وبَيْتِى مُقْفِـرٌ إلا نسـاءً(٣) * أراملَ قد هلَكْنَ من النَّحيبِ
يُبَادِرْنَ الدموعَ على عَـدِىٍّ * كَشَنٍّ(٤) خانَه خَرْزُ الرَّبِيبِ
يُحاذِرْنَ الوُشـاةَ على عـدِىٍّ * وما ٱقترفُوا عليـه من الذُّنوبِ
فإن أخطأْتُ أو أوهَمْتُ أمرا * فقـد يَهِمُ المصافِى بالحبيبِ
وإن أُظْلَمْ فقد عاقَبتمُونِى * وإن أَظْلِمْ فذلكَ من نصيبِى
وإن أَهلِكْ تجِدْ فَقدِى وتُخذَلْ * إذا التقَتِ العَوالِى فى الحروبِ
فهـل لكَ أن تَدارَكَ ما لدينَا * ولا تُغْلَبْ على الرأىِ المصيبِ
فإنى قـد وكَلْتُ اليومَ أمرى * إلى ربٍّ قـريبٍ(٥) مسـتجيبِ

قالوا : وقال فيه أيضا :

طال ذا الليـلُ علينا وٱعتكَرْ * وكأنى ناذرُ الصبحِ سَمَرْ
مِنْ نَجِىِّ الهمّ عنـدى ثاوِيًا * فوقَ ما أُعْلِنُ منـه وأُسِرُّ
وكأن اللّيـلَ فيـه مثـلُه * ولَقِـدْمًا ظُنَّ بالليلِ القِصَرْ

(١) كذا فى م ، أ . وفى ب ، س ، حـ : «تهـوى» بالواو وهو تحريف .
(٢) الحريب : الذى سلب ماله وعقاره .
(٣) كذا فى جميع النسخ . وورد هذا الشطر فى شعراء النصرانية هكذا «ويبقى مقفر الأرجاء فيه» .
(٤) الشنّ : الخلَق من كل آنية صنعت من جلد . والربيب : من ربّ الأمر إذا أصلحه ، ومنه الربيبة الحاضنة لأنها تصلح الصبىّ وتقوم به . (٥) فى م ، أ : «سميع مستجيب» .

لم أُغَمِّضْ طــولَه حتى ٱنقضى * أتمنّى لو أَرَى الصُّبحَ جَشَــرْ (١)
غير مَا عِشْــقٍ ولكن طارقٌ * خَلَسَ النومَ وأجــدانى (٢) السَّهرْ

وفيها يقول :

أبلــغ النُّعمانَ عنّى مَأْلُكًا (٣) * قولَ مَنْ قــد خافَ ظَنًّا فٱعتذَرْ
أنّنى والله، فٱقبَــلْ حَــلِفِى * لأَبِيــلٌ (٤) كُلَّمَا صَــلَّى جَأَرْ
مُرْعَــدٌ أحشاؤُه فى هَيـكَلٍ * حَسَــنٍ لِمتُه وافِى الشَّــعَرْ،
ما حَمَلْتُ الغِــلَّ مِنْ أعدائِكم * ولَدَى ٱللهِ مِنَ العِــلْمِ المُسَرّ
لا تكونَنّ كَآسِى (٥) عَظْمِه * بِأَسًا حتى إذا ٱلعَظْــمُ جَــبَرْ
عَادَ بعــدَ الجَــبْرِ يَبْغِى (٦) وَهْنَــهُ * يَنْحُوَنّ المَشىَ منــه فٱنكسَرْ
وٱذْكُرِ النُّعمَى التى لم أنسَهَا * لكَ فى السَّعىِ إذا ٱلعبــدُ كَفَــرْ

(١) كذا فى حـ . وجشر : طلع ؛ يقال : جشَر الصبح يجشُر جشورا أى طلع وانفلق . وفى أغلب النسخ : « حسر » بالسين المهملة . (٢) أجدانى : أعطانى .

(٣) المألك بفتح اللام وضمها : الرسالة لأنها تؤلك فى الفم (تلاك) ؛ قال ابن برّى : وقد يقال مألُكَة ، وروى عن محمد بن يزيد أنه قال : مألُك جمع مألكة . انظر اللسان مادة ألك . وقال البغدادى فى خزانة الأدب ص ٥٩٧ ج ٣ : والمألك بسكون الهمزة وضم اللام : الرسالة ، وقال الزجّاج : مألك جمع مألكة . (٤) كذا فى ب ، س ، ى وشعراء النصرانية . وفى سائر النسخ : «بأبيل» والأبيل : الراهب . ولعله يريد على الرواية الأولى أنه يحلف بالله كما يحلف الراهب إنه ما حمل الغل إلخ ، وعلى الرواية الثانية يريد استحلافه بالله أن يقبل حلفه بأبيل موصوف بهذه الصفات إنه ما حمل الغل إلخ . وقد أورد صاحب اللسان هذا البيت بالرواية الثانية هكذا :

إنى والله فاسمع حلفى * بأبيل كلما صلى جأر

ثم قال : « كانوا يعظمون الأبيل فيحلفون به كما يحلفون بالله » . (٥) الآسى : المداوى . والأسا : العلاج والمداواة . (٦) كذا فى حـ ، أ ، م . وفى ب ، س وشعراء النصرانية : « ينعى » بالنون والعين ولم يظهر له معنى مناسب .

وقال له أيضا — وهى قصيدة طويلة — :

أبلِــغِ النُّعمانَ عنِّى مَأْلُكًا (١) * أنه قــد طال حَبسِى وٱنتِظَارِى ٢٦/٢
لو بغــيرِ المــاءِ حَلْقِى شَــرِقٌ * كنتُ كالغَصّانِ بالمــاءِ ٱعتِصَارِى (٢)
ليتَ شِــعرى عن دخيلٍ يفترِى * حيثما أدركَ لَيــلِى ونَهــارِى
قاعِــدًا يكرُبُ (٣) نفسى بَثُّهــا * وحرامًا كان سِجْنِى واحتِصَــارِى (٤)
أَجْــلَ (٥) نُعمَى ربِّهــا (٦) أوَّلُكُمْ * ودُنُوِّى كان مِنكم وٱصْــطِهَارِى (٧)

---

(١) كذا فى م ، أ وشواهد التلخيص . وفى ب ، س ، حـ : «أنى» . (٢) قال الجوهرى : الاعتصار: أن يَغَصّ الانسان بالطعام فيعتصر بالمــاء ، وهو أن يشرب به قليلا قليلا ليسيغه ، وأنشد هذا البيت . قال البغدادى فى الخزانة ج ٣ ص٥٩٦ : وتحقيقه أن الاعتصار الألتجاء ، كما قاله أبو القاسم على بن حمزة البصرى فيما كتبه على النبات لأبى حنيفة الدينورى . وساق البغدادىّ كلام أبى القاسم هــذا بنصّه ، ثم قال : وقد صار البيت مثلا للتأذى ممن يرجى إحسانه . وقد أورد الميدانى فى مجمع الأمثال المثل : «لو بغير المــاء غصصت» وقال : إنه يضرب لمن يوثق به ثم يؤتى الواثق من قِبَله ، واستشهد بهذا البيت .

(٣) يكرب نفسى بثها : يشتدّ عليها حزنها . (٤) كذا فى أغلب النسخ وشعراء النصرانية طبع بيروت ص ٤٥٤ ومعاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص طبع بولاق ص ١٤٣ ، والظاهر من سياق الشعر أن المراد الحصر بمعنى الحبس . ولم نجد فى كتب اللغة هذه الصيغة بهذا المعنى سوى ما فى قولهم : احتصر البعيرَ أى شدّه بالحصار وهو كساء يجعل حول سنامه ، أو مركب يركب به الراضة ، أو وسادة تلقى عليه و يرفع مؤخرها فتجعل كآخرة الرحل و يحشى مقدّمها فتكون كقادمة الرحل . وفى حـ : «واحتقارى» بالقاف . ويحتمل أن تكون كلتا النسختين محرفتين من : « واحتضارى » بمعنى موتى . (٥) أجل (بفتح الهمزة وكسرها) : كلمة تستعمل للتعليل ، وفى حديث المناجاة : « أجل أن يحزنه » أى من أجله ولأجله . وفى حديث آخر : «أن تقتل ولدك أجل أن يأكل معك» . (٦) ربها : رباها ونمــاها وتعهدها . (٧) كذا فى جميع النسخ والظاهر أن الشاعر يريد المصاهرة ، وسيأتى هذا البيت بهذا النص بعــدُ فى صفحة ١٣٣ عقب رواية الأغانى أن عدىّ بن زيد كان زوج هنــد أخت النعمان أو بنته ، وأن عديا ذكر صهره هذا فى قصائده . ولكننا لم نجد فى كتب اللغة التى بأيدينا لاصطهر معنى سوى ما جاء فى قولهم : اصطهره أى أذابه وأكله . ولو قال : « وصِهارى » لصح المعنى واتّزن البيت أيضا .

في قصائدَ كثيرةٍ كان يقولها فيه ويكتب بها إليه فلا تُغْني عنده شيئا . (هذه رواية الكلبيّ)[1] . وأما المفضَّل الضَّبيّ فانه ذكر أن عدىّ بن زيد لما قدم على النعمان صادفه لا مالَ عنده ولا أثاثَ ولا ما يَصْلُحُ لمَلِكٍ ؛ وكان آدَمَ إخوته مَنْظَرًا وكلُّهم أكثر مالًا منه؛ فقال له عدىّ : كيف أصنعُ بكَ ولا مال عندك ! فقال له النعمان : ما أعرِف لك حيلةً إلا ما تعرفه أنت ؛ فقال له : قم بنا نَمْضِ الى آبن قَرْدس[2] — رجلٍ من أهل الحيرة من دُومةَ — فأتياه ليقترضا منه مالًا ، فأبى أن يُقرِضَهما وقال : ما عندى شيء ، فأتيَا جابرَ بن شَمْعُون وهو الأُسْقُف أحد بنى الأَوْس بن قلّام بن بطين ابن جمهير[3] بن لَحْيان من بنى الحارث بن كعْب فآستقرضا منه مالا ، فأنزلهما عنده ثلاثة أيام يذبح لهم ويَسقيهمُ الخمرَ ، فلما كان فى اليوم الرابع قال لهما : ما تريدان ؟ فقال له عدىّ : تُقرِضُنا أربعينَ ألف درهم يستعينُ بها النعمان على أمره عند كسرى ؛ فقال : لكما عندى ثمانون ألفا ، ثم أعطاهما إياها ، فقال النعمانُ لجابر : لا جَرَمَ[4] لا جَرى لِى درهمٌ إلّا على يديْك إن أنا ملكت . قال : وجابر هو صاحبُ القَصْرِ الأبيض بالحيرَة ، ثم ذكر من قصة النعمان وإخوته وعدىّ وآبنِ مَرِينَا مثلَ ما ذكره آبن الكَلْبىّ . وقال المفضَّل خاصّةً : إن سببَ حبسِ النعمان عديَّ بنَ زيد ، أنّ عديا صنعَ ذاتَ يوم طعاما للنعمان ، وسأله أن يركبَ إليه ويتغدّى عنده هو وأصحابه ، فركب النعمانُ إليه فاعترضه عدىّ بن مَرِينا فاحتبسَه حتى تغدّى عنده هو وأصحابُه وشربوا حتى ثَمِلُوا ،

رواية المفضل الضبى فى سبب حبس النعمان عدىّ ابن زيد

(١) هذه الجملة وقعت فى ب ، سـ عقب الأبيات مباشرة وقبل قوله « فى قصائد كثيرة » .
(٢) كذا وقع هذا الاسم فى ب ، سـ ، حـ بالقاف . وجاء فى أ ، م : «فردس» بالفاء .. ولم نهتد الى تصحيحه . (٣) كذا فى ب ، سـ . وفى حـ ، أ ، م : «جميهر» بصيغة التصغير .
(٤) تستعمل هذه الكلمة فى الأصل بمعنى لا بدّ ولا محالة ، وكثر استعمالها فى هذا المعنى حتى تحوّلت الى معنى القسم . قال صاحب اللسان فى مادة جرم : والعرب تقول : لا جرم لآتينّك ، ولا جرم لقد أحسنت ، فتراها بمنزلة اليمين .

ثم ركب إلى عدىّ ولا فَضْلَ فيه، فأحفظه[1] ذلك، ورأى فى وجه عدى الكراهةَ، فقام فركب ورجع إلى منزله، فقال عدىّ بن زيد فى ذلك من فعل النعمان :

أحَسِبْتَ مجلِسَنا وحُسْـ * ـنَ حديثِنا يُودِى بمالِكْ
فالمـالُ والأهـلون مَصْـ * ـرَعَة لأمرِكَ أو نَكَالِكْ
ما تأمُرَنْ[2] فينا فأمـ * ـرُكَ فى يمينكَ أو شمالِكْ

قال : وأرسل النعمانُ ذات يوم إلى عدىّ بن زيد فأبى أن يأتيَه ثم أعاد رسولَه فأبى أن يأتيَه، وقد كان النعمان شَرِب فغضِبَ وأمر به فسُحِبَ من منزله حتى انتُهِىَ به إليه، فحبسه فى الصِّنِّينِ[3] ولجّ فى حَبسه وعدىّ يرسل إليه بالشعر، فما قاله له :

ليسَ شَىءٌ على المنـونِ ببَاقِ * غـيرُ وجهِ المسبَّحِ الخَـلّاقِ
إن نكُن آمنِينَ فاجأنا شَـرٌّ * مُصيبٌ ذَا الوُدِّ والإشـفَاقِ
فبرىءٌ صـدرِى من الظلم للرّ * بِّ وحِنثٍ بمُعْقَـدِ[4] الميـثاقِ
٢٧/٢ ولقد ساءنى زيارةُ ذى قُـر * بَى حبيبٍ لوُدّنا مُشـتاقِ
ساءه ما بنـا تبيّن[5] فى الأيـ * ـدى وإشناقُها[6] إلى الأعنـاقِ
فاذهبِى يا أُمَـيمَ غيرَ بعيـدٍ * لا يُؤَاتِى العِنَاقُ مَنْ فى الوَثاقِ[7]

---

(١) أحفظه : أغضبه . (٢) كذا فى أغلب النسخ . وفى حـ : « ما تأتمر فينا » .
(٣) الصِّنِّين : بلد كان بظاهر الكوفة من منازل المنذر، وبه نهر ومزارع . (٤) كذا فى شعراء النصرانية . وعقد الميثاق وعقده بالتشديد : أكده . ولم نجد فى كتب اللغة أعقد الميثاق بالهمز . وليس هو من باب القاصر الذى يتعـدى بالهمزة حتى يقال إن التعدية فيـه قياسية ولعله « بمعقد الميثاق » على أنه مصدر ميمى يراد به عقده . (٥) كذا فى جميع الأصول ولسان العرب مادة شنق . وفى اللسان مادة يدى :

ساءها ما تأملت فى أياديـ * ـنا وإشناقها الى الأعناق

(٦) الإشناق : أن تغلّ اليد الى العنق . (٧) سيأتى هـذا البيت فى قصيدة منسوبة لمهلهل ابن ربيعة هكذا :

فاذهبى ما اليـك غير بعيـد * لا يؤاتى العناق من فى الوثاق

انظر ص ١٤٨ ج ٤ من الأغانى طبع بولاق .

وٱذهَبِى يا أُمَيمَ إن يشأ اللهُ يُنفِّسْ من أَزْمِ[1] هذا الخِناق

أو تكنْ وِجهَةٌ فتلكَ سبيلُ النـاس لا تَمنعُ الحتوفَ الرَّواقِى[2]

ويقول فيها :

وتقول العُداةُ أَودَى عدىٌّ * وبنوه قد أيقنوا بغَلاقِ[3]

يا أبا مُسْهِرٍ فأبلِغْ رسولا * إخوتى إن أتيتَ صَحْنَ العِراقِ

أبلِغَا[4] عامرًا وأبلِغْ أخاه * أنّنى مُوثَقٌ شديدٌ وَثاقِى[5]

فى حديد القِسْطاس[6] يرقُبنى الحا * رسُ والمرءُ كلَّ شىءٍ يُلاقِى

فى حديدٍ مُضاعَفٍ وغُلُولٍ * وثيابٍ مُنضَّحاتٍ[7] خِلاقِ

فاركَبُوا فى الحرام فُكُّوا أخاكم * إنّ عِيرًا[8] قد جُهِّزتْ لٱنطلاقِ

يعنى الشهرَ الحرام . قالوا جميعا : وخرج النعمانُ إلى البحرين ، فأقبل رجل من غَسّانَ فأصاب فى الحِيرة ما أحب ؛ ويقال : إنه جَفْنة[9] بن النُّعمان الجَفْنِىّ ، فقال عدىّ بنُ زيد فى ذلك :

---

(١) الأزم : الشدّة . (٢) الرواق : جمع راقية وصفا لامرأة أو وصفا لرجل والهاء للبالغة وهو من رقى يرقى رقية اذا عوّذ ونفث فى عوذته . (٣) كذا فى حـ بالغين المعجمة وهو اسم من إغلاق القاتل وهو إسلامه الى ولىّ المقتول فيحكم فى دمه ما شاء . وقد أورد صاحب اللسان فى مادة غلق هذا المعنى وٱستشهد عليه بالبيت . وفى سائر النسخ وشعراء النصرانية : «بعلاق» بالعين المهملة وليس له معنى الّا أن يكون اسم مصدر لأعلق أى أورد عليه العلوق وهى الداهية ، ومنه حديث البخارى : «علام تدغرْنَ أولادكنّ بهذا العلاق» فقد حمل العلاق هنا على أنه اسم مصدر لأعلق أى أورد عليه العلوق . انظر اللسان وتاج العروس ونهاية ابن الأثير مادة علق وشرح القسطلانى للبخارى ج٨ ص٤٤٨ طبع بولاق . (٤) كذا فى أغلب النسخ ، وأصله أبلغن بنون التوكيد الخفيفة فأبدلت ألفا كقوله : * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * على أحد الوجوه فيه . وفى حـ : «أبلغن» . (٥) فى حـ : «شديد الوثاق» بالتعريف . (٦) القسطاس : أعدل الموازين وأقومها ، وقيل هو القَبَّانُ . وقد أورد صاحب اللسان هذا البيت ونقل عن الليث أنه قال مفسرا لقوله : «فى حديد القسطاس» : أُراهُ حديد القبّان . (٧) كذا فى جميع الأصول وشعراء النصرانية ولم نر لها معنى واضحا . ولعلها «منصحات» بالصاد المهملة من نصح الثوب اذا خاطه وان كنا لم نجد فى المصادر التى بين أيدينا «نصح» بالتشديد . ولعل الفعل ضعف للدلالة على كثرة ما بالثياب من ترقيع لبلاها وقدمها . (٨) العير : القافلة ، وقيل العير : الإبل التى تحمل الميرة . (٩) كذا فى حـ ، م وتاريخ ابن جرير الطبرى قسم ١ ص ١٠٢١ وفى باقى الأصول : «بجعبة» بالباء والعين .

سما صَقْرٌ فأَشْعَلَ جانِبَيْها * وألهاكَ المروَّحُ والعَزِيبُ

المروَّح : الإبل المروَّحة إلى أعطانها . والعَزِيبُ : ماتُرِكَ فى مراعيه

وثِبْنَ لدى الثَّوِيَّةِ(١) مُلْجَمَاتٍ * وصبَّحنَ العِبَادَ(٢) وهنَّ شِيبُ
ألا تلكَ الغَنِيمةُ لا إفالٌ(٣) * تُرَجِّيها مُسَوَّمَةٌ ونِيبُ(٤)
تُرَجِّيها وقد صابَتْ بِقُرٍّ(٥) * كما ترجُو أصاغرَها عَتِيبُ(٦)

لما طال سجنه كتب الى أخيه فى ذلك شعرا فأجابه

وقالوا جميعا : فلما طال سجنُ عدىّ بن زيد كتب إلى أخيه أُبَىّ وهو مع كسرى بهذا الشعر :

أَبلِغْ أُبَيًّا على نأيِهِ * وهل ينفعُ المرءَ ماقد عَلِمْ
بأنّ أخاكَ شقيقَ الفُؤَا * دِ(٧) كنتَ به واثقا ماسَلِمْ
لَدَى مَلِكٍ مُوثَقٌ فى الحديـ * ـدِ إمّا بحقٍّ وإمّا ظُلِمْ

(١) الثوية بالفتح ثم الكسر و ياء مشددة ، و يقال : الثوية بالتصغير : موضع قريب من الكوفة أو بالكوفة ، وقيل خريبة الى جانب الحيرة على ساعة منها . ذكر العلماء أنها كانت سجنا للنعمان بن المنذر كان يحبس بها من أراد قتله ، وكان يقال لمن حبس بها : ثوى أى أقام فسميت الثوية بذلك . انظر معجم ياقوت فى اسم « الثوية » . وفى ب ، س : « المثوبة » بالباء وهو تحريف . (٢) العباد — بكسر العين وقيل بفتحها — : قوم من قبائل شتى من بطون العرب اجتمعوا على النصرانية ونزلوا بالحيرة . (٣) الإفال : صغار الإبل ، بنات المخاض ونحوها . وقال ابن سيدة : والأفيل : ابن المخاض فما فوقه . والأفيل : الفصيل والجمع إفال . (٤) النيب : جمع ناب وقيل جمع نَيُوب ، والناب والنيوب : الناقة المسنة ، سموها بذلك حين طال نابها وعظم . (٥) كذا فى جميع الأصول . وصابت من الصوب وهو النزول . والقرّ : القرار أى نزل الأمر فى قراره فلا يستطاع له تحويل . وفى اللسان مادة قرر وحتب * ترجيها وقد وقعت بقرّ * والعرب يقولون : «صابت بقرّ» و «وقعت بقرّ» وهو مثل يضرب عند شدّة تصيب القوم ، أى صارت الشدّة فى قرارها . (٦) قال ياقوت فى المعجم فى الكلام على « عتيب » بعد أن ضبطه بفتح أوّله وكسر ثانيه : جفرة عتيب بالبصرة إحدى محالّها تنسب الى عَتِيب بن عمرو من بنى قاسط بن هنب ، وكان قد أغار عليهم بعض الملوك فقتل جميع رجالهم فكانت النساء تقول : اذا كبر صبياننا أخذوا بثأر رجالنا فلم يكن ذلك فقال عدىّ بن زيد هذا البيت . (٧) فى أ ، ء ، م : «والحشا» .

فلا أُعْرِفَنْكَ كَذاتِ الغلا * م مالم تجِدْ عارِمًا(٢) تَعْتَرِمْ(٣)
فأرضَكَ أرضَكَ إن تأتِنَا * تَنَمْ نومةً(٤) ليس فيها حُلُمْ

قال : فكتب إليه أخوه أبىّ :

إن يكن خانك الزمانُ فلا عا * جِزُ باعٍ(٥) ولا أَلَفُّ(٦) ضعيفُ
ويمينِ الإله لو أنّ جَأْوَا(٧) * ءَ طَحُونًا تُضِىءُ فيها السيوفُ
ذاتَ رِزٍّ(٨) مجتابةً غمرةَ المو * تِ صحيحٌ سِرْبالُها مكفُوفُ(٩)
كنتَ فى حَمْيِها لجئتُكَ أسعى * فاعلمنْ لو سمعتُ إذ تستضيفُ(١٠)
أو بمالٍ سألتَ(١١) دونكَ لم يُمـ * ـنَعْ تِلادٌ لحاجةٍ أو طريفُ

(١) الذى فى جميع الأصول : « كذأب » والصواب ما أثبتناه وهى رواية الأزهرى فى مادة عرم فى لسان العرب . وقال صاحب اللسان : أراد بذات الغلام الام المرضع . ورواية صاحب اللسان « فلا تُلفَين كأم الغلام » . (٢) عارما : واضعا يقال : عرم الصبىّ أمّه عرما : رضعها . (٣) تعترم يقال : اعترم الصبىّ ثدى أمه أى مصّه واعترمت هى أى تبغّت من يعرمها ، وقد أورد صاحب اللسان البيت وقال فى معناه : إن لم تجد من ترضعه درّت هى لحلبت ثديها وربما رضعته ثم مجته من فيها . وقال ابن الأعرابى : إنما يقال هذا للتكلف ما ليس من شأنه . وقال الأزهرىّ : معناه لا تكن كمن يهجو نفسه اذا لم يجد من يهجوه . انظر اللسان مادة « عرم » . (٤) كذا فى حـ ، م ، أ وتاريخ ابن جرير الطبرى قسم ١ ص ١٠٢١ وفى ب ، سـ وشعراء النصرانية : « تم ليلة » .
(٥) فى جميع الأصول : « باغ » بالغين المعجمة وهو تحريف .
(٦) كذا فى حـ ، م ، أ وتاريخ ابن جرير الطبرى قسم ١ ص ١٠٢١ ؛ والألفّ : الثقيل البطىء ، ويقال : البطىء الكلام اذا تكلم ملأ لسانه فه . وفى ب ، سـ : « أليف » وهو تحريف .
(٧) الجأواء : وصف للكتيبة يقال : كتيبة جأواء أى بيّنة الجأى وهى التى يعلو لونها السوادُ لكثرة الدروع . وفى ب ، سـ : « لو أنهم جاءوا » وهو تحريف . والطحون : الكتيبة العظيمة تطحن ما لقيت .
(٨) الرز : الصوت يسمع من بعيد . (٩) كذا فى م ، أ وتاريخ ابن جرير الطبرى وشعراء النصرانية . والسربال : القميص . والمكفوف من كففت الثوب اذا خطت حاشيته . وفى ب ، سـ « ملفوف » وهو تحريف . (١٠) تستضيف : تستجير . (١١) كذا فى ب ، سـ . وفى بقية النسخ وتاريخ الطبرى وشعراء النصرانية : « سُئلتَ » بالبناء للمجهول .

أو بأرضٍ أسـتطيعُ آتيكَ فيها * لم يَهُلْنِي بُعْـدٌ بها أو مَخوفُ [(١)]
إن تَفُتْنِي واللهِ إلْفًـا بِجَـوعًا * لا يُعقِّبْكَ ما يَصوبُ الخريفُ [(٢)] ٢٨/٢
فى الأعادى وأنتَ منّى بعيـدٌ * عزَّ [(٣)] هـذا الزمانُ والتعنيفُ
ولَعَمْـرى لئن جزِعتُ عليـه * لجزوعٌ على الصديق أَسُوفُ
ولعَمْرى لئن ملكتُ عَزائِى * لقليـلٌ شَرْوَاكَ [(٤)] فيما أطُـوفُ

أمر كسرى النعمان بإطلاق عدىّ فقتله قبل وصول الرسول اليـه

قالوا جميعا : فلمـا قرأ أُبَىّ كتاب عدىّ قام إلى كسرى فكلمـه فى أمره وعرّفه خبَره؛ فكتب إلى النعمان يأمره بإطلاقه، وبعث معه رجلا ؛ وكتب خليفة النعمان إليه : إنه قد كُتِب إليك فى أمره، فأتى النعمانَ أعداءُ عدىّ من بنى بُقَيْلَةَ [(٥)] وهم من غسّانَ، فقالوا له : اقتُـله الساعةَ فأبى عليهم، وجاء الرسولُ، وقد كان أخو عدىّ تقدّم إليه ورشاه وأمره أن يبدأ بعدىّ فيدخلَ إليه وهو محبوس بالصِّنِّيْنِ، فقال له : آدخل عليه فأنظر ما يأمرك به فأمتثله ، فدخل الرسولُ على عدىٍّ، فقال له : إنى قد جئتُ بإرسالك، فما عندك؟ قال : عندى الذى تُحبُّ ووعَدَه بِعِدَةٍ سنيّة، وقال له : لا تَخرُجَنَّ من عندى وأعطِنى الكتابَ حتى أُرسلَه إليه ، فإنك والله إن خرجتَ من عندى لأُقتلَنَّ، فقال : لا أستطيعُ إلا أن آتىَ الملك بالكتاب فأوصّله إليه ، فأنطلق بعضُ مَنْ كان هناكَ من أعدائه فأخبرَ النعمانَ أن رسولَ كسرى دخل على عدىّ وهو

(١) كذا فى أغلب النسخ وشعراء النصرانية . وفى تاريخ الطبرى قسم ١ ص ١٠٢٢ : « بعيدها أو مخوف » .
(٢) كذا فى تاريخ الطبرى . وفى ب ، سـ وشعراء النصرانيّة :

إنْ يعنِّ والله إلف لجوع * لا يعنيك ما يصوب الخريف

وقد اضطربت بقية الأصول فى بعض كلمات من هذا البيت ، وأقوم هذه الروايات ما أثبتناه فى الأصل .
(٣) كذا فى أغلب النسخ . وفى م ، أ : « عز » .
(٤) شَرْوَاك : مِثْلُكَ .
(٥) كذا فى حـ وتاريخ الطبرى قسم ١ ص ١٠٢٣؛ وبُقَيْلَةُ : بطن من الحيرة . وفى باقى النسخ : « نفيلة » بالنون والفاء وهو تحريف .

ذاهبٌ به ، وإن فعلَ واللهِ لم يَسْتبقِ منّا أحدا أنتَ ولا غيرَكَ ، فبعث إليه النعمانُ أعداءه فغمّوه[(١)] حتى مات ثم دفنوه . ودخل الرسولُ إلى النعمان فأوصل الكتّابَ إليه ، فقال : نَعَمْ وكرامةً ، وأمر له بأربعة آلاف مثقال ذهبًا وجاريةٍ حسناء ، وقال له : إذا أصبحتَ فادخل أنتَ بنفسكَ فأخرِجْه ، فلما أصبح ركِبَ فدخلَ السجنَ ، فأعلَمَه الحرسُ أنه قد مات منذ أيامٍ ولم نجترئْ على إخبار الملك خوفًا منه ، وقد عرفنا كراهته لموته . فرجع إلى النعمان ، وقال له : إنى كنت أمس دخلتُ على عدىّ وهو حىّ ، وجئتُ اليوم فجَحَدَنِى[(٢)] السَّجّانُ وبهَتَنِى[(٣)] ، وذكر أنه قد مات منذُ أيامٍ . فقال له النعمان : أيبعثُ بكَ الملكُ إلىّ فتدخلَ إليه قبلى ! كذبت ، ولكنّكَ أردتَ الرشوةَ والخبثَ ، فتهدّده ثم زاده جائزةً وأكرمه ، وتوثّق منه ألّا يخبر كسرى إلا أنه قد مات قبل أن يقدَمَ عليه . فرجع الرسولُ إلى كسرى ، وقال : إنى وجدتُ عديًّا قد مات قبل أن أدخل عليه . وندم النعمان على قتل عدىّ وعرف أنه احتيل عليه فى أمره ، واجترأ أعداؤه عليه وهابَهم هيبةً شديدةً . ثم إنه خرج إلى صيده ذات يوم فلقى ابنا لعدىّ يقال له زيد ، فلما رآه عرف شبهَهُ ، فقال له : مَنْ أنت ؟ فقال : أنا زيد بن عدىّ بن زيد ، فكلّمه فإذا غلام ظريفٌ ، ففرح به فرحا شديدا وقرّبه وأعطاه ووصله واعتذر إليه من أمر أبيه وجهّزه[(٤)] ، ثم كتب إلى كسرى : إنّ عديًّا كان ممن أُعِينَ به الملكُ فى نُصحه ولُبّه ، فأصابه ما لا بدّ منه وانقطعت مُدّتُه وانقضى أجله ، ولم يُصَبْ به أحدٌ أشدّ من مصيبتى ، وأما الملكُ فلم يكن ليَفقِدَ رجلا إلا جعل الله له منه خَلَفًا لمَا عظّم اللهُ من ملكه وشأنه ، وقد بلغ ابن له ليس بدونه ، رأيته يصلُحُ لخدمة الملِكِ فسرّحته إليه ، فإن رأى الملِكُ أن يجعله مكانَ أبيه فليفْعَلْ وليصرِفْ عمّه عن ذلك إلى عملٍ آخر . وكان هو

مدح النعمان لدى كسرى زيد بن عدىّ فاتخذه كاتبا

(١) يريد أنهم غطوا وجهه بشىء حتى اختنق . (٢) كذا فى م ، ا ، ء ، وفى بقية النسخ « فجحزنى » . (٣) بهت الرجل : قابله بكذب . (٤) جهزه : أعدّ له معدّات السفر .

الذى يلى المكاتبةَ عن الملك إلى ملوك العرب فى أمورها وفى خواصّ أمور الملك . ٢٩/٢ وكانت له من العرب وظيفةٌ موظّفةٌ فى كل سنة: مُهْرانِ أشقرانِ يجعلانِ له هُلَامًا[1]، والكَمْأَةُ الرَّطْبَــةُ فى حينها واليابســةُ والأَقِطُ والأُدْمُ وسائرُ تجارات العــرب ؛ فكان زيدُ بن عدىّ يلى ذلك له وكان هذا عملَ عدىّ . فلما وقع زيد بن عدىّ عند الملك هذا الموقعَ سأله كسرى عن النعمان، فأحسنَ الثناءَ عليه . ومكث على ذلك سنواتٍ على الأمر الذى كان أبوه عليه . وأُعجِبَ به كسرى، فكان يكثر الدخول عليه والخدمةَ له . وكانت لملوك العجم صفةٌ من النساء مكتوبةٌ عنــدهم، فكانوا يبعثون فى تلك الأَرَضِينَ بتلك الصفة، فإذا وُجِدَتْ حُمِلَتْ إلى الملك ، غير أنهم لم يكونوا يطلبونها فى أرض العرب ولا يظنونها عندهم . ثم إنه بدا للملك فى طلب تلك الصفة ، وأمر فكُتب بها إلى النواحى، ودخل إليه زيد بن عدىّ وهو فى ذلك القول، فخاطبه فيما دخل إليه فيه، ثم قال : إنى رأيت الملك قد كتب فى نسوة يُطلَبنَ له وقرأتُ الصفةَ، وقد كنت بآل المنذر عارفا، وعند عبدك النعمان من بناته وأخواته وبنات عمه وأهله أكثرُ من عشرين امرأة على هذه الصفة؛ قال : فاكتب فيهنّ؛ قال : أيها الملك، إنّ شرّ شىء فى العرب وفى النعمان خاصّةً أنهم يتكرّمون — زعموا فى أنفسهم — عن العجم، فأنا أكره أن يُغَيِّبهنّ عمن تبعث إليه أو يَعرِضَ عليه غيرَهنّ ، وإن قدمتُ أنا عليه لم يقدر على ذلك ، فابعثنى وابعثْ معى رجلا من ثِقاتك يفهم العربيــةَ حتى أبلغَ ما تحبّه؛ فبعث معه رجلا جَلْدا فَهِمًا ، فخرج به زيد ، فجعــل يكرم الرجلَ ويُلْطِفُه حتى بلغ الحِيرةَ، فلما دخل عليه أعظمَ الملكَ وقال : إنه قد احتاج إلى نساء لنفسه وولده وأهل بيته، وأراد كرامتكَ بصِهْره فبعث إليــكَ ؛ فقال : ما هؤلاء النِّسوة ؟

كيد زيد بن عدىّ للنعمان عند كسرى حتى غضب عليه فقتله

(١) كذا فى جميع الأصول وشــعراء النصرانية . والهُلَامُ كغراب : مرق السِّكْبَاج المبرّد المصفّى من الدهن . والسكباج : لحم يطبخ بخلّ .

فقال : هـذه صفتُهنّ قد جئنا بهـا . وكانت الصفةُ أن المنذر الأكبر أهـدَى إلى أَنُوشِروانَ جاريةً كان أصابها إذ أغار على الحارث الأكبر بن أبى شَمِر الغَسّانىّ ، فكتب إلى أَنُوشِروانَ بصفتها ، وقال : إنى قد وجّهتُ إلى الملك جاريةً معتدلةَ الخَلْق ، نقيّةَ اللون والثغر ، بيضاءَ قَمْراءَ وَطْفاءَ [1] كَحْلاءَ دَعْجاءَ [2] حَوْراءَ عَيْناءَ قَنْواءَ [3] شَمّاءَ [4] بَرْجاءَ [5] زَجّاءَ [6] أَسيلةَ الخدّ ، شهيّةَ المقبَّـل ، جَثْلةَ [7] الشَّعَر ، عظيمةَ الهامة ، بعيدةَ مَهْوَى القُرط ، عَيْطاءَ [8] ، عريضةَ الصدر ، كاعبَ الثدى ، ضخمةَ مُشَاشِ المَنْكِب والعضدِ ، حسنةَ المِعصَم ، لطيفةَ الكفّ ، سَبْطَةَ البَنَـان ، ضامرةَ البطن ، خَميصةَ الخَصْر ، غَرْثَى [9] الوِشاح ، رَدَاحَ [10] الأقبال ، رابيةَ الكفَل ، لَفّاءَ [11] الفخذين ، رَيّا الروادِف ، ضخمةَ المأكِتَيْن [12] ، مُفعمةَ [13] الساق ، مُشبَعةَ [14] الخَلْخال ، لطيفةَ الكعب والقَـدم ، قَطوفَ [15] المشى ، مِكسالَ [16] الضُّحَى ، بَضّةَ [17] المتجرَّد ، سَمُوعًا للسيّد ، ليستْ بخَنْساءَ [18] ولا سَفْعاءَ [19] ، رقيقةَ الأنف ،

---

(١) الوطفاء : غزيرة الأهداب وشعر الحاجبين . (٢) الدعج : شدّة سواد العين وشدّة بياض بياضها . (٣) القنواء : وصف من القنا وهو ارتفاع فى أعلى الأنف وٱحديداب فى وسطه وسبوغ فى طرفه . (٤) الشمم فى الأنف : ارتفاع القصبة وحسنها . (٥) البرجاء : الجميلة الحسنة الوجه . (٦) الزجاء : دقيقة الحاجبين فى طول . (٧) الجثلة : كثيفة الشعر سوداؤه . (٨) العيطاء : الطويلة العنق . (٩) غرثى الوشاح : دقيقة الخصر . (١٠) الرداح : العجزاء الثقيلة الأوراك التامّة الخلق . والأقبال : ما ٱستقبلك من مشرف والواحد قَبَل . (١١) لفاء : ضخمة الفخذين مكتنزة . (١٢) المأكتان : اللحمتان اللتان على رءوس الوركين ، الواحدة مأكة . (١٣) مفعمة الساق : ممتلئتها . (١٤) مشبعة الخلخال : كناية عن السمن ، وفى اللسان : امرأة شبعى الخلخال : ملأى سمنا . (١٥) القطوف : وصف من القطاف وهو تقارب الخطو . (١٦) المكسال : المرأة التى لا تكاد تبرح مجلسها ، وهو مدح لها مثل نؤوم الضحى . (١٧) البضة : الناعمة ، يقال : آمرأة بضة المتجرّد بالفتح أى بضة عند التجرّد ، فالمتجرّد على هذا مصدر . ومن قال : بضة المتجرّد بالكسر أراد الجسم . (١٨) الخنساء من الخَنَس وهو تأخر الأنف الى الرأس وارتفاعه عن الشفة وليس بطويل ولا مشرف ، وقيل هو قريب من الفطس وهو لصوق القصبة بالوجنة وضخم الأرنبة . (١٩) السفعاء من السفع وهو السواد ، وفى الحديث : «أنا وسفعاء الخدّين الحانية على ولدها يوم القيامة كهاتين» وضم أصابعه ، أراد بسفعاء الخدّين أنها بذلت نفسها وتركت الزينة والترفه حتى شحب لونها وٱسودّ ، إقامة على ولدها بعد وفاة زوجها .

عزيزةَ النفس(١)، لم تُغَذَّ فى بؤس، حييّةً رَزِينةً، حليمةً رَكِينةً، كريمة الخال، تقتصر على نسب أبيها دون فصيلتها، وتستغنى بفصيلتها دون جِمَاع قبيلتها، قد أحكمتها الأمورُ فى الأدب، فرأيُها رأىُ أهل الشرف، وعملُها عمَلُ أهل الحاجة، صَنَاعَ الكفَّين، قَطِيعةَ(٢) اللسان، رَهْوةَ(٣) الصوت ساكِنَته، تَزِينُ الولىَّ، وتَشِينُ العدوَّ، إن أردتَها اشتهتْ، وإن تركتَها انتهتْ، مُحَمْلِقُ(٤) عيناها، وتحمرُّ وجنتاها، وتَذَبْذَبُ شفتاها، وتبادِرُكَ الوثبةَ إذا قمتَ، ولا تجلسُ إلا بأمرك إذا جلستَ. قال: فقبِلَها أنوشِروانُ ٣٠/٢
وأمر بإثباتِ هـذه الصفةِ فى دواوينه، فلم يزالوا يتوارثونها حتى أفضى ذلك إلى كِسْرى بن هُرْمُز. فقرأ زيد هـذه الصفة على النعمان، فشقت عليه، وقال لزيد والرسولُ يسمع: أما فى مَهَا السَّواد وعِين فارسَ ما يبلُغ به كسرى حاجتَه! فقال الرسول لزيد بالفارسية: ما المَهَا والعِينُ؟ فقال له بالفارسية: كاوان أى البقر؛ فأمسك الرسولُ. وقال زيد للنعمان: إنما أراد الملكُ كرامتَكَ، ولو علم أنّ هذا يشُقُّ عليكَ لم يكتُبْ إليكَ به. فأنزلهما يومين عنده، ثم كتب إلى كسرى: إن الذى طلب الملكُ ليس عندى، وقال لزيد: اعذِرْنِى عند الملكِ. فلما رجعا إلى كسرى، قال زيدٌ للرسول الذى قَدِم معه: اصْدُقِ الملكَ عما سمِعتَ، فإنى سأحدّثه بمثل حديثك ولا أُخالفكَ فيه. فلما دخلا على كسرى، قال زيدٌ: هذا كتابه إليك، فقرأه عليه. فقال له كسرى: وأين الذى كنتَ خبَّرتَنِى به؟ قال: قد كنتُ خبّرتكَ بضنّتهم بنسائهم على غيرهم، وإنّ ذلك من شقائهم واختيارهم الجوعَ والعُرْىَ على الشِّبَع

(١) كذا فى أغلب النسخ. وفى حـ: «عزيزة النَّفَـر» بالراء. (٢) كذا فى جميع الأصول بهاء التأنيث، وجاء فى اللسان والقاموس: وآمرأة قطيع الكلام بغير هاء اذا لم تكن سليطة.
(٣) كذا فى م. ورهوة الصوت: رقيقته سهلته. وفى باقى النسخ: «زهوة» بالزاى ولم يظهر له معنى مناسب. ٢٠١
(٤) فى اللسان: والمحملق من الأعين: ما حول مقلتها بياض لم يخالطه سواد.

والرِّياش، وإيثارهم السَّمومَ والرياحَ على طِيب أرضكَ هــذه، حتى إنهم ليسمّونها السّجنَ، فسلْ هذا الرسولَ الذى كان معى عمّا قال، فإنى أُكْرِمُ الملكَ عن مشافهته بمـا قال وأجاب به . قال للرسولِ : وما قال؟ فقال له الرسولُ : أيها الملكُ، إنه قال : أمَا كان فى بَقَرِ السواد وفارِسَ ما يكفيه حتى يطلبَ ما عندنا، فعُرِف الغضبُ فى وجهه، ووقَع فى قلبه منه ما وقع، لكنّه لم يزد على أن قال : رُبَّ عبدٍ قد أراد ما هو أشدُّ من هذا ثم صار أمره إلى التَّبَاب . وشاع هذا الكلامُ حتى بلغ النعمانَ، وسكتَ كسرى أشهرًا على ذلك . وجعل النعمانُ يستعدّ ويتوقّعُ حتى أتاه كتابُهُ : أنْ أَقبِلْ فإن للملكِ حاجةً إليك، فانطلق حين أتاه كتابُهُ، فحمل سلاحَه وما قَوِىَ عليه، ثم لحق بجبَلَىْ طَيِّئٍ وكانت فَرْعةُ[1] بنتُ سعد بن حَارِثة بن لَأْم عنده، وقد ولدت له رجلا وآمرأة، وكانت أيضا عنده زينبُ بنتُ أوس بنِ حارثةَ، فأرادَ النعمانُ طيِّئًا على أن يُدخلوه الجبلين ويمنعوه فأبَوْا ذلك عليــه، وقالوا له : لولا صِهْرُكَ لقتلناكَ، فإنه لا حاجة بنا إلى مُعَاداة كسرى، ولا طاقةَ لنا به . وأقبل يطوف على قبائلِ العرب ليس أحدٌ منهم يقبلُه، غيرَ أنّ بنى رَوَاحةَ بنِ قُطَيعةَ بن عَبْس قالوا : إن شئتَ قاتلنا معك، لِمِنّةٍ كانت له عندهم فى أمر مروانِ القَرَظ[2]، قال : ما أُحبُّ أنْ أُهلِكَكم، فإنه لاطاقة لكم بكِسْرَى . فأقبل حتى نزل بذى قَارٍ[3] فى بَنِى شَيْبانَ سِرًّا، فلقِىَ هانئَ آبنَ قَبِيصة، وقيل بل هانئ بن مسعود بن عامر بن عمرو بن أبى ربيعةَ بن ذُهلِ

استجارة النعمان بسادات العرب ثم تسليمه نفسه لكسرى

---

(١) كذا فى تاريخ الطبرى قسم ١ ص ١٠٢٧ وشعراء النصرانية والأغانى طبع بولاق ج ٢٠ ص ١٣، وفى أ ، م : «قرعة» بالقاف والراء . وفى ب ، سـ : «قزعة» بالقاف والزاى .

(٢) هو مروان بن زنباع العبسى، أضيف الى القرظ لأنه كان يغزو اليمن وبها منبته، أو لأنه كان يحمى القرظ لعزته . ويضرب به المثل فى العزة فيقال : «أعز من مروان» . (٣) ذو قار : ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة بينها وبين واسط، وفيه كانت الوقعة المشهورة بين بكر بن وائل والفرس .

ابن شيبان، وكان سيدًا مَنيعًا ، والبيتُ يومئذ من رَبيعة فى آلِ ذِى الجَدين لقَيْس ابن مسعود بن قيس بن خالد ذى الجَدَّين(١)، وكان كسرى قد أطعم قيسَ بنَ مسعود الأُبُلَّةَ(٢)، فكره النعمانُ أن يدفع إليه أهلَه لذلك، وعلِم أن هانئًا يمنعه مما يمنع منه نفسَه.

وقال حَمَّاد الراويةُ فى خبره : إنه إنمـا آستجار بهانئ كما آستجار بغيره فأجاره، وقال له : قد لزمنى ذِمَامُكَ وأنا مانِعُكَ ممـا أمنع نفسى وأهلى وولدى منه مابقى من عشيرتى الأَدْنَيْنَ رجلٌ، وإنّ ذلك غيرُ نافِعكَ لأنه مُهلِكِى ومُهْلِكُكَ، وعندى رأىٌ لكَ، لستُ أُشير به عليك لأدفعكَ عما تريده من مجاورتى ولكنه الصوابُ؛ فقال : هَاتِه؛ فقال : إن كلَّ أمرٍ يجمُلُ بالرجل أن يكون عليه إلا أن يكون بعد المُلْكِ سُوقَةً، ٣١/٢ والموت نازلٌ بكل أحدٍ، ولأَنْ تموتَ كريمًـا خيرٌ من أن تتجرَّعَ الذلَّ أو تبقى سُوقَةً بعـد المُلْكِ، هذا إن بقيتَ، فآمضِ إلى صاحبك وآرسِلْ إليه هدايا ومالًا وألقِ نفسَكَ بين يديه، فإمّا أن صفح عنك فعُدتَ مَلِكًا عزيزا، وإما أن أصابك فالموتُ خيرٌ من أن يتلعَّبَ بكَ صعاليكُ العرب ويتخطَّفكَ ذئابها وتأكلَ مالكَ وتعيشَ فقيرا مجاورا أو تُقتلَ مقهورا؛ فقال : كيف بحُرَمِى؟ قال : هنَّ فى ذِمتى، لايُخلَصُ إليهنَّ حتى يُخلَصَ إلى بناتى؛ فقال : هذا وأبيكَ الرأىُ الصحيحُ، ولن أُجاوِزَه. ثم اختار خيلا وحُلَلًا من عَصْبِ(٣) اليمن وجوهرا وطُرَفًا كانت عنـده، ووجَّه بهـا إلى كسرى وكتب إليه يعتذِرُ ويُعلِمُهُ أنه صائرٌ إليه، ووجَّه بها مع رسوله، فقبلها كسرى

(١) كذا فى تاج العروس فى مادة « جدد » وتاريخ الطبرى قسم ١ ص ١٢٠٨ والكامل لابن الأثير ج ١ ص ٣٥٦ وفى جميع الأصول : « خلد » بدون ألف .

(٢) الأبلة : بلدة على شاطئ دجلة فى زاوية الخليج الذى يدخل الى مدينة البصرة، وهى أقدم من البصرة، وكانت مدينـة فيها مسالح وقائد من قبـل كسرى .

(٣) العصب : ضرب من برود اليمن يعصب غزله أى يجمع ويشـدّ ثم يصبغ وينسـج فيأتى موشيا لبقاء ما عصب منه أبيض لم يأخذه صبغ .

وصول النعمان لكسرى وسجنه ثم موته

وأمره بالقدوم؛ فعاد إليه الرسول فأخبره بذلك وأنه لم ير له عند كسرى سوءا . فمضى إليه حتى إذا وصل إلى المدائن (١) لقيه زيدُ بنُ عدىّ على قنطرة ساباطَ (٢) ، فقال له : انجُ نُعيمُ ، إن آستطعتَ النَّجاءَ ؛ فقال له : أفعلتَها يا زيدُ! أما واللهِ، لئنْ عشتُ لكَ لأَقتلنَّكَ قِتْلةً لم يُقتَلْها عربىٌّ قط ولأُلحِقَنّكَ بأبيك ! فقال له زيد : امض لشأنكَ نُعيمُ ، فقد والله أخّيتُ لك أَخِيَّةً (٣) لا يقطَعُها المهرُ الأرِنُ (٤) . فلما بلغ كسرى أنه بالباب بعث إليه، فقيّده وبعث به إلى سجن كان له بخانِقين (٥) ، فلم يزل فيه حتى وقع الطاعونُ هناك فمات فيه .

وقال حَمَّادٌ الراويةُ والكوفيون : بل مات بساباطَ فى حبسه . وقال آبن الكلبىّ : ألقاه تحت أرجل الفِيَلة فوطِئتْه حتى مات ، وآحتجُّوا بقول الأعشى :

فذاك وما أنجى من الموت ربَّه (٦) * بساباطَ حتى ماتَ وهو مُحزرَقُ (٧)

---

(١) المدائن : الموضع الذى كان مسكن الملوك من الأكاسرة ، فكان كل واحد منهم اذا ملك بنى لنفسه مدينة الى جنب التى قبلها وسماها باسم ، فسميت المدائن بذلك . وكان فتحها فى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه على يد سعد بن أبى وقاص فى صفر سنة ١٦ هـ . (٢) ساباط : موضع بالمدائن لكسرى أبرويز . (٣) الأَخِيَّةُ كأَبِيّة ويقال أخِيَةٌ بتخفيف الياء وآخِيَّة بالمدّ والتشديد ، وهى عود يعرض فى الحائط ويدفن طرفاه فيه ويصير وسطه كالعروة تُشدّ اليه الدابة . وقال ابن السكيت : الأخيّة : أن يدفن طرفا قطعة من الحبل فى الأرض وفيها عُصَيَّة أو حُجَير ويظهرُ منه مثل عروة تشدّ اليها الدابة وإنما تؤخى الأخيّة فى مهواة الأرضين لأنها أرفق بالخيل من الأوتاد الناشزة عن الأرض . (٤) الأرِنُ : النشيط ، يقال أَرِنَ يأرَنُ أرَنًا اذا مَرِح مَرَحًا فهو أرِنٌ . (٥) خانقين : بلد بسواد بغداد كان النعمان خنق به عدىّ بن زيد حتى قتله . (٦) كذا فى ح وتاريخ الطبرى قسم ١ ص ١٠٢٨ وتاج العروس واللسان مادّة حزرق ومعجم ياقوت فى اسم ساباط . وفى باقى الأصول : «فداك» بالدال المهملة وهو تصحيف . (٧) كما يقال حزرق الرجلَ بمعنى حبسه وضيّق عليه ، يقال : حرزقه أيضا بهذا المعنى . قال التوزىّ : قلت لأبى زيد الأنصارى أنتم تنشدون قول الأعشى : « حتى مات وهو محزرق » وأبو عمرو الشيبانىّ ينشده «محرزق» بتقديم الراء على الزاى ؛ فقال : إنها نبطيّة ، وأم أبى عمرو نبطيّة فهو أعلم بها منا .

قال : المحزَّرَقُ : المضيَّقُ عليه . وأنكر هذا من زعم أنه مات بخانِقِينَ ، وقالوا : لم يزل محبوسا مدّة طويلة ، وإنه إنما مات بعد ذلك بحينٍ قُبيلَ الإسلام ، وغَضِبَتْ له العربُ حينئذ ، وكان قتلُه سببَ وقعةِ ذِى قارٍ .

أحب عدى بن زيد هند بنت النعمان ثم تزوّجها وقال فيها شعرا

أخبرنى عمّى قال حدّثنا عبدُ الله بنُ أبى سعد قال حدّثنا علىّ بن الصّبّاح وأخبرنى الحسن بن على قال حدّثنى محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْهْ قال قال علىّ بن الصبّاح حدّثنى هشامُ بن الكلبىّ عن أبيه قال :

كان عدىّ بنُ زيد بن حمّاد بن زيد بن أيوب الشاعر العِبَادىّ يهوَى هِنْدَ بنتَ النعمانِ بنِ المنذر بنِ المنذر(١) بنِ آمرئ القيس بنِ النعمانِ بنِ آمرئ القيس بن عمرو ابن عدىّ بن نَصْر بن رَبيعة بن عمرو بن الحارث بن مسعود بن مالك بن غَنْم بن نُمَارة ابن لَخْم وهو مالك بن عَدىّ بن الحارث بن مُرَّة بن أُدَد بن زَيْد بن يَشْجُبَ بن عَرِيب بنِ زيد بن كَهْلانَ بن سَبَأ بن يَشْجُبَ بن يَعْرُبَ بن قَحْطانَ ، ولها يقول :

عَلِقَ الأحشاءَ من هِندٍ عَلَقْ(٢) * مُستسِرٌّ فيه نَصْبٌ(٣) وأَرَقْ

وهى قصيدةٌ طويلةٌ . وفيها أيضا يقول :

مَنْ لِقَلب دَنِفٍ أو مُعتَمِدْ(٤) * قد عَصَى كُلَّ نَصُوحٍ ومُفَدْ(٥)

وهى طويلةٌ . وفيها أيضا يقول :

يا خليلىّ يَسِّرَا التعسيرَا * ثم رُوحَا فهجِّرا تهجيرَا

عرِّجا بى على ديارٍ لهندٍ * ليس أن عُجْتُما المَطِىَّ كبيرَا ٣٢/٢

(١) هذه الكلمة ليست موجودة فى ب ، س ، حـ .

(٢) العَلَق : العشق والهوى . (٣) النَّصْبُ والنُّصْبُ والنُّصُب : الداء والبلاء والشرّ .

(٤) انظر فيما سيأتى الحاشية رقم ٣ ص ١٥٢ من هذا الجزء . (٥) هو اسم فاعل من فدّاه يُفَدِّيه إذا قال له : جعلت فداكَ .

قصة تزوجه بهند

قال ابن الكلبىّ : وقد تزوّجها عدىّ . وقال آبنُ أبى سعد، وذكر ذلكَ خالدُ ابنُ كُلْثومٍ أيضا قالا : كان سببُ عِشقه إياها أن هندًا كانتْ من أجملِ نساء أهلها وزمانها، وأُمُّها ماريةُ الكِنْدِيَّةُ، فخرجتْ فى خميس الفِصْحِ(١)، وهو بعد السَّعَانِين بثلاثة أيام، تتقرّب فى البِيعةَ، ولها حينئذ إحدى عَشرةَ سنةً، وذلك فى مُلْكِ المنذر، وقد قَدِم عدىّ حينئذ بهديّةٍ من كسرى إلى المنذر، والنعمانُ يومئذ فتًى شابٌّ، فاتفق دخولُها البِيعةَ وقد دخلها عدىّ لِيَتقرّبَ، وكانت مديدةَ القامة عَبْلَةَ(٢) الجسم، فرآها عدىّ وهى غافلةٌ فلم تَنْتَبِهْ له حتى تأمّلها، وقد كان جوارِيها رأينَ عديًّا وهو مُقْبِلٌ فلم يقُلْنَ لها ذلك، كَىْ يراهَا عدىّ، وإنما فعلن هــذا من أجل أمةٍ لهنــد يقالُ لها مَاريةُ، وقد كانت أحبّتْ عديا فلم تَدرِ كيفَ تأتِى له. فلما رأتْ هند عديا ينظر إليها شقّ ذلكَ عليها، وسَبَّتْ جوارِيَها ونالَتْ بعضَهنّ بضرب، فوقَعَتْ هنــد فى نفس عدىّ، فلبِثَ حولا لا يخبر بذلك أحدًا. فلما كان بعد حولٍ وظنّتْ ماريةُ أنّ هندا قد أضربتْ عمّا جرى وصَفَتْ لها بيعةَ دُومةَ — وقال خالدُ بنُ كلثومٍ: بيعةَ تُوما(٣) وهو الصحيح — ووصَفتْ لهــا مَنْ فيها من الرواهب، ومَنْ يأتيها من جوارى الحِيرة، وحسنَ بنائها وسُرُجِهَا؛ وقالت لها : سَلِى أُمّكِ الإذنَ لكِ فى إتيانها، فسألتْها ذلكَ فأذنَتْ لها، وبادرتْ ماريةُ إلى عدىّ فأخبرته الخبرَ فبادر فلبِسَ يَلْمَقًا(٤) كان «فَرّخَانْشَاهْ مَرْد» قد كساهُ إياه، وكان

(١) كذا فى الأصول، والمعروف فى أعياد النصارى «خميس العهــد» وهو عيد يعمل قبل الفصح بثلاثة أيام، والفصح : عيدهم اذا أفطروا وأكلوا اللحم، وصومهم ثمانية وأربعون يوما، ويوم الأحد الذى يجىء بعــد ذلك هو العيد. والسعانين : عيد لهم يعمل قبل الفصح بسبعة أيام (والمشهور الشعانين بالشين المعجمة عبرانية معرّبة)، فيكون عيد السعانين قبل خميس العهد بثلاثة أيام. (انظر بلوغ الأرب للآلوسى والعقد الفريد والقاموس).

(٢) عبلة الجسم : ضخمته وتامّة خلقه.

(٣) ذكر ياقوت فى معجم البلدان «دير توما» ولم يذكر موقعه وانما أورد فيه أبياتا للزّار القعسىّ منها :

تصيح اذا هجعت بدير توما * حمامات يزدن الليل طولا

(٤) اليلمق : القباء، فارسىّ معرّب.

مُذْهَبًا لم يُرَ مثلُه حُسنًا ، وكان عَدِىّ حسنَ الوجه ، مديدَ القامة ، حُلوَ العينين ، حَسَنَ المَبسِم ، نقىّ الثَّغر . وأخذ معه جماعةً من فِتيانِ الحيرة ، فدخل البِيعةَ ؛ فلما رأته ماريةُ قالتْ لهنـد : انظرى إلى هـذا الفتى ! فهو واللهِ أحسنُ من كُلّ ماتَرَيْنَ من السُّرُج وغيرِها ! قالت : ومن هـو ؟ قالت : عدىُّ بنُ زيد ؛ قالت : أتخافِينَ أن يعرفَنِى إن دنوتُ منه لِأَرَاهُ من قريب؟ قالت : ومِنْ أين يَعرفُكِ وما رآكِ قطّ مِنْ حيثُ يعرِفُكِ ! فدنَتْ منه وهو يُمازح الفتيانَ الذين معه وقد برَع عليهم بجماله ، وحُسن كلامه وفصاحته ، وما عليـه من الثياب ، فذَهِلَتْ لمـّا رأتْه وبهتَتْ[1] تنظر إليـه . وعَرَفَتْ ماريةُ ما بها وتبيَّنَتْه فى وجهها ، فقالت لهـا : كَلِّميه ، فكَلَّمَتْه ، وانصرفَتْ وقد تبعتْه نَفسُها وهَوِيَتْه ، وانصرف بمثل حالها . فلما كان الغدُ تعرّضَتْ له ماريةُ ، فلما رآها هَشّ لها ، وكان قبل ذلك لا يكلِّمها ، وقال لها : ما غدَا بِكِ؟ قالت : حاجةٌ إليكَ ، قال : اذكريها ، فوالله لا تسأليني شيئا إلا أعطيتُكِ إياه ، فعرَّفَتْه أنها تهواهُ ، وأن حاجتَها الخلوةُ به على أن تحتالَ له فى هند ، وعاهدَتْه على ذلك ؛ فأدخلها حانوتَ خمّارٍ فى الحِـيرة ووقَع عليها ؛ ثم خرجَتْ فأتت هِندًا ، فقالَتْ : أما تشتهين أن تَرَىْ عديا؟ قالت : وكيفَ لى به؟ قالت : أَعِدُه مكانَ كذا وكذا فى ظَهْرِ القَصر وتُشرفين عليه ؛ قالت : ٱفعَلى ، فواعدَتْه إلى ذلك المكانِ ، فأتاه وأشرفَتْ هند عليه ، فكادَتْ تموتُ[2] ، وقالت : إن لم تُدخِليـه إلىّ هلَكْتُ . فبادرتِ الأمةُ إلى النعمان فأخبرَتْه خبرَها وصَدَقَتْه ، وذَكَرتْ أنها قد شُغِفَتْ به ، وأن سببَ ذلكَ رؤيتُها إياه فى يوم الفِصْـح ، وأنه إن لم يُزوّجها به افتضحت فى أمره أو ماتتْ ؛ فقال لهـا : ويلكِ ! وكيف أبدؤه بذلكَ ! فقالت : هو أرغبُ فى ذلكَ مِنْ أن تبـدأه أنتَ ، ٣٣/٢

(١) كذا فى حـ ، أ . وفى ب ، سـ : «هبت» . (٢) كذا فى حـ بدون أن وهو الأفصح . وفى باقى النسخ : « أن تموت » .

وأنا أحتال فى ذلكَ من حيث لايعلم أنك عرفتَ أمره. وأتتْ عديًّا فأخبرته الخبرَ، وقالت: ادعُه، فإذا أخذ الشرابُ منه فآخطُبْ إليــه فإنه غيرُ رادِّك؛ قال: أخشَى أن يُغضبَه ذلكَ فيكونَ سببَ العداوةِ بينَنا؛ قالت: ما قلتُ لكَ هذا حتى فرغتُ منه معه؛ فصنع عدىٌّ طعاما وآحتفل فيه، ثم أتى النعمانَ بعد الفِصْح بثلاثة أيام، وذلك فى يوم الاثنين، فسأله أن يتغدّى عنده هو وأصحابُه، ففعل. فلما أخذ منه الشرابُ خطبها إلى النعمان، فأجابه وزوّجه وضمّها إليه بعد ثلاثة أيام.

ترهب هند بعد قتل عــدىّ

قال خالدُ بن كُلْثوم: فكانتْ[1] معه حتى قتــله النعمانُ، فترهّبَتْ وحبسَتْ نفسَها فى الدير المعروف بدير هنــد[2] فى ظاهر الحِيرةِ. وقال آبن الكلبىّ: بل ترهّبت بعد ثلاث سنين ومنعته نفسَها وآحتبسَتْ فى الدير حتى ماتت، وكانت وفاتُها بعد الإسلام بزمان طويل فى ولاية المُغيرة بن شُعْبة الكوفةَ، وخطبها المغيرةُ فردّته.

خطبها المغيرة بن شعبة فردّته

أخبرنى عمى قال حدّثنى آبنُ أبى سَعْد قال حدّثنا علىّ بن الصَّبّاح عن هشام ابن محمد بن الكلبىّ عن أبيه[3] والشَّرَقِىّ بنِ القَطَامِىّ قالا:

مرّ المغيرةُ بنُ شعبة لمّا ولّاه معاويةُ الكوفةَ بدير هند، فنزله ودخل على هند بنتِ النعمانِ بعد أن آستأذن عليها، فأذِنت له وبسطَتْ له مِسْحًا[4] فجلس عليه، ثم قالتْ له: ما جاء بكَ؟ قال: جئتُكِ خاطبا؛ قالت: والصليبِ لو علمتُ أن فىّ خَصلةً

---

(١) كذا فى أغلب الأصول. وفى م، أ: «فكثت». (٢) دير هند هذا هو المسمى بدير هند الصغرى، أما دير هند الكبرى فهو أيضا بالحيرة، وقد بنته هند أم عمرو بن هند، وهى هند بنت الحارث ابن عمرو بن حجر آكل المرار الكندى. انظر معجم البلدان لياقوت فى اسم «دير هند الصغرى» و «دير هند الكبرى». (٣) كذا فى حـ. وفى باقى الأصول «عن هشام بن محمد عن ابن الكلبىّ». وكلمة «عن» هنا وقعت غلطا لأن علىّ بن الصباح يروى عن هشام بن محمــد بن الكلبىّ ولأن المؤلف سيقول بعد: «وقد روى عن ابن الكلبى غير علىّ بن الصباح». (٤) المسح: كساء من الشعر.

من جمالٍ أو شبابٍ رغّبتك فىّ لأجبتك، ولكنّك أردتَ أن تقولَ فى المواسم : مَلَكتُ مملكةَ النعمان بن المنذر ونكحتُ ٱبنته، فبحقّ معبودك أهذا أردتَ؟ قال : إى والله؛ قالت : فلا سبيل إليه؛ فقام المغيرةُ وانصرف وقال فيها :

أدركتِ مامنّيتُ نفسىَ خالياً * لله درُّكِ يٱبنــةَ النعمانِ
فلقد رددْتِ على المغيرة ذِهْنَهُ * إنّ الملوكَ نَقيّةُ الأذهانِ

وفى رواية أخرى : * إنّ الملوكَ بَطيّةُ الإذعانِ *

ياهندُ حسبُكِ قد صَدَقتِ فأمسِكى * فالصِّــدقُ خيرُ مَقالَةِ الإنسانِ

حديث عشقها لزرقاء اليمامة

وقد رَوَى عن ابن الكلبىّ غيرُ علىّ بن الصّبّاح فى هند أنها كانت تهوَى زرقاءَ اليمامة، وأنها أوّل امرأة أحبّتْ ٱمرأةً فى العرب، فإنّ الزرقاء كانت ترَى الجيشَ من مَسيرة ثلاثين ميلا؛ فغزا قوم من العرب اليمامةَ، فلما قرُبُوا من مسافة نظرها قالوا : كيف لكم بالوصول، مع الزرقاء! فاجتمع رأيُهم على أن يقتلعُوا شجرًا تستُرُ كلُّ شجرة منها الفارسَ إذا حملها؛ فقطعَ كلُّ واحد منهم بمقدار طاقتــه وساروا بها، فأشرفَتْ، كما كانتْ تفعلُ، فقال لها قومُها : ما ترَيْنَ يا زرقاءُ؟ وذلك فى آخر النهار؛ قالت : أرَى شجرًا يسيرُ؛ فقالوا : كذبتِ أو كذبَتْكِ عينُكِ، واستهانوا بقولها؛ فلما أصبحوا صبّحهم القومُ[1]، فاكتسحوا[2] أموالهم وقتلوا منهم مقتلةً عظيمةً وأخذوا الزرقاء فقلَعوا عينها فوجدوا فيها عروقا سوداء، فسُئِلَتْ عنهــا فقالت : إنى كنتُ أُديمُ الاكتحالَ بالإثْمِدِ[3] فلعلّ هــذا منه، وماتَتْ بعد ذلك بأيام؛ وبلغ هندًا خبرُها

(١) يقال : صبح القوم إذا أتاهم صباحا بخير أو شرّ، وصبحهم بتشديد الباء إذا أتاهم صباحا .
(٢) فى م، أ : «فاستباحوا» .
(٣) حكى إسماعيل الموصلىّ فى «كتاب الأوائل» ما أورده أبو الفرج من أنّ هندا أحبّت الزرقاء وأنها أوّل امرأة أحبت امرأة، ثم قال : وفيه نظر، فان هند بنت النعمان ماتت فى ولاية المغيرة بن شعبة على الكوفة وزرقاء اليمامة من جديس ولهم خبر مع طسم وكانوا فى زمن ملوك الطوائف وبينهما زمان طويل، فما أعلم من أين وقع لأبى الفرج هذا! . (انظر خزانة الأدب للبغدادى ج ٣ ص ١٨٢) .

فترهّبتْ ولَبِسَت المُسُــوحَ وبنَتْ ديرا يعرفُ بديرِ هند إلى الآن ، فأقامت فيه حتى ماتت .

قيل إن النعمان أكره عديا على طلاق هند فطلقها

وروى ٱبنُ حبيبَ عن ٱبن الأعرابىّ : أنّ النعمانَ لمـا حبَس عديًا أكرهه في أمرها على طلاقها ولم يزل به حتى طلّقها . قال ابنُ حبيبَ : وذكر عدىّ بنُ زيد ٣٤/٢ صِهرَه هذا للنعمان فى قصائده وكان زوجَ أختِه ــ هكذا ذكر العلماءُ من أهل الحيرة . وقالتْ رُواةُ العرب : إنه كان زوجَ ٱبنتِه هندٍ ــ فمِن ذلكَ قولُه فى قصيدته التى أوّلها :

* أبصَرتْ عينِى عِشاءً ضَوءَ نَارِ *

فقال فيهـا :

أَجْلَ نُعمَى رَبِّهـا أَوَّلُكُمْ * ودُنُوِّى كان منكم وٱصْطِهارِى

نحن كُنَّا قــد علِمتُم قبلهـا[1] * عَمَــدَ البيتِ وأوتادَ الإصَارِ

سبب تنصر ٱلنعمان وما وقع بينه وبين عدىّ فى ذلك

أخبرنى محمد بن يحيى الصُّولِىّ قال حدّثنا إبراهيمُ بن فَهْـدٍ قال حدّثنا خليفةُ بنُ خيّاط شَـبَابٌ[2] العُصْفُرِىُّ قال حدّثنـا هشامُ بن محمـد قال حدّثنى يحيى بن أيوبَ البجَلىّ قال حدّثنا أبو زُرْعَةَ بن عمرو بن جرير بن عبد الله البَجَلىّ قال : سمعتُ جدّى جريرَ ٱبنَ عبد الله يقول ، وأخبرنى به عمّى قال حدّثنا أحمدُ بن عبيد الله قال أخبرنا محمدُ بن يزيدَ بن زياد الكلبىّ أبو عبدالله قال حدّثنى معروفُ بنُ خَرَّبُوذَ[3] عن يحيى بن أيوبَ

(١) كذا وقع هنا فى جميع الأصول ، وقــد تقدّم فى جميع الأصول فى ص ١٠٤ من هذا الجزء : «قبلكم» . (٢) كذا فى حـ . وفى ب ، سـ ، م : «خليفة بن خياط عن شباب العصفرى» والصواب ما أثبتناه اذ هو «خليفة بن خياط بن خليفة بن خياط العصفرى الملقّب بشَباب» (انظر تهذيب التهذيب والخلاصة فى أسماء الرجال فى اسم خليفة) . (٣) خَرَّبُوذ بفتح الخاء وتشديد الراء أو بسكونهـا ثم ضم الموحدة هو محـدّث لغوىّ إخبارىّ مكىّ من موالى آل عثمان . (انظر تهـذيب التهذيب وتاج العروس) .

عن أبى زُرعة بن عمرو قال: سمعت جدّى جرير بن عبد الله — ولفظ هذا الخبر لأحمد ابن عبيد الله وروايته أتم — قال :

كان سببُ تنصّر النعمان — وكان يعبد الأوثانَ قبل ذلك، وقال أحمد بن عبيد الله فى خبره : النعمان بن المنذر الأكبر — أنه كان قد خرج يتنزه بظهر الحيرة ومعه عدىّ بن زيد، فمرّ على المقابر من ظهر الحيرة ونهرها؛ فقال له عدىّ بن زيد : أبيتَ اللّعنَ، أتدْرِى ما تقولُ هذه المقابرُ؟ قال : لا، وقال أحمدُ بنُ عُبيد الله فى خبره : فقال له تقول :

أيُّها الركبُ المخبُّو * نَ على الأرض المجدُّونْ
كما أنتُمْ كُنَّا(١) * وكما نحن تكونُونْ

وقال الصُّولىُّ فى خبره : فقال له تقول :

كُنَّا كما كنتُمُ حينًا فغَيَّرَنَا * دهرٌ فسوفَ كما صِرنَا تصيرونَا

قال : فانصرف وقد دخلته رِقّةٌ، فمكث بعد ذلك يسيرا؛ ثم خرج خَرْجةً أخرى فمرّ على تلك المقابر ومعه عدىّ، فقال له : أبيتَ اللّعنَ، أتدرِى ما تقولُ هذه المقابر؟ قال : لا؛ قال : فإنها تقول :

مَنْ رآنا فَلْيُحَدِّثْ نفسَه * أنه مُوفٍ على قَرْنِ(٢) زَوَالِ
وصُروفُ الدَّهرِ لا يَبقَى لها * ولِمَا تأتِى به صُمُّ الجبالِ
رُبَّ ركبٍ قد أناخوا عندنا(٣) * يشربون الخمرَ بالماء الزُّلالِ

(١) كذا فى جميع الأصول، والشعر من مجزوء الرمل المسبغ، وتقطيعه :
فاعلاتن فاعلاتن * فاعلاتن فاعلاتان
فيكون على هذا غير موزون . وجاء فى شعراء النصرانية ج ٢ ص ٤٤٢ هكذا : * كما أنتم كذا كنّا *
وهذا الشطر أيضا من بحر آخر يقال له : الهزج، وتقطيعه : * مفاعيلن مفاعيلن *
ومن المحتمل أن يكون معطوفا بالواو على بيت قبله سقط حتّى يصح الوزن . (٢) أى على طرف زوال .
(٣) كذا فى أغلب الأصول . وفى حـ والكامل للبرد ص ٢٨٣ طبع أوروبا : « حولنا » .

والأباريــقُ(١) عليهـا فُــدُمٌ(٢) * وجيادُ الخيل تَرْدِى(٣) فى الجلَالِ
عَمِــرُوا دهرا بعيش حَسَنٍ * آمِنِى دَهْرِهِمُ(٤) غــيرَ عِجَــالِ
ثم أضْحَوْا عصفَ الدّهرُ بهــم * وكذاكَ الدهرُ يُودِى بالرِّجالِ(٥)
وكذاكَ الدهرُ يرمِى بالفــتى * فى طِلَابِ العيشِ حالًا بعدَ حالِ

قال الصُّولىّ فى خبره وهو الصحيح : فرجع النعمان فتنصّر؛ وقال أحمد بن عبيد الله فى خبره عن الزيادىّ الكلبىّ : فرجع النعمانُ من وجهــه وقال لعدىّ : ائتنى الليلةَ إذا هَدَأتِ الرِّجلُ لتعــلَمَ حالى، فأتاه فوجده قد لَبِسَ المُسوحَ وتنصّر وترهّب وخرج سائحا على وجهه فلا يُدْرَى ما كانت حالُه، فتنصر ولدُه بعده، وبنَوْا البِيعَ والصوامعَ، وبنَتْ هنــد بنتُ النعمان بن المنذر [بن النعمان بن المنذر](٦) الديرَ الذى بظهر الكوفة ويقال له : « دير هند » ، فلما حبَس كِسرى النعمانَ الأصــغَر أباها ومات فى حبسه ترهّبتْ هند ولبِست المسوحَ وأقامت فى ديرها مُترهّبةً حتى ماتت فدُفِنَتْ فيه . ٣٥/٢

تصدر المؤلف لرواية أن النعمان هو الذى تنصر وتدليله على ذلك

قال مؤلفُ هذا الكتاب : إنما ذكرتُ الخبرَ الذى رواه الزيادىّ على ما فيه من التخليط لأنى إذا أتيتُ بالقصّة ذكرتُ [كلّ](٧) ما يُروَى فى معناها . وهو خبر مختلط،

(١) كذا فى حـ والكامل للبرد ص ٢٨٣ طبع أوروبا وشــعراء النصرانية . وفى سائر النسـخ « وأباريق » بدون أل .

(٢) فُدُمٌ : جمع فَدَام بفتح الفاء وكسرها وهو ما يوضع فى فم الأبريق لتصفية ما فيه من شراب ، ولم ينص فى كتب اللغــة على جمعــه ولكن ما كان على وزن فعال بكسر الفاء يجمع على فُعُل باطّراد نحو كتاب وكتب ، وكذلك ما كان على وزن فَعّال نحو قَذّال وقُذُل . (٣) تردى : تعدو وترجم الأرض بحوافرها يقال : ردت الخيل رديا ورديانا أى رجمت الأرض بحوافرها فى سيرها وعدوها . (٤) كذا فى جميع الأصول ، وفى شعراء النصرانية والكامل للبرد ص ٢٨٣ : «قطعوا دهرهم» .

(٥) كذا فى جميع النسخ وقد تقدّم هذا البيت فى ص ٩٥ من هذا الجزء هكذا :

عصَفَ الدهرُ بهم فانقرضوا * وكذاكَ الدهرُ حالًا بعد حال

(٦) زيادة فى حـ وعليها يرد نقض أبى الفرج الآتى بعدُ . (٧) زيدت لفظة كل هكذا فى نسختى ا ، م . وفى حـ وقعت هذه الجملة هكذا : «اذا ذكرت القصة أتيت بكل ما يروى الخ» .

لأن عدىّ بن زيد إنما كان صاحبَ النعمان بن المنذر وهو المحبوس والنعمان الأكبر لا يعرفه عدىّ ولا رآه ولا هو جدّ النعمان الذى صحبه عدىّ كما ذكر ابن زياد، وقد ذكرتُ نسبَ النعمان آنفا، ولعل هذا النعمانَ الذى ذكره عمُّ النعمان بن المنذر الأصغر بن المنذر الأكبر، والمتنصّر السائح على وجهه ليس عدىّ بن زيد أدخله فى النصرانية، وكيف يكون هو المدخِلَ له فى النصرانية وقد ضربه مثلا للنعمان فى شعره لمّا حبسه مع مَنْ ضربه مثلا له من الملوك السالفة! .

حكاية خالد بن صفوان مع هشام ابن عبد الملك وتذكره قصة النعمان وتنصره

حدّثنا بخبر ذلك الملك جعفرُ بن محمد الفِرْيَابِىّ وأحمدُ بنُ عبد العزيز بن الجَعْد الوَشّاء قالا: حدّثنا إسحاق بنُ البُهْلُول الأنْبارىّ قال حدّثنى أبى البُهْلولُ بن حَسّان التَّنُوخىّ قال حدّثنى إسحاقُ بن زِيَاد من بنى سَامةَ بنِ لُؤَىّ عن شَبِيبِ بن شَيْبَةَ عن خالد بن صَفْوان بن الأَهْتَم قال:

أوفدنى يوسفُ بن عمرَ إلى هشام بن عبد الملك فى وَفْد أهل العراق قال: فقدمتُ عليه وقد خرج بقَرابته وحَشَمه وغَاشِيَته(١) وجُلَسَائه، فنزل فى أرض قاعٍ صَحْصَحٍ(٢) مُنِيف أَفْيَحَ(٣)، فى عامٍ قد بكّر وَسْمِيُّه(٤)، وتتابع وَلِيُّه، وأخذت الأرضُ [فيه](٥) زينتَها على اختلاف ألوان نَبتها من نَوْرِ رَبيعٍ مُونِقٍ فهو فى أحسنِ مَنظَرٍ، وأحسنِ مُختَبَرٍ، وأحسنِ مُسْتَمْطَرٍ، بصعيدٍ كأنّ ترابَه قِطَعُ الكافور، قال: وقد ضُرِبَ له سُرادِقٌ من حِبَرةٍ(٦) كان يوسفُ بنُ عمر صنعه له باليمن، فيه فُسطاطٌ فيه أربعة أفرِشَةٍ من خَزٍّ أحمرَ مثلُها مَرافِقُها، وعليه دُرّاعَةٌ من خَزٍّ أحمرَ مثلُها عِمامتُها، وقد أخذ

(١) غاشية الرجل: من ينتابه من زواره وأصدقائه. (٢) الصحصح: الأرض الجرداء المستوية ذات حصى صغار. (٣) الأفيح: الواسع. (٤) الوسمىّ: مطر الربيع الأوّل. والولىّ: المطر الذى يلى الوسمىّ. (٥) زيادة فى حـ.

(٦) الحِبَرَةُ والحَبَرَة: ضرب من منسوج اليمن منمّر (فيه نقط سود).

النـاسُ مجالسَهم ؛ قال : فأخرجتُ رأسى من ناحية السِّماط(١) فنظر إلىّ شِبْهَ المستَنْطِق لى فقلتُ : أتمّ اللهُ عليكَ يا أمـير المؤمنين نِعَمَهُ ، وجعل ما قلّدكَ من هـذا الأمر رُشْدا ، وعاقبةَ مايؤول اليه حمدا ، وأخلصه لك بالتُّقَى ، وكثّره لك بالنَّماء ، ولا كدّر عليك منه ما صَفَا ، ولا خالط سرورَه بالرَّدَى ، فلقد أصبحتَ للمؤمنين ثِقةً ومُستَرَاحًا ، إليك يقصدون فى مَظَالمهم ، ويفزَعون فى أمورهم ، وما أجِدُ شيئا ياأميرَ المؤمنين هو أبلغُ فى قضاء حقك ، وتوقير مجلسك ، وما منّ اللهُ جلّ وعزّ علىّ به من مجالستك من أن أذَكِّرَكَ نعمَ الله عليكَ ، وأُنبّهك لشكرها ، وما أجدُ فى ذلك شيئا هو أبلغ من حديث مَنْ سلف قبلك من الملوك ، فإن أذِنَ أمير المؤمنين أخبرتُه به ؛ قال : فاستوى جالسًا وكان مُتَّكئًا ثم قال : هاتِ يابن الأهْتَم ، قال : قلت يا أمـير المؤمنين إنّ ملكًا من الملوك قبلك خرج فى عامٍ مثلِ عامكَ هذا إلى الخَوَرْنَق والسَّدِير(٢) فى عامٍ قد بكّر وسميُّه ، وتتابعَ وَلِيّه ، وأخذتِ الأرضُ [فيه](٣) زينتَها على اختلاف ألوان نَبْتها فى ربيع مُونِقٍ ، فهو فى أحسن مَنظَر ، وأحسنِ مختَبَر ، بصعيد كأن ترابَه قِطعُ الكافور ، وقد كان أُعطِىَ فَتاءَ السنّ مع الكثرة والغلَبة والقهر ، فنظر فأبعد النظرَ ثم قال لجلسائه : لِمَنْ مِثلُ هذا ، ٣٦ / ٢ هل رأيتم مثلَ ما أنا فيه ! وهل أُعطِىَ أحدٌ مثلَ ما أُعطِيتُ ! قال : وعنده رجل من بقايا حَمَلة الحُجّـة ، والمضىِّ على أدب الحقّ ومِنهاجه ، قال : ولم تَخْـلُ الأرضُ من قائم لله بحُجّة فى عباده ؛ فقال : أيها الملكُ إنكَ سألتَ عن أمرٍ ، أفتأذَنُ فى الجواب عنه؟ قال : نعم ؛ قال : أرأيتَ هذا الذى أنتَ فيه ، أشىءٌ لم تزلْ فيـه ، أم شىءٌ

---

(١) السماط : جمع سمط وهو الصف من الناس وغيرهم (٢) ذكر صاحب القاموس أن السـدير نهر بالحيرة ، وقال شارحه : وقيـل السدير : قصر فى الحيرة من منازل آل المنـذر وأبنيتهم . وذكر الخلاف ياقوت فى معجم البلدان فقال : السدير : نهر ، وقيل : قصر قريب من الخورنق كان النعمان الأكبر اتخذه لبعض ملوك العجم . وسيتكلم المؤلف بعد قليل عن الخورنق . (٣) زيادة عن حـ .

صار إليك ميراثا وهو زائلٌ عنكَ وصائرٌ إلى غيرِك كما صار إليك ؟ قال : كذلك هو؛ قال : فلا أُراكَ إلا عَجِبْتَ[1] بشىء يسيرٍ تكون فيه قليلا وتغيبُ عنه طويلا، وتكون غدًا بحسابه مُرْتَهَنا؛ قال : وَيْحكَ! فأين المَهْربُ وأين المَطْلبُ؟ قال : إما أن تُقيمَ فى ملكِكَ فتعملَ فيــه بطاعة الله ربِّكَ على ما ساءكَ وسرَّك، وأَمَضَّكَ[2] وأَرْمَضَكَ[3]، وإما أن تضعَ تاجكَ، وتخلَعَ[4] أَطْمارَكَ، وتلبسَ أَمْسَاحك ، وتعبدَ ربك حتى يأتيَك أجلُكَ؛ قال : فإذا كان السَّحَرُ فاقرعْ علىّ بابى فإنى مختارٌ أحدَ الرأيينِ ، وربما قال إحدَى المنزلتين، فإن آخترتُ ما أنا فيه كنتَ وزيرا لا يُعصَى ، وإن اخترتُ فَلَواتِ الأرض وقَفْرَ البلاد كنتَ رفيقًا لا يُخَالَفُ؛ قال : فقرعَ عليه عند السَّحَر بابَه فإذا هو قد وضع تاجَه ، وخلع[5] أطمارَه ، ولبس أمسَاحَه ، وتهيأ للسياحة، فلزِما والله الجبــلَ حتى أتاهما أجلُهما ، وهو حيثُ يقول عدىّ بن زيد أخو بنى تميم :

أيُّهــا الشَّامتُ المعــيِّرُ بالدَّهـــ * ــرِ أأنتَ المــبرَّأُ الموفُــورُ
أم لديكَ العهدُ الوثيقُ من الأ * يـــام بل أنتَ جاهلٌ مغرورُ
مَنْ رأيتَ المَنُونَ خَلَّدْنَ[6] أم مَنْ * ذا عليه مِنْ أن يُضَامَ خفيرُ

---

(١) كذا فى أغلب الأصول . وفى ح : «فلا أراك أعجبت إلا بشىء الخ» . وذكر فى المصباح : أن التعجب على وجهين : تعجب على وجه الاستحسان وهــذا يقال فيــه : أعجبنى بالألف . وتعجب بمعنى الانكار وهذا يقال فيه : عجبت على وزان تعبت . ولكن فى القاموس ما يدل على أن عجب الثلاثىّ يستعمل فى الاستحسان كقوله : وأُعْجِب به : عَجِب وسُرّ كأعجبه .

(٢) كذا فى م ، أ . وفى باقى الأصول « ومضّك» هكذا بدون ألف وكلاهما صحيح عربيــة إلا أن ثعلبا يقدّم «أمضنى» ومعناهما : أحرقنى وشــق علىّ .

(٣) أرمضك : أوجعــك ، يقال : أرمضنى الأمر أى أوجعنى .

(٤) كذا فى أغلب النسخ . وفى ح : «وتضع أطمارك» .

(٥) فى ح : «ووضع أطماره» .

(٦) كذا فى جميع الأصول . وفى لسان العرب مادة « منّ » بدل خلدن : « عززن » . والمنون : الموت وقيل الدهر . قال صاحب اللسان : وقد جعــله عدىّ بن زيد جمعا وأورد هذا البيت . وفى معاهد التنصيص طبع بولاق ص ١٤١ : «جازنه» بدل خلدن .

أين كسرى كسرى الملوك أنوشر(١) * وانُ أم أينَ قبله سابور(٢)
وبنو الأصفر الكرامُ ملوكُ الـرّ * وم لم يبق منهمُ مذكورُ
وأخو الحَضْر إذ بناه وإذ دِجْـ * ـلَةُ تُجْبَى إليه والخابور(٣)
شَادَهُ مَرْمَرًا وجَلَّلَه كِلْـ * ـسًا(٤) فلِلطير فى ذُراه وُكورُ
لم يَهَبْه رَيبُ المنونِ فبادَ الْـ * ـمُلكُ عنه فبابُه مهجورُ ..
وتَذَكَّرْ(٥) ربَّ الخَوَرْنَق إذ أشْـ * ـرَفَ يومًا وللهُدَى تفكيرُ
سرَّه مالُه(٦) وكثرةُ ما يمْـ * ـلِكُ والبحرُ مُعرِضًا(٧) والسديرُ
فارْعَوَى قلبُه فقال وما غِبْـ * ـطَةُ حيٍّ إلى المماتِ يصيرُ
ثم بعد الفلاح والملكِ والإمّـ * ـةِ(٨) وارَتْهمُ هُناكَ القُبورُ
ثم صاروا(٩) كأنهم وَرَقٌ جَفّ * فألوتْ(١٠) به الصَّبا والدَّبورُ

(١) كذا فى أغلب النسخ، وجاء فى لسان العرب مادة «كلس»: «أبوساسان» بدل «أنوشروان».
(٢) سابور الجنود وهو ابن أردشير، وسابور ذو الأكتاف وهو سابور بن هرمز وكلاهما من ملوك العجم قبل كسرى أنوشروان.
(٣) الخابور: اسم لنهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة. (٤) الكلس: الصاروج وهى النورة وأخلاطها التى تصرّج (تطلى) بها البرك وغيرها وهو بالفارسية جاروف عرّب فقيل صاروج وربما قيل شاروق. (٥) كذا فى جميع النسخ. وفى معاهد التنصيص ص ١٤٢ طبع بولاق سنة ١٢٧٤ هـ وكتاب الشعر والشعراء ص ١١١ طبع ليدن سنة ١٩٠٢ م «وتبين». وفى شعراء النصرانية: «وتفكّر». (٦) كذا فى جميع النسخ وفى كتاب الشعر والشعراء ص ١١٢ ومعاهد التنصيص ص ١٤٢ طبع بولاق: «سرّه حاله». (٧) مُعرِض بمعنى متسع، ومنه أعرض الثوب أى اتسع وعرض. (٨) كذا فى جميع النسخ، والإمّة بالكسر: النعمة. وفى شعراء النصرانية: «والنعمة». (٩) كذا فى جميع النسخ. وفى الشعر والشعراء ومعاهد التنصيص: «ثم أضحوا». (١٠) ألوت به أى ذهبت به.

قال : فبكى والله هشامٌ حتى أخضل[1] لحيتَه، وبلَّ عمامتَه، وأمرَ بنزع أبنيته، وبنقلان[2] قرابته وأهلـه وحشَمه وغاشيتَه من جلسائه، ولزم قصرَه، فأقبلتِ الموالى والحشمُ على خالد بن صفوانَ فقالوا : ما أردتَ إلى أمير المؤمنين ! أفسدتَ عليـه لذّته، ونغّصتَ عليه مأدُبتَه، فقال : إليكم عنّى فإنى عاهدتُ اللهَ عزّ وجلّ ألّا أخلوَ بملِكٍ إلا ذكَّرتُه اللهَ عز وجل .

قصرا الحضر والخورنق

فأما خبرُ الحَضْر وصاحبه، والخورنقِ وصاحبه، فإنى أذكر خبرهما ها هنا لأنه ممـا يحسنُ ذكرُه بعَقِبِ هذه الأخبارِ ولا يُستغنَى عنه، والشيءُ يتبعُ الشيءَ . ٣٧/٢

أخبرنى بخبره إبراهيمُ بنُ السَّرِىّ عن أبيه عن شُعيب عن سَيْف، وأخبرنى به الحسنُ بن علىّ قال حدّثنا الحارثُ بن محمـد قال حدّثنا محمدُ بن سَعْد عن الواقدىّ، وأخبرنى به علىّ بنُ سليمان الأخفشُ فى كتاب المغتالين عن السُّكّرىّ عن محمد بن حَبيب عن ابن الأعرابىّ عن المفضّل بن سَلَمة الضّبىّ، وهشامُ بن الكلبىّ عن أبيه، وإسحاق ابن الجَصّاص عن الكوفيّين :

أن الحَضْر كان قصرا بحِيَال تَكْرِيتَ بين دِجْلَةَ والفُرَات، وأن أخا الحَضْر الذى ذكره عدىّ بنُ زيد هو الضَيْزَنُ بن مُعاويةَ بن العَبيد بن الأَجْرام بن عمرو بن النَّخَع ابن سَلِيح من بنى تَزِيدَ[3] بنِ حُلْوانَ بنِ عِمْرانَ بن الحاف بن قُضاعة، وأمه جَيْهلةُ[4] امرأةٌ

(١) فى ا ، م : «حتى اخضلت لحيته» . (٢) كذا فى جميع الأصول ولم نجد فى كتب اللغة فى هذه المادّة النقلان مصدر النقل . وفى كتاب الإمامة والسياسة طبع مطبعة النيل سنة ١٣٢٢ هـ ص ٢٠٣ ج ٢ «ثم أمر بنزع أبنيته وانتقاله وأقبلت العامة من الموالى على ابن الأهتم الخ» ولم يذكر ما يتعلق بقرابته وأهله . (٣) كذا فى م ، ا وتاريخ الطبرى . وفى ب ، س : «يزيد» بالتحتية . وفى القاموس : «وتزيد بن حلوان أبو قبيلة» ، قال المرتضى فى شرحه : «هكذا بالمثناة الفوقية ، وفى نسختنا بالفوقيّة والتحتيّة ، ثم نقل عن كتاب الايناس للوزير المغربى : أن فى قضاعة تزيد بن حلوان وفى الأنصار تزيد بن جشم ، وسائر العرب غير هذين فبالياء المنقوطة من أسفل . ونقل عن السهيلى فى الروض الأنف : أنه لا يعرف تزيد الا تزيد بن جشم وتزيد بن الحاف بن قضاعة وهم الذين تنسب إليهم الثياب التزيدية ، قال المرتضى : وبه قال الدارقطنى والحقّ بيده ووافقه على ذلك أئمة النسب . (انظر تاج العروس فى مادة زيد) . (٤) كذا فى جميع الأصول «جبهلة» بالجيم والباء . وفى تاريخ الطبرى قسم ١ ص ٨٢٧ : «جيهلة» بالجيم والياء المثناة .

من بنى تَزِيدَ بن حُلْوانَ أخى سَلِيح بن حُلوان، وكان لا يُعرفُ إلا بأمه هذه، وكان مِلكَ تِلكَ الناحيةِ وسائرِ أرضِ الجزيرة، وكان معه من بنى الأجرام [ثم من بنى العَبِيد ابن الأجرام] (١) وسائرقبائلِ قضاعة ما لا يُحصَى، وكان مُلْكُه قد بلغ الشامَ. فأغارَ الضيزنُ فأصاب أختا لسابور ذى الأكتافِ (٢) وفتح مدينةَ نهر شِـير (٣) وفتكَ فيهم، فقال فى ذلك عمرو بن السَّلِيح بن حُدَىّ (٤) بن الدَّها بن غَنْم بن حُلوانَ بن عِمرانَ بن الحاف بن قُضاعةَ:

لَقِينَاهم بجَمْعٍ من عِلَافٍ (٥) * وبالخيلِ الصَّلادِمة الذكورِ
فلاقتْ فارسٌ منّا نَكالًا * وقتّلنا هَرَابِذَ شَهْرَزُورِ (٦)
دلَفْنا (٧) للأعاجم من بعيدٍ * بجمعٍ م الجزيرة كالسَّعيرِ

قالوا: ثم إن سابورذا الأكتاف جمع لهم وسار إليهم، فأقام على الحَضْر أربع سنين لا يَستغِلّ منهم شيئا. ثم إن النَّضِيرة (٨) بنتَ الضَّيْزنِ عَرَكَتْ — أى حاضت — فأخرجَتْ

(١) زيادة فى حـ. (٢) كذا فى جميع الأصول وقد نبّه ياقوت فى معجم البلدان فى آسم الحَضْر على أنّ صاحب القصة انما هو سابور الجنود وهو سابور بن أردشير لا سابور ذو الأكتاف وهو سابور ابن هرمز، وقال: انما ذكرت ذلك لأن بعضهم يغلط ويروى أنه ذو الأكتاف. (٣) كذا فى جميع الأصول ولم نجد هذا الاسم فى معجم ياقوت. (٤) كذا فى جميع الأصول. وفى تاريخ الطبرى قسم ١ ص ٨٢٨: «الجدىّ بن الدهاء». وفى معجم ياقوت فى اسم الحَضْر: «الجُدَىّ بن الدلهاث». (٥) هو علاف بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وهو ربّان أبو جرم من قضاعة، واليه تنسب الخيل العلافيّة. والخيل الصلادمة: القويّة الشديدة.

(٦) كذا فى حـ وتاريخ الطبرى ومعجم البلدان، وشهرزور: كورة واسعة بين إربل وهمذان، قال ياقوت: وأهل هذه النواحى كلهم أكراد ولأهلها بطش وشدّة. وفى بقية الأصول: «نهر شير» ولم نجده فى أسماء الأماكن. والهرابذ: خدم نار المجوس وقومة بيت النار للهند (وهم البراهمة) وقيل: هم عظماء الهند أو علماؤهم، واحده هربذ، فارسية. (انظر القاموس وشرحه مادة هربذ وعباد النار وسبب عبادتها وبيوت النيران فى الجزء الأوّل من نهاية الأرب للنويرى طبع دار الكتب ص ١٠٥ — ١١٣). (٧) دلفنا: تقدّمنا. (٨) كذا فى حـ، أ وتاريخ الطبرى قسم ١ ص ٢٢٩ ومعجم البلدان فى اسم الحضر. وفى ب، سـ: «النصيرة» بالصاد المهملة.

إلى الرَّبَض[١]، وكانت من أجمل أهل دهرها، وكذلك كانوا يفعلون بنسائهم إذا حِضْنَ، وكان سابور من أجمل أهل زمانه، فرآها ورأته، وعشِقَها وعشِقَتْه، فأرسلَتْ إليه: ما تجعل لى إن دللتُكَ على ما تهدِمُ به هذه المدينةَ وتقتلُ أبى؟ قال: أُحكِّمُكِ وأرفعُكِ على نسائى، وأخصُّكِ بنفسى دونَهنّ؛ قالت: عليكَ بحمامةٍ مطوَّقةٍ ورْقاء، فاكتُب فى رجلها بحيْض جاريةٍ بكرٍ تكون زرقاءَ، ثم أرسلْها فإنها تقعُ على حائط المدينة فتتداعَى المدينةُ، وكان ذلكَ طِلَّسْمَها[٢] لا يَهدِمُها إلا هو، ففعل وتأهَّب لهم، وقالت له: أنا أسقى الحرَسَ الخمرَ، فإذا صُرِعوا فاْقتلْهم وادخل المدينة، ففعل فتداعت المدينةُ، وفتحها سابورُ عَنْوةً، فقتَل الضيزنَ يومئذ، وأبادَ بنى العَبِيد، وأفنى قُضَاعةَ الذين كانوا مع الضَّيْزنِ فلم يبقَ منهم باقٍ يُعرف إلى اليوم، وأُصيبَتْ قبائلُ حُلْوان وانقرضوا ودَرَجُوا، فقال فى ذلك عمرُو بن آلَة[٣] وكان مع الضَّيزن:

أَلَمْ يَحْـــزُنْكَ والأنباءُ تَنْمِى[٤] * بما لاقَتْ[٥] سَرَاةُ بَنِى العَبِيدِ
ومَصْرَعُ ضَيْزَنٍ وبَنِى أبيــه * وأحْلَاسِ[٦] الكتائبِ مِنْ تَزِيدِ

---

(١) الربض: ماحول المدينة من خارج.

(٢) طِلَّسْمها: سرّها المكتوم، قال المرتضى فى تاج العروس فى المستدرك بعد مادة «أطلَخم»: والطِّلَّسْمُ كسبطر — وشدّد شيخنا اللام وقال: إنه أعجمىّ وعندى أنه عربىّ —: اسم للسرّ المكتوم، وقد كثر استعمال الصوفية له فى كلامهم فيقولون: سرّ مطلسم وحجاب مطلسم والجمع طلاسم. وذكر الشهاب الخفاجىّ فى شفاء الغليل: أنّ الطِّلَّسْمَ لفظ يونانىّ ولكنه قال: لم يعرّبه من يوثق به، ثم نقل عن كتاب السرّ المكتوم أنه عبارة عن علم بأحوال تمزيج القوى الفعالة السماوية بالقوى المنفعلة الأرضيّة لأجل التمكن من إظهار ما يخالف العادة والمنع مما يوافقها.

(٣) كذا فى جميع الأصول. وفى تاريخ الطبرى قسم ١ ص ٨٢٨: «عمرو بن إلّة» ونسب ياقوت فى معجم البلدان فى اسم الحضر هذه الأبيات لشاعر سماه «الجدىّ بن الدلهاث». (٤) تنمى أى تشيع، وأصله من نمى الشىء ينمى إذا ارتفع وزاد. (٥) الباء هنا زائدة و«ما لاقت» فاعل لقوله «يحزنك». (٦) أحلاس الكتائب: الشجعان الملازمون لها، يقال: فلان من أحلاس الخيل أى هو فى الفروسية ولزوم ظهر الخيل كالحلس اللازم لظهر الفرس.

أتاهم بالفُيُولِ مُجلَّلاتٍ * وبالأبطال سابورُ الجنودُ
فهدّمَ من أَوَاسِى الحَضْرِ[(١)] صَخْرًا * كأنّ ثِقالَه زُبَرُ الحديدِ

٣٨/٢ قال : فأخرب[(٢)] سابورُ المدينةَ واحتملَ النَّضِيرةَ بنتَ الضَّيْزَن فأعرَسَ بها بعَينِ التمرِ[(٣)] ، فلم تزل ليلتَها تتضوّر[(٤)] من خشَانةٍ فى فُرُشها وهى من حرير محشوّ بالقَزّ، فالتُمِسَ ما كان يؤذيها فإذا هى ورقة آسٍ ملتصقةٌ بعُكْنةٍ من عُكَنها قد أثّرتْ فيها . قال: وكان يُنظر إلى مُخِّها من لِينِ بشَرَتها . فقال لها سابور: ويحكِ! بأىّ شىء كان أبوكِ يُغَذِّيك ؟ قالت : بالزُّبدِ والمخّ[(٥)] وشُهْدِ الأبكار من النحل وصَفْوةِ الخمر. فقال: وأبيكِ لأنا أحدَثُ عهدا بمعرفتِك ، وآثَرُ لكِ[(٦)] من أبيكِ الذى غذّاكِ بما تذكرين! ثم أمر رجلا فركب فرسا جَمُوحًا وضَفَرَ غدائرَها بذنَبه ، ثم آستركَضَهُ فقطّعها قِطَعًا ، فذلكَ قولُ الشاعر:

(١) كذا فى ح ، م ، أ وتاريخ الطبرى وهو جمع آسية وهى ما أسس من بنيان فأحكم أصله من سارية وغيرها . وفى ب ، سـ : « رواسى » بالراء . (٢) الظاهر من السياق هنا أن أخرب بمعنى هدّم ودمر وقد ذكر الفيومىّ فى المصباح المنير والفيروزابادى فى القاموس والجوهرىّ فى الصحاح الكلمتين « أخرب وخرّب » ولم يذكروا بينهما فرقا الا أن صاحب اللسان والمرتضى فى شرح القاموس نقلا بينهما فرقا عن أبى عمرو بن العلاء فقالا : الاخراب : أن يترك الموضع خربا أى خاليا من السكان والتخريب : الهدم وخرجا عليه قوله تعالى: (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين) فمن قرأها بالتشديد فمعناه يهدمونها ومن قرأها يخربون (بضم الياء وتخفيف الراء) فمعناه يخرجون منها ويتركونها خالية ومثله ما فى النهاية لابن الأثير فى هذه المادة . وفى روح المعانى ذكر الآلوسى فى تفسير هذه الآية هذا الفرق ثم قال : وقيل هما بمعنى واحد (انظر الكتب المتقدمة فى هذه المواد) .

(٣) عين التمر : بلدة قريبة من الأنبار غربىّ الكوفة . (٤) تتضوّر : تتلوى، يقال : تضوّر أى تلوّى وأظهر الضرر . وفى ب ، سـ : « تتضرّر » . (٥) فى م ، أ ، ب : « المح » بالحاء وهو ما فى جوف البيضة من أصفر، وقال ابن شميل : من أصفر وأبيض .

(٦) كذا فى تاريخ الطبرى قسم ١ ص ٨٣٠ ، وفى أغلب النسخ : «أوثرلك فى أبيك» . وفى ب ، سـ : « وأثارلك فى أبيك » ولم يظهر لها معنى .

أقفرَ الحَضْرُ من نضيرةَ فالمِرْ * بَاعُ منهـا لجانبُ الثَّرثارِ (١)

قالوا : وكان الضَّيزنُ صاحبُ الحَضْر يُلَقَّبُ السَّاطِرونَ ، وقال غيرُهم : بل السَّاطِرُون صاحبُ الحَضْر كان رجلا من أهـل بَاجَرْمَى (٢) والله أعلم أىّ ذلك كان . هذا خبر صاحب الحَضْر الذى ذكره عدىٌّ .

وأما صاحبُ الخَوَرْنَق فهو النعمانُ بنُ الشَّقِيقةِ ، وهو الذى ساح على وجهه فلم يُعرفْ له خبرٌ ، والشقيقةُ أمه بنتُ أبى رَبِيعـةَ بن ذُهْل بن شَـيْبان . وهو النعمانُ آبنُ آمرئِ القيس بن عمـرو بن عَدِىّ بن نَصْر بن رَبيعة بن الضَّحْم اللَّخمىّ ، وهو صـاحب الخَوَرْنق ، فذكر آبنُ الكلبىّ فى خبره الذى قدّمنا ذكرَه ورواية علىّ بن الصبَّاح إياه عنـه : أنه كان سببُ بنائه الخورنَق أنَّ يَزدَجردَ بنَ سابور كان لا يبقى له ولد ، فسأل عن منزل مَرِىءٍ صحيح من الأدواء والأسقام ، فَدُلَّ على ظَهْر الحيرةِ ، فدفع آبنَه بَهْرام جُور بن يزدَجرد إلى النعمان بن الشقيقة ، وكانَ عاملَه على أرض العرب ، وأمره بأن يبنىَ الخورنَقَ مسكنًا له ولآبنه ويُنزلَه إياه معه ، وأمره بإخراجه إلى بوادى العرب ، وكان الذى بنى الخورنقَ رجلا يقال له "سِنِمَّارُ" فلما فرغ من بنائه عجبوا من حسنه وإتقان عمله ، فقال : لو علمتُ أنكم تُوفُونى أُجرتِى وتصنعون بى ما أستحِقُّه ، لَبنيتُه بناء يدورُ مع الشمس حيثما دارَتْ ، فقالوا : وإنك لتبنى ما هو أفضل منه ولم تَبْنِه ! ثم أُمِرَ به فطُرِحَ من أعلى الجَوْسَقِ (٣) . وقال : فى بعض الروايات أنه قال له : إنى لأعرِفُ فى هـذا القصر موضعَ عيبٍ إذا هُدِمَ تداعى القصرُ أجمعُ ، فقال

(١) الثرثار : واد عظيم بين سنجار وتكريت كان فى القديم منازل بكر بن وائل ، وآختص بأكثره بنو تغلب منهم ، ويمر بمدينة الحَضْر ثم يصبّ فى دجلة أسفل تكريت . (٢) بَاجَرْمَى : قرية من أعمال البَلِيخ قرب الرقة من أرض الجزيرة . (٣) الجوسق : القصر ، فارسىّ معرّب .

له : أمَا واللهِ لا تدلُّ عليه أحدًا أبدا ، ثم رُمِىَ به من أعلى القَصْرِ ، فقالت الشعراء فى ذلك أشعارا كثيرة منها قولُ أبى الطَّمَحَانِ القَيْنِيّ :

جزاءَ سِنِمَّارٍ جَزَوْها(١) وربِّهـا * وباللّاتِ والعُزَّى جزاءَ المكفِّرِ

ومنها قولُ سَلِيطِ بنِ سَعْد(٢) :

جزى بنوه أبا الغِيلان(٣) عن كِبَرٍ * وحُسْنِ فِعلٍ كما يُجزَى سِنِمَّارُ

وقال عبد العُزَّى بن امرئ القيس الكَلْبيّ — وكان أهدَى إلى الحارث بن مَارِيةَ الغَسَّانىّ أفراسا ، ووفَدَ إليه فأُعْجِبَ به واختصّه ، وكان للملك ابنٌ مُسترضَعٌ فى بنى عَبْدِ وُدٍّ مِن كَلْبٍ فنهشَتْه حَيّةٌ ، فظنَّ الملكُ أنهم اغتالُوه ، فقال لعبد العُزَّى : جئنى بهؤلاء القوم ، فقال : هم قوم أحرار ليس لى عليهم فضلٌ فى نسبٍ ولا فعلٍ(٤) ، فقال : لتَأْتِيَنّى بهم أو لأفعلنّ وأفعلنّ ، فقال له : رَجَوْنَا من حِبائِكَ أمرًا حال دونه عِقابُكَ ، ودعا ابْنَيه شَراحِيلَ وعبدَ الحارث — فكتبَ معهما إلى قومه : ٣٩/٢

جزانى جزاه اللهُ شَــرَّ جزائه * جزاءَ سِنِمَّارٍ وما كان ذَا ذنبِ
سوى رَصِّه البُنيانَ عشرينَ حِجّةً * يُعلِّى عليــه بالقَرَامِيد(٥) والسَّكْبِ

(١) كذا فى أغلب النسخ وخزانة الأدب للبغدادىّ ج ١ ص ١٤٢ . وفى حـ وتاريخ الطبرىّ قسم ١ ص ٨٥١ : « جزاها » . (٢) كذا فى حـ ، أ وشرح الأشمونىّ ج ١ ص ٤٠٧ طبع بولاق وخزانة الأدب للبغدادىّ ج ١ ص ١٤٢ وشرح الشواهد للعينىّ الموجود بهامش الخزانة . وفى ب ، سـ : « سعيد » . (٣) كذا فى شرح الأشمونىّ وخزانة الأدب للبغدادىّ وشرح الشواهد للعينىّ . وفى الأصول : « غيلان » بالتنكير . (٤) كذا فى جميع الأصول . وفى تاريخ الطبرىّ قسم ١ ص ٨٥٣ : « فعال » والفعال : اسم للفعل الحسن والكرم .

(٥) القراميد : جمع قَرْمد وهو الآجرّ ، وقيل : حجارة لها خروق يوقد عليها حتى إذا نضجت بنى بها وهو رومىّ تكلمت به العرب قديما . والسكب : النحاس أو الرصاص .

وهى أبيات ، قال : فقتله النعمان، وكان أمره قد عظُم وجعل معه كسرى كتيبتين: إحداهما يقال لها: "دَوْسَر"(١) وهى لِتَنُوخ، والأخرى: "الشَّهْباءُ" وهى للفُرس، وكانتا أيضا تُسمَّيانِ القبيلتين، وكان يغزو بهما بلادَ الشام، وكلَّ مَنْ لم يَدِنْ له من العرب. فجلس يوما يُشرِفُ من الخَوَرْنَقِ فأعجبه ما رأى من مُلكه . ثم ذكر باقىَ خبره مثلَ ما ذكره خالدُ بن صفوانَ لهشامٍ من مخاطبة الواعظِ وجوابِه وما كان من آختياره السياحةَ وتركِه مُلكَه .

رثاء النابغة الذبيانى للنعمان بن المنذر

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْهِ قال حدّثنى عبدالله آبن عمرو قال ذكر آبنُ حمزةَ عن مشايخه :

أن النعمان بنَ المنذر لما نُعِىَ إلى النابغة الذُّبيانِىّ وحُدِّثَ بما صنع به كسرى قال : طلبه من الدهر طالبُ الملوكِ ثم تمثّل :

مَنْ يَطْلُبِ الدهرُ تُدرِكْه مَخالِبُه * والدَّهرُ بالوِتْرِ(٢) ناجٍ غيرُ مطلوبِ
ما منْ أُناسٍ ذَوِى مجدٍ ومَكْرُمةٍ * إلا يَشُدُّ عليهم شَدَّةَ الذِّيبِ
حتى يُبِيدَ على عَمْدٍ سَرَاتَهُمُ * بالنافذاتِ من النَّبْلِ المَصَايِيبِ
إنى وجدتُ سِهامَ الموتِ مُعرِضَةً(٣) * بكلّ حَتْفٍ من الآجالِ مكتوبِ

الغناء فى شعر عدىّ بن زيد

وفى سائر قصائدِ عدىّ بن زيد التى كتب بها إلى النعمان يستعطفه ويعتذر إليه أغانٍ .

(١) كانت أخشن كتائب النعمان وأشدّها بطشا ونكاية ، وكانوا من كل قبائل العرب، وأكثرهم من ربيعة . وسميت «دوسرا» اشتقاقا من الدسر وهو الطعن بالثقل لثقل وطأتها (انظر بلوغ الأرب للآلوسى ج ٢ ص ١٩١ طبع بغداد سنة ١٣١٤ هـ) .

(٢) الوتر بالفتح والكسر : الذحل والثأر .

(٣) كذا فى جميع النسخ بالعين المهملة ولعل معناه متعرضة ففى اللسان مادة عرض : والعرب تقول عرض لى الشىء وأعرض وتعرّض واعترض بمعنى واحد، ويحتمل أنه محرف عن مغرضة بالغين المعجمة بمعنى مصيبة الغرض وهو الهدف .

منها :

صـــوت

لم أر مثلَ الفِتيانِ فى غَبَنِ الـ * ـأيامِ يَنسَوْنَ ما عواقِبُها
يَنسَوْنَ إخوانَهم ومصرَعَهم * وكيف تَعتاقُهم مَخالِبُها
ماذا تُرجِّى النفوسُ مِن طلبِ الـ * ـخير وحبُّ الحياةِ كارِبُها
تظنّ أن لن يصيبها عَنَتُ الـ * ـدهرِ ورَيبُ المنونِ صائِبُها

ويروى عُقَبُ الدهر(١) — يقول : الأيامُ تَغْبِنُ الناسَ فتخدَعُهم وتختِلُهم مثلَ الغبنِ فى البيع . وتَعتاقُهم : تحبسهم، يقال : اعتاقه واعتقاه(٢) . وكاربها هاهنا : غامُّها، وهو فى موضع آخر القريبُ منها، يقال كَرَبَهُ الأمر وكرَثه(٣) وبهَضه وغنَظه(٤) اذا غمّه — الغناء فى هذه الأبيات لابن مُحرز خفيفُ رمل بالوسطى عن عمرو بن بانة . وفيها رمل بالبنصر، نسبه حَبَشٌ ودَنانيرُ إلى حُنينٍ، ونسبه الهشامىّ وابن المكىّ إلى الهُذَلىّ .

ومنهـا :

صـــوت

يا لُبَينَى أوقِدِى النّارَا * إنّ مَنْ تَهوَيْنَ قد حارَا
رُبَّ نارٍ بِتُّ أَرمُقُهَا * تَقضِمُ الهِندىَّ والغَارَا
عندها ظَبيٌ يؤرّثها * عاقدٌ فى الجيدِ تِقصارَا

(١) عقب : جمع عقبة وهى الشدّة، يقال : لقى منه عقبة أى شدّة . (٢) اعتقاه : احتبسه . قال الأصمعىّ الاعتقاء : الاحتباس وهو مقلوب الاعتياق . (٣) كذا فى ح بالثاء المثلثة أى اشتد عليه وبلغ منه المشقة كما يقال أكرثه، وقال الأصمعىّ : لا يقال كرثه وإنما يقال أكرثه على أن رؤبة قد قال : * وقد تجلى الكرب الكوارث * انظر اللسان فى مادة كرث . وفى باقى نسخ الأصول «كرّبه» وهو تحريف . (٤) كذا فى ح وغنظه الأمر : غمه وبلغ منه المشقة فهو بمعنى بهظه وبهضه . وفى باقى النسخ : «وغيظه» وهو تحريف .

٤٠/٢ عروضه من المديد — حار يحير هنا: ضلّ، وحار فى موضع آخر: رجع . والغار: شجر طيّبُ الريح، والغار أيضا: شجرُ السوس، والغار: الغَبرةُ . ويؤرّثها: يوقدُها ويُكثِر حطَبها . والتّقصارُ: المِخنقةُ — الغناء لحُنَينٍ خَفيفُ ثقيل أوّل بالسبابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق . وفيه خفيفُ رملٍ يقال إنه لعَريبَ .

أخبرنى محمد بن مَزْيد بن أبى الأزهر قال حدّثنا حمّاد بنُ إسحاق، وأخبرنا به يحيى بن علىّ عن داود بنُ محمد عن حمّاد بن إسحاقَ عن أبيه عن ابن عائشة عن يونس النحوىّ قال:

مات رجل من جُندِ أهل الشأم عظيمُ القدر، له فيهم عزّ [وعدد](1)؛ فحضر الحجّاجُ جنازتَه وصلّى عليه وجلس على قبره وقال: لِيَنْزِلْ إليه بعضُ إخوانه، فنزل نفرٌ منهم، فقال أحدهم وهو يُسَوّى عليه: رحمكَ اللهُ أبا قنان(2)، إن كنتَ ما علمتُ لَتُجيدُ الغناء، وتُسرِعُ ردَّ الكأس، ولقد وقعْتَ فى موضع سُوءٍ لا تخرجُ منه والله إلى يوم القيامة(3). قال: فما تمالكَ الحجّاجُ أن ضحِكَ، وكان لا يكثر الضحكَ فى جِدٍّ ولا هزلٍ. فقال له: أهذا موضعُ هذا لا أمَّ لكَ! فقال: أصلح اللهُ الأميرَ، فرسُه حبيسٌ فى سبيل الله لو سمعه الأميرُ وهو يُغنّى:

يا لُبَيْنَى أوقِدى النارا * إن مَنْ تَهوَيْنَ قد حَارَا

لانتشر الأميرُ على سَعنةَ(4)، وكان الميتُ يلقّبُ بسَعنةَ، فقال: إنّا لله أخرجوه من القبر! ما أبينَ حُجّةَ أهل العراق فى جهلكم يا أهل الشأم! قال: وكان سعنةُ هذا الميتُ

---

(1) زيادة فى حـ . (2) لم نهتد الى ضبط هذا الاسم وقد سمى العرب قنانا وأبا قنان بفتح القاف وتخفيف النون كما ورد فى القاموس مادة قنن . (3) فى حـ : « يوم الدكة » وقد راجعنا فى شرح إحياء الغزالى للسيد محمد مرتضى الزبيدى ج ١٠ ص ٤٦٢ أسماء يوم القيامة فلم نجد فيها هذا الاسم، وأقرب الأسماء اليه يوم الرجة، ترج فيه الأرض بأهلها فتميد الناس على ظهرها، فلعله محرف عنه أو لعله اسم من أسمائها لم يذكره الغزالى بدليل قوله تعالى: (كلا إذا دكت الأرض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا) .
(٤) لم نقف على ضبط هذا الاسم، والعرب سموا سعنة بفتح السين وسعنة بضمها (انظر القاموس مادة سعن).

من أوحشِ خلقِ الله كلِّهم صورةً، وأذمِّهم قامةً . فلم يبق أحد حضر القبرَ إلا ٱستفرغ ضحـــكا .

ومنها من قصيدته التى أولها :

* لِمَنِ الدارُ تعفَّتْ بِخِيَمْ (١) *

صـــوت

وثلاثٍ كالحمـاماتِ بهـا * بين مَجْثاهنّ توشيمُ الحُمَمْ (٢)

أسأل الدارَ وقــد أنكرتُها * عن حبيبى فإذا فيهـا صَمَمْ

— ويروى : توشيمُ العَجَم . والتوشيمُ أراد به آثار الوَقود قد صار فيها كالوَشْم . والثلاثُ يعنى الأَثافىَّ التى تُنصب عليها القِدرُ — الغناء لإبراهيمَ خفيفُ ثقيـل أوّل مطلق فى مجرى البنصر عن عمرو وٱبن المكىّ . وفيه لحَكَم لحنٌ من كتاب إبراهيمَ غيرُ مجنَّس . وهذه القصيدة التى أولها :

لمن الدارُ تعفَّتْ بخِـيَمْ * أصبحت غيَّرها طولُ القِدَمْ

ما تبينُ العينُ من آياتها * غيرَ نُؤْيٍ (٣) مثـل خطٍّ بالقلمْ

وبعــده .

وثلاثٍ كالحمـامات بهـا * بين مَجْثاهنّ توشــيمُ الحُمَمْ

وعلى هذا خُفِضَ قولُه : وثلاثٍ كالحمامات .

ومنها قوله :

* كفى غِيَرُ الأيام للمرء وازعا *

---

(١) خيم : اسم جبل من عماية على يسار الطريق الى اليمن . (٢) الحُمَم : جمع حممة وهى الفحم والرماد وكل ما احترق بالنار . (٣) النؤى : حفرة تجعل حول الخباء لئلا يدخله ماء المطر .

صـــوت

بنـاتِ كِرَامٍ لم يُرَبْنَ بضُــرَّةٍ (١) * دُمًى شَرِقاتٍ (٢) بالعَبِـيرِ رَوادِعَا (٣)
يُسارِقْنَ مِ الأسـتارِ طَرْفًا مُفَتَّرًا * ويُبرِزْنَ من فَتْقِ الخُدُورِ الأصابعَا

بناتِ كرامٍ موضعه نصب وهو يتبع ما قبله ويُنصب به وهو قوله :

* وأُصْبِى ظِباءً فى الدِّمَقْسِ (٤) خواضِعَا *

بناتِ كرام هكذا فى القصيدة على تواليها، وقد يجوز رفعه على الابتداء. ويروى: بضُرَّةٍ وبضَرَّةٍ جميعا بالضم والفتح . والدُّمَى: الصُّوَرُ، واحدتُها دُمْيَةٌ . الغناء فى هذين البيتين لابن قندح (٥) ثقيلٌ أوّل بالبنصر عن عمرو، وذكر الهشامىّ أنه لمحمد بن إسحاق بن عمرو ابن بَزِيع، وذكر حبشٌ أنه لإبراهيمَ . ٤١/٢

ومنهـا :

صـــوت

أَرِقْتُ لمكفهِرّاتٍ فيــه * بَوَارِقُ يرتَقِينَ رُءوسَ شِيبِ
تروحُ المشرَفِيَّــةُ فى ذُراهُ * ويَجْلُو صفحةَ الذَّيلِ القَشِيبِ

والمكفَهِرُّ والمكرهِفُّ : السحابُ المتوالِى المتراكِبُ (٦) . والشِّيبُ : السحائبُ التى فيها سواد وبياض شبَّهها بالرءوس الشِّيبِ، وقال قوم : بل شِيبٌ : جبل معروفٌ، شبَّه البرق فى السحاب بلَمَعَانِ السُّيوف . ورواه ابن الأعرابىّ :

* ويجلو صفحَ دَخْدَارٍ قَشِيبِ *

---

(١) لم يربن : لم يُسَأْنَ . (٢) شرقات : ممتلئات، يقال : شرق الجسد بالطيب : امتلأ . (٣) روادعا : جمع رادع، والرادع : ما فيه أثر الردع وهو الطيب . (٤) الدمقس : الديباج وقيل هو الحرير . (٥) ورد هذا الاسم هكذا فى جميع الأصول ولم نقف له على ضبط فى كتب اللغة أو غيرها . (٦) كذا فى أغلب النسخ . وفى حـ : « المتراكم » بالميم .

وقال : الدَّخْدَارُ : الثوب المَصُونُ، وهو أعجمىّ معرّب أصله تخت دار . والقشيب : الجديد . الغناء لِعَرِيبَ ثقيلٌ أوّل بالبنصر .

ومنها من قصيدته التى أوّلها :

* ألا يا طالَ ليلِى والنهارُ *

صوت

ألا مَنْ مُبلغُ النعمانِ عنّى * علانيةً فقد ذهبَ السِّرَارُ
بأنّ المرءَ لم يُخلَقْ حديدًا * ولا هَضْبًا تَوَقَّاه الوِبَارُ[1]
ولكنْ كالشِّهَابِ فثمّ يَخْبُو * وحادِى الموتِ عنه ما يَحارُ
فهل مِن خالدٍ إما هلكنا * وهل بالموتِ يا لَلنّاس عَارُ

الهَضْبُ : الجبلُ . والوِبار : جمع وبْرٍ[2] . والشِّهابُ : السراجُ . ويخبو : يَطْفأُ . الغناء لبابُويه[3] ثقيل أوّل بالبنصر عن حبش والهشامىّ .

ومنها :

صوت

ألا مَن مُبلِغُ النعمانِ عنّى * فبينَا المرءُ أَغْرَبَ[4] إذ أَرَاحا[5]
أَطَعْتَ بنى بُقَيْلَةَ فى وَثَاقٍ * وكنّا فى حُلوقِهِمُ ذُبَاحا[6]

(١) كذا فى حـ وهو المناسب لما يذكرونه فى الوبر من أنها دويبة تكون بالغور . وفى باقى النسخ : «ترقاه» بالراء . (٢) الوبر بالتسكين : دويّبة على قدر السنّور غبراء أو بيضاء من دوابّ الصحراء حسنة العينين شديدة الحياء تكون بالغور . (٣) كذا فى حـ وورد هكذا اسما لمغنّ فى الجزء الرابع ص ٣٦ وفى الجزء السابع ص ١٦٣ من الأغانى طبع بولاق . وفى باقى الأصول : « بابونة » بالنون . (٤) أغرب : من الإغراب وهو كثرة المال وحسن الحال .

(٥) أراح : مات يقال أراح الرجل اذا مات كأنه استراح . قال العجاج :

* أراح بعد الغمّ والتغمغم * (٦) الذباح : وجع فى الحلق .

منحتهمُ الفُـراتَ وجانبيْه[1] * وتَسقينَا الأواجِنَ[2] والمِلَاحَا

الغناء لحُنَين خفيف ثقيل أول بالسبابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق .

ومنهـا :

صـــوت

مَنْ لقلبٍ دَنِفٍ أو مُعْتَمَدْ * قد عَصَى كلَّ نَصِيحٍ ومُفَدْ
لستُ إن سَلْمَى نأتني دارُها * سامعا فيهـا إلى قول أحدْ

المعتَمدُ : الذى عمَـده الوجعُ يَعمِده عَمْـدًا[3] . غنّاه ابن محـرز ولحنُـه خفيفُ ثقيلٍ بالسبابة فى مجرى البنصر عن إسحاق . وفيه لمـالك خفيف ثقيل آخر بالوسطى عن عمرو . وذكر يونس أن فيـه لمـالك لحنا ، ولسِنَانٍ الكاتبِ لحنا ، وهو ثقيـل أول بالوسطى عن حَبَش .

ومنهـا :

صـــوت

أَرَوَاحٌ مُـــوَدِّعٌ أم بُكورُ * لكَ فاْعمِدْ لأيّ حالٍ تَصِـيرُ
ويقولُ العُداةُ أَوْدَى عديٌّ * وعديٌّ بسُخْطِ ربٍّ أَسِـيرُ
أيّها الشامتُ المُعَـيِّرُ بالدهــــر أأنتَ المُـــبرَّأُ الموفُــورُ ٤٢/٢
أم لديكَ العهدُ الوثيقُ من الأيّـام بل أنت جاهلٌ مغـرُورُ

يريد : أَرَوَاحٌ نودِّعُكَ فيـه أم بكورٌ؟ أيّهما تُريد ؟ فاْعمِدْ للذى تصيرُ إليه من أمرِ آخرتكَ . والموفورُ : الذى لم تُصِـبه نوائبُ الدهر . الغناء لحُنَـين من كتاب يونسَ

---

(١) فى حـ : « ومايليه » . (٢) الأواجن : جمع آجن وهو المـاء المتغير الطعم واللون .
(٣) ذكر المؤلف هـذا المعنى للتمد ، ولم نجد فى كتب اللغـة التى بأيدينا كاللسان والقاموس والصحاح والمصباح اعتمد بهذا المعنى ، وإنمـا جاء فيها عمده المرض بمعنى أضناه وأوجعه ، وعَمِدتُ بمعنى وَجِعت .

ولم يذكر طريقته ، وذكر حمّاد بن إسحاق عن أبيه أنّ حُنَينا غنّاه خالدا القَسْرىّ أيام حرّم الغِناءَ، فرَقّ له وقال: غَنّ ولا تُعاشِر سفيهًا ولا مُعَرْبِدًا . والخبر [فى ذلك](١) يُذكر فى أخبار حنين .

وممّا يُغنّى فيه أيضا من شعر عدىّ :

صــــوت

أَلَا يا ربَّما عَــزَّ * خليــلى فتهاونْتُ

ولو شئتُ على مَقْدُ * رَةٍ مِــنّى لعاقبتُ

ولكن سَرَّنى أن يعـ * ـلَمُوا(٢) قَدْرِى فأقْلعتُ

أَلَا لا فآسألوا الفتيـ * ـة ما قالوا وقد قمتُ

الغناء لِسِيَاطٍ رمل عن الهِشَامىّ . وفيــه ليحيى المكىّ خفيفُ ثقيلٍ نسبه إلى مالك وليس له . ولِعَرِيبَ فى البيتين الأوّلين ثقيل أوّل . وبعدهما بيتٌ ليس من الشعر وهو:

ولكنّ حبيبى جــلَّ(٣) عندى فتغافلتُ

ومما يُغنّى فيه من شعره :

صــــوت

تَعرِفُ أمْسِ منْ لَمِيسَ الطَّلَلْ * مثلَ الكتاب الدارسِ الأحْوَلْ

الذى قد دَرَس فلا يُقرأ .

أنعِمْ صَــباحًا عَلْقَمَ بنَ عَدِىّ * أثوَيْتَ اليــومَ أم تَرْحَــلْ

قــد رحّــلَ الفتيانُ عِيرَهُمُ * والهمّ بالغِيطـانِ(٤) لم يُنْشَــلْ(٥)

---

(١) زيادة فى حـ . (٢) كذا فى أغلب النسخ . وفى حـ : «تعلموا» .

(٣) كذا فى م ، أ . وفى باقى النسخ : «حل» بالحاء المهملة . (٤) جمع غائط وهو المطمئن الواسع من الأرض ، وقيل : المطمئن المنبت . (٥) ينشل : ينزع من القدر ، يقال : نشلت اللحم من القدر أنشله وأنشِله نشلا اذا انتزعته منها .

إذ هى تَسْبِي النــاظِرين وتجــ*ــلو واضحًا كالأُقْحُوانِ رَتِــلْ[(١)]

الرَّتِل : المستوِى البِنيةِ[(٢)] .

عذبًا كما ذقتُ الجَنِيَّ من الــتُّـ*ــفاح مَسْــقِيًّا بــبردِ الطَّــلّْ

هكذا يُغنَّى . والذى قاله عدىّ : يَسَــقِيهِ بردُ الطَّلّْ . الغناء لحنين رملٌ بالوسطى عن عمرو .

أخبرنى الحســينُ بن يحيى عن حمّــاد عن أبيه عن ابن الكلبىّ أنّ عمرَو ابنَ آمرئِ القيس المكنَّى بأبى سريح[(٣)] وعَلْقمةَ بنَ عدىّ ــ وقيل علقم بن عدىّ بن كعب ــ وعمرَو بنَ هنــد خرجوا إلى الصيد فأتوْا قصرَ آبنِ مُقَاتِل[(٤)] فمكثوا فيــه يتصيّدون ، فزعموا أن علقمةَ بن عدىّ تَبِــعَ حمارا فصرعه والشمسُ لم تَطلُعْ ، ثم لحِق آخرَ فطعنه فانقصَف الرمحُ فيــه ومرَّ به فرسُه يركُضُ ، فجال به العَــيرُ فضربه فأصاب صــدرَه فقتله ، وقيل : إن الرمحَ المنقصفَ دخل فى صدره فقتله ، وذلك فى أيام الربيع ، وكان عدىّ بن زيد معهم وإليــه قصدوا ، وكان نازلا فى قصر آبن مقاتل[(٤)] ، فقال عدىّ هذه القصيدة يرثيه بها[(٥)] .

---

(١) فى ب ، سـ : « الرتل » . (٢) كذا فى جميع الأصول . ولعلها « النبتة » وهى شكل النبات وحالته التى ينبت عليها . وفى اللسان : ثغر رَتِلٌ ورَتَلٌ : حسن التنضيد مستوى النبات .

(٣) كذا ورد هذا الاسم فى أغلب النسخ . وفى حـ : « شريح » بالشين .

(٤) كذا فى جميع الأصول . ولم نجد هذا الاسم فى أسماء الأماكن . والذى ورد فى معجم البلدان لياقوت « قصر مقاتل » وقال : هو قصر كان بين عين التمر (بلدة غربىّ الكوفة) والشام وهو منسوب الى مقاتل ابن حسان بن ثعلبة ، وخربه عيسى بن على بن عبد الله ثم جدّد عمارته فهو له .

(٥) كذا فى حـ . وفى أغلب النسخ بعد قوله يرثيه بها : « انقضت أخبار عدىّ بن زيد » .



صوت من المـائة المختارة

٤٣/٢ عَفَا مِنْ سُليمَى مُسحُلَانُ فحامِرُهْ * تَمَشَّى بــه ظُلْمَــانُه وجآذِرُهْ
بمستأسِدِ القُرْيَانِ عَافٍ نَبَاتُه[1] * فَنُوَّارُه مِيــلٌ[2] إلى الشمس زاهِرُهْ
رأتْ عارِضًا جَوْنًا فقامَتْ غَرِيرةٌ * بِمِسْحَاتِها قبــل الظلامِ تُبادِرُهْ
فمــا بَرِحَتْ حتى أتى المــاءُ دونها * وسُــدَّت نواحِيــه ورُفِّــعَ دابِرُهْ

عروضه من الطويل . عفا : درس . مُسحُلَانُ: موضع . وحَامِرُهُ : موضعٌ أضافه إلى مُسحُلَانَ[3] . والظُّلمانُ: ذكورُ النعام واحدُها ظليم . والجآذر: أولادُ البقر واحدها جُؤذُر وجُؤذَر بضم الذال وفتحها . وتَمَشَّى: تُكثِر المشيَ . والقُرْيانُ : مجارى المـاء إلى الرِّياض واحدها قَرِيٌّ . والمستأسِدُ : ما آلتفّ منها وطال . والنُّوّارُ يقال : إنه يكون أبدا حِيالَ الشمس يستقبلها بوجهه ،فيقول: إن نُوّار هذه الروضة يميلُ زاهرُه حيالَ الشمس . والعارضُ : السحابُ . والجون : الأسود . والغريرةُ : الناعمةُ التى

(١) الذى فى ديوان الحطيئة طبع ليبسك ص٦٢ : «حُوٌّ نباته» وحوّ : جمع أحوى وهو الأسود .

(٢) مِيلٌ هكذا بكسر الميم كما جاء وصفا للضّباب فى قول ساعدة بن جؤيّة :

* ضباب تنتحيه الريحُ مِيلُ *

قال ابن جنى : الميل جمع وأجراه على الضــباب وان كان واحدا من حيث كان كثيرا ، فذهب بالجمع الى الكثرة كما قال الحطيئة :

* فنوّاره ميل الى الشمس زاهرُه *

قال : ويجوز أن يكون ميل واحدا كنِقِض ونِضو ومِرط . (انظر اللسان مادة مَيَلَ) .

(٣) قال ابن السكيت : مسحلان وحامر واديان بالشأم (انظر معجم ياقوت فى اسم حامر) .

لم يُجرِّب الأمورَ ، يقول : لمـا رأت هذه المرأةُ السحابةَ السـوداءَ قامت بمِسْحاتها تُصلِحُ النؤىَ حوالَىْ بيتها وهو الحاجزُ بينه و بين الأرض المستوية . وقوله : رُفِّع دابُره أى مؤخره الذى يلى المـاء من النؤى . الشـعرُ للحطيئة يهجو الزِّبْرِقانَ بنَ بَدْر . والغناء لابن عائشـةَ ولحنُه المختارُ خفيفُ رملٍ بإطلاق الوتر فى مجرى الوسطى عن إسحاق ، وذكر حبشٌ أن له فيه لحنا آخرَ من الثقيل الثانى .

خبر الحطيئة ونسبه

والسبب الذى من أجله هجا الزبرقان بن بدر

نسبه

الحُطَيئةُ لَقَبٌ لُقِّبَ به، وٱسمه جَرْوَلُ بنُ أَوْس بن مالك بن جُؤَيَّةَ بن مَخْزوم ابن مالك بن غالِب بن قُطَيعةَ بن عَبْس بن بَغِيض بنِ الرَّيْث بن غَطَفان بن سَعْد ابن قَيس بن عَيْلانَ بنَ مُضَرَ بن نِزَار. وهو من فحول الشعراء ومتقدِّميهم وفصحائهم، متصرِّفٌ فى جميع فنون الشعر من المديح والهجاء والفخر والنَّسِيب، مُجِيدٌ فى ذلك أجمع، وكان ذا شرٍّ وسَفَه، ونسبُه مُتدَافَعٌ بين قبائل العرب، وكان ينتمى إلى كل واحدة منها إذا غَضِب على الآخرين. وهو مُخَضْرَمٌ أدركَ الجاهليةَ والإسلامَ فأسلم ثم ٱرتدّ وقال فى ذلك:

إسلامه وٱرتداده وشعره فى ذلك

أطعنَا رسولَ الله إذ كان بيننا * فيا لَعِبادِ الله ما لِأبى بَكْرِ
أيُورِثُها بكرًا[1] إذا مات بعده * وتلكَ لعمرُ الله قاصِمَةُ الظهرِ[2]

سبب لقبه الحطيئة

ويُكْنَى الحطيئةُ أبا مُلَيكةَ، وقيل: إن الحطيئةَ غلَب عليه ولُقِّبَ به لِقِصَره وقُرْبه من الأرض. وقال حمّادٌ الراويةُ قال أبو نصر الأعرابىّ: سُمِّىَ الحطيئةَ لأنه ضَرِطَ ضَرْطةً بين قوم، فقيل له: ما هذا؟ فقال: إنما هى حُطَيْئَةٌ[3]، فسمِّىَ الحطيئةَ. وقال المدائنىّ قال أبو اليقظان: كان الحطيئةُ يدَّعى أنه ٱبنُ عمرو بن عَلْقمة أحد بنى الحارث بن سَدُوس، قال: وسمِّىَ الحطيئةَ لقربه من الأرض.

---

(١) فى أ، م، ب: «أيورثها بكر». (٢) هذان البيتان أورده‌ما ابن جرير الطبرىّ فى حوادث سنة ١١ هـ. فى جملة أبيات عزاها لِلحُطَيل بن أوس أخى الحطيئة.

(٣) كذا فى نسخة م وتاج العروس شرح القاموس مادّة حطأ وحُطَيْئَةٌ: تصغيرُ حَطْأَة فَعْلَة من قولهم حَطَأ حَطْئًا اذا ضَرِطَ. وفى أغلب الأصول: «حَطْأَة».

انتماؤه الى بنى ذهل ابن ثعلبة

أخبرنى الفضل بن الحُباب الجُمَحىّ أبو خليفة فى كتابه إلىّ بإجازته لى يذكر عن محمد بن سَلّام : أنّ الحطيئة كان ينتمى إلى بنى ذُهْل بن ثعلبة فقال :

إنّ اليمامةَ خيرُ ساكنِها * أهلُ القُرَيَّةِ من بنى ذُهْلِ

قال : والقُرَيَّةُ : منازلُهم، ولم ينبت الحطيئةُ فى هؤلاء .

٤٤ / ٢

تلونه فى نسبه وانتسابه الى عدة قبائل

وأخبرنى محمد بن الحَسَن بن دُرَيد قال حدّثنى عمّى عن ابن الكلبىّ قال: سمعتُ خِرَاشَ بنَ إسماعيل وخالدَ بنَ سَعيد يقولان : كان الحطيئة إذا غضب على بنى عَبْس يقول : أنا من بنى ذُهْلٍ، وإذا غضب على بنى ذُهْل قال : أنا من بنى عبس .

أخبرنى الحسين بن يحيى المِرْدَاسِىّ قال قال حمّاد بن إسحاق قال أبى قال ابن الكلبىّ : كان الحطيئة مغموزَ النسب(١)، وكان من أولاد الزنا الذين شَرُفُوا . قال إسحاق وقال الأصمعىّ : كان الحطيئةُ يضربُ بنسبه إلى بكر بن وائل فقال فى ذلك :

قومى بنُو عَوْفِ بن عمـ * ـرو(٢) إن أراد العلمَ عالمْ
قومٌ إذا ذهبَتْ خَضَا * رِمُ(٣) منهم خَلَفَتْ خَضَارِمْ
لا يَفْشَلُون ولا تَبِيـ * ـتُ على أُنوفِهِمُ المَخَاطِمْ(٤)

قال الأصمعىّ : وقَدِمَ الحطيئةُ الكوفةَ فنزل فى بنى عَوْف بن عامر بن ذُهْلٍ يسألهم وكان يزعم أنه منهم وقال فى ذلك :

(١) فى حـ : «كان الحطيئة مغموزالنسب . قال أبى : وكان من أولاد الزنا الخ» .

(٢) كذا فى جميع الأصول وفى نسخة الديوان التى بخط الشيخ محمود الشنقيطى والنسخة طبع أوروبا : «عمرو بن عوف» . (٣) الخضارم : جمع خضرم وهو الجواد الكثير العطية وقيل السيد الحمول .

(٤) كذا بالأصول وهو جمع مَخْطِم، والمخطم : موضع الخطام من الأنف . وفى ديوانه طبع أوروبا ص ١٩٣ : «الخواطم» وهو جمع خاطم، والخاطم : واضع الخطام فى أنف البعير وهو حبل يوضع فى أنف البعير ليقاد به وكلتا الروايتين لا تمشى فى البيت لأن الظاهر أن المراد الخطام نفسه .

سِيرِى أُمَامَ فإنَّ المـالَ يجمعُـــه * سَيْبُ الإلٰهِ وإقْبَـالِى وإدبَارِى (١)(٢)
إلى معاشرَ منهـــم يا أُمَامَ أبِى * من آل عَوْف بُدُوءٍ غيرِ أشْرارِ
نَمشِى على ضوءِ أحسابٍ أَضَأْنَ لنا (٣) * ما ضَوّأَتْ ليلةُ القَمْرَاءِ لِلسَّارِى

خبره مع أخويه من أوس بن مالك

وقال ابن دُرَيد فى خبره عن عمه عن ابن الكَلْبىّ عن أبيه، وحَمّادُ بن إسحاق عن أبيه عن ابن الكلبىّ عن أبيــه قال : كان أوسُ بنُ مالكِ بن جُؤَيّةَ بن مَخْزوم بن مالك بن غالِب بن قُطَيعةَ بن عَبْس تزوّج بنتَ رِيَاح بن عمرو بن عَوْف بن الحارث (٤) ابن سَدُوس بن شَيْبانَ بن ذُهْل بن ثَعْلبــةَ ، وكان له أَمَةٌ يقال لهـا الضَّرّاءُ فأَعْلَقَها بالحطيئةِ ورحَل عنها . وكان لبنت رِيَاح أخٌ يقال له : الأَفْقَمُ، وكان طويلا أفقَمَ (٥)، صغيرَ العينين، مضغوطَ اللَّحْيين، فولدتِ الضَّرّاءُ الحطيئةَ فجاءت به شبيها بالأفقم، فقالت لها مولاتُها : من أين هذا الصبىّ؟ فقالت لها : من أخيك، وهابت أن تقولَ لها من زوجك، فشبَّهتْه بأخيها؛ فقالت لها : صدقتِ . ثم مات أوسٌ وترك ابنين من الحُرّة (٦)، وتزوّج الضَّرّاءَ رجلٌ من بنى عبس فولدت له رجلين فكانا أخوى الحطيئة من أمه . فأعتقتْ بنتُ رياحٍ الحطيئةَ وربَّتْه فكان كأنه أحدُهما . وترك الأفقمُ نخلا باليمامة . فأتى الحطيئةُ أخويه من أوسِ بن مالكٍ وقد كانت أمه لمـا أعتقتْها بنتُ رياح

---

(١) كذا فى الديوان ص ١٩٢ طبع أوروبا، والبدوء : جمع بَدْءٍ وهو السيد، وقيل : الشاب المستجاد الرأى المستشار . وفى جميع الأصول : « بدور » بالراء المهملة . (٢) كذا فى ديوانه . وفى الأصول : « أسرار » بالسين المهملة . (٣) كذا فى ديوانه . وفى حـ ، أ : « الى ضوء أحساب أضأن لنا » . وفى باقى الأصول : « الى ضوء إحسانٍ أضاء لنا » .

(٤) كذا فى أغلب الأصول . وفى حـ : « رياح بن عوف بن عمرو » .

(٥) الأفقم من الفَقَم، والفَقَم فى الفم : أن تدخل الأسنان العليا، وقيل : أن يخرج أسفل اللحى ويدخل أعلاه، ويقال لكل معوج : أفقم . (٦) فى حـ ، م ، أ : « ثم مات الأفقم وترك ابنين من حرّة الخ » .

اعترفت أنها ٱعتلقتْ من أوس بن مالك، فقـال لهم : أفرِدُوا إلىّ من مالكم قطعةً فقالا : لا، ولكن أقِمْ معنا فنحن نُواسيكَ فقال :

أأمَرْتُمـانى أن أُقِيمَ عليكما * كلّا لعَمْـرُ أبيكما الحَبّاقِ
عبدَانِ خيرُهما يُشَلُّ بضَبْعِه * شَلَّ الأجيرِ قلائصَ الوَرّاقِ (١)

سأل أمه من أبوه فخلطت عليه فقال شـــعرا

قال : وسأل الحطيئةُ أُمَّه : مَنْ أبوه فخَلَطَتْ عليه فقال :

تقول لِيَ الضَّرّاءُ لستَ لواحـــدٍ * ولا ٱثنين فٱنظر كيفَ شِرْكُ أُولئكَا
وأنتَ ٱمرؤٌ تبغِى أباً قد ضلَلْتَـــه * هَبِلْتَ (٢) ألمّـا تَستفِقْ مِن ضَـلَالِكَا

خـبره مع إخوته من بنى الأفقم

قال : وغضِبَ عليها فلحِقَ بإخوته بنى الأفقم فقال :

سِيرى أُمَامَ فإن المـالَ يجمعُه * سَيْبُ الإلٰهِ وإقبالِى وإدبارِى

٢/٤٥

قال : فلم يدفعوه ولم يقبلوه فقال :

إنّ اليمـامةَ خيرُ ساكِنِها * أهلُ القُرَيَّةِ مِن بنى ذُهلِ

وسألهم ميراثَه مِن الأفقم فأعطَوْه نخلاتٍ من نخل أبيهم تُدعَى نخلات أُمّ مُلَيكةَ، وأمّ مليكة : ٱمرأةُ الحطيئة، فقال :

---

(١) كذا فى حـ ، أ ويشـلّ : يطرد . والضبع : وسـط العضد بلحمه . والورّاق : صاحب الورق : المـال من إبل ودراهم وغيرهما . وفى ب ، سـ :

«عبدان سيرهما يسلّ بضبعه * سلّ الأجير قلائص الورّاق»

(٢) يقال هبلته أمه أى ثكلته والقياس فى المسند للمخاطب أن يقال هُبِلتَ بالبناء للفعول لأنه إنمـا يدعى عليه بأن تهبله أمه ولكن صاحب اللسان فى مادة «هبل» نقل عن ابن الأعرابى أنه يقال فى الدعاء : هَبِلْتَ بالبناء للفاعل ولا يقال هبلت بالبناء للفعول .

لِيَهْنِى[1] تُراثِى لامرئٍ غيرِ ذِلّةٍ * صَنَابِرُ أُحْدَانٌ لهنّ حَفيفُ[2]

قال : ثم لم تُقْنِعه النُّخَيلاتُ ، وقد أقام فيهم زمانا فسألهم ميراثَه كاملًا من الأَفْقَم فلم يُعطوهُ شيئا وضربوه ، فغضِبَ عليهم وقال :

تمنّيتُ بكرا أن يكونوا عِمَارتى[3] * وقومِى وبكرٌ شرُّ تلك القبائلِ
إذا قلتُ بَكْرِىٌّ نَبَوتُمْ[4] بحاجتى * فياليتنى مِن غيرِ بكرِ بنِ وائلِ

فعاد إلى بنى عبْس وٱنتسب إلى أَوْس بن مالك . وقال الأصمعىّ فى خبره : لما أتى أهلَ القُرَيَّةِ ، وهم بنو ذُهْلٍ ، يَطلُبُ ميراثَه من الأَفْقَمِ مدحهم فقال :

إنّ اليمامةَ خيرُ ساكنِها * أهلُ القُرَيَّة من بنى ذُهْلِ
الضامنون لمالِ جارِهِمُ * حتى يتمّ نواهضُ[5] البقلِ
قوم إذا ٱنتسبوا ففرعُهُمُ * فَرعِى وأثبتُ أَصْلِهم أَصْلِى

قال : فلم يُعطوه شيئا ، فقال يهجوهم :

إنّ اليمامة شَرُّ ساكنها * أهلُ القُرَيّة من بنى ذُهْلِ

---

(١) كذا فى حـ ، م ، أ . ليهنى بياء ساكنة ، وفى اللسان مادة «وحد» ليهنئْ بجزم الهمز وكلاهما صحيح . وفى ب ، س : « ليهن » ، وذكر صاحب اللسان أن ليهنك (أى بغير همز ولا ياء) تقوله العامة وهو غير جائز . ولكن ورد فى صحيح البخارىّ فى حديث توبة كعب بن مالك «ليهنك توبة الله عليك» انظر تاج العروس مادة « هنأ » . (٢) كذا فى حـ ، أ . ولسان العرب مادة صنبر ومادة وحد . غير أن كلمة صنابر رواها صاحب اللسان هكذا « صنابر » من غير ياء بعد الباء ، وحكى أن ٱبن الأعرابىّ فسرها بالسهام الدقاق ، وأن ٱبن سيدة قال : لم أجد هذا إلا عن ٱبن الأعرابىّ ولم يأت لها بواحد . وأحدان : أفراد لا نظير لها . وفى ب ، س :

* صنانير أخدان لهن حفيف * وهو تصحيف .

(٣) العمارة بكسر العين وفتحها : أصغر من القبيلة ، وترتيبها هكذا : الشعب أكثر من القبيلة ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم العشيرة ثم الفصيلة ثم الرهط . (٤) نبوتم : تجافيتم وتباعدتم .
(٥) نواهض البقل : ما ٱستوى منه ، يقال : نهض النبت إذا ٱستوى .

تزوجت أمه فهجاها

وقال أبو اليقظان فى خبره : كان الرجل الذى تزوّج أمَّ الحطيئة أيضا ولدَ زنا اسمه الكَلْب بن كُنَيس[1] بن جابر بن قَطَن بن نَهْشَل، وكان كُنَيس[1] زنى بأمَة لزُرارة يقال لها رُشَيَّةُ، فولدت له الكلبَ ويَرْبوعا، فطلبهم من زُرارةَ فمنعه منهم[2]، فلما مات طلبهم من أبيه لَقِيط فمنعه؛ وقال لَقيطٌ فى ذلك :

أفى نصف شهر ما صَبَرتم لحقِّنا * ونحن صبرنا قبــل ذاك سِنِينَا

وهى أبيات . فتزوج الكلبُ الضَّرَّاءَ أمَّ الحطيئة؛ فهجاه الحطيئةُ وهجا أمَّه فقال :

ولقــد رأيتُـك فى النساء فسُؤتنى * وأبَا بنيــك فســاءنى فى المجلس
إنّ الذليــل لمن تَزُور رِكابُه * رهطَ ابن جَحْش فى الخطوب الحُوَّس[3]
قبــح الالهُ قبيــلةً لم يمنعُــوا * يــومَ المُجَيمِر[4] جارَهم من فَقْعَس[5]
أبلغ بنى جَحْش[6] بأنّ نِجارَهم[7] * لؤم وأنّ أباهــمُ كالهِجْرِس[8]

وقال الحطيئةُ يهجو أمه :

جزاكِ اللهُ شرًّا من عجــوز * ولقّاكِ العُقوقَ من البنــين
فقد مُلِّكتِ[9] أمرَ بنيكِ حتى * تركتِهــمُ أدقَّ من الطَّحين

---

(١) كذا فى ب، س، ح . وفى م، أ : « الكيش » .

(٢) كذا فى ح . وفى سائر النسخ : « فمنعهم منه » . (٣) كذا فى أغلب النسخ . والحوّس : الأمور الشداد التى تنزل بالقوم وتغشاهم . وفى ح وديوانه (النسخة المخطوطة الموجودة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٣ أدب ش هكذا : * رهط ابن جحش فى مضيق المحبس *

(٤) قال ياقوت : المجيمر : جبل بأعلى مُبْهِل (ماء فى ديار بنى تميم) وقيــل المجيمر : أرض لبنى فزارة .

(٥) فقعس : حى من بنى أســد . (٦) فى ديوانه واللسان مادة هجرس : « أبلغ بنى عبس » .

(٧) النجار : الحسب والأصل . (٨) الهجرس : ولد الثعلب أو القرد، وقد يوصف به اللئيم .

(٩) الذى فى الديوان ولسان العرب مادة « سوس » : * لقد سوّست أمر بنيك حتى *
يقال : سُوِّس الرجلُ أمورَ الناس (على مالم يسمّ فاعله) اذا ملك أمرهم .

فإن تُخْلَىْ وأمرَك لا تَصُولى * بمشْـــتدٍّ قُواه ولا مَتــينِ
لسانُكِ مِبْرَدٌ (١) لا خيرَ فيـــه * ودَرُّكِ دَرُّ جاذبةٍ (٢) دَهِينِ

٤٦ ٢ وقال يهجو أمه أيضا :

تَنَحَّىْ فاْجلِسى مِنّى بعيـــدًا * أراحَ اللهُ منـــك العالَمِينا
أغِرْبالًا (٣) إذا استُودِعْتِ سِرًّا * وكانونًا (٤) عـلى المتحدّثينا
حياتُكِ ما علمتُ حياةُ سُوءٍ * وموتُكِ قـد يسرُّ الصالحينا

كان هجاء دنىء النفس فاسد الدين وذم نفسه

أخبرنى محمد بن الحَسَن بن دُرَيد قال أخبرنى عبــد الرحمن ابن أخى الأصمعىّ عن عمه قال :

كان الحطيئة جَشِعًا سؤولًا مُلْحِفًا ، دنىءَ النفس ، كثيرَ الشرّ ، قليــلَ الخير ، بخيلًا ، قبيحَ المنظر ، رَثَّ الهيئة ، مَغمُوزَ النسب ، فاسدَ الدِّين ، وما تشاء أن تقولَ فى شعر شاعرٍ من عيبٍ إلّا وجدتَه ، وقلّما تجد ذلك فى شعره .

أخبرنى ابن دُرَيد قال أخبرنا أبو حاتم عن أبى عُبَيــدة قال : بُخَلاءُ العــرب أربعةٌ : الحطيئةُ ، وحميدٌ الأَرْقَط ، وأبو الأَسْود الدُّؤَلىّ ، وخالد بن صَفْوانَ .

أخبرنا ابن دريد قال حدّثنا أبو حاتم قال قال أبو عبيدة : كان الحطيئةُ بَذِيًّا هَجّاءً ، فالتمس ذات يوم إنسانا يهجوه فلم يجده ، وضاق عليه ذلك فأنشأ يقول :

أبَتْ شَفَتَاىَ اليــومَ إلا تكلُّمًا * بشرٍّ فمــا أَدْرِى لِمن أنا قائلُهْ

(١) كذا فى أغلب النسخ . وفى حـ واللسان : «لا عيب فيه» . وفى الديوان : «لسانك مبرد لم يبق شيئا» . (٢) كذا فى الديوان ولسان العرب . والجاذبة : الناقة التى جذبت لبنها من ضرعها فذهب صاعدا . والدهين من الإبل : الناقة البكيئة القليلة اللبن التى يمرى ضرعها فلا يدرّ قطرة . وفى جميع النسخ : « جارية دهين » . (٣) الغربال : النمام . (٤) الكانون : الثقيل الوخم من الناس .

وجعل يُدَهْوِرُ هـذا البيتَ فى أشداقه ولا يَرى إنسانا، إذ ٱطّلع فى رَكِىّ(١) أو حوض فرأى وجهَه فقال :

أَرَى لِيَ وجها شَوَّهَ اللهُ خَلْقَه * فقُبِّحَ من وجهٍ وقُبِّحَ حامِلُهْ

قدم المدينة فجمعت له قريش العطايا خوفا من شره

نسختُ من كتاب الحرمىّ بن أبى العَلاء : حدّثنا الزُّبَيْرُ بنُ بَكّار قال حدّثنى عمّى قال :

قدم الحطيئةُ المدينةَ فأَرْصَدَتْ(٢) قريشٌ له العطايا خوفًا من شَرِّه، فقام فى المسجد فصاح : مَنْ يَحمِلنى على بغلين .

أخبرنى أبو خَليفةَ قال حدّثنا محمدُ بن سَلّام وأخبرنى الحسينُ بن يحيى المِرْداسىّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال قال أبو عُبيدة والمدائنىّ ومُصعَب :

كان الحطيئة سَؤُولًا جَشِعًا، فقدِم المدينةَ وقد أرصَدَتْ له قريشٌ العطايا، والناسُ فى سَنَةٍ مُجدِبةٍ وسَخْطَةٍ من خليفة ، فمشى أشرافُ أهلِ المدينة بعضُهم إلى بعض، فقالوا: قد قدِمَ علينا هذا الرجلُ وهو شاعر، والشاعرُ يَظُنّ فيُحقِّقُ، وهو يأتى الرجل من أشرافكم يسأله ، فإن أعطاه جَهَدَ نفسَه بَهْرَها(٣)، وإن حرمَه هجاه ، فأَجْمعَ رأيُهم على أن يَجعلوا له شيئا مُعَدًّا يَجمعونه بينهم له ، فكان أهلُ البيت من قريش والأنصار يجمعون له العشرةَ والعشرينَ والثلاثين دينارا(٤) حتى جمعوا له أربعمائة دينار، وظنوا أنهم قد أغنَوْه، فأتَوْه فقالوا له : هذه صلةُ آلِ فلانٍ وهذه صلةُ آل فلان وهذه صلةُ آل فلان ، فأخذها ؛ فظنوا أنهم قد كَفُّوه عن المسئلة ، فإذا هو يومَ الجمعة قد ٱستقبل الإمامَ ماثلا(٥) ينادى : مَنْ يحملنى على بغلين وقاه الله كَبَّةَ(٦) جهنّمَ .

(١) الركىّ : البئر . (٢) أرصدت : أعدّت . (٣) أى كلف نفسه فوق طاقتها .
(٤) كذا فى حـ . وفى سائر الأصول : « الدينار » بأل وهو خطأ عربية . (٥) من مثل يمثل اذا ٱنتصب قائما . (٦) أورد ابن الأثير فى النهاية فى مادة كبّ وصاحب اللسان فى مادتى كبّ وقلب قول معاوية حين ٱحتضر وكان يقلَّب على فراشه : « إنكم لتقلبون حوّلا قلّبا إن وُقى كبّةَ النار » ثم قالا : الكبة بالفتح : شدّة الشىء ومعظمه ، وكبة النار : صدمتها .

كان متين الشعر وليس فى شعره مطعن

ووصف أبو عبيدةَ ومحمدُ بن سلّام شعرَ الحطيئة فجمعتُ متفرّقَ ما وصفاه به فى هذا الخبر، أخبرنا به أبو خَليفة عن محمد بن سلّام وابن دُرَيد عن أبى حاتم عن أبى عُبَيدةَ قالا :

كان الحطيئة متّين الشعر ، شَرودَ القافية[1]، وكان دنِىءَ النفس ، وما تشاء أن تطعن فى شعر شاعرٍ إلا وجدت فيه مطعنًا ، وما أقلّ ماتجد ذلك فى شعره . قالا :

طلب من كعب بن زهير أن يقول شعرا يضعه فيه بعده فقال، وهجاه لذلك مزرد بن ضرار

فبلغ من دناءة نفســه أنه أتى كعبَ بن زُهَــير — وكان الحطيئة رَاوِيةَ زهير وآل زهــير — فقال له : قــد علمتَ روايتى لكم أهلَ البيت وانقطاعى إليكم ، وقــد ذهب الفحولُ غيرى وغيرَكَ ، فلو قلتَ شعرا تذكر فيــه نفسَكَ وتضعُنى موضــعا بعدك ! — وقال أبو عبيدة : تبدأ بنفسك فيه ثم تُثنّى بى — فإنّ الناس لأشعاركم أروَى وإليها أسرع ! فقال كعبٌ : ٤٧/٢

فمن للقوافى شانَهــا[2] مَنْ يَحوكُها * إذا ما ثَوَى كعبٌ وفوّزَ جَرْوَلُ

كَفَيتُكَ لا تلقَى من الناس واحدا * تَخَخّلَ[3] منهــا مثــلَ ما نتنخّلُ

نقــولُ فلا نعيا بشىءٍ نقـــولُه * ومن قائليها مَنْ يُسِىء ويُعْمِــلُ

نُثَقِّفها[4] حتى تَلِينَ متـــونُها * فيقصُرُ عنهــا كلّ ما يُتمثّــلُ[5]

---

(١) يقال : قافية شرود : سائرة فى البلاد تشرد كما يشرد البعير . (٢) شانها : جاء بها شائنة أى معيبة . وثوى : مات، وكذا فوّز . قال ابن برّى : وقد قيل : إنه لا يقال فوّز فلان حتى يتقدّم الكلام كلام فيقال : مات فلان وفوّز فلان بعده ، يشبه بالمصلى من الخيل بعد المجلى . (٣) كذا فى م ، أ ، ح والشعر والشعراء بالخاء المعجمة، يقال تخلت الشىء : تخيرته واستقصيت أفضله . وفى ب ، س : «تحل» بالحاء المهملة وهو تصحيف . (٤) كذا فى ح وخزانة الأدب للبغدادى ج ١ ص ٤١١ بالنون . وفى باقى النسخ : «يثقفها» بالياء . (٥) يتمثل : يضرب مثلا، يقال : تمثل هذا البيت وتمثل به أى ضربه مثلا .

قال : فاعترضه مُزَرِّدُ بن ضِرَارٍ، واسمه يزيد وهو أخو الشَّمّاخ، وكان عِرِّيضًا أى شديد العارضة كثيرَها[١]، فقال :

باستك إذ خلّفتَنى[٢] خلفَ[٣] شاعرٍ * من الناس لم أُكْفِئ[٤] ولم أتنخّلِ

فإن تَخْشبا[٥] أَخْشِب وإن تتنخَّلا * وإن كنتُ أفتَى منكما أتنخَّـلِ

فلستَ كحسّانَ الحُسَامِ ابنِ ثابتٍ * ولستَ كشمّاخٍ ولا كالمُخَبَّـلِ

أنشد عمر شعرا هجا به قومه ومدح إبله

نسختُ من كتاب الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبَيرُ بن بَكّار قال حدّثنى محمد بن الضحّاك قال :

أنشد الحطيئةُ عمرَ بن الخطاب رضى الله عنه قصيدةً نال فيها من قومه ومدحَ إبله فقال :

مَهارِيسُ[٦] يُرْوِى رِسْلُها ضيفَ أهلها * إذا الريحُ[٧] أبدتْ أوجُهَ الخَفِـرَاتِ

يُزِيلُ القَتادَ جِـذْبُها بأصـوله * إذا أصبحتْ مُقْـوَرَّةً[٨] خَرِصاتِ[٩]

(١) كذا فى جميع الأصول ولم نجد هذا المعنى الذى أورده أبو الفرج فى كتب اللغة كاللسان والقاموس والذى ذكرته فى معنى العرّيض أنه الذى يتعرّض للناس بالشرّ . (٢) كذا فى جميع الأصول وفى طبقات الشعراء لابن سلام طبع أوربا صحيفة (٢١) سطر (١٨) « وباستك » .

(٣) فى أ ، ء ، م : «أن» . (٤) من الإكفاء المعدود فى عيوب الشعر وهو المخالفة بين حركات الروىّ رفعا ونصبا وجرا، وله تعاريف أخرى (انظر اللسان مادة كفأ) . والتنحل : أن يدعى الشعر لنفسه وهو لغيره . (٥) كذا فى حـ ، ء ، أ . يقال : خشب الشعر يخشبه خشبا أى يمرّه كما يجيئه ولم يتأنق فيه ولا تعمّل له ، وهو يخشب الكلام والعمل اذا لم يحكمه ولم يجوّده . وفى باقى النسخ :

فان تخشنا أخشن وإن تنحلا * وإن كنت أفتى منكما أتنحل

بالنون فى « تخشنا وأخشن » وبالحاء المهملة فى تنحلا وأتنحل وهو تصحيف . وفى طبقات الشعراء لابن سلام « فإن تجشبا أجشب » بمعنى خشن .

(٦) المهاريس من الإبل : التى تقضم العيدان اذا قل الكلأ وأجدبت البلاد ، كأنها تهرسها بأفواهها أى تدقها . وقيل : الشداد، سميت بذلك لشدّة وطئها . والواحد مهراس . ورسلها : لبنها .

(٧) كذا فى جميع الأصول . وفى الديوان ولسان العرب مادّة هرس : « اذا النار» .

(٨) كذا فى جميع الأصول والديوان . والمقورّة هنا : المهازيل ، ويقال أيضا على السمان ، فهو من أسماء الأضداد . وفى اللسان مادّة خرص « مقرورة» من القرّ وهو البرد . (٩) كذا فى الديوان ، والخرصة : الجائعة المقرورة . وفى جميع الأصول : « خورات» من الخور وهو الضعف .

دخل فى حفل عند سعيد بن العاص فأنكره الناس ثم عرف فكرّم

أخبرنى عمّى قال حدّثنا الكُرَانىّ عن التَّوَّزىّ عن أبى عُبيدةَ قال : بينا سَعيد ابن العاص يُعَشِّى الناسَ بالمدينــة والناسُ يخرجون أوّلا أوّلا ، إذ نُظِر على بساطه إلى رجل قبيح المنظَر، رثّ الهيئة ، جالسٍ[1] مع أصحاب سَمَره ، فذهبَ الشُّرَطُ يُقيمونه فأبى أن يقومَ ، وحانتْ من سعيدٍ ٱلتِفَاتةٌ فقال : دَعُوا الرجلَ ، فتركوه ، وخاضوا فى أحاديثِ العرب وأشعارها مَلِيًّا ، فقال لهم الحطيئةُ : والله ما أصبتم جَيِّـدَ الشعرِ ولا شاعِرَ العرب ، فقال له سعيد : أتعرِفُ من ذلك شيئا ؟ قال : نعم ، قال : فمن أشعرُ العربِ ؟ قال : الذى يقول :

لا أَعُدُّ الإقتارَ عُدمًا ولكن * فَقْدُ مَنْ قد رُزِئتُه الإعدَامُ

وأنشدها حتى أتى عليها ، فقال له : مَنْ يقولهـا ؟ قال : أبو دُوَادٍ الإيادىُّ ، قال : ثم مَنْ ؟ قال : الذى يقول :

أَفْلِحْ[2] بما شئتَ فقد يُدرَكُ[3] بالـ * ـجهل وقد يُخدَّعُ الأريبُ

ثم أنشدها حتى فرغ منها ، قال : ومن يقولهـا ؟ قال عَبِيد بن الأَبْرَص ، قال : ثم من؟ قال : والله لَحَسْبُكَ بى عند رغبةٍ أو رهبةٍ إذا رفعتُ إحدى رجلىّ على الأخرى ثم عَوَيت فى أثر القوافى عُوَاء الفَصيل الصّادِى ، قال : ومن أنت؟ قال : الحطيئةَ ، قال : فرحّبَ به سعيد ، ثم قال : أسأتَ بكتمانِنا نفسَك منذ الليلة ، ووصَله وكساه .

قدم على عتيبة بن النهاس فلم يكرمه ثم عرف به فأكرمه

ومضى لوجهه إلى عُتيبةَ بن النَّهّاس العِجْلِىّ فسأله ، فقال له : ما أنا على عملٍ فأعطيَك

---

(١) كذا فى نسخة ط وهو وصف آخر لرجل ، وفى سائر النسخ : «جالسا» ، وهو صحيح أيضا على أنه حال من رجل لأن النكرة اذا وصفت صح فيما يذكر بعد أن يكون حالا منها . (٢) كذا فى أ واللسان ونسخة المعلقات بشرح التبريزىّ . وأفلح من الفلاح وهو البقاء أى عش بما شئت من عقل وحمق ، فقد يرزق الأحمق ويحرم العاقل ، أو من الفلاح وهو الفوز والظفر . وفى م : «أفلج» بالجيم وهو بمعنى أفلح أى فز وآظفر . وفى بقية الأصول : «أدرك» . (٣) كذا فى جميع الأصول . وفى المعلقات : «فقد يبلغ بالضعف» . وفى اللسان مادّة فلح : «فقد يبلغ بالنوك» .

من عَدَدِه، ولا لى مالى فضل عن قومى؛ قال له : فلا عليك، وانصرف . فقال له بعضُ قومه : لقد عرّضتنا ونفسَك للشر! قال: وكيف! قالوا : هذا الحطيئة وهو هاجينا أخبثَ هجاء؛ فقال : رُدّوه ، فردّوه إليه ، فقال له : لِمَ كتمتنا(١) نفسَك كأنك كنت تطلب العِلَلَ علينا! اِجلسْ فلك عندنا ما يسرّك؛ فجلس فقال له : مَنْ أشعر الناس ؟ قال : الذى يقول : ٤٨/٢

ومَنْ يجعلِ المعروفَ من دون عِرْضِه * يَفِرْهُ(٢) ومَنْ لا يتّقِ الشَّتمَ يُشْتَمِ

فقال له عتيبةُ : إنّ هذا من مقدّمات أفاعيك ؛ ثم قال لوكيله : اذهب معه إلى السُّوق فلا يطلبُ شيئا إلا اشتريتَه له ؛ فجعل يَعرِضُ عليه الخزّ ورقيقَ الثياب فلا يريدها ويُومِئُ الى الكرابيس(٣) والأكسية الغِلَاظِ فيشتريها له حتى قضي أربَه ثم مضى؛ فلما جلس عتيبةُ فى نادى قومه أقبل الحطيئةُ ، فلما رآه عتيبة قال : هذا مقامُ العائذ بك يا أبا مُلَيكةَ من خيرك وشرّك ؛ قال : قد كنت قلتُ بيتين فاستمعْهما ثم أنشأ يقول :

سُئِلتَ فلم تَبخَل ولم تُعطِ طائلًا * فسِيّانِ لا ذمٌّ عليكَ ولا حمدُ
وأنتَ امرؤٌ لا الجودُ منكَ سَجِيّةٌ * فتُعطِي ولا يُعدِى(٤) على النائل الوُجْدُ(٥)

ثم ركَض فرسَه فذهب .

---

(١) فى م ، ب ، سـ : « كتمت نفسك » . (٢) يفره : يتمه ولا ينقصه ، ويستعمل وفر لازما فيقال : وفر عرضه وفرا ووفورا أى كرم ولم يبتذل . وقد يتعدّى لمفعولين فيقال وفره عرضه أى لم يشتمه كأنه أبقاه له كثيرا طيبا لم ينقصه بشتم . (٣) الكرابيس : جمع كرباس وهو ثوب من القطن الأبيض ، فارسى معرّب . (٤) فى م ، أ ، ء وخزانة البغدادى (ج ١ ص ٤١١) والديوان ولسان العرب مادة « عدا » : « وقد يعدى » . و يعدى : يعين . (٥) الوجد مثلث الواو : اليسار والسعة .

ليس فى شعره مطعن

أخبرنى الحسينُ بن يحيى ومحمدُ بن مَزْيد البُوشَنْجى(١) قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال حدّثنى محمد بن عمرو الجَرْجَرائى(٢) عن أبى صَفْوانَ الأحوزىّ(٣) قال :

ما من أحدٍ إلا لو أشاءُ أن أجدَ فى شعره مطعنًا لوجدتُه إلا الحطيئةَ .

أنشد إسحاق من شعره وقال إنه أشعر الشعراء بعد زهير

قال حمّاد : وسمعت أبى يقول وقد أَنْشَدَ قولَ الحطيئةِ :

وفتيانِ صدقٍ من عَدِىٍّ عليهمُ * صفائحُ بُصْرَى عُلِّقتْ بالعَواتِق
إذا ما دُعُوا لم يَسأَلوا مَنْ دعاهمُ * ولم يُمْسِكوا فوقَ القلوبِ الخَوافِقِ
وطاروا إلى الجُرْدِ العِتاقِ فألجموا * وشَدُّوا على أوساطهم بالمَناطقِ
أولئك آباءُ الغَريب وغَاثَةُ الصَّريخ ومأوَى المُرْمِلينِ الدَّرادِق(٤)
أحَلُّوا حِياضَ(٥) الموتِ فوقَ جِباهِهم * مكانَ النّواصى من وجوه السّوابِق

ويروى :

* « اذا استُلحموا(٦) » ... ... * * واذا ركبوا لم ينظروا عن شِمالهم *

ويروى : أولئك أبناء العَزِيف(٧) — ثم قال : أما إنى ما أزعم أن أحدا بعد زُهير أشعرُ من الحطيئة .

(١) نسبة الى بوشنج : بليدة نَزِهة خَصيبة فى واد مُشجِر من نواحى هَراة بينهما عشرة فراسخ .

(٢) نسبة الى جَرْجَرايا : بلدة من أعمال النهروان الأسفل بين واسط وبغداد ، والنسبة اليها جرجرائى كما فى تهذيب التهذيب والخلاصة فى أسماء الرجال فى الكلام على محمد بن الصباح الجرجرائىّ . (٣) كذا فى ب ، س . وفى أ ، م : « الأجوزىّ » . وفى ء : « الأحوذىّ » ولم نهتد لتصحيح هذا الاسم .

(٤) الدرادق : الصبيان الصغار، واحده دردق . (٥) كذا فى ء ، أ ، م . وفى باقى النسخ : « حياض المجد » واضافة الحياض الى الموت معروفة ، و يكنى بها عن المنية كما فى شعر كعب بن زهير :

لا يقع الطعن الا فى نحورهم * وما لهم عن حياض الموت تهليل

وقد قال المحبّى فى كتابه « ما يعول عليه فى المضاف والمضاف اليه » : وقد شاع ذلك حتى صار كالحقيقة فيقال هو فى الحياض كما يقال فى النزع والغرغرة . (٦) استلحموا : نشبوا فى الحرب ودخلوا فى غمارها . وهذه الرواية فى البيت الثانى الذى أوّله : اذا ما دعوا ... (٧) العزيف : الصوت له دوىّ ومنه عزيف الرعد لدويه وعزيف الريح لما يسمع من دويها وعزيف القوس تصويتها . ولعله يريد هنا صوت ما يستنهض به للحرب كالطبل ونحوه أو أصوات الأبطال فى حومة الوغى .

وافقه ابن ميادة فى شطر فعرف أنه شاعر

أخبرنى الحسينُ بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال : بلغنى أنه لما قال ابنُ ميّادة :

* تمشّى به ظِلْمانه وجآذِرُهْ *

قيل له : قد سبقك الحطيئةُ إلى هذا ، فقال : والله ما علمتُ أنّ الحطيئةَ قال هذا قطّ ، والآن علمتُ والله أنى شاعر حين واطأتُ الحطيئةَ .

قال الأصمعىّ وقد أنشد شعره إنه أفسده بالهجاء

قال حَمّاد : قال أبى : وقال لى الأصمعىّ وقد أنشدنى شيئا من شعر الحطيئة : أفسد مثلَ هذا الشعر الحسن بهجاء الناس وكثرة الطمع .

سئل من أشعر الناس فأخرج لسانه يعنى نفسه

قال حمّاد : قال أبى : وبلغنى عن عبد الرحمن بنْ أبى بكرة[1] أنه قال : لقيت الحطيئةَ بذات عِرْقٍ[2] فقلت له : يا أبا مُلَيكة، مَن أشعر الناس؟ فأخرج لسانَه كأنه لسانُ الحية ثم قال : هذا اذا طَمِع .

قابل حسان متنكرا وسمع من شعره

ونسخت من كتاب أحمدَ بن سَعيد الدِّمَشْقِىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى يحيى بن محمد بن طَلْحة وكان قد قارَب ثمانينَ سنة قال :

أخبرنى بعضُ أشياخنا أن أعرابيا وقف على حَسّانَ بنِ ثابت وهو يُنشِدُ، فقال له حسّان : كيف تَسمعُ[3] يا أعرابىّ ؟ قال : ما أسمع بأسا ؛ قال حسّان : ٤٩/٢ أما تسمعون إلى الأعرابىّ ! ما كنيتكَ أيها الرجل ؟ قال : أبو مُلَيكة ، قال : ما كنتَ قطُّ أهونَ علىّ منك حينَ اكتنيتَ بآمرأة، فما آسمُك ؟ قال : الحطيئة، فأطرق حسّان ثم قال له : امضِ بسلام .

---

(١) كذا فى أغلب النسخ وهو الموافق لما فى الشعر والشعراء لابن قتيبة . وفى أ ، م « عبد الرحمن ابن أبى بكر » وكلتا الروايتين محتملة لأن كلا من عبد الرحمن بن أبى بكرة وابن أبى بكر كان فى عهد الحطيئة . (٢) ذات عرق : مهلّ أهل العراق وهو الحد بين نجد وتهامة . (٣) فى ح : « كيف ترى يا أعرابىّ؟ قال : ما أرى بأسا » .

كان بخيلا يطرد أضيافه

أخبرنى الحُسَين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن المدائنىّ قال:

مرّ ابنُ الحَمَامة بالحطيئة وهو جالس بِفناء بيته، فقال: السلامُ عليكم؛ فقال: قلتَ ما لا يُنكَر؛ قال: إنى خرجت من [عنـد][1] أهلى بغير زاد؛ فقال: ما ضَمِنتُ لأهلك قِرَاكَ؛ قال: أفتأذن لى أن آتىَ ظلَّ بيتك فأتفيّأَ به؟ قال: دونكَ الجبـلَ يفيءُ عليك؛ قال: أنا ابنُ الحَمَامة؛ قال: انصرف وكن ابنَ أىّ طائر شئت.

وأخبرنا بهـذا الخبر اليَزيدىّ عن الخزّاز[2] عن المدائنىّ فحكى ما ذكرْناه من قول الحُطَيئة عن أبى الأسود الدُّؤَلىّ.

وأخبرنى الحُسَين عن حمّاد عن أبيه عن أبى عُبيدة والمدائنىّ قالا:

أتى رجلٌ الحطيئةَ وهو فى غنم له فقال له: يا صاحبَ الغنم، فرفعَ الحطيئـةُ العصا وقال: إنهـا عَجْراء[3] من سَـلَم؛ فقال الرجل: إنى ضيف؛ فقال: للضِّيفَانِ أعددتُها، فانصرف عنه. قال إسحاق: وقال غيرهما: إن الرجل قال له: السلام عليكم؛ فقال له: عَجْراء مِن سَلَم؛ فقال: السلام عليكم؛ فقال: أعددتُها للطُّرّاق؛ فأعاد السلام فقال له: إن شئتَ قمتُ بها إليك؛ فانصرف الرجُل عنه.

كان يقول إنما أنا حسب موضوع

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يَزِيد قال: زعم الجاحظُ أن الحطيئة كان يقول: إنمـا أنا حسَبٌ موضوعٌ؛ فسـمع عمرُو بن عُبَيد رجلا يحكِى ذلك عنـه يقال له عبد الرحمن بن صِـدِّيقة، فقال عمرو: كذب ترّحه[4] الله إنمـا ذلك التقوى.

---

(١) زيادة فى حـ . (٢) كذا فى م . وفى أغلب الأصول «الخرّاز» والصواب ما أثبتناه وهو «أحمد بن الحارث بن المبارك الخزاز» صاحب أبى الحسن المدائنى وراويته وله ترجمة فى معجم الأدباء لياقوت ج ١ ص ٤٠٧ والفهرست لابن النـديم ص ١٠٤، ولم نهتد لتصحيح هـذا الاسم فى الجـزء الأوّل فكنا نكتب ما فى أغلب الأصول «الخرّاز» براء وزاى وننبه على أن فى بعضها «الخزاز» بزايين. أنظر ص ١٤ س ٢٠ وص ٢١ س ٣ من الجزء الأوّل من هذه الطبعة.

(٣) العجراء: العصا التى فيها عقد. والسلم: شجر معروف. (٤) ترّحه: أحزنه.

كان يهجو أضيافه وقد ضافه صخر بن أعيى فتهاجيا

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال قال الأصمعىّ : لم ينزل ضيفٌ قطّ بالحطيئة إلا هجاه، فنزل به رجلٌ من بنى أسد لم يسمّه الأصمعىّ، وذكر أبو عبيدة أنه صخرُ بنُ أَعْيَى الأسدىّ أحدُ بنى أعيى بن طريف بن عمرو بن قُعَين؛ فسقاه شَرْبةً من لبن، فلما شربها قال :

لمّا رأيتُ أنّ مَنْ يبتغى القِرَى * وأنّ ابنَ أَعْيَى لا محالةَ فاضحى
شَدَدْتُ حَيَازِيمَ ابنِ أعيى بشربةٍ * على ظَمإ(1) سَدَّتْ أصولَ الجوانحِ(2)

وروى الأصمعىّ شَدَّتْ بالشين المعجمة .

ولم أَكُ مثلَ الكاهلىِّ وعِرْسه * بَغَى الوُدَّ من مَطْروفَةِ العينِ طامِحِ(3)
غدا باغيا يبغى رضاها وودّها * وغابت له غيبَ امرئٍ غيرِ ناصحِ
دعتْ(4) ربَّها(5) ألّا يزالَ بفاقةٍ * ولا يغتدى إلا على حدٍّ(6) بارحِ

قال فأجابه صخرُ بنُ أعيى فقال :

ألا قَبَّحَ اللهُ الحطيئةَ إنه * على كلّ ضيف ضافه هو سالحُ(7)

---

(١) كذا فى جميع الأصول . وفى الديوان : «على فاقة» . (٢) سدّت : ملأت . والجوانح : الضلوع ماجدتها جانحة . وأصول الجوانح : خللها . والمراد أنها ملأت جوفه فسدّت خلل الضلوع . (٣) الكاهلىّ : رجل من بنى كاهل بن أسد، فركته (أبغضته) امرأته فاحتالت له حتى سقته سما فقتله ؛ والمطروفة من النساء : التى قد طرفها حب الرجال أى أصاب طرفها فهى تطمح وتشرف لكل من أشرف لها ولا تغض طرفها كأنما أصاب طرفها طرفة (نقطة حمراء تحدث فى العين) أو عود . وهذه رواية أغلب الأصول . وفى حـ : «مطروفة الودّ» وهى رواية الجوهرىّ فى الصحاح . انظر اللسان (مادة طرف) . (٤) كذا فى ديوانه . وفى جميع الأصول : «رأى» . (٥) كذا فى جميع النسخ ونحن وان كنا لا نخليه من معنى (وهو ولا يغتدى إلا على جهة بارح وناحيته) إلا أنا نرى أن من المحتمل تحريفه عن الجدّ (بالجيم المعجمة) بمعنى الحظ . (٦) البارح : ما مر من الطير والوحش من يمينك الى يسارك، والعرب تتطير به لأنه لا يمكنك أن ترميه حتى تنحرف، وضدّه السانح وهو ما مر بين يديك من جهة يسارك الى يمينك، والعرب تتيمن به لأنه أمكن للرمى والصيد . (٧) كذا فى ط . وفى باقى الأصول : «هو سانح» بالنون بدل اللام، وهو من سنح عليه إذا أحرجه وأصابه بشرّ .

دُفِعْتُ إليه وهو يخنُــقُ كلبَه * ألا كلّ كلبٍ لا أبَا لكَ نابحُ

بكَيتَ على مَذْقٍ(١) خبيثٍ قَرِيْتَه * ألا كلُّ عَبْسِيٍّ على الزاد شَائِحُ(٢)

قال أبو عبيدة وهجا الحطيئةُ أيضا رجلا من أضيافه فقال :

وسَلَّمَ مرّتينِ فقلتُ مهــلًا * كفتكَ المرّةُ الأولى السّلاما

ونَقْنَقَ(٣) بطنُــه ودعا رُؤَاساً(٤) * لِمَــا قد نالَ من شِــبَعٍ وناما

٥٠
―
٢

فقــد ناقة فقال شــعرا

أخبرني أبو خَلِيفةَ عن محمد بن سَلّام عن يونس أن الحُطَيئة خرج في سفر له ومعه آمرأته أُمَامةُ وآبنته مُلَيكةُ، فنزل منزِلًا وسرحَ ذَوْدًا له ثلاثا ، فلما قام للرّواح فقَد إحداها فقال :

أذئبُ القفــرِ أم ذئبٌ أنِيسٌ * أصاب البَكْرَ(٥) أم حَدَثُ الليالي

ونحن ثلاثةٌ وثلاثُ ذَوْدٍ(٦) * لقــد جارَ الزمانُ على عِيــالِي

ليس في الشعر أصــدق من قوله *لا يذهب العرف بين الله والناس*

أخبرني محمد بن خَلَف وَكِيع والحُسَين بن يحيي قالا حدّثنا حمّاد عن أبيه قال قال أبو عَمْرو بن العَلَاء : لم تقل العربُ بيتًا قطُّ أصدقَ من بيت الحُطَيئة :

مَنْ يَفعلِ الخيرَ لا يَعــدَمْ جَوَازِيَه(٧) * لا يَذْهَبُ العُرفُ بينَ اللهِ والنّاسِ

---

(١) مذق : بمعنى ممذوق ، يقال : لبن مذق أى مخلوط بالماء . (٢) شائح : حذر .

(٣) كذا فى حـ والديوان ، ونقنق : قرقر . وفى ب ، س : «ونفق» وهو تحريف . وجاءت فى باقى الأصول خالية من الإعجام . (٤) رؤاس : من بنى كلاب ، يقول : حين شبع أشر ونادى : يالبنى رؤاس (انظر ص ٢٢٢ من شرح ديوان الحطيئة طبع ليبسك رقم ١١٨٩ أدب بدار الكتب المصرية) .

(٥) البكر من الإبل بمنزلة الفتىّ من الناس ، يقال على الذكر والأنثى . والبكر أيضا : الناقة التى ولدت بطنا واحدا . (٦) الذود : الثلاث من الإبل الى العشر ، وهى مؤنثة لا واحد لها من لفظها . وفى اللسان مادة ذود : وقد قالوا : «ثلاث ذود يعنون ثلاث أينق» . كما يقال ثلاثة نفر وتسعة رهط يراد نفر هم ثلاثة ورهط هم تسعة . (٧) جوازيه : جمع جازية اسم مصدر للجزاء كالعافية .

فقيل له : فقولُ طَرَفَة :

سَتُبدِى لكَ الأيامُ ما كنتَ جاهلًا * ويأتيكَ بالأخبـار مَنْ لم تُزوِّدِ

فقال : من يأتيك بها ممن زَوّدتَ أكثر ، وليس بيتٌ ممـا قالته الشعراء إلا وفيه مَطعَنٌ إلا قولَ الحطيئة :

* لا يذهبُ العرفُ بين الله والناسِ *

قال إسحاق قال المـدائنىّ قال سَلْمُ بن قُتَيبة : ما أعلم قافيةً تستغنى عن صدرها وتدلّ عليه وإن لم يُنشَدْ مثلَ قول الحطيئة :

* لا يذهبُ العرفُ بين الله والناسِ *

كتب له الأصمعىّ أربعين قصيدة فى ليلة

أخبرنى محمدُ بنُ الحسن بنِ دُرَيدٍ قال حدّثنا الرِّيَاشىّ قال سمعت الأصمعىّ يقول : كتبت للحطيئة فى ليلةٍ أربعينَ قصيدةً .

قوله لا يذهب العرف البيت مكتوب فى التوراة

أخبرنى الحُسَين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أبى عُبيدة قال : بلغنى أن هذا البيت فى التوراة ، ذكره غير واحد عن أُبَىّ بن كَعْب . يعنى قولَ الحطيئة :

* لا يذهب العرف بين الله والنـاسِ *

قال إسحاق وذكر عبـد الله بن مروان عن أيُّوبَ بن عثمانَ الدِّمَشْقىّ عن عثمانَ ابن أبى عائشة قال : سَمِـعَ كَعْبُ الحِبْرُ[1] رجلا يُنشِدُ بيتَ الحطَيئة :

مَن يفعلِ الخيرَ لا يَعدَمْ جوازيَه * لا يذهبُ العُرفُ بين اللهِ والناسِ

---

(١) يقال : كعب الحبر (بكسر الحاء) فمن جعله وصفا له نوّن كعبا ، ومن جعله المداد لم ينوّن وأضافه الى الحبر . وقـد منع صاحب القاموس من أن يقال : كعب الأحبار ، ونوزع فى ذلك . (انظر تاج العروس للسيد مرتضى مادة حبر) .

فقال : والذى نفسى بيده إنّ هذا البيت لمكتوبٌ فى التوراة . قال إسحاق قال العُمَرىّ : والذى صح عندنا فى التوراة " لا يذهبُ العرفُ بين الله والعبادِ " .

أوصى عبيدالله بن شداد ابنه محمدا بشعره

أخبرنى[1] الحسين عن حمّاد عن أبيه قال قال أبو عَدْنان : لما حضرتْ عبيدَالله[2] ابن شدّاد الوفاةُ دعا ابنَه محمدا فأوصاه وقال له : يا بنىّ أَرَى داعىَ الموتِ لا يُقلِع، ويحقّ[3] أنّ مَنْ مضى لا يرجع، ومن بَقِى فإليه ينزِعُ . يا بنىّ، لِيكُنْ أَوْلَى الأمورِ بك تقوَى الله فى السرّ والعلانيــة ، والشكرَ لله ، وصِــدقَ الحديث والنيّة ، فإنّ للشــكر مزيدًا، والتقوى خيرُ زادٍ، كما قال الحطيئةُ :

ولستُ أرى السعادةَ جمعَ مال * ولكنّ التقىّ هو الســعيدُ
وتقــوَى الله خيرُ الزاد ذخرا * وعنــد الله للأتــقَى مَزِيدُ
وما لا بدّ أن يأتى قريبٌ * ولكنّ الذى يمضى بعيــدُ

روى حماد لبلال مدحه فى أبى موسى الأشعرىّ

أخبرنى أبو خليفة عن محمد بن سَلّام قال أخبرنى أبو عُبيدةَ عن يونس قال : قَدِم حَمّادٌ الراويةُ البصرةَ على بِلال بن أبى بُرْدة وهو عليها، فقال له : ما أطرفتَنى شيئا يا حمّاد؟ قال : بَلَى، ثم عاد إليه فأنشده للحطيئة فى أبى موسى الأشعَرِىّ يمدحه : ٥١/٢

جمعتَ من عامرٍ فيه[4] ومن جُشَمٍ * ومن تَميم ومن حاءٍ[5] ومن حامِ[6]

(١) ورد هذا الخبر فى الأمالى (ج ٢ ص ٢٠٢ طبع دار الكتب المصرية) بتفصيل عما هنا فراجعه .
(٢) كذا فى جميع الأصول . وفى الأمالى لأبى علىّ القالى : « عبد الله بن شدّاد بن الهاد ... الخ » .
(٣) كذا فى ا ، حـ ، ء . وفى ب ، سـ : « ويحق » . وفى م : « ولحق » .
(٤) كذا فى ديوانه . والضمير يرجع الى الجحفل فى البيت الذى قبله وهو :

وجحفل كبهيم الليــل منتجع * أرض العدوّ ببؤس بعد إنعام

وفى جميع الأصول : « فيها » .
(٥) كذا فى حـ ، ط والديوان . وحاء : حىّ من مذحج . وفى ب ، سـ : « سام » .
(٦) جاء فى شرح الديوان أن حامًا من ناهس بن عِفْرِس بن خَلَف بن أَنْمار وهم خَثْعَم .

مُسْتَحقبات رَوَاياها(١) جَحافلَها(٢)(٣) * يَسْمُو بها أَشْعَرىٌّ طَرْفُه سَامِى

فقال له بلال : وَيْحكَ ! أيمدحُ الحطيئةُ أبا موسى الأشعرىَّ وأنا أروى شعرَ الحطيئةِ كلَّه فلا أعرِفُها ! ولكن أشِعْها تذهَبْ فى الناس .

وذكر المدائنىّ أن الحطيئة قال هذه القصيدة فى أبى موسى، وأنها صحيحة . قالها فيه وقد جمع جيشا للغزو فأنشده :

* جمعتَ من عامرٍ(٤) فيه ومن أَسَدٍ(٥) *

وذكر البيتين و بينهما هذا البيت وهو :

فما رضيتَهمُ حتى رَفدْتَهمُ * بوائلٍ رهطِ ذى الجَدَّينِ بِسْطامِ(٦)

فوصله أبو موسى، فكتب إليه عمر رضى الله عنه يلومه على ذلك، فكتب إليه : إنى آشتريت عِرْضِى منه بها، فكتب إليه عمر : إن كان هذا هكذا وإنما فديتَ عِرضك من لسانه ولم تعطه للمدح(٧) والفخر فقد أحسنت . ولما وَلِىَ بلالُ بنُ أبى بُرْدَةَ أنشده إياها حمّادٌ الراويةُ فوصله أيضا .

---

(١) مستحقبات : من استحقب الشىء اذا احتمله من خلف . (٢) الروايا : الإبل التى تحمل أزوادهم وأثقالهم . (٣) جحافلها : جمع جحفلة . وهى من الخيل والحمير والبغال والحافر بمنزلة الشفة للإنسان والمشفر للبعير . والضمير يعود الى الخيل المذكورة فى الأبيات الواردة قبل هذا البيت وهى :

وما رضيت لهم حتى رفدتهم * من وائل رهط بسطام بأصرام

فيه الرماح وفيه كل سابغة * جَدْلاء مبهمة من نسج سلّام

وكل أجرد كالسِّرْحان أترزه * مسحُ الأكف وسقىٌ بعد إطعام

وكل شَوْهاء طوع غير آبية * عند الصباح اذا همّوا بإلجام

والمعنى أن الخيل تجنب الى الروايا فتضع جحافلها على أعجاز الإبل . (انظر شرح الديوان المخطوط المحفوظ بدار الكتب تحت رقم ٣ أدب ش) . (٤) انظر الحاشية رقم ٢ فى الصفحة السالفة . (٥) هذه غير رواية حماد كما ذكر شارح الديوان . (٦) كذا فى الأصول . وبسطام هو بسطام ابن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد الشيبانى ويسمى ذا الجدّين . وفى الديوان : «رهط بسطام بأصرام» والأصرام : البيوت المجتمعة، يقال للقطعة منها صِرْم (بالكسر) . (٧) فى ط : «للبذخ» .

كذبه عمر في بيت قاله

ونسخت من كتاب لحماد بن إسحاق حدثني به أبي وأخبرني به عمي عن الكراني عن الرياشي قال حدثني محمد بن الطفيل عن أبي بكر بن عياش عن الحارث بن عبد الرحمن عن مكحول قال :

سبق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على فرس له فجثا على ركبتيه وقال : "إنه لبحر[(١)]"؛ قال عمر : كذب الحطيئة حيث يقول :

وإن جياد الخيل لا تستفزنا * ولا جاعلات الريط[(٢)] فوق المعاصم

لو ترك هذا أحد لتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أراد سفرا فاستعطفته امرأته بشعر فرجع

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن أبي عبيدة أن الحطيئة أراد سفرا فأتته امرأته وقد قدمت راحلته ليركب، فقالت :

أذكر تحننا إليك وشوقنا * واذكر بناتك إنهن صغار

فقال : حطوا، لا رحلت لسفر أبدا .

يزعم رجل أنه ضاف قوما من الجن منهم صاحب الحطيئة

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي ومحمد بن الحسن بن دريد قالا حدثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه عن أبيه قال :

قال رجل : ضفت[(٣)] قوما في سفر وقد ضللت[(٤)] الطريق، فجاءوني بطعام أجد طعمه في فمي وثقله[(٥)] في بطني، ثم قال شيخ منهم لشاب : أنشد عمك؛ فأنشدني :

---

(١) أي واسع الجري . وفي صحيح الامام البخاري : كان بالمدينة فزع فاستعار النبي صلى الله عليه وسلم فرسا لأبي طلحة يقال له «مندوب» فركبه وقال : «ما رأينا من فزع وإن وجدناه لبحرا» . انظر (باب الركوب على الدابة الصعبة من كتاب الجهاد) . (٢) الريط : جمع ريطة وهي كل ملاءة غير ذات لفقين كلها نسج واحد، أو كل ثوب لين رقيق . (٣) أي نزلت عليهم ضيفا . (٤) في جميع النسخ : «أضللت» . وفي اللسان ضللت المسجد والدار اذا لم تعرف موضعهما . قال أبو عمرو بن العلاء اذا لم تعرف المكان قلت ضللته واذا سقط من يدك شيء قلت أضللته، أو بعبارة أخرى تقول للشيء الزائل عن موضعه قد أضللته وللشيء الثابت في موضعه إلا أنك لم تهتد اليه ضللته . (٥) كذا في أغلب الأصول وفي ط «ثفله» والثفل : ما سفل ورسب من كل شيء، ومن المحتمل أن يكون «وثقلته» — بفتح الثاء وسكون القاف وفتحها — وهي ما يجده الرجل في جوفه من ثقل الطعام .

عفا من سُلَيمى مُسْحُلَانُ فَخَامِرُهْ * تَمَشّى بــه ظِلْمــانُه وجَآذِرُهْ

فقلت له : أليس هذا للحُطَيئة ؟ فقال : بلى، وأنا صاحبُه من الجن .

أنشد ابن شبرمة من شعره وقال هو من جيد الشعر

أخبرنى الحُسَين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال :

قال ابن عُيَينة : سمعت ابن شُبْرُمَة يقول: أنا والله أعلم بجيِّد الشعر، لقد أحسن الحطيئةُ حيث يقول :

أولئك قوم إن بَنَوْا أحسنوا البُنَى * وإنْ عاهدوا أَوفَوْا وإن عقدوا شَدُّوا

وإن كانتِ النَّعْماءُ فيهم جَزَوْا بهـا * وإن أَنْعموا لا كَدَّرُوها ولا كَدُّوا

وإن قال مَوْلاهم على جُلِّ حادثٍ * من الدهر رُدُّوا فضلَ أحلامكم رَدُّوا

قال : وقال الأصمعيّ وقد سأله أبو عَدْنان عن هــذا البيت : ما واحد البُنَى ؟

٥٢/٢

قال : بُنْية ؛ فقال له : أَتُجمَــع فِعْلة على فُعَل ؟ قال : نعمْ مثل رِشْوة ورُشًى وحِبْوة وحُــبًى .(١)

نزل على بنى مقلد بن يربوع فأحسنوا جواره ومدحهم

حدّثنا أحمد بن عُبيد الله بن عَمّار قال حدّثنى محمد بن أحمد بن صَدَقة الأنباريّ قال حدّثنــا ابن الأعرابيّ عن المفضَّل :

أن الحطيئة أَقحمتْه السنةُ(٢)، فنزل ببنى مُقَلَّد بن يَرْبُوع ، فمشى بعضهم الى بعض وقالوا : إن هذا الرجل لا يَسْلَم أحدٌ من لسانه، فتعالَوْا حتى نسألَه عما يحبّ فنفعلَه(٣) وعمــا يكره فنجتنبَه ؛ فأتَوْه فقــالوا له : يا أبا مُلَيْكة، إنك اخترتَنا على سائر العرب

(١) الذى ورد فى كتب اللغة بنية بالكسر و بنية بالضم ، وورد فى جمعهما بنى بالكسر و بنى بالضم . وأنشد الفارسى بيت الحطيئــة على ضم الباء فى قوله « أحسنوا البنى » . قال صاحب اللسان : ويروى «أحسنوا البنى» أى بالكسر . والرشوة أيضا جاءت بتثليث الراء وجمعت على « رشى » بضم الراء و « رشى » بكسرها ، وكذلك الحبوة بمعنى الثوب الذى يحتبي به رويت بكسر الحاء وضمها وجمعت على حبي بالكسر وحبي بالضم .

(٢) أقحمته : أوقعته فى شدة ومشقة . والســنة : الجدب .

(٣) كذا فى ط . وفى سائر النسخ : « فنفعله به » .

ووجب حقُّك علينا، فمُرْنا بمــا تحبّ أن نفعلَه وبما تحب أن ننتهىَ عنــه؛ فقال : لا تُكثروا زيارتى فتُملّونى، ولا تقطعوها فتُوحِشُونى، ولا تجعلوا فِنــاءَ بيتى مجلسًا لكم، ولا تُسْمِعوا بناتى غناءَ شُبّانكم ، فإن الغناء رُقْية الزنا . قال : فأقام عنــدهم . وجمع كلُّ رجل منهم ولده وقال : أُمُّكم الطَّلاقُ، لئن تَغَنّى احد منكم والحطيئةُ مقيمٌ بين أظهُرنا لأضربنّه ضربةً بسيفى أخذتْ منه ما أخذتْ . فلم يزل مقيما فيما يرضَى حتى آنجلتْ عنه السَّنةُ، فارتحل وهو يقول :

جاورتُ آلَ مُقَلَّدٍ فحَمِدتُهم * إذ ليس كلُّ أخى جِوارٍ يُحْمَــدُ (١)
أيامَ مَنْ يُرِدِ الصنيعةَ يَصْطنِعْ (٢) * فينا ومن يُرِدِ الزَّهادةَ يَزْهَــدُ (٣)

خبره مع الزبرقان ابن بدر وسبب هجائه إياه

فأما خبره مع الزِّبْرِقان بن بَدْر والسببُ فى هجائه إياه، فأخبرنى به أبو خَليفة عن محمد بن سَــلّام ولم يتجاوزْه به، وأخبرنى الحُسَــين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن سَــلّام عن يونس ، وأخبرنى محمد بن الحَسَن بن دُرَيد عن أبى حاتم عن أبى عُبيدة ، وأخبرنى اليَزِيدىّ عن عمّه عبيد الله عن أبى حَبِيب (٤) عن ابن الأعرابىّ وقد جمعتُ رواياتِهم وضممتُ بعضَها إلى بعض :

أن النبىّ صــلى الله عليه وسلم كانــ ولّى الزِّبْرِقانَ بن بَدْر بن آمرئ القيس ابن خَلَف بن بَهْدَلة بن عَوْف بن كَعْب بن سَعْد بن زَيْد مَناة بن تَميم عَمَلًا ، وذكر

---

(١) كذا فى أغلب الأصول . وفى الديوان ، ا ، ء ، ط : « إذ لا يكاد أخو » .

(٢) فى ط : « أزمان » . (٣) القافية تقتضى رفع يزهد ، ووقوعه جوابا للشرط يقتضى جزمه . ولكن رفع المضارع الواقع جوابا لفعل شرط مضارع يجوز ولو فى غير الضرورة وإن كان خلاف الأفصح . وفى ط : « يزهد » بكسر الدال وهو اللغة الفصيحة وإن كان عليها قد دخله الإقواء وهو اختلاف حركة الروىّ رفعا وجرا . (٤) كذا فى جميع النسخ ولعله : « ابن حبيب » وهو محمد بن حبيب المتقدّم ذكره كثيرا فى رجال السند والذى ذكر ابن النديم فى الفهرست صفحة ١٠٦ طبع ليبزج أنه يروى عن ابن الأعرابىّ وسيأتى فى الصفحة التالية ذكر ابن حبيب هذا وأنه يروى عن ابن الأعرابىّ .

مثلَ ذلك الأصمعىُّ، وقال : الزِّبْرِقان : القمر، والزبرقان : الرجل الخفيفُ اللحْية. قال : وأقرّه أبو بكر رضى الله عنه بعد النبىّ صلى الله عليه وسلم على عمله ، ثم قدم على عمرَ فى سنة مُجْدِبة ليؤدّىَ صدقاتِ قومه ، فلقيه الحطيئةُ بقَرْقَرى(١) ومعه ابناه أوسٌ وَسَوادةُ وبناتُه وامرأتُه ؛ فقال له الزِّبْرِقان وقد عرَفه ولم يعرفه الحطيئة : أين تريد؟ قال : العراقَ ، فقد حطَمَتْنا هذه السنةُ ؛ قال : وتصنَع ماذا؟ قال وددْتُ أن أصادف بها رجلا يكْفينى مَؤونةَ عيالى وأُصفِيه(٢) مَدْحِى أبدا ؛ فقال له الزبرقان : قد أصبتَه ، فهل لك فيه يُوسِعُك لبنًا وتمرًا ويجاورُك أحسنَ جِوار وأكرَمه ؟ فقال له الحُطَيئة : هذا وأبيك العيشُ ، وما كنتُ أرجو هـذا كلَّه ؛ قال : فقـد أصبتَه ؛ قال : عندَ مَنْ؟ قال : عندى ؛ قال : ومن أنت؟ قال : الزِّبْرِقان بن بدر ؛ قال وأين محلُّك؟ قال : اركَبْ هذه الإبلَ ، واستقبلْ مَطْلِعَ الشمس ، وسَلْ عن القمر حتى تأتىَ منزِلى . قال يونُس : وكان اسمُ الزِّبْرِقان الحُصَين بن بدر ، وإنما سمّى الزِّبْرِقانَ لحسنه ، شُبِّه بالقمر. وقيل : بل لبس عمامةً مُزَبْرَقةً(٣) بالزّعْفران فسـمّىَ الزِّبْرِقانَ لذلك . وقال أبو عُبيدة فى خبره : فقال له : سِرْ إلى أم شَذْرَةَ وهى أم الزِّبْرِقان وهى أيضا عمة الفرزدق ، وكتب إليها أن أحسِنى إليه ، وأكثرى له من التمر واللبن . وقال آخرون : بل وكّله إلى زوجته . فلحِق الحطيئةُ بزوجته(٤) على رواية ابن سَلّام ، وهى بنت صَعْصَعة بن نَاجِيةَ المُجَاشِعيَّةُ ، واسمُها هُنَيدة ، وعلى رواية ابى عُبَيدة : أنها أمُّه ، وذلك فى عام صَعْبٍ مُجْدِب ، فأكرمَتْه المرأةُ وأحسنتْ إليه ؛ فبلغ ذلك بَغِيضَ بن عامر بن شَمّاس بن لأْىِ ابن جَعْفر وهو أنْفُ الناقة بن قُرَيع بن عَوْف(٥) [بن كعب](٦) بن سَعْد بن زَيْد مَنَاة بن تَمِيم ، ٥٣/٢

(١) قرقرى : أرض باليمامة فيها قرى وزروع ونخيل كثيرة . (انظر معجم ياقوت فى قرقرى) .
(٢) أصفيه : أخلصه . (٣) مزبرقة : مصبوغة . يقال : زبرق ثوبه اذا صبغه بحمرة أو صفرة .
(٤) فى حـ : «فرحل الحطيئة حتى لحق بزوجته» . (٥) فى ا ، ب ، سـ : «عمرو» بدل «عوف» . وهو تحريف . (٦) زيادة فى ط . ويؤيد صحة هذه الزيادة ما ورد فى شرح القاموس للسيد مرتضى فى مادة «أنف» .

وبلغ إخوته وبني عمه فاغتنموها . وفي خبر اليزيدي عن عمه قال ابن حبيب عن ابن الأعرابي : وكانوا يغضبون من أنف الناقة ، وإنما سمي جعفر أنف الناقة لأن أباه قُرَيعا نحر ناقة فقسمها بين نسائه ، فبعثت جعفرا هذا أمه ، وهي الشَّمُوس من وائل ثم من سَعْد هُذَيم ، فأتى أباه ولم يبق من الناقة إلا رأسها وعنقها ، فقال : شأنك بهذا ؛ فأدخل يده في أنفها وجرّ ما أعطاه ؛ فسمي أنف الناقة . وكان ذلك كاللقب لهم حتى مدحهم الحطيئة ، فقال :

قوم هم الأنفُ والأذنابُ غيرُهُمُ * ومن يسوّي بأنف الناقة الذنَبا

فصار بعد ذلك فخرا لهم ومدحا ، وكانوا ينازعون الزِّبْرِقان الشرف — يعني بَغِيضا وإخوته وأهله — وكانوا أشرف من الزبرقان ، إلا أنه قد كان استعلاهم بنفسه . وقال أبو عُبَيدة في خبره : كان الحُطَيئة دَمِيما سَيِّئ الخَلْق[1] ، لا تأخذه العين ، ومعه عيال كذلك ، فلما رأت أم شَذْرة حاله هان عليها وقصَّرت به[2] ، ونظر بغيض وبنو أنف الناقة إلى ما تصنع به أم شذرة ، فأرسلوا إليه : أن آتنا ، فأبى عليهم وقال : إن من شأن النساء التقصيرَ والغَفْلة ، ولستُ بالذي أحمل على صاحبها ذنبها . فلما ألحّ عليه بنو أنف الناقة ، وكان رسولهم إليه شَمَّاس بن لأْي وعَلْقمة بن هَوْذة وبَغِيض ابن شَمَّاس والمُخَبَّل الشاعر ، قال لهم : لستُ بحامل على الرجل ذنب غيره ، فإن تُرِكت وجُفيت تحولتُ إليكم ؛ فأطمعوه ووعدوه وعدا عظيما . وقال ابن سلّام في خبره : فلما لم يجبهم دسُّوا إلى هُنَيدة زوجة الزبرقان أن الزبرقان إنما يريد أن يتزوج ابنته مُلَيكة ؛ وكانت جميلة كاملة ، فظهرت من المرأة للحطيئة جفوة وهي في ذاك تداريه .

---

(١) في ط : « شيء الخلق » ولعله فعيل بمعنى مفعول من شئ الرجل (بالبناء للمفعول) اذا أبغض . ولم نجد هذه الصيغة في كتب اللغة التي بأيدينا أو لعله تحريف عن « مشيأ الخلق » والمشيأ : المختلف الخلق المخبله القبيح .

(٢) قصرت به : لم تكرمه ولم تبلغ ما يرضيه .

ثم أرادوا النُّجْعة(١)، قال أبو عُبَيدة: فقالت له أمُّ شَذْرة ـ وقال ابن سلّام: فقالت له هُنَيدة ـ: قد حضَرت النُّجْعةُ فاركَبْ أنت وأهلُك هذا الظَّهرَ إلى مكان كذا وكذا، ثم اردُدْه إلينا حتى نَلْحَقك فإنه لايَسَعُنا جميعا؛ فأرسل إليها: بل تقدَّمى أنتِ فأنت أحقُّ بذلك؛ ففعلتْ وتثاقلتْ عن ردِّها(٢) إليه وتركتْه يومين أو ثلاثةً، وألحَّ بنو أنف الناقة عليه وقالوا له: قد تُرِكت بمَضْيَعة. وكان أشدَّهم فى ذلك قولًا بَغِيضَ بن شَمَّاس وعَلْقمةَ بن هَوْذة، وكان الزِّبْرِقان قد قال فى عَلْقمة:

لى ابنُ عمٍّ لا يزا ... ل يَعِيبُنى ويُعِينُ(٣) عائبْ
وأُعِينُه فى النائبا ... ت ولا يُعين على النوائبْ
تَسْرى عقاربُه إلىَّ ... ولا تَدِبُّ له عقاربْ
لاهِ(٤) ابنُ عمِّكَ لا يَخَا ... فُ المُخْزِيات من العواقبْ

قال: فكان عَلْقمة ممتلئًا غيظا عليه. فلما ألَحُّوا على الحُطَيئة أجابهم(٥) وقال: أما الآنَ فنعمْ، أنا صائرٌ معكم. فتحمَّل معهم، فضرَبوا له قُبَّةً، وربَطوا بكلِّ طُنُب من أطنابها جُلَّةً(٦) هَجَرِيَّةً، وأراحُوا(٧) عليه إبلَهم، وأكثروا له من التمر واللبن، وأعْطَوْه ٥٤/٢

(١) النجعة: طلب الكلأ فى موضعه.

(٢) كذا فى جميع النسخ ولعله: «رده». أو أنه أنث الضمير باعتبار أن مرجعه الدابة وهى تقع على المذكر والمؤنث قال الله تعالى: «وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها». (٣) كذا فى ط وفى سائر الأصول «ويعيب» وعائب على هذه النسخة بمعنى ذى عيب يقال: عاب الشىء عيبا: صار ذا عيب. (٤) لاه: بمعنى لله، ومثله قول ذى الأصبع العدوانى:

لاه ابن عمك لا أفضلت فى حسب ... عنى ولا أنت ديانى فتخزونى

(٥) كذا فى ط وهى أنسب. وفى سائر النسخ: «فقال». (٦) فى اللسان: «الجلة: وعاء يتخذ من الخوص يوضع فيه التمر يكنز فيها». وقال فى مادة «وزن»: «والوزن: الفدرة من التمر لا يكاد الرجل يرفعها بين يديه تكون ثلث الجلة من جلال هجر». وفى ط: «حلة» ولعلها تصحيف «جلة». وفى باقى الأصول: «قلة» والسياق لا يساعد على تصويبه. (٧) إراحة الإبل: ردها فى العشى.

لِقَاحًا[1] وكُسْوَةً. قال : فلمّا قدِم الزِّبْرِقان سأل عنه فأُخْبِر بقصّته، فنادى فى بنى بَهْدَلةَ ابن عَوْف، وهم لأمٍّ دون قُرَيع، أمُّهم السَّفْعاء بنت غَنْم بن قُتَيبة من باهِلة. فركب الزبرقانُ فرسَه، وأخذ رمحَه، وسار حتى وقف على نادى بنى شَمّـاس القُرَيْعيِّين، فقال : رُدّوا علىّ جارى؛ فقالوا : ما هو لك بجارٍ وقـد اطَّرحتَه وضيّعتَه؛ فألَمَّ[2] أن يكونَ بين الحيَّيْن حربٌ، فحضرهم[3] أهلُ الحِجَا من قومهم، فلاموا بَغِيضًا وقالوا : اردُدْ على الرجل جارَه؛ فقال : لست مُخرِجَه وقد آويتُه، وهو رجل حُرٌّ مالكٌ لأمره، فخيِّروه فإن اختارنى لم أُخْرِجْه، وإن اختاره لم أُكْرِهْه. فخيَّروا الحطيئةَ فاختار بَغِيضًا ورَهْطَه؛ فجاء الزبرقانُ ووقف عليه وقال له : أبا مُلَيكة، أفارقتَ جِوَارِى عن سُخْط وذَمّ؟ قال: لا؛ فانصرف وتركه. هـذه رواية ابن سـلّام، وأما أبو عُبَيدة فإنه ذكر أنه كان بين الزِّبْرقان ومن معه من القُرَيعيِّين تَلَاحٍ[4] وتَشَاحٌّ. وزعم غيرهما أن الزبْرقانَ استعدَى عمرَ بنَ الخَطّاب على بَغِيض، فحكم عمرُ بأن يُخْرَجَ الحطيئةُ حتى يُقَام فى موضع خالٍ بين الحيَّيْن وحدَه ويُخَلَّى سبيلُه، ويكون جارَ أيِّهما اختار؛ ففُعِل ذلك به، فاختار القُرَيعيِّين. قال: وجعل الحطيئةُ يمدَحهم من غير أن يَهْجُوَ الزِّبْرِقان، وهم يحضُّونه على ذلك ويُحرِّضونه فيأبى ويقول : لا ذنبَ للرجل عنـدى؛ حتى أرسل الزبرقان إلى رجل من النَّمِر بن قاسِط يقال له دِثَار بن شَيْبان، فهجا بَغِيضًا فقال :

أَرَى إبِلِى بجَوْف المـاء حَلَّتْ * وأَعْـوزها به المـاءُ الرَّوَاءُ
وقد ورَدَتْ ميـاهَ بنى قُرَيع * فمـا وصلُوا القرابةَ مذ أساءوا

(١) اللقاح : جمع لقوح وهى الناقة الحلوب. (٢) ألم : قرب، يقال : ألم أن يذهب بصره أى قرب أن يذهب. ومنه الحديث : «وان مما ينبت الربيع ما يقتـل حبطا أو يلم» قال أبو عبيد : معناه أو يقرب من القتل. (٣) كذا فى ط. وفى باقى الأصول : «فحضر أهل الحجا ...». (٤) تلاح : تنازع.

تَحَــلَّأُ[1] يومَ وِرْدِ النــاس إبْلِى * وتَصْــدُرُ وهى مُحْنِقَــةٌ[2] ظِمَاءُ
ألم أكُ جارَ شَمَّــاس بنِ لَأْيٍ * فأسْــلمنِى وقد نزل البَــلَاءُ
فقلتُ تحــوَّلِى يا أمَّ بَكْـرٍ * إلى حيثُ المكارمُ والعَــلَاءُ
وجدنا بيتَ بَهْدَلةَ بنِ عَوْف * تعــالى سَمْــكُه ودَحَا[3] الفِنَاءُ[4]
وما أضحَى لشَمَّاس بنِ لَأْيٍ * قَــدِيمٌ فى الفَعَال[5] ولا رَبَاءُ[6]
سِوَى أن الحطيئةَ قال قولًا * فهـــذا من مقالته جزاءُ

فحينئذ قال الحطيئةُ يَهجُو الزِّبْرِقان ويُناضِل عن بَغِيض قصيدتَه التى يقول فيها :

والله ما مَعْشَرٌ لامُوا آمْرأً جُنُبًا * فى آل لَأْيِ بن شَمَّاس بأكْيَاسِ
ما كان ذنبُ بَغِيض لا أبا لكمُ * فى بائِس جاء يَحْدُو آخرَ الناسِ
لقــد مَرَيْتُكمُ[7] لو أن دِرَّتَكم[8] * يومًا يَجِىء بها مَسْحِى وإبْسَاسِى
وقد مدحتُــكمُ عمدًا لأُرْشِدَكم * كيما يكون لكم مَتْحِى وإمْرَاسِى
لمــا بدا لىَ منكم غيبُ[9] أنفسكم * ولم يكن لِجرَاحِى فيــكمُ آسِى
أزمعتُ يأسًا مُبِينًا[10] من نَوَالِكمُ * ولن يُرَى طَارِدًا[11] للحُــرِّ كالْيَاسِ

(١) كذا فى حـ . وتحلأ : تمنع ؛ يقال : حلأه عن المــاء تحليئا وتحلئة طرده ومنعه . وفى باقى النسخ : « تخلى » وهو تحريف . (٢) محنقة : ضامرة . (٣) وردت دحا بمعنى بسط ووسّع ، ولم تجئ فى كتب اللغة التى بين أيدينـا لازمة إلا فى قولهم : دحا البطن أى عظم واسترســل الى أسفل ؛ فيصح أن يكون قوله «دحا الفناء» هنا بمعنى عظم واتسع . أو لعلها دجا (بالجيم المعجمة) بمعنى سبغ أى طال واتسع . (٤) فناء الدار: مااتسع من أمامها .

(٥) الفعال بالفتح : اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه . (٦) الرباء بالفتح : الطول والمنة والفضل . (٧) مريتكم من مرى الناقة يمريهـا أى مسح ضرعهـا . والمراد مداراتهم وملاحهم ليدرّوا عليه بالعطاء . (٨) الدرّة : اللبن . (٩) كذا فى ط . وفى باقى الأصول «عيب» بالعين المهملة . (١٠) كذا فى حـ ، م والديوان . وفى ب ، س : «متينا» . (١١) فى ط : «ولن ترى طاردا» .

جارٌ لقومٍ أطالوا هُونَ منزلِه * وغادرُوه مقيماً بينَ أرْمَاسِ

مَلُّوا قِراه وهرَّته كلابُهمُ * وجرَّحُوه بأنيابٍ وأضراسِ ٥٥/٢

دَعِ المكارمَ لا ترحلْ لبُغيتها * واقعُدْ فإنك أنت الطاعمُ الكاسِي

مَن يَفعلِ الخيرَ لا يَعْدَمْ جَوازِيَه * لا يذهبُ العُرْفُ بين الله والناسِ

ما كان ذنبيَ أن فَلَّتْ مَعاوِلَكم * من آلِ لأْيٍ صَفاةٌ أصلُها راسِي

قد ناضلُوكَ فسلُّوا من كنائنهم * مجداً تليداً ونَبْلاً غيرَ أنكاسِ (١)

— الجُنُب: الغريب. والإبْسَاس: أن يُسكِّنها عند الحَلْب. والمائح: المستقي الذي يجذب الدلوَ من فوقُ. والإمراسُ: أن يقع الحبلُ في جانب البَكَرة فيُخرجَه —

استعدى الزبرقان عليه عمر فحبسه

فاستَعْدَى عليه الزبرقانُ عمرَ بن الخطاب، فرفعه عمرُ إليه واستنشده فأنشده؛ فقال عمر لحسّان: أتَراه هجاه؟ قال: نعمْ وسلَح عليه، فحبَسه عمر:

فصل زياد في حادثة قدمت له بنحو ما فصل عمر في أمر الزبرقان والحطيئة

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجَوْهَريّ وحَبيبُ بن نَصْر المُهلّبيّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثني أحمد بن مُعاوية عن أبي عبد الرحمن الطائيّ عن عبد الله ابن عَيّاش عن الشَّعْبيّ قال:

شهِدتُ زِيادًا وأتاه عامرُ بن مسعود بأبي عُلاثةَ التَّيْميّ؛ فقال: إنه هجاني؛ قال: وما قال لك؟ قال قال:

وكيف أُرجِّي ثَرْوَها ونماءَها * وقد سار فيها خُصْيةُ الكلبِ عامرُ

فقال أبو علاثة: ليس هكذا قلتُ؛ قال: فكيف قلتَ؟ قال قلتُ:

وإني لأرجو ثَرْوَها ونماءَها * وقد سار فيها ناجذ الحقِّ عامرُ

(١) أنكاس: جمع نكس وهو أضعف السهام. وقد أورد الأزهري هذا البيت في اللسان مادة نكس ثم قال: ومعنى البيت أن العرب كانوا إذا أسروا أسيرا خيروه بين التخلية وجز الناصية، والأسر. فإن اختار جز الناصية جزوها وخلوا سبيله ثم جعلوا ذلك الشعر في كنائنهم؛ فإذا افتخروا أخرجوه وأروهم مفاخرهم (انظر اللسان مادة نكس).

قال زيادٌ : قاتل الله الشاعرَ، ينقلُ لسانَه كيف شاء ، والله لولا أن تكون سُنّةً لقطعتُ لسانَك! فقام قَيْس بن فَهْد الأنصارِىّ فقال : أصلح الله الأمير، ما أَدْرِى مَنِ الرجلُ، فإن شئتَ حدثتُك عن عمرَ بما سمعتُ منه — قال : وكان زِيادٌ يعجبه الحديثُ عن عمرَ رضى الله عنه[1] — قال: هاتِه، قال شهدتُه وأتاه الزِّبْرِقان بن بدر بالحُطَيئة فقال : إنه هجانى؛ قال وما قال لك؟ قال قال لى :

دَعِ المكارمَ لا ترحلْ لبُغيتها * واقعدْ فإنك أنت الطاعم الكاسِى

فقال عمر : ما أسمعُ هجاءً ولكنّها معاتبةٌ ؛ فقال الزبرقان : أوَ ما تبلُغ مروءتِى إلّا أن آكُلَ وألبَس! فقال عمر : علىّ بحَسان، فجىء به فسأله ؛ فقال : لم يَهْجُه ولكن سلَح عليه — قال ويقال : إنه سأل لَبِيدًا عن ذلك فقال : ما يسرُّنى أنه لحِقَنى من هذا الشعر ما لحِقه وأن لى حُمْرَ النَّعَم — فأمر به عمرُ فجُعِل فى نَقِيرٍ[2] فى بئر ثم أُلْقِىَ عليه شىء، فقال :

ماذا تقولُ لأفراخٍ بذى مَرَخٍ[3] * زُغْبِ[4] الحَوَاصِلِ[5] لا ماءٌ ولا شَجَرُ
ألقيتَ كاسبَهم فى قعرِ مُظْلِمةٍ * فاغفرْ عليكَ سلامُ الله يا عمرُ
أنت الإمامُ الذى من بعدِ صاحبِه * ألقَى إليك مقاليدَ النُّهى البَشَرُ
لم يُؤْثِروكَ بها إذ قدَّموكَ لها * لكن لأنفسِهم كانتْ بكَ الأُثَرُ[6]

---

(١) فى ط : « وكان زياد يعجبه أن يسمع الحديث عن عمر » .

(٢) النقير : ما نقر من حجر أو خشب ونحوهما . (٣) فى هامش ط : « ويروى بذى أمر » وقد ورد البيت فيها فيما يلى بهذه الرواية . وذكر صاحب القاموس فى مادة « مرخ » أن ذا مرخ بالتحريك واد بالحجاز . وقال ياقوت : هو واد بين فدك والوابشية كثير الشجر، وأورد هذا البيت، ثم قال : والرواية المشهورة «بذى أمر» وذو أمر : موضع بنجد من ديار غطفان . (٤) كذا فى أغلب الأصول . وفى حـ والديوان : «حمر الحواصل» . والمراد من حمرتها خلو جلدها من الريش لقرب عهدها بالولادة . (٥) الحوصلة من الطائر والظليم بمنزلة المعدة فى الانسان . (٦) الأثر : جمع أثرة وهى المكرمة . وفى ط : « كانت بك الخير» وفى الديوان : « كانت بها الخير» .

فأخرجه وقال له : إيّاك وهِجَاءَ النـاس ؛ قال : إذًا يموت عِيَالى جوعًا ، هـذا مكسَبى ومنه مَعَاشِى؛ قال : فإياك والمُقْذِعَ من القول؛ قال : وما المقذع؟ قال : أن تخاير بين النـاس فتقولَ : فلان خَيْرٌ من فلان، وآل فلان خيرٌ من آل فلان ؛ ٥٦/٢ قال : فأنت والله أهْجَى منّى . ثم قال : والله لولا أن تكون سُـنّةً لقطعتُ لسانك ، ولكن آذهبْ فأنت له ، خُذْه يا زِبْرِقان؛ فألقى الزبرقانُ فى عنقه عمامةً فاقتاده بها؛ وعارضتْه غَطَفَانُ فقالوا له : يا أبا شَذْرَة، إخوتُك وبنو عمّك، هَبْه لنا؛ فوهَبه لهم. فقال زِيَادٌ لعـامر بن مَسْعود : قد سمعتَ ما رُوِىَ عن عمر ، وإنمـا هى السُّنَن، فاذهبْ به فهو لك؛ فألقَى فى عُنُقه حبلا أو عمامة، وعارضتْه بَكْرُ بنُ وائل فقالوا له : أخوالُك وجيرانُك(١)؛ فوهَبه لهم .

استعطف عمر بشعر فأطلقه

أخبرنى محمد بن الحَسَن بن دُرَيد قال أخبرنا أبو حَاتم عن أبى عُبَيدة : أنّ الحطيئةَ لمـا حبَسه عمرُ قال وهو أوّلُ ما قاله :

أَعُـوذُ بجَـدِّك إنّى آمرؤٌ * سقَتْنى الأعادى إليكَ السِّجَالَا
فإنك خيرٌ من الزبرقان * أشَـدُّ نَكَالًا وأَرْجَى نَوَالَا
تحـنَّنْ علىَّ هَدَاك المليـكُ * فإنّ لكلِّ مقـامٍ مقَـالَا
ولا تأخُذَنِّى بقـول الوُشَاةِ * فإنّ لكلِّ زمانٍ رِجَالَا
فإن كان ما زعَمُـوا صادقًا * فسِيقَتْ إليكَ نسائى رِجَالَا(٢)
حَوَاسِرَ لا يشتكِينَ الوَجَا(٣) * يُخَفِّضْنَ آلًا ويرفَعْنَ آلَا

فلم يلتفت عمرُ إليه حتى قال أبياتَه التى أوّلها :

* ماذا تقول لأفراخ بذى مَرَخٍ(٤) *

---

(١) فى ط : « إخوتك وجيرانك » . (٢) رجالا : جمع رجلة (بفتح الراء وضم الجيم) أى راجلة . (٣) الوجا : الحفا وقيل شدته . (٤) فى ط : « بذى أمر » .

أخبرنى الحَرَمِىّ بن أبى العَلَاء ومحمد بن العبّاس اليَزِيدىّ وعمرُ بن عبد العزيز ابن أحمد وطاهرُ بن عبد الله الهِشَامىّ (١) قالوا حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنى محمد ابن الضحّاك بن عثمان الحِزَامىّ قال حدّثنى عبد الله بن مُصْعَب عن رَبيعة بن عثمان عن زيد بن أَسْلَمَ (٢) عن أبيه قال :

أرسل عمر إلى الحطيئة وأنا جالس عنده وقد كلمه فيه عمرو بن العاص وغيرُه فأخرجه من السجن فأنشده قولَه :

ماذا تقول لأفراخ بذى مَرِخٍ (٣) * زغبِ الحواصل لا ماء ولا شجرُ
ألقيتَ (٤) كاسبَهم فى قعر مظلمةٍ * فاغفرْ عليك (٥) سلامُ الله ياعمرُ
أنت الإمام الذى من بعد صاحبِه * ألقى إليك مقاليدَ النُّهَى البشرُ
لم يؤثروك بها إذ قدّموك لها * لكن لأنفسهم كانت بك الأُثُرُ
فامْنُنْ على صِبْيةٍ بالرمل مسكنُهم * بين الأباطح تَغْشاهم بها القُرُرُ (٦)
أهلِى فِداؤكَ كم بينى و بينهمُ * من عَرْض دَاوِيةٍ (٧) تَعْمَى بها الخُبُرُ

— قال فبكى حين قال :

* ماذا تقول لأفراخ بذى مرخ *

فقال عمرو بن العاص : ما أظلّتِ الخضْراء ولا أقلّت الغَبْراء أعدلَ من رجلٍ يبكى على تركه الحطيئةَ — فقال عمر : علىّ بالكُرْسىّ، فأُتى به، فجلَس عليه ثم قال : أشيروا

(١) فى ط : «الهاشمى» . (٢) كذا فى ط . وفى سائر النسخ : «يزيد» وقد أورد فى الخلاصة فى أسماء الرجال زيد بن أسلم هذا وقال : انه يروى عن أبيه وانه مولى لعمر بن الخطاب . وفى سائر النسخ : «يزيد بن أسلم» ولم نجده فى كتب التراجم . (٣) فى ط : «بذى أمر» .
(٤) فى ط : «غادرت» . (٥) فى ط : «فاغفر هداك عليك الناس» .
(٦) القرر : جمع قرّة بالكسر وهى البرد . (٧) الداوية والدوّية : الفلاة الواسعة .

عليّ فى الشاعر ، فإنه يقول الهُجْر (١) ويَنْسِب بالحُرَم ويمدح الناس ويذمّهم بغير ما فيهم ، ما أُرانِي إلّا قاطعا لسانَه ، ثم قال : عليّ بالطَّسْت (٢) ، فأُتِي بها ، ثم قال : عليّ بالمِخْصَف (٣) ، عليّ بالسِّكِّين ، لا بل عليّ بالمُوسَى ، فهو أَوْحَى (٤) ؛ فقالوا لا يعود يا أميرَ المؤمنين ، فأشاروا إليه أن قُلْ (٥) لا أعود ؛ فقال : لا أعود يا أمير المؤمنين ؛ فقال له : النَّجَاء . قال : فلما ولّى قال له عمر : ياحُطَيئة ، كأنى بك عند فتًى من قريش ، قد بَسَط لك نُمْرُقَةً (٦) وكسَرَ لك أخرى وقال : غنِّنا ياحُطَيئة ، فطَفِقْتَ تغنِّيه بأعراض الناس . قال ابن أَسْلَم : فما انقضت الدنيا حتى رأيتُ الحطيئةَ عند

٥٧/٢ عُبَيد الله بن عُمَر قد بَسَط له نُمْرُقةً وكَسر له أخرى وقال : غنِّنا ياحطيئة ، فجعل يغنِّيه ، فقلتُ له : ياحُطَيئة ، أتذكُر قولَ عمر ؟ ففزِع وقال : يرحَم الله ذلك المرء ، أما إنه لو كان حيًّا ما فعلتُ . قال : وقلت لعُبَيد الله : سمعتُ أباك يقول كذا وكذا فكنتَ أنت ذلك الرجل .

اشترى منه عمر أعراض المسلمين بعطاء

ورُوِى عن عبد الله بن المُبَارَك أنّ عمر رضي الله عنه لما أطلق الحطيئة أراد أن يؤكِّد عليه الحُجّة فاشترى منه أعراضَ المسلمين جميعا بثلاثة آلافِ درهم ؛ فقال الحطيئةُ فى ذلك :

وأخذتَ أطرافَ الكلام فلم تَدَعْ * شَتْمًا يضُرّ ولا مَديحا ينفعُ
وحَمَيْتَنِي عِرْضَ اللئيم فلم يَخَفْ * ذَمِّي وأصبح آمنًا لا يَفْزَعُ

شفع له عبد الرحمن ابن عوف عند عمر

أخبرنى الحُسَين بن يحيى عن حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثنى عبد الرحمن ابن أخى الأصمعيّ عن عمه عن نافع بن أبى نُعَيم :

(١) كذا فى ط . وفى سائر النسخ : «الهجو» بالواو . (٢) كذا فى ط . وفى سائر النسخ : « عليّ بطست » بالتنكير . (٣) المخصف : مخرز الإسكاف وهو الإشفى . (٤) فى حـ : «فهي أوحى» والموسى يذكر ويؤنث . وأوحى : أسرع . (٥) كذا فى جميع النسخ بالفاء . والمناسب للقام هنا العطف بالواو . (٦) النمرقة : الوسادة .

أن عبد الرحمن بن عوف هو الذى استرضَى عمرَ بن الخطاب وكلّمه فى أمر الحطيئة حتى أخرجه من السجن. قال حمّاد وأخبرنى أبى عن أبى عُبَيدة أن عمر رضى الله عنه لما أطلقه قال الشاعر النَّمَرِىّ الذى كان الزبرقان حمله على هجاء بَغِيض :

دَعَانِى الأَثْبَجَانِ(١) ابنا بَغِيض * وأهْلِى بالعَلَاةِ(٢) فَمَنَّيَانِى
وقالوا سِرْ بأهلك فأتِيَنَّا * إلى حَبٍّ وأنعامٍ سِمَانِ
فسرتُ إليهمُ عشرين شهرًا * وأربعةً فذلك حِجَّتَانِ
فلما أن أتيتُ ابنَىْ بغيض * وأسلمنى بدائى(٣) الداعيانِ
يَبِيتُ الذئبُ والعَثْوَاءُ(٤) ضيفًا(٥) * لنا بالليل بئس الضائفانِ
أُمارِسُ منهما(٦) ليلًا طويلًا * أُهَجْهِجُ(٧) عن بَنِىَّ ويَعْرُوانِ
تقولُ حليلتى لما اشتكينا * سيدركُنا بنو القَرْمِ الهِجَانِ(٨)
سيُدْرِكُنا بنو القمرِ بن بَدْرٍ * سراجِ الليلِ للشمسِ الحَصَانِ
فقلتُ ادْعِى وأَدْعُوَ إنّ أَنْدَى(٩) * لصوتٍ أن ينادىَ داعيانِ

(١) كذا فى م ، ا ومختارات أشعار العرب لابن الشجرى . والأثبجان : مثنى أثبج وهو الأحدب ويقال على الناتئ الصدر وعلى العظيم الجوف وعلى الناتئ الثبج وهو ما بين الكتفين والكاهل . وذكر صاحب اللسان فى مادة ثبج أن بيت النمرى هذا فسّر بهذه المعانى كلها . وفى أغلب النسخ « الانجان » وهو تصحيف . (٢) كذا فى جميع الأصول . والعلاة : جبل فى ديار النمر بن قاسط . وفى اللسان مادة ثبج : « بالعراق » . وفى مختارات ابن الشجرى : « بالفلاة » . (٣) فى مختارات ابن الشجرى : « لدائى » . (٤) العثواء : الضبع . (٥) الضيف : يكون للواحد والجمع كعدل وخصم . وفى التنزيل العزيز (هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين) .
(٦) كذا فى مختارات ابن الشجرى وهو الصواب . وفى الأصول : « منهم » . (٧) يقال : هجهج السبع وهجهج به اذا صاح به وزجره ليكف . (٨) الهجان : الرجل الحسيب . (٩) كذا فى جميع الأصول وهى رواية فى البيت . وأدعو منصوب بعد واو المعية المسبوقة بالأمر ، وتسمى واو الصرف كما ذكره أبو عبيد البكرى فى التنبيه على أوهام أبى على . وفى كتاب الأمالى لأبى على ومختارات ابن الشجرى :
* فقلت ادعى وأدع فان أندى * وجزم « وأدع » على توهم اللام ، كأنه قال ولأدع .

فمن يَكُ سائلًا عنّى فإنّى * أنا التَّمْرِىُّ جارُ الزِّبْرِقانِ
طَريدُ عَشيرةٍ وطريدُ حربٍ * بما اجترمتْ يدى وجنَى لسانى
كأنّى إذ نزلتُ به طريدًا * نزلتُ على المُمَنَّع من أبانِ(١)
أتيتُ الزِّبْرِقانَ فلم يُضِعْنِى * وضيَّعنى بِتَرْيِمَ(٢) مَنْ دعانى

مكث فى بنى قريع الى أن أخصبوا وأجازوه فرحل عنهم ومدحهم

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبى عُبَيدة قال : لم يزل الحطيئةُ فى بنى قُرَيع يمدحُهم حتى إذا أُحْيَوْا(٣) قال لبَغيض: فى لى بما كنتَ تضمّنتَ ؛ فأتى بَغيضٌ عَلْقمةَ بن هَوْذة فقال له : قد جاء الله بالحَيَا، فَفِ لى بما قلتَ — وكان قد ضمِن له مائةَ بعير — وأبرئْنى مما تضمّنتُه عهدتى ؛ فقال : نعمْ، سَلْ فى بنى قُرَيع فهما فضَل بعد عطائهم أن يُتِمّ مائةً أتممتُه ، ففعل فجمعوا له أربعين أو خمسين بعيرًا ، كان الرجل يعطيه على قدر ماله البعيرَ والبعيرين ؛ قال : فأتمّها علقمةُ له مائةً وراعيين فدُفعتْ إليه . فلم يزل يمدحهم وهو مقيم بينهم حتى قال كلمته السينيّة واستعدى الزبرقانُ عليه عمرَ رضى الله عنه . فلما رحل عنهم قال : ٥٨ / ٢

لا يُبْعِدِ اللهُ إذ ودّعتُ أرضَهمُ * أخى بَغيضًا ولكن غيرهُ بَعُدا
لا يبعدالله من يُعْطِى الجزيلَ ومن * يَحْبو الجليلَ وما أَكْدى ولا نَكِدا
ومن تُلَاقيه(٤) بالمعروف مبتهجًا * إذا أَجْرهَدَّ(٥) صَفَا المذمومِ أو صلَدا
لاقيتَه ثَلِجًا(٦) تَنْدَى أناملُه * إن يُعْطِك اليومَ لا يمنعْك ذاك غدا
إنّى لرافدُه وُدّى ومَنْصَرَتى * وحافظٌ غيبَه إن غاب أو شهدا

(١) أبان : جبل . والممنع : العالى الذى يمتنع من أن يبلغه أحد . (٢) تريم بكسر أوّله وفتح الياء : اسم واد بين المضايق ووادى ينبع . (٣) أحيوا : أصابهم الحيا وهو المطر .
(٤) كذا فى أ ، م بالتاء، وهو المناسب للسياق . وفى ب ، س ، ح ، ط : «يلاقيه» .
(٥) يقال : اجرهدّت الأرض اذا لم يوجد فيها نبات ولا مرعى . والصفا : جمع صفاة وهى الصخرة الملساء . (٦) ثلجا : فرحا مبتهجا .

أقبل على ابن عباس وسأله : أعليه جناح فى هجاء الناس

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا أحمد[(١)] بن الحارث عن المدائنىّ عن ابن دأب عن عبد الله بن عيّاش المنتوف قال :

بينا ابن عباس جالس فى مجلس[(٢)] رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما كُفّ بصرُه وحولَه ناسٌ من قريش ، إذ أقبل أعرابىٌّ يخطر وعليه مِطْرَف وجُبّة وعمامة خزّ ، حتى سلّم على القوم فردّوا عليه السلام ، فقال : يابنَ عمّ رسول الله ، أفْتِنى ؛ قال : فيماذا؟ قال أتخاف علىّ جُناحًا إن ظلمنى رجل فظلمتُه وشتمنى فشتمتُه وقصّر بى فقصّرتُ به؟فقال : العفو خير، ومن انتصر فلا جُناح عليه ؛ فقال : يابنَ عمّ رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أرأيت امرأ أتانى فوعدنى وغرّنى ومنّانى ثم أخلفنى واستخف بحُرْمتى ، أيسعُنِى أن أهجوَه؟ قال : لا يصلُح الهجاء ، لأنه لا بدّ لك من أن تهجوَ غيره من عشيرته فتظلمَ من لم يظلمْك ، وتشتُمَ من لم يشتُمك ، وتبْغِى على من لم يبْغِ عليك ، والبغى مَرْتَعٌ وَخيم ، وفى العفو ما قد علمتَ من الفضل ؛ قال : صدقتَ وبرِرْتَ ؛ فلم ينْشَبْ أن أقبل عبد الرحمن بن سَيْحان المُحَارِبىّ حليفُ قريش ، فلما رأى الأعرابىّ أجلّه وأعْظمه وألطف فى مسئلته ، وقال : قرّب الله دارَك يا أبا مُلَيكة ، فقال ابن عباس : أجَرْوَل؟ قال : جرول ؛ فإذا هو الحطيئة ، فقال ابنُ عباس : لله أنت! أىّ مِرْدىٍ[(٣)] قذّاف ، وذائد عن عشيرة[(٤)] ، ومُثْنٍ بعارِفة تُؤْتاها أنت يا أبامُلَيكة! والله لو كنتَ عركْتَ[(٥)] بجنبك بعضَ ما كرِهتَ من أمر الزِّبْرقان كان خيرا لك ،

(١) كذا فى حـ . وفى سائر النسخ : «محمد» وقد تقدّم فى صفحة ١٧١ حاشية ١ من هذا الجزء أنه أحمد بن الحارث الخزاز صاحب المدائنى وراويته . (٢) أى فى المكان الذى كان يجلس فيه النبىّ صلى الله عليه وسلم ، لأن ابن عباس كف بصره بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، وسياق الحكاية نفسها يدل على ذلك . (٣) المردى فى الأصل : حجر يرمى . ويطلق على الرجل الشجاع فيقال : إنه لمردى حروب . (٤) كذا فى حـ . وفى سائر النسخ : «عشيرته» . (٥) عرك بجنبه ما كان من صاحبه : احتمله . وأنشدوا على هذا :

اذا أنت لم تعرك بجنبك بعض ما * يريب من الأدنى رماك الأباعد

ولقد ظلمتَ من قومه من لم يظلمْك، وشتمتَ من لم يشتُمك؛ قال : إنّى والله بهم يا أبا العباس(١) لعالم؛ قال ما أنت بأعلمَ بهم من غيرك؛ قال : بلَى والله! يرحمك الله! ثم أنشأ يقول :

أنا آبنُ بَجْدتهم(٢) علمًا وتجربةً * فسَلْ بسعدٍ تجِدْنى أعلمَ الناسِ
سعدُ بن زيد كثيرٌ إن عددتَهمُ * ورأسُ سعدِ بن زيد آلُ شمّاسِ
والزبرقانُ ذُنَاباهم(٣) وشرّهمُ * ليس الذُّنَابَى أبا العباس كالراسِ

فقال آبن عباس : أقسمتُ عليك ألّا تقولَ(٤) إلّا خيرا، قال : أفعل . ثم قال آبن عباس : يا أبا مُليكة ، من أشعرُ الناس؟ قال: أمن الماضين أم من الباقين؟ قال: من الماضين؛ قال : الذى يقول :

ومن يجعل المعروفَ من دون عرضه * يَفِرْهُ ومن لا يتّقِ الشتمَ يُشتَمِ

وما بدونه الذى يقول :

ولستَ بمستبقٍ أخًا لا تَلُمُّه * على شَعَثٍ، أىُّ الرجال المهذَّبُ

٥٩/٢ ولكنّ الضراعةَ أفسدتْه كما أفسدتْ جَرْوَلًا — يعنى نفسَه — والله يآبنَ عمّ رسولِ الله لولا الطمع والجَشَع لكنتُ أشعرَ الماضين(٥) ، فأما الباقون فلا تَشُكّ أنّى أشعرهم وأصْرَدُهم(٦) سهمًا إذا رميتُ .

(١) كنية عبد الله بن عباس رضى الله عنه . (٢) البجدة : دخلة الأمر وباطنه . ومن الأمثال : « أنا آبن بجدتها » يقال ذلك للعالم بالشىء المتقن له . والهاء راجعة الى الأرض .
(٣) ذناباهم : ذنبهم .
(٤) كذا فى أ ، م . وفى ب ، س ، حـ ، ط : « أن تقول » بدون لا وحذف لا النافية فى مثل هذا الموضع جائز؛ انظر الحاشية رقم ١ ص ١٦٧ ج ١ من الأغانى طبع دار الكتب المصرية .
(٥) فى ب ، س ، ط : « لكنت أشعر الناس الماضين » . (٦) أصردهم : أنفذهم .

منع الزبرقان عبد الله بن أبى ربيعة ماءه فهجاه وهجاه لذلك بنو أنف الناقة

أخبرنى أحمد بن عُبيد الله بن عمّار قال : رُوِى لنا عن أبى عُبيدة والهَيْثم بن عَدِىّ وغيرهما :

أنّ عبد الله بن أبى ربيعة لما قَدِم من البحرين نزل على الزِّبْرِقان بن بدر بمائه فحلّأه وهو الماء الذى يقال له بُنْيان[1]، فنزل على بنى أنْف الناقة بمائهم وهو الذى يقال له وَشِيع، فأكرموه وذبحوا له شاةً وقالوا: لو كانت إبلُنا منّا قريبةً لنحرْنا لك؛ فراح من عندهم يتغنّى فيهم بقوله :

وما الزبرقانُ يومَ يمنَع ماءه * بمُحْتَسِبِ التَّقْوى ولا متوكِّلِ
مقيمٌ على بُنْيانَ يمنع ماءه * وماءُ وَشِيعٍ ماءُ ظمآنَ مُرْمِلِ

قال : فركب الزِّبْرِقان إلى عمر رضى الله عنه فاستعداه على عبد الله وقال : إنه هجانى يا أمير المؤمنين؛ فسأل عمرُ عن ذلك عبدَ الله؛ فقال له : يا أمير المؤمنين، إنى نزلت على مائه فحلّأنى عنه؛ فقال عمر رضوان الله عليه : يازِبْرِقانُ، أتمنع ماءك من ابن السبيل! قال : يا أمير المؤمنين ألا أمنع ماءً حفَر آبائى مجارِيَه ومستقرَّه وحفرتُه أنا بيدى! فقال عمر: والذى نفسى بيده، لئن بلغنى أنك منعتَ ماءك من أبناء السبيل لا ساكنتَنى بنجد أبدا! فقال بعضُ بنى أنف الناقة يُعيِّر الزِّبْرِقان ما فعله :

أتدرى مَنْ منعتَ ورودَ حوضٍ * سَليلَ خَضارمٍ منعوا البِطَاحَا
أزادَ الركبِ[2] تمنَع أم هِشَامًا * وذا الرُّمْحين[3] أمنعَهم سلاحَا

(١) كذا فى معجم ياقوت، وضبطه بالضم وقال: كذا وجدته فى شعر الأعشى، ووجدته بخط الترمذىّ الذى نقله من خط ثعلب «بنيان» بالفتح فى قول الحطيئة : مقيم على بنيان يمنع ماءه الخ. وقال : هى قرية باليمامة ينزلها بنو سعد بن زيد بن مناة بن تميم. وفى جميع الأصول : «تبيان» وهو تحريف.
(٢) زاد الركب : لقب أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، وهو عم عبد الله بن أبى ربيعة. والملقبون بزاد الركب ثلاثة من قريش هذا أحدهم، والثانى مسافر بن أبى عمرو بن أمية، والثالث زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسيد بن عبد العزى. وإنما قيل لهم أزواد الركب لأنهم كانوا اذا سافروا يطعمون كل أحد يكون معهم ويكفونه الزاد.
(٣) ذو الرمحين هو أبو ربيعة بن المغيرة والد عبد الله بن أبى ربيعة.

هُمُ مَنعــوا الأباطحَ دون فِهْــرٍ * ومَنْ بالخَيْف والبُــدْنَ اللِّقاحَا
بضربٍ دونَ بَيْضتِهِــم[1] طِلَخْفٍ[2] * إذ الملهوفُ لاذ بهـــم وصَاحَا
وما تَدْرى بأيِّهِـــمُ تُـــلَاقِى * صـــدورَ المَشْرَفِيَّـــة والرِّمَاحَا

وصيته عند موته بالشعراء والفقراء والأيتام

وللحطيئة وصيةٌ ظريفة يأتى كلُّ فريق من الرواة ببعضها ، وقد جمعتُ ما وقع إلىّ منها فى موضع واحد وصدَّرْتُ بأسانيدها .

أخبرنى بها محمد بن العباس اليَزِيدىّ قال حدّثنا أحمد بن يحيى ثَعْلَبٌ قال حدّثنا عُيينة[3] بن المِنْهال عن الأصمعىّ ، وأخبرنى بها أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَبّة ، وأخبرنى إبراهيم بن أيّوب عن ابن قُتَيبة ، ونسختُها من كتّاب محمد بن الليث عن محمد بن عبــد الله العَبْدىّ عن الهَيْثَم بن عَدِىّ عن عبد الله بن عبد الرحمن [ابن أبى عمرة][4] عن أبيه ، وأخبرنى الحُسَين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أبى عُبَيــدة ، وأخبرنى هاشم بن محمــد الخُزَاعِىّ قال حدّثنا أبو غسّان دماذ عن أبى عُبَيدة قالوا :

لمــا حضرتِ الحطيئــةَ الوفاةُ اجتمع اليــه قومُه فقالوا : يا أبا مُلَيكة : أوصِ فقال : ويلٌ للشِّــعْر من راوية السوء ؛ قالوا : أوصِ رحمك الله يا حُطَىءُ ؛ قال : من الذى يقول :

إذا أَنْبَضَ[5] الرامون عنها تَرَنَّمَتْ * تَرَنُّمَ ثَكْلَى أوجعَتْهــا الجنــائزُ ؟

---

(١) بيضتهم : حوزتهم وساحتهم . (٢) طلخف : شديد .
(٣) فى ط : « عتيبة بن المنهال » . (٤) زيادة فى أ ، م ، حـ ، ى ، ط .
(٥) أنبض القوس وأنضبها : جذب وترها لتصوّت .

قالوا : الشَّمّاخ؛ قال : أبلِغوا غَطَفانَ أنه أشعرُ العرب؛ قالوا : وَيْحَك! أهذه وصيَّة! أوْصِ بما ينفعُك! قال : أبلغوا أهلَ ضابئٍ[1] أنه شاعرٌ حيث يقول : ٦٠/٢

لِكلِّ جَـديدٍ لَذّةٌ غيرَ أنّنى * رأيتُ جديدَ الموتِ غيرَ لذيذ

قالوا : أَوصِ ويحك بما ينفعك ! قال : أَبلغوا أهلَ آمرئ القيس أنه أشعرُ العرب حيث يقول :

فيَا لَكَ من لَيْلٍ كأنّ نجومَهُ * بكلّ مُغَارِ الفَتْل شُدَّتْ بِيَذْبُلِ[2]

قالوا : اتّقِ الله ودَعْ عنك هـذا ؛ قال : أبلغوا الأنصارَ أنّ صاحبهم أشعرُ العرب حيث يقول :

يُغْشَوْنَ حتّى ما تَهِرُّ كلابُهم * لا يَسْألون عن السَّوَاد المُقْبِلِ

قالوا : هذا لا يُغْنِى عنك شيئا، فقل غيرَ ما أنتَ فيه؛ فقال :

الشِّعرُ صَعْبٌ وطويلٌ سُلَّمُهْ * إذا آرتقَى فيه الذى لا يَعْلَمُهْ
زَلّتْ به إلى الحَضِيض قَدَمُهْ * يريدُ أن يعربه فيُعْجِمُهْ[3]

قالوا : هذا مِثْلُ الذى كنتَ فيه؛ فقال :

قد كنتُ أحيانًا شديدَ المعتمَدْ * وكنتُ ذا غَرْبٍ[4] على الخَصْمِ أَلَدّْ
* فوَرَدَتْ[5] نفسى وما كادتْ تَرِدْ[6] *

---

(١) هو ضابئ بن الحارث البرجمىّ ثم اليربوعىّ الشاعر من بنى تميم . (٢) مغار الفتل : محكمه، وهو اسم مفعول من أغار الحبل إغارة وغارة : شدّ فتله . ويذبل : جبل لباهلة .

(٣) الفاء هنا للاستئناف ، والمعنى فاذا هو يعجمه ولا يصح نصبه عطفا على قوله يعرب به لأنه لا يريد إعجامه . (٤) الغرب : الحدّ ومنه غرب السيف : حدّه . (٥) وردت : أشرفت ، يقال : ورد فلان بلد كذا وماء كذا اذا أشرف عليه وإن لم يدخله . ولعله يريد من الورود الإشراف على الموت . (٦) كذا فى أغلب النسخ . وفى أ ، م ، ط : «كانت» بالنون .

قالوا : يا أبا مُلَيكة، ألك حاجة ؟ قال : لا والله، ولكن أَجزَع على المديح الجيِّد يُمدَح به من ليس له أهلا . قالوا : فمَنْ أشعرُ الناس؟ فأومأ بيده الى فِيهِ وقال : هذا الجُحَير إذا طَمِعَ فى خير (يعنى فَمَهُ) وآستعبَرَ باكيا؛ فقالوا له : قل لا إله إلا الله؛ فقال :

قالتْ وفيها حَيْـدَةٌ[1] وذُعْرُ * عَوْذٌ بِرَبِّى مِنكُمُ وحُجْرُ[2]

فقالوا له : ما تقول فى عَبِيدك وإمائك ؟ فقال : هم عَبِيدٌ قِنٌّ ما عاقبَ الليلُ النهارَ؛ قالوا : فأَوْصِ للفقراء بشىء؛ قال : أُوصِيهم بالإلحاح فى المسئلة فإنها تجارةٌ لا تَبُور، وآسْتُ[3] المسئولِ أضيقُ .

قالوا : فما تقولُ فى مالك ؟ قال : للأُنثَى من وَلَدِى مثلُ[4] حَظِّ الذكر؛ قالوا : ليس هكذا قَضَى اللهُ جَلَّ وعزّ لهنّ؛ قال : لكنِّى هكذا قَضَيْتُ .

قالوا : فما توصى لليتامى ؟ قال : كُلُوا أموالَهم ونِيكوا[5] أُمَّهاتِهم؛ قالوا : فهل شىء تَعْهَدُ فيه غيرُ هذا ؟ قال : نعمْ، تَحمِلونَنى على أَتَانٍ وتتركوننى راكبها حتى أموتَ فإنّ الكريم لا يموتُ على فراشه، والأَتانُ مَرْكَبٌ لم يَمُتْ عليه كريمٌ قطّ؛ فحَمَلوه على أتان وجَعَلوا يذهبون به ويجيئون عليها حتى مات وهو يقول :

لا أحدٌ ألأمُ من حُطَيَّهْ * هجا بَنِيهِ وهجا المُرَيَّهْ
* من لُؤمِهِ ماتَ على فُرَيَّهْ *

والفُرَيَّة : الأَتَانُ[6] .

(١) حيدة : من حاد عن الشىء اذا صدّ عنه أو نفر خوفا منه . (٢) حجر، أى دفع ومنع، والعرب تقول عند الأمر تنكره : حجرا له بالضم، أى دفعا . قاله صاحب اللسان واستشهد عليه بالبيت .
(٣) هذا كناية عن العجز، يقال للرجل يستضعف : استك أضيق من أن تفعل كذا، ويقال للجماعة : أنتم أضيق أستاها من أن تفعلوا كذا . انظر اللسان وتاج العروس مادة «سته» .
(٤) فى ب، س، ى، ط : «مثلا» . (٥) كذا فى أغلب النسخ . وفى م : «وأنكحوا» . (٦) كذا فى الأصول، ولم نجد فى كتب اللغة التى بأيدينا ما يدل على أن الفرية من أسماء الأتان . والتى بها من هذه المادة «الفرأ» (وقد يسهل ومنه «كل الصيد فى جوف الفرا») وهو حمار الوحش ولعله أنث بالتاء وسهل مع تصغيره فصار فرية .

الغناء فى شعر الحطيئة

ذكر ما غُنِّيَ فيه من القصائد التى مدح بها الحطيئةُ بَغِيضا وقومَه وهجا الزبرقان وقومه

منها :

صــــوت

أَلَا طَرَقَتْنَا بعـدَ ما هَجَـعُوا هِنْـدُ * وقد جُزْنَ[1] غَوْرًا وٱستبانَ لنا نَجْدُ
وإنّ التى نَكَّبْتُها[2] عن مَعَاشِرٍ * عَلَيَّ غِضَابٍ أَنْ صَدَدْتُ كما صَدُّوا

الغناء لعُلَّوَيه ثقيلٌ أوّل بالوسطى عن عمرو، وهذه القصيدة التى يقول فيها :

٦١/٢ أتتْ آلَ شَمَّاسِ بنِ لَأْيٍ وإنما * أتاهم بها الأحلامُ والحَسَبُ العِـدُّ[3]
فإنّ الشقيَّ مَن تُعـادِى صدورُهم * وذو الجَدِّ مَن لَانُوا إليه ومَن وَدُّوا
يَسُوسون أحلاما بعيدا أناتُهـا * فإن غَضِبُوا جاءَ الحَفِيظةُ والجِـدُّ
أَقِـلُّوا عليهم لا أَبَا لأبيـكُمُ * من اللوم أو سُدُّوا المكانَ الذى سَدُّوا
أولئك قومٌ إن بَنَوْا أحسنوا البُنَى * وإن عاهدُوا أَوْفَوْا وإن عَقَدُوا شَدُّوا[4]
وإن كانت النُّعْمَى عليهم جَزَوْا بها * وإن أنعمُوا لا كَدَّروها ولا كَدُّوا
وإن قال مَوْلاهُمْ على جُلِّ[5] حادثٍ * من الدهر رُدُّوا فَضْلَ أحلامِكم رَدُّوا
مَطَاعِينُ فى الهَيْجا مَكَاشِيفُ للدُّجَى * بَنَى لهمُ آباؤهم وبَنَى الجَـدُّ

(١) كذا فى جميع الأصول. وفى ديوان الحطيئة ومختارات ابن الشجرى : «وقد مرن خمسا وٱتلأبّ بنا نجد» ومعنى اتلأبّ : ٱنبسط.
(٢) أراد المدحة التى عدل بها عن آل الزبرقان الى بغيض وقومه، وبين هـذا البيت وما قبله جملة أبيات فراجعها فى ديوانه.
(٣) العِدّ : القديم، ومنه قولهم : ماء عِدّ أى قديم لاينتزح، ونقل صاحب اللسان عن بعض المتحذلقين أنه فسر العدّ فى قولهم : حسب عدّ بمعنى كثير : أخذا من قولهم : ماء عدّ أى كثير، ثم قال : وهذا غير قوىّ وأن يكون العدّ القديم أشبه واستشهد على هـذا المعنى بالبيت.
(٤) رواية اللسان مادة عقد : «وان عاقدوا شدّوا»
(٥) كذا فى أ، م. وفى باقى النسخ : «كل حادث» وظاهر أنه محرّف.

ومنها :

صـــوت

وأدماءَ حُرْجوجٍ(١) تعاللْتُ(٢) مَوْهِنًا * بسَوْطِى فارمدَّتْ نَجَاءَ الخَفَيْدَدِ
اذا آنستْ وقْعًا من السَّوْط عارضَتْ * به الجَوْرَ حتى يستقيم ضُحَى الغَدِ(٣)
وتشربُ بالقَعْبِ(٤) الصغير وإن تُقَدْ * بمِشْفَرِهَا يومًا الى الحَوْض تَنْقَـدِ

المَوْهِن : وقتٌ من الليل بعد مُضِىِّ صَدْرٍ منه . وارمدّت : نجت ، والارمداد : النَّجاء(٥) . والخَفَيْدَد : الظَّليم(٦) .

الغناء لابن مُحْرِز خفيفُ رَمَلٍ بالسبّابة فى مَجْرَى البِنْصَر عن إسحاق . وذكر الهِشَامىّ : أنّ فيه لإبراهيمَ خفيفَ رَمَلٍ آخر ، وهو فى جامع ابراهيم غير مُجَنَّس . وفيه خفيف ثقيل مجهول ، وذكر حَبَش : أنه لمَعْبَد ، ويُشبِه أن يكون ليحيى المكّىّ .

---

(١) الحرجوج : الناقة الطويلة على وجه الأرض ، وقيل الضامرة ، وقيل : الوقادة الحادة القلب .
(٢) تعاللت : استخرجت علالة (بقية) سيرها . (٣) كذا ورد هـذا البيت فى الأصول . ورواية الكامل للبرد ص ٢٣٨ طبع أوروبا :

وإن آنست حسا من السوط عارضت * بى الجور حتى تستقيم ضحى الغـد

يريد أنها تحاذى به الجور (وهو الميل عن القصد فى السير) أى تمشى معه على غير اهتداء حتى تستقيم فى ضحوة الغد . ورواية ديوان الحطيئة .

فان آنست حسا من السوط عارضت * بى القصد حتى تستقيم ضحى الغـد

يريد أنها جانبت بى القصد ولم تسر فيه حتى تستقيم فى ضحوة الغد . وفى مختارات ابن الشجرى (النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب تحت رقم ٥٨٦ أدب) .

وان خاف جورا من طريق رمى بها * سوى القصد حتى تستقيم ضحى الغد

وقال فى شارحه : ان خاف أن تجور به عن الطريق اعتسف بها غير الطريق حتى تلق الطريق ضحوة الغد لما فيها من العلالة والبقية ؛ وورد البيت فى اللسان مادة خزم هكذا :

اذا هو نحاها عن القصد خازمت * به الجور حتى يستقيم ضحى الغد

ولكنه نسبه لابن فسوة وقال فى تفسيره : ذكر ناقته أن راكبها اذا جاربها عن القصد ذهبت به خلاف الجور حتى تغلبه فتأخذ على القصد . (٤) القعب : القدح الضخم الغليظ الجافى . (٥) النجاء : السرعة فى السير . (٦) الذى فى كتب اللغة : الخفيدد : الخفيف من الظلمان .

عدّه بعضهم أشعر الناس

أخبرنى الحَرَمِىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنى إبراهيم بن المنذِر عن ابن عَبَاية عن محمد بن مسلِم الجَوْسق عن رجل من كعب قال :

جئتُ سوق الظُّهر(1) فإذا بكُثَيِّر، وإذا الناسُ مُتقصِّفون(2) عليه ، فتخلّصتُ حتى دَنَوتُ منه فقلت : أبا صخرٍ، قال : ما تشاء ؟ قلتُ : مَنْ أشعرُ الناس؟ قال : الذى يقول :

وآثرتُ إدلاجى على لَيْلِ حُرّةٍ * هَضِيم الحشا حُسَّانَةِ المتجرَّدِ(3)
تَفَرَّق بالمِـدْرَى أثِيثًا(4) نباتُه(5) * على واضحِ الذِّفْرَى(6) أسيلِ المُقلَّدِ

قال : قلتُ : هذا الحطيئة؟ قال : هو ذاك .

كذبه سيدنا عمر فى شعر له

أخبرنى الحسن بن علىّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخرّاز عن المدائنىّ عن علىّ بن مُجاهد عن هشام بن عُرْوة :

أنّ عُمَر بن الخطاب رضى الله عنه أُنْشِد قولَ الحطيئة :

مَتَى تأتِه تَعْشُو(7) إلى ضَوْءِ نارِه * تَجِدْ خَيْرَ نارٍ عندها خَيْرُ مُوقِدِ

فقال عمر : كَذَب، بل تلك نارُ موسى نبىِّ الله صلى الله عليه وسلم .

---

(1) لم نضبط هذه الكلمة ويحتمل أن تكون مضمومة الظاء وهو الوقت المعروف وفى نسخة أ ، ط : ضبطت الظهر بفتح الظاء والظهر : الإبل .

(2) أى مزدحمون . (3) الحسانة (بضم الحاء وتشديد السين) : الشديدة الحسن والمتجرّد بالفتح مصدر بمعنى التجرّد وقد يكسر يراد به الجسم . (4) أى شعرا كثيفا كثيرا .

(5) كذا فى أغلب النسخ ومختارات ابن الشجرى . وفى ب ، س ، ط : «كأنه» وهو تحريف .

(6) الذفرى : العظم الشاخص خلف الأذن . والأسيل : الطويل . والمقلد : العنق .

(7) تعشو : تقصد فى الظلام . قال المرزوقى فى شرح الفصيح : يقال عشا يعشو اذا سار فى ظلمة تسمى عشوة . وقال ابن يعيش : عشوته أى قصدته فى الظلام ، ثم اتسع فقيل لكل قاصد عاش . وتعشو حال من ضمير المخاطب فى قوله تأته . انظر الخزانة للبغدادى ج ٣ ص ٦٦٠ و ٦٦١

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الهَيْثم بن عَدِىّ عن حَمّاد الراوية :

أنّ رَجُلا دَخَل على الحُطَيئة، وهو مُضْطَجِع على فِراشه وإلى جانبه سَوْداءُ قد أخرجتْ رِجْلَها من تحت الكساء، فقال له : ويحك ! أفى رجلك خُفّ ؟ قال : لا والله ولكنها رِجْلُ سوداءَ، أتدرى مَنْ هى؟ قال : لا ؛ قال : هى والله التى أقول فيها :

* وآثرتُ إدلاجى على ليلِ حُرّةٍ *

— وذكر البيتين — والله لو رأيتَها يابْنَ أخى لمّا شَرِبتَ الماء من يدها؛ قال : فجعلتْ تَسُبُّه أقبحَ سَبّ وهو يضحك . ٦٢/٢

ومنها :

صــــوت

ماكان ذنبُ بَغيضٍ لا أبَا لَكُمُ * فى بائسٍ جاء يحدو أَيْنُقًا شُزُبَا(١)

طافتْ أُمامةُ بالرُّكبانِ آونةً * يا حُسْنَها من خيَالٍ زارَ مُنْتَقِبَا

إذ تَسْتَبِيكَ بمصقولٍ عوَارِضُهُ(٢) * حَمْشِ اللِّثات(٣) تَرَى فى مائه شَنَبَا

قد أخلقتْ عهدَها من بعدِ جِدّته * وكَذّبتْ حُبَّ مَلْهوفٍ وما كذَبَا

الغناء لابن سُرَيج رَمَلٌ بالوسطى عن عمرو بن بانة .

---

(١) شزبا : جمع شازبة وهى الضامرة . وقال الأصمعىّ : سمعت أعرابيا يقول : ما قال الحطيئة : أينقا شزبا : إنما قال : «أعنزا شسبا» وشسبا : جمع شاسبة بالسين لغة فى شازبة بالزاى .

(٢) العوارض : الثنايا ؛ سميت عوارض لأنها فى عرض الفم ، وقيل : هى أربع أسنان تلى الأنياب ثم الأضراس تلى العوارض وقيل : العوارض ما يبدو عند الضحك . قال كعب بن زهير :

تجلو عوارض ذى ظلم اذا ابتسمت * كأنه منهل بالراح معلول

(٣) حمش اللثات : دقيقها فى حسن .

ومنها :

صوت

جَزَى اللهُ خيرا — والجزاءُ بكفِّه — * بأحسنِ ما يَجْزِى الرجالَ بغيضا
فلو شاءَ إذ جئناه صَدَّ فلم يُلَمْ * وصادفَ مَنْأًى(1) فى البلاد عريضا

الغناء للهُذَلىّ ثقيل أول بالبنصر عن الهشامىّ .

(1) المنأى : اسم مكان من النأى وهو البعد .

أخبار آبن عائشة ونسبه

اسمه وكنيته ولم يعرف له أب فنسب الى أمه

محمد بن عائشة ويكنى أبا جعفر، ولم يكن يُعرَف له أبٌ فكان ينسب إلى أمّه، ويلقّبه مَن عاداه أو أراد سبَّه «ابنَ عاهة الدار». وكان هو يَزْعُم أنّ اسم أبيه جعفر، وليس يُعرَف ذلك. وعائشة أمّه مولاة لكَثير بن الصَّلْت الكِنْدِيّ حَليف قُرَيش. وقيل: إنها مَوْلاة لآل المُطَّلِب بن أبي وَدَاعة السَّهْميّ، ذكر ذلك إسحاق عن محمد بن سلّام. وحكى آبنُ الكلبيّ القولَ الأوّل، وقال إسحاق: هو الصحيح، يعني قول ابن الكلبيّ. وقال إسحاق فيما رواه لنا الحُسَين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه: إنّ محمد بن مَعْن الغِفَاريّ ذكر له عن أبي السائب المخزوميّ أنّ آبن عائشة مَوْلى المُطَّلِب بن أبي وَدَاعة السَّهْميّ وإنّه كان لغير رِشْدة[2]، فأدركتُ المَشْيَخة وهم إذا سمعوا له صوتا حَسَنا قالوا: أحسنَ آبنُ المرأة. قال إسحاق وقال عِمْران بن هند الأَرْقَميّ: بل كان مَوْلًى لكَثير بن الصَّلْت.

سأله الوليد بن يزيد عن نسبه لأمه فأجابه

قال إسحاق: قال عُبَيد الله بن محمد بن عائشة: قال الوليد بن يزيد لآبن عائشة: يا محمد، أَلِغَيَّة أنتَ؟ قال: كانت أمّي يا أمير المؤمنين ماشطة، وكنت غلاما، فكانت إذا دخلت إلى موضع قالوا: ارفعوا هذا لآبن عائشة، فغلبتْ على نَسَبي.

كان يفتن كل من سمعه وأخذ عن معبد ومالك

قال إسحاق: وكان آبنُ عائشة يَفْتِن كلّ من سَمِعَه، وكان فِتْيان من المدينة قد فَسَدوا في زمانه بمحادثته ومجالسته. وقد أخذ عن مَعْبد ومالك ولم يموتا حتّى ساوَاهما على تقديمه لهما وآعترافه بفضلهما.

---

(٢) لغير رشدة: لغير نكاح صحيح. يقال: فلان ولد لرشدة، أي لنكاح صحيح. وضدّه غية، فيقال: ولد لغية، أي لزنية.

كان جيد الغناء دون الضرب

وقد قيل : إنه كان ضاربا ولم يكن بالجيِّد الضرب ؛ وقيل : بل كان مُرْتجِلا لم يَضْرِب قطّ .

كان يضرب بابتدائه المثل وكان أحسن المغنين بعد معبد

وآبتداؤه بالغناء كان يُضرَب به المثل، فيقال للابتداء الحَسَن كائنا ما كان من قراءة قرآن، أو إنشاد شِعر، أو غناء يُبدأ به فيستحسن : كأنه آبتداء آبنِ عائشة . قال إسحاق : وسمعتُ علماءنا قديما وحديثا يقولون : ابنُ عائشة أحسنُ الناس آبتداءً، وأنا أقول : إنه أحسنُ الناس آبتداءً وتوسُّطا وقَطْعا بعد أبى عَبَّاد مَعْبَد ، وقد سمعتُ مَنْ يقول : إنّ ابنَ عائشة مثلُه ؛ وأمّا أنا فلا أَجْسُرُ على أن أقول ذلك .

وكان ابنُ عائشة غيرَ جَيِّد اليدين فكان أكثرُ ما يُغَنِّى مُرْتجِلا . وكان أطيبَ الناس صوتا . ٦٣/٢

قال إسحاق وحدّثنى محمد بن سلّام قال قال لى جرير : لا تخدَعنّ عن أبى جعفر محمد بن عائشة، فلولا صَلَفٌ كان فيه لَمَا كان بعدَ أبى عَبّاد مثلُه .

أخبرنى أحمد بن جعفر جَحْظة قال حدّثنى محمد بن أحمد بن يحيى المكىّ عن أبيه عن جدّه قال : ثلاثةٌ من المغنِّين كانوا أحسنَ الناس حُلوقا : ابنُ عائشة وابنُ تَيْزَن(١) وابنُ أبى الكَنّات .

ضرب آبن أبى عتيق رجلا خدش حلقه

حدّثنى عمى قال حدّثنا محمد بن داود بن الجَرّاح قال حدّثنا أحمد بن زُهَير قال حدّثنى مُصْعَب الزُّبَيْرِىّ عن أبيه قال :

رأى آبنُ أبى عَتِيق حَلْقَ ابن عائشة مُخَدَّشا فقال : مَنْ فعَل هذا بك ؟ قال : فلان، فمضى فنَزَع ثيابَه وجلس للرجل على بابه ، فلمّا خَرج أخذ بتَلْبِيبِه(٢) وجعل

---

(١) انظر الكلام عليه فى حاشية ٢ صفحة ٢٨٣ من الجزء الأوّل من الأغانى طبع دار الكتب المصرية .

(٢) التلبيب من الإنسان ما فى موضع اللبب من ثيابه ، واللبب : موضع القلادة من الصدر، يقال : أخذ فلان بتلابيب فلان اذا جمع عليه ثو به الذى هو لابسه عند صدره وقبض عليه يجرّه .

يضربه ضَرْبا شديدا والرجل يقول له : مالَكَ تَضربُنى ! أىّ شىء صنعتُ ! وهو لا يجيبه حتى بلغ منه ؛ ثم خلّاه وأقبل على مَنْ حَضَر فقال : هـذا أراد أن يكسر مَزَامير داود : شَدّ[١] على آبن عائشة لخنقه وخَدَش حَلْقه .

لو كان آخر غنائه كأوّله لفاق ابن سريج

قال إسحاق فى خبره : وحدّثنى أَبِى عن سِيَاط عن يونسَ الكاتب قال : ما عَرَفْنا بالمدينة أحسنَ آبتداءً من ابن عائشة إذا غَنَّى ، ولو كان آخرُ غِنَائه مِثْلَ أوّله لقدّمتُه على ابن سُرَيج . قال إبراهيم : هو كذاك عندى ، وقال إسحاقُ مِثلَ قولِها . قال : وقال يونس : كان ابنُ عائشة يضرب بالعود ولم يكن مُجِيدا ، وكان غناؤه أحسنَ من ضَرْبه ، فكان لا يكاد يَمَسّ العودَ إلّا أن تجتمع جماعةٌ من الضُّرّاب فيضربون عليه ويضرب هو ويُغَنِّى ، فناهيك به حُسْنًا ! .

كان يصلح لمنادمة الخلفاء والملوك

أخبرنى الحُسَين عن حَمّاد عن أبيـه عن الهَيْثم بن عَدِىّ عن صالح بن حَسّان أنه ذكر يوما المغنِّين بالمدينة ، فقال : لم يكن بها أحدٌ بعدَ طُوَيس أعلمَ من آبن عائشـة ولا أظرفَ مجلسا ولا أكثرَ طِيباً ؛ وكان يَصْلُح أن يكون نَدِيمَ خليفـة أو سَمِيرَ مَلِك . قال إسحاق : فأذكرنى هذا القولُ قولَ جَميلة له : وأنتَ يا أبا جعفر فمعَ الخلفاء تصلُح أن تكون .

كان تياها سيئ الخلق

قال إسحاق وحدّثنى المدائنىّ قال حدّثنى جرير قال : كان ابنُ عائشـة تائها سَيِّئَ الخُلُق ، فإن قال له إنسانٌ : تَغَنَّ ، قال : أَلِمِثْلى يقال هـذا ! وإن قال له إنسان وقد آبتـدأ هو بغناء : أحسنتَ ، قال : ألمثلى يقال أحسنت ! ثم يسكت ، فكان قليلا ما يُنْتَفَع به . فَسَالَ العقيقُ مَرّة فدخل عَرْصَةَ سعيدِ بنِ العاصى المـاءُ حتى ملأها ، فخرج الناسُ إليها وخرج آبنُ عائشة فيمن خَرَج ، فجلس على قَرْن البئر ، فبينا هم

رآه الحسن بن الحسن بالعقيق فأكرهه على أن يغنيه مائة صوت فلم ير أحسن منه غناء فى ذلك اليوم

(١) كذا فى م ، أ . وفى أغلب النسخ : « وشدّ » بواو العطف .

كذلك إذ طلع الحسن بنُ الحسن بنِ علىّ بن أبى طالب، عليهم السلام، على بَغْلة (١) وخَلْفَه غلامان أسودان كأنهما من الشياطين، فقال لهما: امضِيا رُوَيدًا حتى تَقِفا بأصل القَرْن الذى عليه ابنُ عائشة، فخرجا حتى فعلا ذلك. ثم ناداه الحسنُ: كيف أصبحتَ يا ابنَ عائشة؟ قال: بخيرٍ، فداك أبى وأمى، قال: انظر من إلى جَنْبك، فنظر فإذا العبدان، فقال له: أتعرفهما؟ قال: نعمْ، قال: فهما حُرّان لئن لم تغنّنى مائةَ صوت لآمُرَنَّهما بطَرْحك فى البئر، وهما حُرّان لئن لم يفعَلا لأقطعنّ أيديَهما، فاندفع ابنُ عائشة فكان أوّلَ ما ابتدأ به صوتًا له وهو:

ألا لله دَرُّكَ من * فتًى قومٍ إذا رَهِبوا

ثم لم يسكت حتى غنّى مائةَ صوت، فيقال إن الناس لم يسمعوا من ابن عائشة أكثرَ مما سمعوا فى ذلك اليوم، وكان آخر ما غنّى:

صوت

٦٤ / ٢

قل للمنازل بالظَّهْرانِ (٢) قد حانا * أن تنطق فتُبِينى القولَ تبْيانَا

قال جرير: فما رُئِى يومٌ أحسنُ منه، ولقد سمع الناس شيئا لم يسمعوا مثلَه، وما بلغنى أن أحدا تشاغل عن استماع غنائه بشىء، ولا انصرف أحدٌ لقضاء حاجة ولا لغير ذلك حتى فرغ. ولقد تبادر الناسُ من المدينة وما حولَها حيث بلغهم الخبرُ لاستماع غنائه، فيقال: إنه ما رئى جَمْعٌ فى ذلك الموضع مثلُ ذلك الجَمْع، ولقد رفَع النّاس أصواتَهم يقولون له: أحسنتَ والله، أحسنتَ والله، ثم انصرفوا حولَه يزُفّونه إلى المدينة زَفًّا.

---

(١) كذا فى أغلب النسخ. وفى أ، م: «أقبل».

(٢) الظهران: واد قرب مكة وعنده قرية يقال لها مرّ تضاف الى هذا الوادى فيقال مرّ الظهران.

نسبة ما فى هذا الخبر من الأغانى

منها :

صـــوت

ألا لله درُّكَ مِنْ * فتًى قومٍ إذا رَهِبُوا
وقالوا مَنْ فـتًى للحر * ب يَرْقُبُنا ويَرْتَقِبُ
فكنتَ فتاهُمُ فيها * إذا تُدْعَى لها تَثِبُ
ذكرتُ أخى فعاوَدَنى * رُداعُ[(1)] السُّقْمِ والوَصَبُ
كما يعتاد ذاتَ البَوِّ * بعدَ سُلُوِّها الطَّرَبُ[(2)]
على عَبْدِ بن زُهْرَةَ بتُّ * طولَ الليلِ أنتحبُ[(3)]

الشعر لأبى العِيَال الهُذَلِىّ. والغناء لمَعْبد، وله فيه لحنان، أحدهما ثقيلٌ أوّلُ بالخِنْصَر فى مجرى الوسطى عن إسحاق يُبْدأُ فيه بقوله :

ذكرتُ أخى فعاودنى * رداعُ السقم والوصبُ

والآخر خفيفُ رملٍ بالوسطى عن عَمْرو بن بانة . وفيه لابن عائشة خفيفُ رملٍ آخرُ، وقيل : بل هو لحن معبد . وذكر حمّاد بن إسحاق أن خفيفَ الرَّمَل لمالك . البَوُّ : جلد يُحْشَى تبنًا ويجفف لكيلا تخبُثَ رائحتُه، ويُدْنَى إلى الناقة التى قد نُحر فصيلُها أو مات لتَشَمَّه فتدِرّ عليه .

---

(١) الرداع : النكس . (٢) الطرب هنا : الحزن . (٣) ورد هذا البيت فى أ ، م ، ء ، ط هكذا :

على عبد بن زهرة طو * ل هذا الليل أكتئب

ومنهـا :

صـــوت

قــل للنــازل بالظّهـــرانِ قد حانا * أنْ تنـــطقى فتُبِينِى القـــولَ تِبْيــانَا
قالت ومن أنتَ قل لى قلتُ ذو شَغَفٍ * هِجْتِ له من دَوَاعى الحبِّ[1] أحزانَا

الشعر لعمر بن أبى ربيعة . والغناء لابن عائشــة خفيفُ ثقيلٍ أوّلَ بالوسطى عن الهِشَامىّ وحَبَش .

غنى بالموسم فحبس الناس عن المسير

وقال هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات حدّثنى عبــد الرحمن بن سليمان عن علىّ بن الجَهْم الشاعر قال حدّثنى رجل :

أنّ ابن عائشة كان واقفا بالموسم متحيّرا ، فمرّ به بعضُ أصحــابه فقال له : ما يُقِيمك ها هنا؟ فقال : إنى أعرف رجلا لو تكلّم لحبَس الناسَ ها هنا فلم يذهب أحد ولم يجئ ؛ فقال له الرجل : ومن ذاك ؟ قال أنا ، ثم اندفع يغنّى :

جرتْ سُنُحًا فقلتُ لهــا أَجِيزِى * نَوًى مشمولةً فمـــتى اللقــاءُ

قال : فحُبِس الناس ، واضطربت المَحَامِلُ ، ومدّتِ الإبلُ أعناقَها ، وكادت الفتنــةُ أن تقع . فأُتِىَ به هشامُ بن عبــد الملك ، فقال له : يا عدوَّ الله ، أردتَ أن تفْتِن الناسَ! قال : فأمسك عنه وكان تَيَّاها ، فقال له هشام : ارفُقْ بتِيهك ، فقال : حَقّ لمن كانت هذه مَقْدِرتَه على القلوب أن يكون تَيَّاهًا ، فضحك منه وخلّى سبيلَه .

---

(١) كذا فى أغلب النسخ . وفى أ ، م : « الشوق » بدل الحب .

٦٥ / ٢

نسبة هذا الصوت الذى غناه ابن عائشة

صــــوت

جرتْ سُنُحا فقلتُ لها أَجِيزِى * نَوًى مشمولةً فمتى اللقاءُ
بنَفْسِى مَنْ تذكُّره سَقَامٌ * أُعانيه ومَطْلَبُه عَنَاءُ

السانح : ما أقبل من شِمَالك يريد يمينَك، والبارح ضدّه . وقال أبو عبيدة : سمعت يونسَ بن حَبيب يسأل رُؤْبةَ عن السانح والبارح، فقال : السانح : ما ولّاك مَيَامِنَه، والبارح : ما ولّاك مَشَائِمَه . وقوله : أجيزى أى انْفُذِى . قال الأصمعىّ : يقال : أَجَزْتُ الوادىَ إذا قطعته وخلّفته، وجُزْتُه أى سِرْتُ فيه فتجاوزتُه، وجاوزتُه مثلُه . قال أَوْس بن مَغْراء :

ولا يَرِيمُون فى التعريف موقفَهم * حتى يقالَ أَجِيزُوا آلَ صوفانا[1]

ومشمولةٌ : سريعةُ الانكشاف[2] . أخذه من السحابة المشمولة، وهى التى تصيبها الشَّمَال فتكشِفُها ، ومن شأن الشمال أن تقطع السحابَ، واستعارها هاهنا فى النَّوَى لسرعة انكشافهم فيها عن بلدهم، وأجرَى ذلك مُجرى الذمّ للسانح لأنه يُتَشاءم به . البيت الأوّل من الشعر لزُهَيْر بن أبى سُلْمَى ، والثانى مُحْدَث ألحقه المغنُّون به لا أعرف قائلَه . والغناء لابن عائشة، ولحنُه خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبنصر .

غنى الوليد بحضرة معبد ومالك فطرب الوليد من غنائه

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنا إسحاق وأخبرنى به محمد بن مَزْيد[3] والحسين بن يحيى قالا حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الهَيْثَم بن عَدِىّ عن حَمّاد الراوية قال :

(١) كذا فى أغلب النسخ واللسان مادة ريم . وفى ب ، س : «صفوان» بغير ألف الاطلاق .
(٢) فسره فى اللسان فى مادة سنح وشمل بأنه أخذ بها ذات الشمال . (٣) كذا فى ا ، م . وفى باقى النسخ : «محمد بن جرير» والمؤلف يروى عن محمد بن جرير كما يروى عن محمد بن مزيد ، ولكن النسخ قد اتفقت فيما سيأتى على ذكر هذا الذى يروى عنه المؤلف وعن الحسين بن يحيى عن حماد باسم محمد بن مزيد .

كتب الوليد بن يزيد إلى يوسف بن عمر : أما بعد، فإذا قرأتَ كتابى هـذا فَسَرِّحْ إلىّ حَمّادًا الراويةَ على ما أحبَّ من دوابّ البريد، وأعطِه عشرةَ آلاف درهم يتهيّأ بها . قال: فأتاه الكتاب وأنا عنده فنبَذه إلىّ، فقلتُ : السمعُ والطاعةُ، فقال : يا دُكَين ، مُرْ شجرةَ يعطيه عشرةَ آلافِ درهم ، فأخذتُها . فلما كان اليـومُ الذى أردتُ الخروجَ فيه أتيتُ يوسف بن عمر ، فقال : يا حَمّاد ، أنا بالموضع الذى قد عرفتَه من أمير المؤمنين ، ولستُ مستغنيًا عن ثنائك ؛ فقلت : أصلح الله الأمير "إن العَوانَ[1] لا تُعلَّمُ الخِمْرة" وسيبلُغُك قولى وثنائى . فخرجتُ حتى انتهيتُ إلى الوليد وهو بالبَخْراء[2] ، فاسـتأذنتُ عليه فأذن لى ، فإذا هو على سَرير ممهَّد ، وعليـه ثوبان أصفران : إزارٌ ورِداء يقيئانِ الزَّعْفران قيئا ، وإذا عنده مَعْبدٌ ومالكُ بن أبى السَّمْح وأبو كاملٍ مَوْلاه ، فتركنى حتى سَكَن جَأْشى ، ثم قال أَنشِدْنى :

* أمِنَ المنونِ ورَيْبِها تتوجّعُ *

فأنشدتُه حتى أتيتُ على آخرها ؛ فقال لساقيه : ياسَبْرة اَسْقِه ، فسقانى ثلاثةَ أكؤس خَثَّرْنَ[3] ما بين الذُّؤابة والنعل . ثم قال يا مالك ، غنِّني :

أَلَا هل هاجَكَ الأظعا * نُ إذ جاوزْنَ مُطَّلَحا

ففعل . ثم قال له : غنِّنى :

جَلَا أُميّـــةُ عنِّى كلَّ مظلِمَــةٍ * سَهْلُ الحِجابِ وأوفى بالذى وَعَدا

---

(١) العوان من النساء : التى قد كان لهـا زوج ، وقيل هى النصف فى سنها أو هى الثيب . والخمرة : الهيئة من الاختمار أى لبس الخمار . وهذا مثل يضرب للمجرّب الذى يعرف أمره ولا يحتاج الى أن يعلم كيف يفعل . (٢) هى أرض بالشأم كما فى معجم ما استعجم للبكرى . وقال ياقوت فى معجم البلدان : هى ماءة منتنة على ميلين من القليعة فى طرف الحجاز ، وذكر قصة يستفاد منها أن الوليد بن يزيد قتل وهو نازل بالبخراء . (٣) خثرن : جعلنه خاثرا فاترا منكسرا .

ففعل . ثم قال له : غنِّنى :

أتنسى إذ تُودِّعنا سُلَيْمَى[1] * بفَرْعِ بَشَامةٍ[2] سُقِىَ البَشَامُ

٦٦/٢ ففعل . ثم قال[3] : يا سَبْرة ، أو يا أبا سَبْرة ، اسقِنى بزُبِّ فِرْعون ؛ فأتاه بقدح مُعوَّجٍ فسقاه به عشرين ، ثم أتاه الحاجب فقال : أصلح الله أميرَ المؤمنين ، الرجلُ الذى طلبتَ بالباب ؛ قال : أدخلْه ، فدخل شابٌّ لم أر شاباً أحسنَ وجها منه ، فى رِجْله بعضُ الفَدَع[4] ؛ فقال : ياسَبْرة اسقِه ، فسقاه كأسا ؛ ثم قال له : غنِّنى :

وهْى إذ ذاكَ عليها مِئْزَرٌ * ولها بيتُ جَوارٍ من لُعَبْ

فغنّاه ؛ فنبَذ إليه الثوبيْن . ثم قال له : غنِّنى :

طاف الخيالُ فمَرْحَبا * ألفًا برؤية زينبا

فغضب معبد وقال : يا أمير المؤمنين ، إنا مقبِلون عليك بأقدارنا وأسناننا ، و إنك تركتَنا بمَزْجَر الكلب ، وأقبلتَ على هذا الصبىّ ! فقال : والله يا أبا عَبّاد ، ما جهلتُ قدرَك ولا سنَّك ، ولكنّ هذا الغلام طرَحنى فى مثل الطَّناجير[5] من حرارة غنائه . قال حَمّاد الراوية : فسألتُ عن الغلام فقيل لى هو آبنُ عائشةَ .

---

(١) هكذا فى الأصول والديوان ، وفى اللسان : «أتذكر يوم تصقل عارضيها» وأورد صاحب اللسان لهذا الصدر رواية أخرى نسبها للتهذيب وهى : «أتذكر إذ تودّعنا سليمى» . (٢) بشامة : واحدة البشام ، وهو شجر طيب الريح والطعم يستاك به ، والمعنى أنها أشارت بسواكها تودّعه ولم تتكلم خيفة الرقباء .

(٣) كذا فى حـ ، م . وفى سائر النسخ : «ثم قال له ياسبرة» ولا موقع لكلمة «له» فى الكلام .

(٤) الفدع : عوج وميل فى المفاصل خلقة أو داء ، وأكثر ما يكون فى الرسغ من اليد والقدم .

(٥) الطناجير : جمع طنجير ، والطنجير ذكره صاحب القاموس ولم يبين معناه ، وإنما قال : إنه معرّب فارسيته باتيله ، ويؤخذ من كلام شارحه أنه يقال على القدر من النحاس حيث قال : والطنجير كناية عن الجبان واللئيم ، هكذا تستعمله العرب فى زماننا وكأنهم يعنون به الحضرىّ الملازم أكله فى قدور النحاس وصحونه . وفى أقرب الموارد : والطنجرة : قدر من نحاس دخيلة والطنجير وعاء يعمل فيه الخبيص ، معرّب . وفى حـ : «الطياجين» جمع طيجن وهو الطاجن (المقلى) وهو بالفارسية تابه .

نسبة ما فى هذا الخبر من الأغانى

صـــــوت

جلا أميّـــةُ عنّى كلّ مظلمَـــةٍ * سهلُ الحجابِ وأوفَى بالذى وعَدَا
إذا حللْتُ بأرضٍ لا أراكَ بها * ضاقتْ علىّ ولم أعرفْ بها أحَدا

الغناء لابن عبّاد الكاتبِ خفيفُ ثقيــلٍ بإطلاق الوتر فى مجرَى البِنْصرِ عن إسحاقَ . وذكر عمرو بن بانةَ أنه لعمرَ الوادِىّ . وذكر حَبَشٌ أن فيــه لمـالك لحنا من خفيفِ الثقيلِ الأوّل بالوُسْطَى .

ومنهـا :

صـــــوت

أتنْسَى إذ تودِّعُنا سُلَيْمَى * بفَرْعِ بَشَامةٍ سُقِىَ البَشَامُ
متى كانَ الخيامُ بذى طُلُوحٍ (١) * سُقيتِ الغيثَ أيّتُها الخِيَامُ
أتمْضُونَ (٢) الخيـامَ ولم تُسلِّمْ (٣) * كلامُكُم علىّ إذًا حــرامُ

(١) ذو طلوح : موضع بين اليمامة ومكة كما فى القاموس وشرحه . وقال ياقوت فى معجمه : هو اسم موضع للضباب اليوم فى شاكلة حمَى ضَرِيّة وهو فى حَزْن بنى يربوع بين الكوفة وفَيْد، ثم أنشد بيت جرير هذا . (٢) كذا فى الأصول، وجاء هذا البيت فى ديوان جرير الذى هو رواية محمد ابن حبيب تابعا لبيت قبله والبيتان هكذا :

أقول لصحبتى لمـا ارتحلنا * ودمع العين منهمر سجام
أتمضون الرسوم ولا تحيا * كلامكم علىّ اذا حــرام

وجاء فى التعليق على هذا البيت من النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب تحت رقم ١ أدب ش، أى تتركون يقال : مضيت فلانا اذا جاوزته ولم تسلم عليه وكذلك مضيت المنزل اهـ. ولم نجد هذا المعنى فى كتب اللغة التى بين أيدينا . وجاء هذا الشطر فى بعض كتب الشواهد من علم النحو هكذا : «تمرون الديار ولم تعوجوا» ونقل المبرد عن عمارة بن بلال بن جرير أنه قال : إنمـا قال جدّى : «مررتم بالديار ولم تعوجوا» . انظر شرح الشواهد للعينى الموجود بهامش خزانة الأدب ج ٢ ص ٥٦٠ طبع بولاق سنة ١٢٩٩ هـ .
(٣) كذا فى أغلب النسخ وفى حـ : «تسلم» .

بنفسي مَنْ تجنُّبُــه عزيزٌ * علىّ ومَنْ زيارتُه لِمَامُ
ومن أُمسِى وأُصبح لا أَراه * ويَطْرُقُنى إذا رقَدَ النِّيَامُ[1]

الشعر لجَرير. والغناء لابن سُرَيج ، وله فى هذه الأبيات ثلاثةُ ألحان : أحدها فى الأوّل والرابع ثقيلٌ أوّلُ بالخنصر فى مجرى البِنْصر عن إسحاق . والآخر فى الثانى ثم الأوّل ثانى ثقيل بالبنصر عن عمرو، والآخرُ فى الثالث وما بعده رَمَلٌ بالبنصر عن الهشامىّ وحَبَش . وللدَّلَالِ فى الثانى والثالث ثانى ثقيلٍ بالسَّبَّابة فى مجرَى الوُسْطى عن إسحاق والمكّىّ . وللغَرِيض فى الأوّل والثانى والثالث خفيفُ رمَلٍ بالبِنْصر عن عمرو . وفيها لمالك ثقيل أوّل بالبنصر عن الهِشَامِىّ . ولابن جامعٍ فى الأوّل والثانى والرابع والخامس هَزَجٌ عن الهِشَامِىّ . وفيها لابن جُنْدَبٍ خفيفُ ثقيلٍ بالبِنْصر .

ومنها الصوت الذى أوّله فى الخبر :

* وهى إذ ذاك عليها مِئْزَرٌ *

وأوّله :

صــــوت

٦٧ عَهِــدَتْنى ناشــئًا ذا غِرّة * رَجِلَ الجُمَّــة[2] ذا بَطْنٍ أَقَبّْ[3]
٢ أَتبَعُ الوِلدانَ[4] أُرْخِى مِئْزَرِى * ابنَ عَشْرٍ ذا قُرَيْطٍ من ذهبْ
١٠ وهى إذ ذاك عليهــا مِئْزرٌ * ولهــا بيتُ جَوَارٍ من لُعَبْ

(١) فى حـ وديوان جرير : « هجع » .

(٢) رجل الجمة ، أى أنّ جمته ما بين السبوطة والجعودة . والجمة : شعر الرأس الساقط على المنكبين . وفى صفته صلى الله عليه وسلم : كان شعره رجلا . أى لم يكن شديد الجعودة ولا شديد السبوطة بل بينهما .

٢ (٣) أقب : ضامر . (٤) الولدان (بكسر الواو) : جمع وليد وهو الغلام والجارية اذا استوصفا قبل أن يحتلما .

الشعر لأمرئ القيس، ويقال : إنه أوّلُ شعرٍ شَبَّب فيه بالنساء . والغناء لآبن عائشة ثانى ثقيلٍ بالبِنْصر عن الهِشَامىّ ودَنَانِير[1] وحَمَّاد بن إسحاق . وفيه خفيفُ ثقيلٍ بالبِنْصر ذكر حَمَّاد فى أخبار جَمِيلة أنه لها، وذكر حَبَش والهشامىّ أنه لآبن سُرَيج ، وقيل : إنه لغيرهما .

ومنهـا :

صـــــوت

ألَا هل هاجكَ الأظعا * نُ إذ جاوزْن مُطَّلحا[2]
نعمْ ولوَشْك بَيْنِهِـــمُ * جرَى لكَ طائرٌ سُــنُحَا
أَخَذْنَ[3] المـاءَ من رَكَك * وضوءُ الفجر قـد وضَحا
يَقُلْنَ[4] مَقِيلُنـا قَرْنٌ * نُبَاكِـرُ ماءَه صُـــبُحَا
تبعتهُـــمُ بطَرْفِ العيــ * ـــن حتى قيل لى آفتضَحا
يودِّع بعضُــنا بعضًــا * وكلٌّ بالهــوى جُرِحا
فمن يفــرَحْ ببينِهِـــمُ * فغـيرى إذ غَدَوْا فَرِحَا

الشــعر تَرْويه الرواة جميعًا لعمر بن أبى ربيعة ســوى الزُّبَيْر بن بَكَّار فإنه رواه عن عمــه وأهلِه لجعفر بن الزُّبَيْر بن العَوّام ، وقــد ذِكر خبره فى هــذا[5] مع أخباره المذكورة فى آخر الكتاب . ورواه الزُّبَير * إذ جاوزْن مَنْ طَلَحا * وقال : ليس

(١) كذا فى ى ، حـ . ودنانير معروفة برواية الغناء، وقد ذكرت فى مواضع كثيرة من الأغانى، وترى أخبارها فى الأغانى ج ١٦ طبع بولاق . وفى باقى النسخ : « دمانة » ولم نقف فى رواة الأغانى أو المغنيات على من تسمى بهذا الاسم . (٢) تقدّمت هذه الأبيات مع التعليق على بعض كلماتها فى ج ١ ص ٣١١ — ٣١٢ من الأغانى طبع دار الكتب المصرية . (٣) كذا وردت هذه الكلمة فى جميع الأصول هنا ووردت باتفاق الأصول فى الجزء الأوّل من الأغانى، «أجزن» بالجيم والزاى . (٤) فى الجزء الأوّل من الأغانى : «نقان» بالفاء . (٥) كذا فى ط . وفى باقى الأصول : «وقد ذكر خبره فى هذا الكتاب» ويظهر أنها من زيادة النساخ .

على وجه الأرض موضعٌ يقال له : مُطَّلح . والغناء لمالك وله فيه لحنان: ثقيلٌ أوّل بالبِنصر عن إسحاق، وخفيفُ ثقيلٍ بالوسطى عن عمرو . وفيه لمَعْبد ثقيلٌ أوّل بالخنصر(١) فى مجرى الوُسْطى عن إسحاق . وفيه لابن سُرَيج فى الخامس — وهو تِبِعتُهم بطرف العين إلى آخر الأبيات — ثقيلٌ أوّلُ مُطْلَق فى مجرى البِنْصر عن إسحاق. وفيها للغَرِيض ثانى ثقيلٍ بالوُسْطى عن الهِشَامىّ، قال : وهو الذى فيه استهلالٌ . وذكر ابن المكىّ أن الثقيلَ الثانىَ لمالكٍ، وخفيفَ الثقيلِ للغَرِيض .

ومنها :

صـــوت

طَـرَق الخيـالُ فَمَرْحبَا * ألفًا برؤية زينبَا
أنّى اهتـديتَ لِفتْيةٍ * سلَكُوا السَّلِيل(٢) فعُلَيِّبَا(٣)

طـرب أبى جعفر الناسك لغناء ابن عائشـة

أخبرنى إسماعيل بن يونُس قال حدّثنا عمر بن شَبَّة عن محمد بن سَلَّام قال حدّثنى جَرِيرٌ قال :

أخذ بعضُ وُلاة المدينة المغنِّين والمخنَّثين والسُّفَهاء بلزوم مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان فى المسجد رجلٌ ناسكٌ يكنى أبا جَعْفر مولًى لابن عيّاش ابن أبى رَبِيعة المَخْزُومىّ يُقْرِئ الناسَ القرآنَ، وكان ابن عائشة يلازمه، فخلا لابن عائشة يومًا الموضعُ مع أبى جعفر فقرأ له فطَرَّب ورَجَّع ، فسمع الشيخ صوتا

(١) فى حـ : «بالخنصر» . (٢) السليل : اسم لواد بعينه، كما نقله ياقوت عن العمرانىّ. وذكر صاحب القاموس للسليل معانى منها أنه واد واسع غامض ينبت السلم . (٣) عليب (بضم أوله وإسكان ثانيه، هكذا ذكره سيبويه . وحكى فيه غيره عليب بكسر أوله) : واد لهذيل بتهامة، وقيل : قرية بين مكة وتبالة . قال الزمخشرىّ فيما حكاه عنه العمرانىّ : أظن أن قوما كانوا فى هذا الموضع نزولا، فقال بعضهم لأبيه : ىل يا أب، فسمى به المكان . وقال المرزوقىّ : كأنه فعيل من العلب وهو الأثر، والوادى لا يخلو من الخفاض وحزن . (انظر معجم ما استعجم للبكرىّ ومعجم ياقوت فى اسم عليب) .

لم يسمَع مثلَه قطُّ، فقال له : يابْنَ أخى، أفسدتَ نفسَك وضيَّعتَها، فلو أنك لزِمت المسجدَ وتعلّمت القرآنَ لأقمتَ(١) للناس فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شهر رمضان، ولأصبتَ بذلك من الولاة خيرا، فوالله ما دخل أذنى قطُّ صوتٌ أحسنُ من صوتك؛ فقال ابن عائشة : فكيف لو سمعتَ يا أبا جعفر صوتى فى الأمر الذى صُنِع(٢) له! قال: وما هو؟ قال: انطلقْ معى حتى أُسمِعَكه، فخرج معه إلى مِيضَأَةٍ(٣) ببَقِيع الغَرْقَد(٤) عند دار المُغيرة بن شُعْبة، وكان أبو جعفر يتوضأ عنـدها كلَّ يوم، فاندفع ابنُ عائشة يغنِّى : ٦٨/٢

ألآنَ أبصرت الهدى * وعلا المَشيبُ مَفَارِقِى

فبلغ ذلك من الشيخ كل مبلغ، وقال : يابْنَ أخى، هـذا حَسَنٌ وأنا أشتهى أن أسمَعه، ولكن لا أطلُبه ولا أمشى إليه؛ قال ابن عائشة : فعلىّ أن أُسْمِعَكه؛ فكان يَرْصُده، فإذا خرج أبو جعفر يتوضأ خرج ابن عائشة فى أثَرِه حتى يقف خَلْفَ جِدَار المِيضَأة بحيث يسمَع غناءَه، فيغنّيه أصواتا حتى يفرُغ أبو جعفر من وضوئه. فلم يزل يفعل ذلك حتى أُطْلِقوا من لزوم المسجد.

نسـبة هـذا الصوت

صـــوت

طَرق الخيـالُ المُعْتَرِى * وَهْنًـا فؤادَ العـاشقِ
طَيْفٌ ألمّ فهاجَـنِى * للبَـيْنِ أمّ مُسَـاحِقِ
ألآنَ أبصرتُ الهـدى * وعلا المَشِيبُ مفارِقِى

(١) كذا فى أ، م، ى. وفى حـ : «لأممت الناس». وفى ب، سـ : «لأممت للناس» وكلاهما تحريف.
(٢) فى حـ : «صيغ له».
(٣) الميضأة (بالقصر وقد تمد) : مطهرة كبيرة يتوضأ منها، وميمها زائدة والعامة تقول ميضة (أنظر شفاء الغليل للخفاجى).
(٤) بقيع الغرقد : مقبرة أهل المدينة المنورة.

وتركتُ أمرَ غَوايتى * وسلكتُ قصدَ طرائقِ
ولقد رضيتُ بعيشنا * إذ نحن بين حدائقِ
وركائبٌ تَهْوِى بنا * بين الدُّروبِ فدابِقِ(١)

الشعر للوَليد بن يَزيد، ويقال : إنه لابن رُهَيْمة . والغناء لابن عائشة رَمَلٌ بالبِنْصر عن عَمْرو، وذكره يونس أيضا له فى كتابه . وفيه لأبى زَكّار الأعمى خفيفُ رملٍ بالوُسْطى عن عمرو والهشَامىّ . وذكر ابن خُرْداذْبَه(٢) أنه لأبى زَكّار الأعمى وهو قديم، وأنه وجَد ذلك فى كتاب يونس . وفيه لحَكَمٍ الوادى لحن فى كتاب يونس غيرُ مجنَّس، ولا أدرى أيُّها هو . وفى هذه الأبيات خفيفُ ثقيلٍ متنازَعٌ فيه نُسِب إلى مَعْبد وإلى مالِك، ولم أجده لهما عن ثقة، وأظنّه لحَنَ حَكَم .

أكرهه الحسن بن الحسن على الخروج معه الى البغيبغة ليغنيه

أخبرنى محمد بن مَزْيد بن أبى الأزْهر البُوشَنْجى والحُسين(٣) بن يحيى الأعور المِرْدَاسِىّ قالا حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سَلّام عن أبيه قال :

كان الحسَن بن الحسن مُكرِمًا لابن عائشة مُحِبًّا له، وكان ابن عائشة منقطعا إليه، وكان من أَتْيهِ خَلْق الله وأشدِّه(٤) ذَهَابًا بنفسه، فسأله الحسن أن يخرج معه إلى البُغَيبغة(٥)

(١) كذا فى أ، ء . وفى ب، سـ : "فداثق" بالهمزة بدل الباء وهو تحريف . ودابِق بكسر الباء — ويروى بفتحها — : قرية على أربعة فراسخ من حلب بها قبة سليمان بن عبد الملك بن مروان، وقد كان سليمان عسكر بها وعزم ألا يرجع حتى يفتح القسطنطينية أو تؤدى الجزية، فمات ودفن بها .

(٢) انظر حاشية ٤ ص ٣٦ ج ١ من هذا الكتاب طبع دار الكتب المصرية فقد ورد هناك ضبط شارح القاموس له بكسر الذال وسكون الياء المثناة التحتية وآخره هاء .

(٣) فى ط : «الحسن» .

(٤) وحد الضمير ذهابا الى المعنى . وفى اللسان مادة حنا : روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «خير نساء ركبن الابل خيار نساء قريش أحناه على ولد فى صغره وأرعاه على زوج فى ذات يده» قال ابن الأثير وانما وحد الضمير ذهابا الى المعنى وتقديره أحنى من وجد أو خلق أو من هناك، ومنه أحسن الناس خلقا وأحسنه وجها يريد أحسنهم، وهو كثير من أفصح الكلام اهـ .

(٥) البغيبغة : ضيعة بالمدينة كانت لآل جعفر ذى الجناحين رضى الله عنه، قاله الخليل . ونقل الليث والأزهرى أنها عين غزيرة الماء كثيرة النخل لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم . كذا فى القاموس وشرحه مادة «بغبغ» . وذكر المبرد فى الكامل ص ٥٥٦ طبع أوروبا أن علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه وقف عين أبى نيروز والبغيبغة على فقراء أهل المدينة وابن السبيل، اسنتين من خلافته، وأورد نص ما كتبه الإمام علىّ فى وقف هذين الموضعين .

فامتنع ابنُ عائشةِ من ذلك، فأقسم عليه فأبى، فدعا بغِلْمانٍ له حُبْشان وقال : نُفِيتُ من أبى لئن لم تَسِرْ معى طائعًا لتسيرَنّ كارهًا، ونُفِيتُ من أبى لئن لم يُنفذوا أمرى فيك لأقطَعنّ أيديَهم . فلما رأى ابن عائشة ما ظهر من الحسن علم أنه لا بد من الذهاب، فقال له : بأبى أنت وأمّى، أنا أمضى معك طائعا لا كارها . فأمر الحسنُ بإصلاح ما يُحتاج إليه وركب، وأمر لابن عائشة ببغلة فركبها ومضيا، حتى صارا إلى البُغَيْبِغة ٦٩/٢ فنزلا الشِّعْبَ[1]، وجاءهم ما أعدّوا فأكلوا ؛ ثم أمر الحسنُ بأمره وقال يامحمد ؛ فقال له : لبَّيْك ياسيدى ؛ قال : غنِّنى ؛ فاندفع فغنّاه :

صـــــوت

يدعو النبىَّ بعمِّـــه فيُجيبُـــه * يا خيرَ من يدعو النبىَّ جَلَالَا
ذهب الرجالُ فلا أُحِسّ رجالا * وأرى الإقامةَ بالعراق ضَـلالَا
وأرى المرجَّىَ للعراق وأهـــله * ظَمْآنَ هاجِرةٍ يؤمِّـــل آلَا[2]
وطَرِبتُ إذ ذَكَر المدينةَ ذاكرٌ * يوم الخميس فهاج لى بَلْبـالَا[3]
فظَلِلْتُ أنظـــر فى السماء كأننى * أبغى بناحية السماء هـــلالَا

ــ الشعر لابن المَوْلَى من قصيدة طويلة قالها وقد قدم إلى العراق لبعض أمره فطال مُقامه بهــا واشتاق إلى بلده . وقد ذُكِر خبره[4] فى موضعه من هذا الكتاب . والغناء لابن عائشة ثقيلٌ أوّلُ بالبِنْصر عن حمّاد والهِشامىّ وحَبَش . وقال الهِشامىّ خاصةً : فيه لحنٌ لقَرَارِيطَ ــ فقال له الحسن : أحسنتَ والله يابن عائشة[5]! فقال ابن عائشة :

(١) لم نقف على أن الشعب اسم مكان بعينه بالبغيبغة ، ولعل المراد معناه اللغوى وهو مسيل الماء فى بطن من الأرض له حرفان مشرفان وعرضه بطحة رجل اذا انبطح . (٢) الآل : السراب ، وقيل : الآل من الضحى الى زوال الشمس . والسراب بعد الزوال الى صلاة العصر . (٣) البلبال : شدّة الهم . (٤) ترجمة ابن المولى هذا فى الجزء الثالث من الأغانى طبع بولاق ص ٩٣
(٥) فى ط : « أحسنت والله يابن عائشة أحسنت » .

والله لا غنيتك فى يومى هذا شيئا ؛ فقال الحسن : فوالله لا برحتَ البُغَيْبِغَة ثلاثة أيام! فاغتمّ ابن عائشة ليمينه وندِم وعلم أنّه لا حيلة له إلا المُقام، فأقاموا . فلمّا كان اليوم الثانى قال له الحسن : هاتِ ما عندكَ فقد برّتْ يمينُك ، وكانوا جلوسا على شىء مرتفع ، فنظروا إلى ناقة تقدُم جماعةَ إبل ، فاندفع ابن عائشة فغنّى :

تَمُرّ كجَنْدلة المَنْجنيـ * ـقِ يُرْمَى بها السورُ يومَ القتالِ
فماذا تُخَطرِف من قُلّة * ومن حَدَبٍ وإكامٍ توالى
ومن سيرها العَنَقُ المُسْبطِرُّ * والعَجْرفيّة بعد الكَلَالِ

فقال له الحسن : وَيْلَكَ يا محمد ! لقد أحسنت الصنعة ؛ فسكت ابن عائشة ؛ ثم قال له : غنى، فغنّاه :

إذا ما انتشيتُ طَرَحتُ اللِّجا * مَ فى شَدْقِ مُنْجَرِدٍ(١) سَلْهَبِ
يَبُذُّ(٢) الجِياد بتَقْريبِه(٣) * ويأوِى إلى حُضُرٍ مُلْهِبِ(٤)
كُمَيتٌ كأنّ على مَتْنِه * سبائكَ من قِطَع المُذْهَبِ(٥)
كأنّ القَرَنْفُل والزنجبيل * يُعَلّ على رِيقها الأطيب

فقال له الحسن : أحسنت يا محمد، فقال له ابن عائشة : لكنّك، بأبى أنت وأمّى، قد ألجمتنى بحجر فما أُطيق الكلام . فأقاموا باقىَ يومهم يتحدّثون ؛ فلما كان اليوم الثالث قال الحسن : هذا آخر أيامك يا محمد؛ فقال ابن عائشة : عليه وعليه إن

---

(١) المنجرد من الجياد : القصير الشعر . والسلهب : الطويل . (٢) يبذ : يغلب ويسبق . (٣) التقريب : أن يرفع الفرس يديه معا ويضعهما معا . ويقال : قرّب الفرس تقريبا اذا عدا عدوا دون الإسراع . (٤) الحضر (بالضم وحرك هنا للضرورة) : العدو . وملهب : مثير للهب لشدّته . واللهب : الغبار الساطع كالدخان المرتفع من النار . (٥) المذهب : كل ما طلى بالذهب . ويستعمل المذهب وصفا للفرس، فيقال : كميت مذهب، أى تعلو حمرته صفرة .

غنّاك إلّا صوتا واحدا حتّى تنصرف، وعليه وعليه إن حلفت ألّا أُبِرّ قسمَك ولو فى ذَهاب رُوحه! فقال له الحسن : فلك الأمان على محبّتك؛ فاندفع فغناه :

صــــوت

أنعم الله لى بذا الوجــهِ عيناً * وبه مرحبا وأهــلا وسهلَا
حين قالت لا تذكرنّ حديثى * يابن عمّى أقسمتُ قلتُ أجلْ لا ٧٠/٢
لا أخون الصديقَ فى السرّ حتّى * يُنقلَ البحرُ بالغرابيل نقــلا

قال : ثم آنصرف القوم، فما رأى الحسن بنُ الحسنِ آبنَ عائشة بعدها .

نسبة الغناء فى الشعر الذى غنى به ابن عائشة ذلك اليوم

نسبة ما لم تمض نسبته فى الخبر من هذه الأصوات منهــا :

صــــوت

تمــرّ كجَنْدلة المَنْجنيـــقِ يُرمى بها السورُ يوم القتالِ
فما ذا تَخَطْرُف من قُلّة * ومن حَدبٍ وإكامٍ تُــوَالى
ومن سيرها العَنَقُ المُسبطِــرُّ والعَجْرفيّــةُ بعــد الكَلالِ
ألا يا لَقــومٍ لِطَيْف الخيــا * لِ أرّق من نازح ذى دلالِ
يُثَـــنِّى التحيّة بعــد السلا * م ثم يُفَــدِّى بعــمٍّ وخالِ
خيــالٌ لسَلْمَى فقد عاد لِى * بنُكْسٍ من الحبّ بعد آندمالِ

أما الذى قاله الشاعر فى هذا الشعر فإنّه قال : يمر بالياء لأنه وصف به حمارا وحْشيّاً ، ولكنّ المُغنّين جميعا يغنّونه بالتاء على لفظ المؤنث ، وقد وَصَف فى هــذه القصيدةِ الناقةَ ولم يذكر من صفتها إلّا قولَه :

* ومن سيرها العَنَقُ المُسْبطِرّ *

ولكنّ المغنّين أخذوا من صفة العَير شيئا ومن صفة الناقة شيئا فخلطوهما وغنّوا فيهما . وقوله :

* فماذا تَخَطْرَفَ من قُلّة *

يعنى أنّه يمرّ بالمَوْضع المُرْتفع فيَطفِره[1] . وروَى الأصمعىّ :

فماذا تَخَطرَفَ من حالقٍ * ومن قُلّة وحِجابٍ وجال

فالحالق : ما أشرف . والحجاب : ما حجب عنك ما بين يديك من الأرض . والجال : حَرْف[2] الشيء ، يقال له : جالٌ وجُولٌ . والعَنَق المُنْبطِر : المُسترسِل السهل . والعَجْرفيّة : التعسف والإسراع . يقول : إذا كَلّتْ وتعبِتْ تعجْرفتْ فى السير من بقيّة نفسها وشِدّتها . وروى الأصمعىّ فيها :

خَيالٌ لجَعْـدةَ قد هاج لِى * نُكاسًا من الحبّ بعد اندمالِ

يقال : نُكْس ونُكَاس بمعنى واحد وهو عَودُ المرض بعد الصحة . والاندمال : الإفاقة من العِلّة ، واندمال الجُرْح : بُرْؤه . فأمّا الأبيات التى يصف فيها الناقة فقوله :

فسَلّ الهمومَ بعَيرانةٍ[3] * مُواشِكةِ[4] الرّجْع بعد انتقالِ

(١) كذا فى حـ . ويطفره : يثبه ، يقال : طفر الحائط أى وثبه الى ما وراءه . وفى سائر الأصول « فيظفره » بالظاء المعجمة وهو تحريف . (٢) كذا فى حـ . وهو الموافق لما فى كتب اللغة وشرح أشعار الهذليين لأبى سعيد السكرىّ طبع أوروبا (ص ١٩٥) من أن جال الشيء : جانبه وحرفه ، وهو المراد هنا ، وفى سائر الأصول : « جوف » ولعله محرف عن جرف وهو ما أكلته السيول أو جانب النهر الذى يسقط كل ساعة جزء منه . (٣) العيرانة : الناقة الناجية فى نشاط . (٤) مواشكة الرجع : سريعته ، والرجع : ردّ يديها فى السير . وقوله : بعد انتقال ، رواية فى البيت وقد اجتمعت عليها جميع النسخ . وفى أشعار الهذليين « بعد النقال » وقال شارحها : النقال والمناقلة : ضرب من السير . (انظر شرح أشعار الهذليين ص ١٨٣ طبع أوروبا) .

ذَمُــولٍ (١) تَزِفّ زفيفَ الظّليـ * ـم شَمّر (٢) بالنَّعف وَسْط الرِّئَال (٣)
وتَرْمَـدّ (٤) هَمْلَجَــةً (٥) زَعْزعًا (٦) * كما انخرط الحبلُ فوق المَحَالِ (٧)
ومن ســيرها العَنَق المُسْبطِرّ * والعَجْرفيَّــةُ بعــد الكَلالِ
كأنّى ورحــلى إذا رُعتُهـا (٨) * على جَمَــزَى (٩) جازئٍ بالرمالِ

وأمّا صفة الحمار فى هذه القصيدة فقوله فيه وفى الأُتُن :

فظَــلّ يُســوِّف (١٠) أبوالَهـا * ويوفِى (١١) زيازِىَ حُدْبَ التِّلالِ (١٢)
فطاف بتعشــيره (١٣) وآنتحى * جَــوائلَها (١٤) وهو كالمُسْــتَجالِ

(١) الذمول : وصــف للناقة ، من الذميل وهو ضرب من سير الإبل ، قيل : هو السير اللين ، وقيل : هو فوق العنق . قال أبو عبيد : اذا ارتفع السير عن العنق قليلا فهو التزيد ، فاذا ارتفع عن ذلك فهو الذميل ثم الرسيم ، والزفيف : الإسراع ومقاربة الخطو . (٢) شمر : جدّ مسرعا ، والنعف : ما انحدر من حزونة الجبل وارتفع عن منحدر الوادى . (٣) كذا فى أغلب النسخ وشرح أشعار الهذليين لأبى سعيد السكرىّ طبع أوروبا . والرئال : جمع رأل وهو ولد النعام . وفى ب ، س : «الربال» بالباء الموحدة وهو تحريف . (٤) ترمدّ : تسرع فى العدو ، يقال : آرمدّ اذا مضى على وجهه وأسرع . (٥) الهملجة كالهملاج : حسن سير الدابة فى سرعة . (٦) زعزعا : شديدا ، يقال سير زعزع أى شديد . (٧) المحال والمحالة : البكرة العظيمة التى يستق عليها ، وإنما سميت محالة لأنها تدور فتنتقل من حالة الى حالة . (٨) كذا فى ب و س وأشعار الهذليين . ورعتها : ذعرتها . وفى م و ح : زعتها بالزاى المعجمة وهى رواية حكيت فى شرح أشعار الهذليين عن الجمحى . وزعتها : حثثتها ، يقال : زاع ناقته بالزمام يزوعها زوعا اذا هيجها وحركها بزمامها لتزداد فى سيرها : (٩) جمزى : وثاب سريع ، وهو وصف لحمار وحش شبه به ناقته . وجازئٌ : مكتف بالرطب عن الماء . (١٠) يسوّف : يشم ، ولم نجــد فيما بين أيدينا من كتب اللغــة كاللسان وتاج العروس « سوّف » مضعفا بمعنى شم ، وإنما الموجود «ساف واستاف وساوف» . (١١) يوفى : يشرف ويعلو ، وعير ميفاء على الآكام اذا كانــ من عادته أن يوفى دليها ويعلوها : (١٢) زيازى : جمع زيزاءة وهى الأرض الغليظة . وحدب التلال : صعابها ، جمع حدباء وهى الصعبة . (١٣) رواية أشعار الهذليين : «فصاح بتعشيره» وأشار شارحها الى الرواية التى هنا . والتعشير : النهيق يقال : عشر الحمار اذا تابع النهيق عشر نهقات ، فهو معشر ، ثم قيــل للنهيق : تعشير . وانتحى : اعتمد وقصد . (١٤) فسره أبو سعيد السكرى فى شرحه على شعر أشعار الهذليين المطبوع بأوروبا بقوله : وانتحى أى اعتمد جوائلها أى ما جال منها حين حل كالمستجال المستخف استجاله شىء فجال ؛ ثم قال : والمستجال كأنما أصاب فزعا فاستجال .

٧١/٢ تَهادَى حوافِـرُها جَنْـدَلًا[1] * زواهقَ[2] ضربَ قُلاتٍ بِقـالِ[3]
رمَى بالجَـراميز[4] عُرْضَ الوَجِيـ[5] * ـنِ وارمدّ فى الجرى بعد انفتالِ[6]
بشأوٍ[7] له كضَريم الحـريـ * ـقِ أو شِقّةِ[8] البرق فى عُرْضِ خالِ[9]
يمُـرّ كجَنْـدلةِ المَنْجَنيـ * ـقِ يُرْمَى بها السـورُ يوم القتالِ
فـاذا تَخَطّفَ مِن حالقٍ * ومن حَـدَبٍ وحِجابٍ وَجالِ

الشعر لأمية بن أبى عائذ الهذلىّ . والغناء لابن عائشة . ولحن ابن عائشة مشكوك فيه : أىّ الألحان المصنوعة فى هذا الشعر هو ، فيقال : إنّه خفيفُ الرمَل ، ويقال : إنّه هو الثقيـل الأول[10] ، ويقال : إنه الرمَل . فأمّا خفيف الرمل فهو بالخنصر فى مَجْرى الوُسْطَى ، وذكره إسحاق فى موضع فتوقّف عنه ولم ينسُبه ، ونسبه فى موضع آخرَ الى ابن أبى يَزَن المكىّ . ونسبه عمرو بن بانةَ إلى مَعْبَد وقال : فيه خفيفُ رمَلٍ آخر لمـالك . وذكره يونس فى أغانى ابن أبى يَزَن المكىّ ونسـبه ولم يُجنّسه . وذكر ابن خُرْداذْبه[11] والهِشامىّ أنّ فيه لهشام بن المُرِيّة لحنًا من الثقيل الأوّل ، ورأيت ذلك أيضا فى بعض الكتب بخطّ علىّ بن يحيى المنجم كما ذكرا . وذكر إسحاق أنّ الرمَل مطلق فى مجْرَى الوُسْطَى وأنّه لابن عائشة . وذكر أحمد بن المكىّ أنّه لأبيـه ، وذكر غيره

(١) معنى تهادى الحوافر الجندل : أن تقذفه هذه الى هذه أى ترمى به اليد الى الرجل والرجل الى اليد . (٢) زواهق : سابقات متقدّمات . (٣) تشبيه بحال لعبة من ألعاب العرب ؛ والقلات : جمع قلة وهى الخشبة الصغيرة التى تنصب وقدرها ذراع ، وهذه الخشبة تضرب بعود كبير يقال له : القال والمقلى . (٤) جراميز الوحش : قوائمه وجسده . (٥) الوجين : الغليظ من الأرض . (٦) كذا فى ح ، م ؛ وفى سائر النسخ وأشعار الهذليين لأبى سعيد السكرىّ طبع أوروبا « انتقال » وقد نبـه أبو سعيد السكرىّ فى شرحه هـذه الأشعار على الرواية التى اخترناها هنا وبين هذا البيت والذى قبله جملة أبيات تراجع فى الديوان . (٧) الشأو : الشوط . (٨) شقة البرق : لمح منه . (٩) الخال : السحاب المتهيئ للطر . (١٠) كذا فى ط . وفى سائر النسخ : « ويقال إنه هو الثقيل الأوّل » . (١١) أنظر ما كتبناه عليه قريبا ص ٢١٧ حاشية رقم ٢

أنّه غَلَطٌ وأنّ لحن أبيه هو الثقيل الأوّل والرمَل لابن عائشة . وقال حَبَش : فيه لابن سُرَيج هَزَج خفيفٌ بالوُسْطَى .

ومنها، — وقد مضى تفسيره فى الخبر واقتُصِر[1] على البيت الأوّل منه — :

صـــوت

إذا ما آنتشيتُ طرَحتُ اللجا * مَ فى شَــدْق مُنْجَرِدٍ سَلْهَبِ

الشعر للنّابغة الجَعْدىّ . والغِناء لابن عائشة : خفيف ثقيل بالوسطى عن الهِشامىّ وحَمّاد .

ومنها الصوت الذى أوّله :

* أنعَم الله لى بذا الوجهِ عيناً *

وقد جُمِع مع سائر ما يُغنَّى فيه من القصيدة، وهو :

أثْلَ[2] جُودِى على المتيَّم أثْلَا * لا تَزِيدى فؤادَه أثْلَ خَبْـلَا
أثْـلَ إنّى والراقصاتِ[3] بجَمْعٍ[4] * يتبارَيْـن فى الأزِمّة فُتْـلا[5]
سابحاتٍ يَقْطَعْن من عرفاتٍ * بين أيدى المَطِىّ حَزْنا وسهلا
والأكفِّ المُطهّراتِ على الرُّكْـ * ـن لِشُعْثٍ[6] سعَوْا إلى البيت رَجْلا[7]
لاأخون الصديق فى السرّ حتّى * يُنْقَلَ البحر بالغـرابيل نَقْـلا
أو تمورَ الجبالُ مَـــوْرَ سَحابٍ * مُرْتَقٍ قد وَعَى من المـاء ثِقْلا

---

(١) كذا فى ط . وفى باقى النسخ : « فاقتصر » . (٢) كذا فى نسخة ء وفيما سيأتى فى ترجمة الحارث بن خالد المخزومى ص ١١٣ ج ٣ من الأغانى طبع بولاق . وفى سائر النسخ هنا : « أيل » بالياء المثناة . (٣) أى المسرعات فى سيرها يقال : رقص البعير يرقص رقصا اذا أسرع فى سيره . (٤) يعنى بجمع المزدلفة ، وسميت المزدلفة بذلك لاجتماع الناس فيها . (٥) الفتل جمع فتلاء وهى الناقة التى فى ذراعيها فتل وهو اندماج فى مرفق الناقة . (٦) شعث : جمع أشعث وهو متلبّد الشعر مغبّره . (٧) رجلا : اسم جمع لراجل وهو خلاف الراكب .

أنعم الله لى بذا الوجهِ عينًا * وبه مرحبا وأهــلًا وسهــلَا
حين قالت لا تُفْشِيَنّ حديثى * يأبن عمّى أقسمتُ قلتُ أجلْ لا
فأتقِ الله وأقبــلى العــذر منّى * وتجافَىْ عن بعض ما كان زَلّا
إن أكن سـؤتكم به فلكِ العتْـ(١) * ـبى لَدَينا وحَــقّ ذاك وقلّا
لم أُرحِّبْ بأن سَخِطتِ ولكنْ * مرحبا أن رضيتِ عنّا وأهــلا
إنّ شخصا رأيتُــه ليلةَ البــد * ر عليــه آبتنَى الجمــالُ وحَلّا
جعــل الله كلّ أنثى فِــداءً * لكِ بل خدَّها لرجليْك نعــلا
وجهُكِ الوجهُ لو سألتِ به المز * نَ من الحسن والجمــال استهلّا

٧٢/٢

الشعر للحارث بن خالد المخزومىّ. والغناء لمَعْبد فى الأربعة الأبيات الأُوَل: خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن عمرو بن بانةَ. ولابن هو بر(٢) فى الأوّل والثانى ثقيلٌ أوّلُ عن إسحاق. ولابن سريج فى الأوّل والثانى والخامس ثقيل أوّل، وآخَرُ بالبِنْصِر أوّله آستهلال. وللغريض فى الخامس ومابعده إلى التاسع خفيفُ ثقيلٍ بالوُسْطَى. ولدَحْمان فى التاسع والثالثَ عشرَ والرابعَ عشرَ خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالبِنْصر. ولمالك فى التاسع إلى آخر الثانى عشرَ لحن من كتاب يونُس ولم يقع إلىَّ من يُجنّسه. ولابن سريج فيها بعينها رَمَل بالوُسْطَى عن الهشامىّ. وفيها أيضا للغَريض خفيفُ رمَلٍ بالبنصر. ولآبن عائشة فى السابع والثامن لحن ذكره حمّاد عن أبيه ولم يُجنّسه.

غنى الوليد بن يزيد فطرب وقبــل كل أعضائه وخلع عليه ثيــابه

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجَوْهرىّ وإسماعيل بن يونُس الشِّيعِىّ وحَبيب ابن نصر المُهَلَّبِىّ قالوا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنى محمد بن سلّام، وأخبرنى محمد بن

(١) فى ط: ما أكن سؤتكم به فلك العتـ * ـبى وحق ذاك وجــلا
(٢) كذا فى أغلب النسخ. وفى أ، م: «هو ير» بالياء المثناة، وقد وردت فى الجزء الثالث من الأغانى طبع بولاق ص ١١٤ هــذه القصيدة وعقبها الغناء فيها على النحو الذى هنا غير أنه ذكر هناك بدل ابن هو بر هذا ابن بيزن (هكذا) ولعله محرف عن ابن تيزن الذى ورد ذكره كثيرا فى كتاب الأغانى. انظر الأغانى طبع دار الكتب ج ١ ص ٢٨٣، ٤٠٨

مَزْيد بن أبى الأزهر والحسين بن يحيى قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن محمد ابن سلّام عن أبيه عن شيخ من تَنُوخ، ولم يقل عمر بن شبّة فى خبره : محمد بن سلّام عن أبيه، ورواه عن محمد عن شيخ من تَنُوخ، قال :

كنتُ صاحبَ سِتْر الوليد بن يزيد، فرأيت آبن عائشة عنده وقد غنّاه :

صــــوت

إنّى رأيتُ صَبِيحةَ النَّفْــرِ * حُورًا نَفَيْنَ عزيمةَ الصبــرِ

مثلَ الكواكب فى مطالعها * بعد العشاء أطفْنَ بالبـــدرِ

وخرجتُ أبغى الأجْرَ مُحتسبا * فرجَعتُ مَوْفورا من الوِزْرِ

— قال إسحاق فى خبره : والشعر لرجل من قريش، والغناء لمالك . هكذا فى خبر إسحاق . وما وجدتُه ذكَره لمالك فى جامع أغانيه . ووجدته فى غِناء آبن سريج خفيفَ رَمَل بالوُسْطَى عن الهِشامىّ — قال : فطرِب الوليد حتّى كفر وألحد، وقال : يا غلام، اسقِنا بالسماء الرابعة ، وكان الغِناء يعمَل فيه عملا ضلّ عنه مَن بعدَه، ثم قال : أحسنتَ والله يا أميرى ! أعِد بحقّ عبد شمس، فأعاد، ثم قال : أحسنت والله يا أميرى ! أعد بحقّ أُميّة، فأعاد، ثم قال : أعد بحق فلان، أعد بحق فلان، حتّى بلغ من الملوك نفسَه، فقال : أعد بحياتى، فأعاده . قال : فقام إليه فأكبّ عليه فلم يبق عُضْو من أعضائه إلّا قبّــله وأهوى إلى هَنِه، فجعل ابنُ عائشة يضمّ فَخِذيه عليه، فقال : والله العظيم لا تَرِيم حتّى أُقبّله ، فأبداه له فقبّل رأسه، ثم نزع ثيابه فألقاها عليه، وبقِيَ مجرّدا إلى أن أتَوْه بمثلها، ووهب له ألف دينار، وحمله على بغلة وقال : آركبها — بأبى أنت — وآنصرِف، فقد تركتَنى على مثل المِقْلَى من حرارة غِنائك، فركبها على بِساطه وانصرف .

أمر لمحتاج بمال فأبى إلا سماعه فحكى ذلك الوليد بفعله فى ندمائه

٧٣ وأخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنى محمد بن
٢ الحسن النَّخَعىّ قال حدّثنى محمد بن الحارث بن كُلَيب بن زيد الرِّبعِى قال :

خرج ابن عائشةَ المدنىّ من عند الوليد بن يزيد وقد غنّاه :

أبعدَكَ مَعْقِلًا أرجو وحِصْنًا * قد اَعْيتني المَعاقلُ والحُصونُ

— وهى أربعة أبيات، هكذا فى الخبر، ولم يَذْكُر غيرَ هذا البيت منها — قال فأطربه فأمر له بثلاثين ألفَ دِرْهم وبمثل كارةِ القَصّار[1] كُسوةً . فبينا ابنُ عائشة يسير إذ نظر إليه رجل من أهل وادى القرى كان يشتهى الغِناء ويشرب النبيذ، فدنا من غلامه وقال : مَن هذا الراكبُ؟ قال : ابن عائشة المغنى؛ فدنا منه وقال : جُعِلتُ فداءك، أنت آبن عائشةَ أمِّ المؤمنين؟ قال : لا، أنا مَوْلًى لقريش وعائشةُ أمّى وحسبُك هذا فلا عليك أن تكثر؛ قال : وما هذا الذى أراه بين يديك من المال والكُسوة؟ قال : غنّيت أميرَ المؤمنين صَوْتا فأطربته فكفَر وترك الصلاةَ وأمر لى بهذا المال وهذه الكُسوة؛ قال : جُعِلت فداءك، فهل تمُنّ علىّ بأن تُسمعنِى ما أسمعتَه إيّاه؟ فقال له : ويلك ! أمثلى يُكلَّم بمثل هذا فى الطريق! قال فما أصنع؟ قال : آلحَقْنِى بالباب . وحرّك ابنُ عائشة بغلةً شَقْراء كانت تحته لينقطع عنه؛ فعدا معه حتى وافَيَا البابَ كفرَسَىْ رِهانٍ، ودخل آبن عائشة فمكث طويلا طمعا فى أن يَضْجَر فينصرفَ، فلم يفعل؛ فلمّا أعياه قال لغلامه : أدخِلْه؛ فلما دخل قال له : ويلك ! من أين صَبَّك الله علىّ ! قال : أنا رجل من أهل وادى القُرَى أشتهى هذا الغناء؛ فقال له : هل لك فيما هو أنفعُ لك منه؟ قال : وما ذاك؟ قال : مائتا دينار وعشرةُ أثواب تنصرف بها إلى أهلك؛ فقال له : جُعِلتُ فداءَك، والله إنّ لى لبُنَيَّةً ما فى أذنها — علِم الله —

(١) كارة القصار : الثياب التى يجمعها ويحملها، وسُمّيت كارةً لأن القصّار يكور الثياب فى ثوب واحد ويحملها فيكون بعضها فوق بعض .

حَلْقة من الوَرِق فضلا عن الذهب، وإنّ لى لزوجةً ماعليها — يشهد الله — قميصٌ، ولو أعطيتَنى جميع ما أمر لك به أمير المؤمنين على هـذه الخَلّة(١) والفقر اللذَيْن عرّفتُكهما وأضعفتَ لى ذلك، لكان الصوتُ أعجبَ إلىّ — وكان ابن عائشة تائها لا يغنّى إلّا لخليفةٍ أو لذى قدر جليل من إخوانه — فتعجّب ابن عائشة منه ورحِمه، ودعا بالدّواة(٢) وكان يغنّى مُرتجِلا، فغنّاه الصوتَ، فطرِب له طربا شديدا، وجعل يُحرّك رأسَه حتى ظنّ أن عُنُقه سينقصف، ثمّ خرج من عنده ولم يَرْزَأْه شيئا، وبلغ الخبرُ الوليدَ بن يزيد فسأل ابنَ عائشة عنه، فجعل يَغيب عن الحديث. ثم جدّ الوليد به فصدّقه عنه، وأمر بطلب الرجل فطُلِب حتّى أُحضِر، ووصلَه صِلةً سنيّة، وجعله فى ندمائه ووكّله بالسَّقْى، فلم يزل معه حتّى مات.

سمع الشعبىّ غناءه فمدحه

أخبرنى الحسن بن علىّ الخفّاف قال حدّثنا أحمد بن زُهَير بن حَرْب قال حدّثنا محمد بن سَلّام قال حدّثنى عمر بن أبى خَليفة قال:

كان الشَّعْبىّ مع أبى فى أعلَى الدار، فسمعنا تحتَنا غِناء حسنا، فقال له أبى: هل ترى شيئا؟ قال: لا، فنظرنا فإذا غلام حسن الوجه حديث السنّ يَتغنّى:

قالتْ عُبَيْــد تَجَــرُّماً(٣) * فى القول فعلَ المــازح

فما سمعتُ غِناء كان أحسن منه، فإذا هو ابن عائشــة، فجعل الشَّعْبىّ يتعجّب من غِنائه ويقول: يُؤتِى الحِكْمَةَ مَن يشاء.

(١) الخلة: الحاجة والخصاصة.

(٢) كذا فى جميع النسخ، ولعلها محرفة عن الأداة: آلة من آلات الغناء، أو لعله دعا بدواة لينقر عليها فى توقيعه.

(٣) أى تجنيا يقال: تجرّم عليه أى ادّعى عليه ذنبا لم يفعله.

٧٤/٢

نســبة هــذا الصوت

صـــوت

قالتْ عُبَيْــد تَجَـبرُّماً * فى القول فعلَ المــازِح
أنجِــزْ بعَمْرك وعدَنا * فأظنّ حبَّــك فاضحِى
فأجبتُهــا لــو تعلمـ * ـنَ بمــا تُجِنّ جوانحى
فــيا أرى لَرَحِمْتِــنِى * من حَمْــل حُبٍّ فادِح
ما فى الــبرية لى هوًى * فاسمــعْ مَقــالة ناصِح
أشكو إليــه جَفــاءكم * إلّا ســلام مُصــافِحِى

زعم حَبَش أنّ الغِناء لابن عائشة خفيفُ ثقيل بالبِنْصَر.

حج ولقيه جماعة من قريش فاحتالوا عليه حتى غنىّ لهم

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّــاد عن أبيه قال حدّثنى بعض أهل المدينــة قال: حدّثنى مَن رأى ٱبنَ عائشة حاجّا وقد دعاه فِتْيةٌ من بني هاشم فأجابهم، قال: وكنت فيهم، فلمّا دخلنا جعلوا صدرَ المَجْلس لابن عائشة فجلس فتحدّثوا حتّى حضَر الطعام، فلما طعِموا دعا بشراب فشربوا، وكان ٱبن عائشة اذا سئِل أن يغنّىَ أبى ذلك وغضِب، فإذا تحــدّث القوم بحديث ومضى فيه شعرٌ قد غُنِّى فيــه ابتدأ هو فغنّاه، فكان مَن فَطِن له يفعلُ ذلك به، فقال رجلٌ منهم: حدّثني اليوم رجل من الأعراب ممّن كان يصاحب جَميلًا بحديث عجيب؛ فقال القوم: وما هو؟ فقال: حدّثنى أن جَميلًا بينما هو يُحدّثه كما كان يحدّثه إذ أنكره ورأى منه غير ما كان يرَى، فثار نافرا، مُقشعِرّ الشعر، مُتغيّر اللّون، إلى ناقة له مجتمعة قريبــة من الأرض، مُونَّقة[2] الخَلْق، فشدّ عليها رَحْلَه ثم أتاها بمِحْلَب فيه لبنٌ فشربته، ثم ثنّى فشربتْ حتّى

(١) أى شديدة قويّة. (٢) كذا فى ط، ورناقة موثقة الخلق أى محكمة قوية وفى باقى الأصول «مؤنقة» أى معجبة لمن رآها لحسن منظرها. تقول: آنقنى الشىء إيناقا أى أعجبنى.

رَوِيتُ ، ثم قال : آشدُد أداة رَحْلك وآشرب وآسقِ جملَك ، فإنى ذاهب بك إلى بعض مَذَاهبى ، ففعلتُ ، فجَالَ[(١)] فى ظَهْر ناقته وركبتُ ناقتى ، فسرْنا بياضَ يَوْمنا وسَوَادَ ليلتنا ، ثم أصبحنا فسرْنا يومَنا لا والله ما نَزَلنا إلا للصلاة ؛ فلما كان اليوم الثالث دَفَعْنا إلى نسوة فمال اليهنّ فوَجدنا الرجالَ خُلُوفا[(٢)] ، وإذا قِدْرُ لِبأٍ[(٣)] وقد جُهِدتُ جوعًا وعَطَشا ، فلما رأيتُ القِدْر اقتحمتُ[(٤)] عن بعيرى وتركتهم جانبا ، ثم أدخلت رأسى فى القِدر ما يَثْنِينى حَرُّها حتى رَوِيتُ ، فذهبتُ أُخرِجُ رأسى من القدر فضاقتْ علىّ وإذا هى على رأسى قَلَنْسُوَةٌ ، فضحِكْنَ منّى وغَسَلْنَ ما أصابنى . وأُتِى جميلٌ بقِرًى فوالله ما آلتفتَّ إليه ؛ فبينا هو يحدّثهنّ إذا رَوَاعِى الإبِل ، وقد كان السلطانُ أحلّ لهم دَمَهُ إن وجدوه فى بلادهم ، وجاء الناس فقُلْنَ[(٥)] : وَيْحَك ! أُنْجُ وتقدّمْ ، فوالله ما أكبرَهم ذلك الإكبار ، فإذا بهم يَرْمونه ويَطْردونه ، فإذا غَشَوْهُ قاتلهم ورَمَى فيهم ، وقام بى جَمَلى ، فقال لى : يَسِّرْ لنفسك مَرْكبا خَلْفى ، فأردفنى خَلْفَه ، لا والله ما آنكسر ولا آنحلّ عن فرصته[(٦)] حتى رجع إلى أهله ، وقد سار ستَّ ليالٍ وستة أيام وما آلتفتَ إلى طعام وقال فى ذلك :

إنّ المنازلَ هَيجَتْ أطرابى * وآستَعْجَمَت آياتُها بجوابى

وهى قصيدة طويلة . وقال أيضا :

وأحسنُ أيامى وأبهجُ عِيشَتِى * إذا هِيجَ بِى يَوْمًا وهُنَّ قُعُودُ ٧٥/٢

قال فقال آبن عائشة : أفلا أُغَنِّى لكم ذلك ؟ فقلنا : بلى والله ، فاندفع فغنّاه ، فما سَمِعَ السامعون شيئا أحسنَ من ذلك[(٧)] ، وبقى أصحابنا يتعجبون من الحديث

---

(١) كذا فى ا ، م ، س باالجيم المعجمة ، ولعل معناه أنه جاء وذهب على ظهر ناقته ليطمئن عليها ويستقر . وفى سائر النسخ : «فحال» بالحاء المهملة ولم يظهر له معنى . (٢) خلوفا : غائبين عن الحىّ . (٣) اللبأ : أوّل اللبن فى النتاج . (٤) أى بادرت بالنزول عنه . (٥) كذا فى حـ . وفى سائر النسخ : «فقالوا» . (٦) كذا فى جميع النسخ ولعلها : «قرفصته» . (٧) كذا فى ط . وفى سائر النسخ : «أحسن من ذلك الغناء» والجملة بعده ترجح الرواية الأولى لأن عجب القوم من الحديث والغناء .

وحُسْنه والغناء وطِيبه ؛ فقال له أصحابنا : يا أبا جعفر ، إنّا مستأذنوك ، فإن أذِنتَ لنا سألناك ، وإن كَرِهتَ تركناك ؛ فقال : سَلُوا ، فقالوا : نحبُّ أن تُغنّينا فى مجلسنا هـذا ما نَشِطْتَ هـذا الصوتَ فقط ؛ فقال لهم : نعم ونُعمةَ عَينٍ وكرامةً ، فما زلنا فى غاية السرور حتى انقضى المجلس .

نسـبة هـذا الغناء

صـوت

إنّ المنازلَ هَيَّجَتْ أطرابِى * وآستعجمتْ آياتُها بجـوابِى
قَفْـرٌ تَلُوحُ بذى اللُّجَينِ[1] كأنها * أنْضاءُ[2] وَشْمٍ[3] أو سُطُورُ كتابِ
لمّا وقفتُ بها القَلُوصَ تبادرتْ * منّى الدموعُ لفُـرقةِ الأحبـابِ
وذكرتُ عصرًا يا بُثَيْنَـةُ شَاقَنِى * إذ فاتَنِى وذكرتُ شَرْخَ[4] شـبابِى

الشعر لجميل . والغناء للهُذَلىّ ثانى ثقيل بإطلاق الوتر فى مَجْرَى البِنْصِر عن إسحاق .

أخبرنى عَمّى قال حدّثنى عبدُ الله بن أبى سَعْد قال حدّثنى أحمد بن يحيى المكىّ عن أبيه قال حدّثنى عمرو[5] بن أبى الكَنّات الحَكَمِىّ قال حدثنى يونس الكاتب قال :

---

(١) لم نقف فى معجم ياقوت ولا معجم ما استعجم للبكرىّ ولا فى لسان العرب ولا تاج العروس على أن اللجين أو ذا اللجين اسم موضع . (٢) الأنضاء : جمع نضو وأصله البعير المهزول أو المهزول من جميع الدواب و يطلق على ما بقى من الرسم لقلته وأخذه فى الذهاب ، كما أطلق على ما بقى من النبات فى قول الشاعر : * ترعى أناص من حرير الحمض *
فأناص هنا جمع أنضاء الذى هو جمع نضو . (٣) كذا فى نسخة نص عليها بهامش نسخة أ . وفى جميع النسخ : «رسم» وقد رجحنا الرواية الأولى لما هو مألوف عند العرب من هذه التشبيهات ، ومنها قول طرفة :

لخـولة أطلال ببرقة ثهمد * تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليد

(٣) شرخ الشباب : أوّله ونضارته وقوّته . (٤) كذا فى حـ ونهاية الأرب للنويرى ج ٤ ص ٣٢٦ وفيما جاء فى ترجمته من كتاب الأغانى ج ١٨ ص ١٢٦ طبع بولاق . وفى سائر الأصول هنا : « عمر » بدون واو .

كنّا يوما مُتَنَزِّهِينَ بالعَقِيق أنا وجماعةٌ من قُرَيش، فبينا نحن على حالنا إذ أقبل ابن عائشة يمشي ومعه غلام من بني لَيْث وهو مُتَوكِّئٌ على يده، فلما رأى جماعتَنا وسَمِعَنِي أُغَنِّي جاءنا فسلَّم وجلس إلينا وتحدَّث معنا، وكانت الجماعة تَعْرِف سوءَ خُلُقِه وغَضَبَه إذا سئل أن يُغَنِّيَ، فأقبلَ بعضُهم على بعض يتحدّثون بأحاديث كُثَيِّر وجميل وغيرهما من الشعراء، يَسْتَجِرُّون بذلك أن يَطْرَبَ فيُغَنِّيَ، فلم يجدوا عنده ما أرادوا، فقلتُ لهم أنا: لقد حدّثني اليومَ بعضُ الأعراب حديثًا يأكل الأحاديث، فإن شئتم حدّثتكم إياه، قالوا: هاتِ، قلتُ: حدّثني هذا الرجلُ أنه مَرَّ بناحية الرَّبَذَة[1] فإذا صِبْيانٌ يتغاطَسُون[2] في غَدِيرٍ، وإذا شابٌّ جميلٌ منهوكُ الجسم عليه أثرُ العِلّة، والنحولُ في جسمه بَيِّنٌ، وهو جالسٌ ينظر إليهم، فسلّمتُ عليه فردّ عليّ السلام وقال: من أَيْنَ وَضَحَ[3] الراكب؟ قلتُ: مِنَ الحِمَى، قال: ومتى عَهْدُكَ به؟ قلتُ: رائحا، قال: وأَيْنَ كان مَبِيتُك؟ قلتُ: ببني فلان، فقال: أَوّهْ! وألقَى بنفسه على ظهره وتَنَفَّسَ الصُّعَداءَ تَنَفُّسا قلتُ إنه قد خَرَّقَ حِجَابَ قلبه، ثم أنشأ يقول:

صــــوت

سَقَى بلدًا أمستْ سُلَيْمَى تَحُلُّهُ ❊ مِنَ المُزْنِ ما يُرْوَى به ويُسِيمُ[4]
وإن لم أكُنْ من قاطِنِيه فإنّه ❊ يَحُلُّ به شخصٌ عليّ كريمُ
ألا حَبّذا مَنْ ليس يَعْدِلُ قُرْبَهُ ❊ لَدَيَّ وإن شَطَّ المزارُ نَعيمُ
ومَنْ لامَنِي فيه حَمِيمٌ وصاحبٌ ❊ فَرُدَّ بغَيْظٍ صاحبٌ وحَمِيمُ

(١) الربذة: قرية على ثلاثة أميال من المدينة وبها قبر أبي ذرّ الغفاريّ رضي الله عنه.

(٢) في حـ: «يتغامسون» ولم نجد هذه الصيغة في كتب اللغة والموجود منه المغامسة وهي المفاعلة من غمسه في الماء اذا غطه، وقد فسر صاحب اللسان قوله وهما يتغاطسان في الماء فقال أي يتغامسان فيه.

(٣) أي من أين بدا وطلع. (٤) يقال: سامت الإبل اذا رعت وأسامها صاحبها، أي أرعاها، ولعله يريد بقوله: «ويسيم» أن يكون صالحا للإسامة بما يكون فيه من خصب وكلا.

٧٦/٢ ثم سَكَن كالمَغْشيّ عليه، فصِحْتُ بالصِّبْيَة(١)، فأتوا بماء فصَبَبْتُه على وجهه، فأفاق وأنشأ يقول :

إذا الصَّبُّ الغريبُ رأى خُشُوعى * وأنفاسى تَزَيَّنَ بالخُشُوعِ
ولى عَيْنٌ أضَرَّ بها التفاتى * إلى الأجزاع(٢) مُطلقةَ الدموعِ
إلى الخَلَوات يأنَسُ فيكِ قلبى * كما أنِسَ الغريبُ إلى الجميعِ

فقلتُ له : ألا أنزِلُ فأساعدَك، أو أكُرُّ عَوْدى على بَدْئى إلى الحىّ فى حاجة إن كانت لك حاجةٌ أو رسالة؟ فقال : جُزِيتَ خيرا وصَحِبَتْك السلامةُ! امضِ لِطِيَّتك(٣)، فلو أنى علمتُ أنك تُغْنى عنّى شيئا لكنتَ موضعًا للرغبة وحقيقا بإسعاف المسئلة ، ولكنّك أدركتنى فى صُبَابةٍ من حَيَاتى يسيرةٍ؛ فانصرفتُ وأنا لا أراه يُمسى لَيلتَه إلا ميّتا ؛ فقال القوم : ما أعجبَ هذا الحديث ! واندفع ابنُ عائشة فتغنّى فى الشعرين جميعا وطَرِبَ وشَرِبَ بقيّة يومه ، ولم يزل يُغنّينا إلى أن انصرفنا .

فأما نسبةُ هذين الصوتين فإنّ فى الأوّل منهما لحنًا من خَفيف الرَّمَل الثقيل المطلَق فى مَجرى الوُسْطى، نَسَبه يحيى المكّىّ إلى مَعْبَد، وذكر الهِشامىّ أنه منحول. وفى هذا الخبر : أنّ ابنَ عائشةَ غنّاه، وهو يُغنّى فى البيتِ الأوّل والثانى من الأبيات. وفيه للضَّيْزَنِىّ(٤) الملقب بنُبَيكة لحنٌ جيّد من الثقيل الأوّل(٥). وكان نُبَيكة هذا من حُذّاق المغنّين وكبارهم ، وقد خَدَم المُعتَمد ثم شَخَص إلى مصر فخدم خُمارَوَيْه بن أحمد ، ثم قَدِمَ بغدادَ فى أيام المقتدر، ورأيناه وشاهدناه ، وكانت فى يده صُبابةٌ قويّةٌ من إفضال ابن طُولُون واستغنَى بها حتى مات، وله صنعةٌ جيّدةٌ قد ذكرتُ ما وقع

(١) فى ط : «بالأصيبية» بالتصغير . (٢) فى ب ، س ، ى ، ط : «الأجراع» بالراء بعد الجيم . (٣) أى لوجهتك ؛ يقال : مضى لطيته ، أى لوجهه الذى يريده ولنيته التى انتواها . (٤) كذا فى أغلب الأصول ؛ وفى ط : «النصيرى» . (٥) كذا فى ح . وفى سائر النسخ : «ثقيل الأوّل» .

إلىّ منها فى المجرّد[1] . وذكرتُ ممّا وقع إلىّ له فى هذا الكتاب لحناً جيّدًا فى شعر سَعْد ذَلْفَاء[2]، وهو :

* ولمّا وَقَفْنَا دُونَ سَرْحَةِ مَالِكٍ *

فى موضعه من أخباره[3] .

وأمّا الشعرُ الثانى الذى ذكرتُ فى هذا الخبر الماضى : أنّ ٱبنَ عائشة غنّاه فما رأيتُ له نِسْبةً فى كتاب ولا سمعتُ فيه صنعةً من أحد، ولعله ممّا ٱنطوَى عنّى أو لم يَشْتهِر فسقط عن الناس .

فتى من قصر ذى خشب ورأى نسوة يمشين فاتجه نحوهن فسقط فمات

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه، وأخبرنى به الحسن بن علىّ عن هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات عن حمّاد عن أبيه عن يعقوب ابن طَلْحة اللَّيْثىّ عن بعض مشايخه من أهل المدينة قال :

أقبلَ ابنُ عائشة من الشام حتى نَزَل قَصْرَ ذى خُشُبٍ[4] ومعه مالٌ وطيبٌ وكُسًا[5] فشَرِبَ فيه، ثم تَطَرَّقوا[6] إلى ظَهْر القَصْر فصَعِدُوا، ثم نَظَر فإذا بِنِسْوَةٍ يَتَمَشَّيْنَ فى ناحية الوادى، فقال لأصحابه : هل لكم فيهنّ ؟ قالوا : وكيف لنا بهنّ ؟ فنهض فلَبِس مُلَاءة[7] مَدْلوكة، ثم قام على شُرْفةٍ[8] من شُرُفات القَصْر فتغنّى :

(١) اسم كتاب لأبى الفرج الأصبهانى (انظر الكلام على مؤلفاته فى التصدير الذى كتبناه فى الجزء الأوّل من الأغانى طبعة دار الكتب) . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر النسخ : «فى شعر ذلفاء» بدون كلمة سعد . (٣) لم نعثر فى كتاب الأغانى على بحث خاص لنبيكة الضيزنىّ أو لسعد ذلفاء . (٤) ذو خشب : واد على مسيرة ليلة من المدينة فى طريق الشأم . (٥) كسا بالضم : جمع كسوة . (٦) تطرقوا : ابتغوا اليه طريقا . (٧) الملاءة : الملحفة، ومداوكة : مصقولة رقيقة . (٨) كذا فى حـ والشرفة : ما يبنى على الحائط منفصلا بعضه عن بعض على هيئة معروفة . وفى سائر النسخ « شرافة » بالألف . وهو تحريف .

وقـد قالتْ لأترابٍ * لهـا زُهْرٍ تـلاقَيْنَا
تَعالَيْنَ فقـد طابَ * لنـا العَيْشُ تَعالَيْنَا

فأقبلنَ إليه فطَرِبَ وآسـتدارَ حتى سَقَطَ من السطح ؛ وهذا الخبرُ يُذكَر على شرحه فى خبر وفاته .

كان يغنى بشعر الحطيئة ويقول أنا عاشق له

أخبرنى الحسـين بن يحيى قال قال حَمّاد : قرأتُ على أبى عن محمد بن سـلّام عن جَرِير أبى الحُصَين قال :

كان آبنُ عائشةَ إذا غَنّى فى[1] صَوْتٍ له من شعر الحطيئة وهو :

* عَفَا من سُلَيْمَى مُسْحُلَانُ فحَامِرُهْ *

٧٧/٢ نظر إلى أعطافه فى كلّ رَنّة، فسئل يوماً ـ وقد دَبّ فيه الشرابُ ـ عن ذلك، فقال: أنا عاشقٌ لهذا الصوت، وعاشقٌ لحديثه، وعاشقٌ لغريبه، وعاشقٌ لقول الحطيئة ، إنّ الغناءَ رُقْيةٌ من رُقَى النَّيْـك ، ويُعجبنى فهمُ الحطيئـة بالغِناء وليس هو من أهله ولا بصاحب غِناء، وكيفَ لا أُعجَبُ به ومَحَلُّه منّى هذا المحلّ ! وكان لا يسأله أحدٌ إيّاه إلّا غَنّاه ، فمن فَطِنَ له أكثرَ سؤالَه إيّاه . وكان جرير يقول : إنه أحسنُ صوتٍ له وأرقّه وأجوده .

وفاة آبن عائشـة

توفى فى خلافة الوليد بن يزيد

وتُوُفِّىَ آبنُ عائشـة فيما قيل فى أيّام هِشّام بن عبد الملك، وقيل فى أيّام الوليد . وما أظنّ الصحيح إلّا أنه تُوُفِّىَ فى أيام الوليد، لأنه أقدمه إليه . وذكر مَن زَعَم أنّه تُوُفِّىَ فى خلافة هشام : أنّه إنّما وَفَد على الوليد وهو ولىّ عهد .

قيل إن الغمر بن يزيد أمره بالغناء فأبى فأمر برميه من السطح فمات

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حَمّاد عن أبيه قال :

ذكر عِمْرانُ بن هند: أنّ الغَمْر بن يزيد خرج إلى الشأم، فلما نَزَل قَصْرَ ذى خُشُب شرب على سَطْحه، فغنى آبنُ عائشة صوتا طَرِبَ له الغَمْر، فقال: ارْدُدْه، فأبى، وكان

(١) كذا فى ط . وفى باقى الأصول : « من » .

لا يُرَدِّدُ[1] صوتا لسوء خُلُقه، فأمَر به، فطُرِحَ من أعلَى السَّطح فمات. ويقال: بل قامَ من الليل وهو سَكْران لِيَبُول فسَقَط من السطح فمات.

حكايات أخرى في سبب وفاته

قال إسحاق فحدّثنى المدائنىّ قال حدّثنى بعض أهل المدينة قال: أقبل ابن عائشة من عند الوليد بن يزيد وقد أجازَه وأحسنَ إليه فجاء بما لم يأت به أحدٌ من عنده، فلمّا قَرُب من المدينة نزل بذى خُشُب على أربعة فراسخ من المدينة، وكان واليَها إبراهيمُ بن هشام بن إسماعيل المخزومىّ، ولّاه هشامٌ وهو خاله، وكان فى قصر هناك، فقيل له: أصلحَ الله الأمير، هذا ابنُ عائشة قد أقبل من عند الوليد بن يزيد، فلو سألته أن يقيم عندنا اليومَ فيُطْرِبَنا وينْصرِفَ من غَدٍ! فدعا به فسأله المُقَامَ عنده فأجابهُ إلى ذلك، فلمّا أخذوا فى شُرْبهم أخرجَ المخزومىّ جواريَه، فنظر إلى ابن عائشةَ وهو يَغْمِز جاريةً منهنّ، فقال لخادمه: إذا خرج ابنُ عائشة يريد حاجته فأرْمِ به، وكانوا يشربون فوقَ سَطْحٍ ليس له إفريزٌ ولا شُرُفات، وهو يُشْرِف على بُستان، فلمّا قام ليبول رَمَى به الخادمُ من فوق السطح فمات، فقبرُهُ معروف هناك.

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه وأخبرنى به الحسن بن علىّ عن هارون بن محمد بن عبد الملك عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن يعقوب بن طَلْحة الليثىّ عن بعض مشايخه من أهل المدينة قال:

أقبل ابن عائشة من الشأم حتى نزل بقصر ذى خُشُب ومعه مال وطيبٌ وكُسًا، فشرب فيه، ثم تطَرَّقُوا[2] إلى ظهر القَصْر فصعدوا، ثم نظر فإذا بِنِسْوة يتمشَّيْنَ فى ناحية

---

(١) كذا فى أغلب النسخ وهو المناسب لقوله: «اردده». وفى ب، س، حـ «يردّد» وهو من الترديد الذى هو كثرة الردّ. (٢) فى أ، ء: «تطرفوا» بالفاء، ولعله محرف عن تطارقوا أى ابتغوا اليه طريقا. وقد مر فى صحيفة ٢٣٤ شرح ٦ وفى سائر النسخ: «نظروا» ولعله محرف كذلك عنه.

الوادى، فقال لأصحابه : هل لكم فيهن؟ قالوا : وكيف لنا بهنّ ؟ فنهَض فلبِس مُلاءة مدلوكةً، ثم قام على شُرْفة من شُرَف القصر فتغنّى فى شعر ٱبن أُذَينة :

وقد قالت لأَتْرابٍ * لهـا زُهْرٍ تلاقَيْنَا
تعالَيْنَ فقد طاب * لنـا العيشُ تعالَيْنَا

فأقبلن إليـه، وطرِب فاستدار فسقط فمـات . قال : وقال قوم : بل قَدِم المدينةَ فمـات بها .

بكى عليه أشعب فأضحك الناس

قال : ولمـا مات قال أَشْعَبُ : قد قلتُ لكم، ولكنّه لا يُغْنِى حَذَرٌ من قَدَر : زوِّجوا ٱبنَ عائشة رُبَيحة الشَّمَّاسِيّة تخرُج لكم بينهما مزاميرُ داود فلم تفعلوا ، وجعل يَبْكِى والناس يضحكون منه .

٧٨/٢

نسبة هذا الصوت الذى غناه ٱبن عائشة

صـــوت (١)

سُلَيْمَى أَزْمعتْ بَيْنَـا * فأيـن تقولُهـا (٢) أَيْنَـا
وقـد قالتْ لأترابٍ * لهـا زُهْرٍ تلاقَيْنَـا
تعـالَيْنَ فقـد طاب * لنـا العيشُ تعالَيْنَـا
وغاب البَـرِم (٣) الليـلـ * ـة والعينُ فلا عَيْنَـا
فأقبلْنَ إليهـا مسـ * ـرِعاتٍ يتهـادَيْنَـا
إلى مثـلِ مَهَـاةِ الرمـ * ـلِ تكسُو المجلسَ الزَّيْنَا
إلى خَـوْدٍ منعَّمـةٍ * حَفَفْنَ بهـا وفدَّيْنَـا
تمنَّـيْنَ مُنَـاهن * فكُنَّا ما تمنَّيْنَـا

(١) وردت هذه الكلمة فى أ ، م . (٢) كذا فى ط . وتقول هنا بمعنى تظن . وفى باقى الأصول : «فأين بقولها» بالباء . (٣) البرم : الثقيل .

الشعر لعُرْوة بن أُذَينة . والغناء لابن عائشةَ لحنانِ أحدهما رَمَلٌ مطلَقٌ فى مَجْرَى الوسطى عن إسحاق، والآخرُ ثانى ثقيلٍ بالوسطى عن حَبَش .

كان مالك بن أنس يكره الغناء

أخبرنى الحَسين بن يحيى ومحمد بن مَزْيد قالا حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه قال :

سمعتُ إبراهيمَ بن سَعْد يحلف للرشيد وقد سأله عمّن بالمدينة يكره الغناءَ ، فقال : من قنّعه الله بخِزْيه[1] مالكُ بن أنس، ثم حلف له إنه سمع مالكا يُغنّى :

سُلَيمى أزمعتْ بينَا * فأين تقولها أينا

فى عُرْسِ رجلٍ من أهل المدينة يكنى أبا حَنْظَلَة .

مرّ ابن عائشة بابن أذينة وطلب اليه أن يقول له شعرا يغنيه

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونس قالا حدّثنا عمر بن شَبّةَ قال حدّثنى أبو غَسّان محمد بن يحيى عن بعض أصحابه قال :

مَرّ ابن عائشة بابن أُذَينةَ فقال له : قل أبياتًا هَزَجًا أُغَنِ فيها ؛ فقال له : اجلسْ فجلس؛ فقال :

* سليمى أزمعت بينا *

الأبيات . قال أبو غَسّان : فحُدِّثْتُ أنّ ابن عائشة رواها، ثم ضحك لما سمع قوله :

تمنّيْنَ مُنَاهنّ * فكنّا ما تمنّينا

ثم قال له : يا أبا عامر، تمنّيْنَك لمّا أقبل بَخَرُك، وأدبر ذَفَرُك[2]، وذبُل ذَكَرُك! فجعل يشتمه . هذا لفظ إسمعيل بن يونس .

(١) قنعه : غطاه، ومنه الحديث «أتاه رجل مقنع بالحديد» أى مغطى بالسلاح .

(٢) الذفر : خبث الريح . قال ابن الأعرابى : الذفر : النتن ولا يقال فى شىء من الطيب ذفر إلا المسك. وخص اللحيانىّ به رائحة الإبطين المنتنين . وقيل : ان الذفر يقع على الطيب والكريه ، ويفرق بينهما بما يضاف اليه ويوصف به . والمراد هنا الرائحة الطيبة .

أخبرني الجَوهريّ وإسماعيل بن يونس قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني أبو غسّان قال فحدّثني حمّاد الخَشّي(١) قال :

ذُكِر ٱبنُ أُذَينة عند عمر بن عبدالعزيز، فقال : نِعْم الرجلُ أبو عامر، على [أنه](٢) الذي يقول :

وقـد قالت لأتراب * لهـا زُهْرٍ تلاقَيْنـا

غنى الوليد بن يزيد بمكة فطرب وأجازه

أخبرني محمد بن مَزْيَد والحُسَين بن يحيى قالا(٣) حدّثنا حمّاد عن أبيه عن المدائنيّ عن إسحاق بن أيُّوبَ القُرَشيّ قال :

كان هشام بن عبد الملك مُكرِما للوليد بن يزيد، وكان عبد الصمد بن عبد الأعلى مؤدِّبا للوليد، وكان، فيما يقال، زِنديقا، فحمل الوليـدَ على الشراب والاستخفاف بدينـه، فاتّخذ نُدَماءَ وشرب وتهتّك، فأراد هشام قطعَهم عنه، فولّاه المَوْسِمَ في سنة عشرٍ ومائة، فرأى الناسُ منـه تهاونًا واستخفافا بدينه، وأمَر مولاه عيسى فصـلّى بالناس، وبعث إلى المغنّين فغنّوه وفيهم ٱبن عائشة فغناه :

* سُلَيمى أجمعتْ(٤) بيْنـا *

فنعر(٥) الوليدُ نَعْرةً أَذِن(٦) لها أهلُ مكة . وأمر لٱبن عائشة بألف دينار، وخلَع عليه عدّة خِلَع، وحمله(٧) . فخرج ابن عائشة من عنده بأمرٍ أنكره الناسُ، وأمر للمغنّين بدون ذلك، فتكلم أهلُ الحجاز وقالوا : أهذا وليّ عهدِ المسلمين! وبلغ ذلك هشامًا فطمع في خَلْعه، وأراده على ذلك فأبى ؛ وتنكّر هشام للوليـد، وتمادى(٨) الوليـد في الشرب

٧٩ / ٢

(١) في حـ : «الحسني» . (٢) هذه الكلمة ساقطة من سائر النسخ إلا نسخة حـ . وذكرها ضروريّ في الكلام . (٣) كذا في حـ ، أ . وهو الصواب . وفي سائر النسخ «قال» بغير ألف التثنية . (٤) الرواية في كل ما تقدّم «أزمعت» . (٥) نعر : صاح وصوّت بخيشومه . (٦) أذن أي استمع . (٧) حمله : أعطى له ما يركبه . (٨) كذا في حـ . وفي سائر النسخ : «فتمادى» بالفاء .

واللذات فأفرط، وتعبث(١) هشام بالوليد وخاصته ومواليه، فنزل بالأزرق بين أرض بَلْقَين(٢) وفزارة على ماء يقال له الأغدق(٣)، حتى مات هشام . [انقضت أخباره](٤) .

غناؤه فى صوت من المائة الصوت المختارة

ومما فى المائة الصوت المختارة من أغانى آبن عائشة

صـــوت

من رواية علىّ بن يحيى :

حَنَّتْ الى بَرْقٍ فقلتُ لها قِرِى * بعضَ الحَنِين فإن شَجْوَك شائِقِى
بأبى الوليــدُ وأمِّ نفسى كلّمـا * بدت النجومُ وذَرّ قَرْنُ الشارِقِ
أثْوَى فأكرمَ فى الثَّواء وقُضِّيتْ * حاجاتُنـا من عند أرْوعَ باسقِ
لا تَبْعَـدَنّ إداوةٌ مطروحةٌ * كانت حَدِيثًا(٥) للشَّراب العاتقِ

(١) كذا فى ب ، ى ، حـ ولم نجـد فى كتب اللغـة التى بين أيدينا « تعبث » . وعبارة الطبرى فى حوادث سنة ١٢٥ : «وكان هشام يعيب الوليد وينتقصه وكثر عبثه به و بأصحابه وتقصيره به» وفى سـ ، م ، أ : « بعث » والمعروف أن الوليـد ومن معـه خرجوا من تلقاء أنفسهم ونزلوا بالأزرق، فالظاهر أنها محرفة عن «عبث» . (٢) كذا ضبط فى ط . ولم نوفق الى مصدر آخر نعتمد عليه فى ضبطه . (٣) كذا فى أغلب النسخ . وفى م : «الأعلاق» . وفى حـ : «الأعذب» ، وفى ط : «الأغدف» ولم نعثر على أحد هذه الأسماء اسما لموضع خاص غير أن الأعلاق أورده البكرىّ فى معجم ما استعجم فى صفحة ٦٢٢ فى شعر يدل على أنه جبل فى نواحى المدينة وهو :

أُحب الضُّلَضُلَيْن فبطنَ خاخٍ * الى بطن البَلاط الى البَقِيع
الى قـبر النبىّ بجانبيـه * الى العنقاء قـبر بنى مطيع
الى وادى صَلاَصِلَ فالمصلَّى * الى أكناف أعلاق ذى منيع
منـازل غبطة وديار أمن * تكف عن المفاقر والقنوع

(٤) زيادة فى أ ، م .

(٥) كذا فى أغلب النسخ . يريد أنها كانت الى عهد قريب معدّة للشراب . وفى أ ، م « خدينا » أى مصاحبة . وفى حـ : « قديما » .

ويروى : بالشراب العاتق . عروضه من الكامل . حنّت ، يعنى ناقتـه . وهذا البيت يتبع بيتًا قبله وهو :

فإلى الوليد اليوم حنّتْ ناقتى (١) * تَهْوِى بمُغْبَرِّ المُتُون سَمَالِقِ (٢)

وبعده «حنت إلى برق...» . وقوله : «قِرِى» من الوَقَار، كأنها لما حنّت أسرعت ونازعت إلى الوطن أو المقصد، فقال يخاطبها : قِرِى . وذَرَّ قرنُ الشارق : طلع قرن الشمس ؛ يريد : بأبى الوليدُ وأمى فى كل ليل ونهار أبدا . وأَثْوَى : أنزَل . والثَّوَاء : الإقامة؛ قال الأعشى :

لقد كان فى حول ثَوَاء ثويته * تُقَضَّى لُبانَاتٌ و يَسأم سائمُ

والباسق : الطويل؛ قال الله عز وجل : (وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ) أى طِوالًا (٣) . ويروى :

* لا تَبْعَدَنّ إداوةٌ مطروحةٌ (٤) *

الشعر لعبد الرحمن بن أَرْطاةَ المُحَارِبىّ . والغناء لابن عائشة . ولحنه المختار ثقيل أوّل بإطلاق الوتر فى مجرى البِنْصَر عن إسحاق . وفيـه للهُذَلِىّ لحنٌ آخر من الثقيل الأوّل عن الهِشَامىّ وابن المكىّ . فأوّلُ لحنِ الهذلىّ استهلالٌ فى :

* حنت إلى برق فقلت لها قِرِى *

وأوّل لحن ابن عائشة :

بأبى الوليـدُ وأمِّ نفسى كلّمـا * بدت النجومُ وذَرّ قرنُ الشارقِ

(١) كذا فى اللسان فى مادة «سملق» . وفى جميع الأصول : «اليه» . (٢) السمالق : جمع سَمْلق وهى الأرض المستوية الجرداء التى لا شجر بها . وانما وصف مغبر المتون وهو مفرد بالسمالق وهو جمع لانه أراد مغبرات المتون فوضع الواحد موضع الجمع ووصفه بالجمع ، ويجوز أن يكون أراد سملقا فجعله سمالق كأن كل جزء منه سملق . (انظر اللسان مادة سملق) . (٣) فى جميع الأصول : «طوال» بغير ألف بعد اللام . (٤) لم يتبين وجه الاختلاف بين هذه الرواية والتى قبلها لأن رسم الكتابة فيهما واحد . ولعل اختلاف الروايتين بكسر الدال فى قوله «تبعدن» ونصب قوله «اداوة مطروحة» كما جاء مضبوطا فى الرواية الأولى فى نسخة ط وبفتح الدال فى قوله «تبعدن» ورفع «اداوة مطروحة» كما ضبط فى هذه الرواية فى نسخة ط أيضا ، ومن المحتمل أن يكون اختلاف الروايتين فى قوله «لا تبعدن» ببنائه للفاعل فى احداهما وبنائه للمفعول فى الأخرى .

أخبار ابن أرطاة ونسبه

نسبه

هو عبدُ الرحمن بنُ أَرْطاة، وقيل: عبد الرحمن بنُ سَيْحانَ بنِ أرطاة بنِ سَيْحَان ابنِ عمرو بنِ نُجَيد بنِ سَعْد(١) بنِ لَاحِب بن رَبِيعة بن شُكْم(٢) بن عبد الله بن عَوْف بن زيد ابن بكر بن عُمَير بن على بن جَسْر بن مُحَارب بن خَصَفَة بن قَيْس بن عَيْلان بن مُضَر ابن نِزَار. وأمّ جَسْر بن مُحَارِب كأس بنت لُكَيز بن أَفْصَى بن عبد القيس، وأم علىّ ابن جسر مَاوِيَّة بنت علىّ بن بكر بن وائل، هذه رواية أبى عمرو الشيبانىّ أخبرنى بها عمّى والصُّولىّ عن الحَزَنْبَل عن عمرو بن أبى عمرو عن أبيه، قال: وشُكْم بن عبد الله أوّل مُحَارِبِىّ سادَ قومَه وأَبَذَّهم(٣) رأسا بنفسه، وكانوا جيرانا فى هَوَازِنَ؛ وآلُ سَيْحان حلفاءُ حَرْب بنِ أميّة بنِ عبدِ شمس بن عبدِ مناف، وبمنزلة بعضهم عندهم خاصّة ٨٠/٢ وعندَ سائر بنى أميّة عامّة.

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عُمَر بن شَبّة قال حدّثنا محمد بن يحيى عن عبد العزيز بن عِمْران قال:

بنو سَيْحان من بنى جَسْر بن مُحَارب، وبنو عبد مناف تُقَوِّى حِلْفَهم، وهم عندى أعِزّاؤهم وليسوا بأحلافهم.

أخبرنى أحمد بن عبيد الله بن عمّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قالا حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنا محمد بن يحيى أبو غَسّان قال:

---

(١) فى حـ: «سعيد». (٢) كذا ضبطت هذه الكلمة فى ط. ولم نجد فى مصدر آخر ما يؤيده أو ينفيه. (٣) كذا فى حـ، أ. وفى ب، س: «وأفذهم» وفى ء، ط: «وأفردهم».

لمّا قتل هشامُ بن الوليد أبا أُزَيْهِر، بعثتْ قُرَيش أَرْطاةَ بن سُهَيَّة حَليفَ حَرْب بن أميّة الى الشَّراة[1] يُحَذِّر مَنْ بها من تُجّار قُرَيش، وخرج حاجزٌ الأَزْدِىّ ليُخبِر قَوْمَه، فسبقَه أرطاةُ، وقال فى ذلك وقد حذّرهم فنَجَوْا :

مثلُ الحليف يشُدُّ عُرْوته * يَثْنِي العِنَاجَ[2] لها مع الكَرَب[3]
زَلَمٌ[4] إذا يَسَرُوا[5] به يُسُرٌ * ومناضلٌ يَحْمِى عن الحَسَبِ
هل تَشكُرَنْ فِهْرٌ وتاجِرُها * دَأْبَ السُّرَى بالليل والخَبَبِ
حتى جَلَوْتُ لهم يَقِينَهُمُ * ببيان لا أَلْسٍ[6] ولا كَذِبِ

شاعر مقل اسلامى ليس من الفحول وكان حليفا لبنى أمية ومدحهم

وكان عبد الرحمن شاعرًا مُقِلًّا إسلاميًّا ليس من الفحول المشهورين ولكنّه كان يقول فى الشراب والغَزَل والفَخْر ومدح أحلافه من بنى أميّة، وهو أحدُ المعاقِرين للشراب والمحدودين فيه، وكان مع بنى أميّة كواحدٍ منهم إلا أنّ اختصاصَه

(١) الشراة : صقع بالشأم بين دمشق والمدينة المنورة .

(٢) قال فى اللسان : العناج : خيط أو سير يشدّ فى أسفل الدلو ثم يشد فى عروتها أو فى عرقوتها، (وعرقوتا الدلو : خشبتان تعرضان عليها كالصليب) . وقيل العناج : عروة فى أسفل الغرب من باطن تشدّ بوثاق الى أعلى الكرب فاذا انقطع الحبل أمسك العناج الدلو أن يقع فى البئر، وكل ذلك اذا كانت الدلو خفيفة واذا كان فى دلو ثقيلة حبل أو بطان يشدّ تحتها ثم يشدّ الى العراقى فيكون عونا للوذم فاذا انقطعت الأوذام أمسكها العناج . قال الحطيئة يمدح قوما عقدوا لجارهم عهدا فوفوا به ولم يخفروه :

قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم * شدّوا العناج وشدّوا فوقه الكربا

(٣) الكرب : الحبل الذى يشدّ على الدلو بعد المنين وهو الحبل الأوّل فاذا انقطع المنين بقى الكرب. وقال ابن سيدة : الكرب الحبل يشدّ على عراقى الدلو ثم يثنى ثم يثلث .

(٤) الزلم (بالتحريك، وبضم ففتح) : أصله القدح الذى لا ريش فيه، ويقال على القدح يستقسم به فى الجاهلية، ويشبه به الرجل القصير الخفيف الظريف والغلام الشديد الخفيف، ومنه : * بات يقاسيها غلام كالزلم *

(٥) يسروا : لعبوا الميسر .

(٦) كذا فى أغلب الأصول، والألس : الخيانة والكذب. وفى نسخة أ : « لا لبس » .

بآل أبى سُفيان وآل عثمان خاصّة كان أكثر، وخُصوصُه بالوليد بن عثمان ومؤانسته إيّاه أزيدُ من خصوصه بسائرهم، لأنهما كانا يتنادمان على الشّراب .

وهذه الأبيات التى فيها الغناء يقولها فى الوليد بن عثمان، وقيل : بل فى الوليد ابن عُتْبة . وخبرُه فى ذلك يُذكر بعد هذا .

أصابه خمار فداواه منه الوليد بن عثمان

أخبرنا محمد بن العباس اليَزِيدىّ قال قال عُتْبَة(١) بن المِنْهال المُهَلَّبىّ حدّثنى غيرُ واحد من أهل الحجاز قالوا :

كان ابن سَيْحان حَليفا لقريش ينزل بالمدينة ، وكان نديما للوليد ابن عثمان ، فأصابه ذات يوم خُمَارٌ(٢) ، فذهب لسانُه وسكنتْ أطرافُه وصرخ أهلُه عليه، فأقبل الوليد إليه فزِعًا، فلما رآه قال : أخى مخمور وربِّ الكعبة، ثم أمر غلاما له فأتاه بشَراب من منزله فى إداوة فأمر به فأُسخن ثم سقاه إيّاه وقيّأه، وصنع له حِساءً(٣) وجعل على رأسه دُهْنا وجعل رجليه فى ماء سُخْن ، فما لبث أن انطلق(٤) وذهبَ ما كان به . ومات الوليدُ بعدَ ذلك . فبينا ابنُ سَيْحان يومًا جالسٌ وبعضُ متاعه يُنقَلُ من بيت إلى بيت، إذ مرّت الخادم بإداوة الوليد التى كان داواهُ بما فيها من الشراب وقد يبِسَتْ وتقبّضت، فانتحب وقال :

لا تَبْعَدَنّ إداوةٌ مطروحةٌ * كانتْ حديثا للشرابِ العاتِقِ(٥)

وذكر باقىَ الأبيات .

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدثنا عمر بن شبّة قال حدثنا أحمد ابن معاوية عن الواقدىّ قال حدثنا عبد الله بن أبى عَبيدة عن أبيه قال :

(١) كذا وقع هذا الاسم هنا فى جميع الأصول، وقد تقدم قريبا باسم عتيبة أو عيينة بن المنهال .
(٢) الخمار : ما يصيب الرجل من ألم الخمر وصداعها وأذاها . (٣) الحساء : طبيخ يتخذ من دقيق وماء ودهن وقد يحلى و يكون رقيقا يحسى . (٤) أى مشى بطنه . ولم نجد فى كتب اللغة إلا استطلق بطنه وأطلقه الدواء . (٥) أنظر صفحة ٢٤٠ حاشية رقم ٥

كان الوليدُ بن عثمان بن عفّان يشرب مع الوليد بن عُتْبة بن أبى سُفيان وابن سَيْحان وكان يُخَمر(١) فأصابه من ذلك شىءٌ شديدٌ حتى خِيفَ عليه وشقَّ النساءُ عليه الجُيُوبَ، فدُعِىَ له ٱبنُ سَيْحان، فلما رآه قال: اخْرُجْنَ عنّى وعن أخى، فخَرَجْنَ، فقال له: الصَّبوحَ أبا عبد الله، فجلس مُفِيقًا، فذلك حيث يقولُ ٱبنُ سَيْحان: ٨١/٢

بأبى الوليـدُ وأُمِّ نفسى كلّما * بدَتِ النجومُ وذَرّ قَرْنُ الشارقِ
أثْوى فأكْرَمَ فى الثَّوَاءِ وقُضِّيَتْ * حاجاتُنا من عنـد أَرْوَعَ باسِقِ
كم عنده من نائلٍ وسماحةٍ * وفضائلٍ معـدودةٍ وخلائقِ
وسَمَاحةٍ لِلْمُعْتَفِين(٢) إذا ٱعْتَفَوْا * فى ماله حَقًّا وقَـوْلٍ صادقِ
لا تَبْعَـدَنّ إداوةٌ مطـروحةٌ * كانتْ حَديثًا(٣) للشرابِ العاتِقِ

كان من ندماء الوليد بن عثمان المختصين به

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال:

كان الوليدُ بنُ عثمان يُكنَى أبا الجَهْم، وكان لابن سَيْحان صديقا ونديما، وكان صاحبَ شراب، فمرِض فعادَه الوليد وقال: ما تشتهى؟ قال: شرابا، فبعث بجاءه بشراب فى إداوة. ثم ذكر باقى الخبر نحو الذى قبله.

قيل إنه خرج مع الوليد بن عثمان الى الحجاز لجنى تمره ولما عاد أعطاه إداوة شراب وذكره بها فمدحه

أخبرنى محمدُ بنُ خَلَف وَكِيعٌ قال حدّثنى حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن أيُّوب ابن عَبَاية قال:

كان الوليدُ بنُ عثمان ذا غَلَّة فى الحجاز يخرُجُ إليها فى زمان التَّمْر بنَفَرٍ من قومه، يَجْنُون له ويُعَاونونه، فكان إذا حضَر خروجُهم دفَعَ إليهم نَفَقَاتٍ لأهليهم إلى رَجْعتهم، فخرج بهم مَرّةً كما كان يَخْرُج وفيهم ٱبنُ سَيْحان، فأتى ٱبنَ سَيْحان كتابٌ من أهله يسألونه القُدُوم لحاجة لا بدّ منها، فاستأذنه فأذِنَ له، فقال له ابنُ سَيْحان:

(١) يخمر: يصاب بالخمار. (٢) جمع معتف وهو الضيف وكل طالب فضل أو رزق.
(٣) أنظر صفحة ٢٤٠ حاشية رقم ٥

زَوِّدونى من شرابكم هذا، فزَوَّدُوه إداوةً ملأُها له من شرابهم، فكان يَشْرَبها فى طريقِه حتّى قَدِمَ على أهله، فألقاها فى جانب بيته فارغةً، فمكَثَ زمانا لايذكرها، ثم كَنَسوا البيتَ فرآها مُلْقاةً فى الكُناسة فقال:

لا تَبْعَـــدَنَّ إِدواةٌ مطـــروحةٌ * كانت حَدِيثا (١) للشراب العاتِقِ
إن تُصْبِحى لاشىءَ فيكِ فرُبَّما * أُتْرِعْتِ من كأسٍ تَـلَذُّ لذائِقِ
بأبِى الوليـــدُ وأُمِّ نفسى كُلّما * بَدَتِ النجومُ وذَرَّ قَرْنُ الشارقِ
كم عنـــدَه من نائلٍ وسَمَـاحةٍ * وشمـائلٍ مَيْمُـــونةٍ وخـلائقِ
وكرامةٍ للمُعْتَفِين إذا ٱعْتَفَوْا * فى ماله حَقًّا وقَـــوْلٍ صادقِ
أَثْوَى فأَكْرَمَ فى الثَّوَاءِ وقُضِّيَتْ * حاجاتُنا من عنـدِ أَرْوَعَ باسِقِ
لمّـا أتينـاهُ أَتَيْنَـا ماجـد الـ * أخلاق سَبَّاقًا (٢) لِقَـــرْمٍ سابِقِ
قال الوليدُ يَدِى لكم رَهْنٌ بمـا * حاوَلْتُمُ من صامتٍ أو ناطِقِ
فإلى الوليـــدِ اليومَ حَنَّتْ (٣) ناقتى * تَهْـــوِى بمُغْبَرِّ المُتُونِ سَمَـالِقِ
حَنَّتْ إلى بَرْقٍ فقلتُ لها قِرِى * بَعْضَ الحَنِينِ فإنَّ شَجْوَكِ شائقِ

حدّه مروان بالخبر ومنع منه معاوية

أخبرنى عَمِّى قال حدّثنى محمد بن عبد الله التَّيْمِى الأَصْبَهانىّ المعروف بالحَزَنْبَل قال حدّثنى عمرو بن أبى عمرو الشَّيْبانى عن أبيه وأخبرنى الحسين بن يحيى المِرْدَاسِىّ (٤) قال قال حمّاد بن إسحاق: قرأتُ على أبى، قالا جميعا:

كان عبدالرحمن بنسَيْحان قد غاظ مَرْوانَ بنَالحَكَم أيّامَ كان معاويةُ يُعاقِبُ بينه وبينَسَعيد بنالعاص فىولاية الحَرَمَيْن، وأنكر عليه أشياءَ بَلَغَتْه فغاظته: من مدحه سعيدا وٱنقطاعه إليه وسروره بولايته، فرَصَدَهُ حتى وجَده خارجًا من دار الوليد بن عثمان ٨٢/٣

(١) انظر الحاشية رقم ٦ ص ٢٣٤ (٢) القرم: السيد. (٣) انظر الحاشية رقم ١ ص ٢٤١ (٤) فى ط: «المرادسى».

وهو سكران فضربه الحدّ ثمانين سوطا . وقدِم البريدُ من المدينة على معاوية فسأله عن أخبار الناس فجعل يخبره بها، حتى انتهى به الحديثُ إلى ابن سيحان فأخبره أن مروان ضربه الحدّ ثمانين ؛ فغضب معاوية وقال : واللهِ لو كان حليفَ أبي العاص لمَا ضربه ولكنّه ضرَبه لأنه حليفُ حَرْب، أليس هو الذى يقول :

وإنى امرؤٌ حلفٌ[1] إلى أفضل الوَرَى * عَديدًا[2] إذا ارْفَضَّتْ[3] عصا المُتَحلَّفِ[4]

كذب وَاللهِ مروان ، لا يَضْربه فى نبيذ أهلِ المدينة وشكّهم وحُمْقهم ؛ ثم قال لكاتبه : أُكتُب إلى مروان : فَلْيُبْطِل الحدّ عن ابن سيحان ، وليَخْطُب بذلك على المِنْبر ، وليَقُل إنه كان ضَرَبه على شُبْهة ثم بَانَ له أنه لم يَشْرَب مُسْكِرا، وليُعْطِه ألفَىْ درهم . فلما ورَد الكتابُ على مروان عَظُم ذلك عليه ، ودعا بابنه عبد الملك فقرَأه عليه وشَاورَه فيه؛ فقال له عبد الملك : راجِعْه ولا تُكَذِّب نَفْسَك، ولا تُبْطِلْ حُكْمَك ؛ فقال مروان : أنا أعلم بمعاوية إذا عزَم على شيء أو أراده، لا واللهِ لا أُراجِعُه . فلما كان يومُ الجمعة وفرَغ من الخطبة قال : وابنُ سيحان فإنا كشفنا أمْرَه فإذا هو لم يَشْرب مُسْكِرا ، وإذا نحن قد عَجَّلنا عليه ، وقد أَبْطَلتُ عنه الحدّ . ثم نزَل فأرسل إليه بألفى درهم .

رآه مروان سكران وشنع به فجلده الوليد ابن عثمان الحد

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَبَّة قال حدّثنى أحمد بن معاوية عن الواقدىّ قال حدّثنى عبد الرحمن بن أبى الزِّناد عن أبيه قال :

كان عبد الرحمن بن سيحان المُحاربىّ شاعرا ، وكان حلوَ الأحاديث ، عنده أحاديثُ حسنةٌ غريبةٌ من أخبار العرب وأيامها وأشعارها ، وكان على ذلك يُصيب من الشراب، فكان كلُّ مَن قدِم من وُلاة بنى أُمَيّة وأحداثهم ممّن يُصيب الشراب يدعوه وينادمه ، فلمّا وَلِىَ الوليدُ بن عُتْبة بن أبى سُفيان وعُزِل مَرْوان وجَد مروانُ

(١) فى ط : «حلفى» . (٢) ارفضت : انشقت وتفرقت . والعصا يراد بها الجماعة ؛ يقال : شق فلان عصا المسلمين إذا فرّق جماعتهم . (٣) فى ط : «حصى» . (٤) المتحلف : مصدر ميمى بمعنى المحالفة .

فى نفسه وكان قد سَبَعه[(١)]، فحقد ذلك عليه مَرْوان وٱضطغنه، وكان الوليد يُصيب من الشراب ويبعث إلى ابن سَيْحان فيشرب معه، وابن سيحان لا يظنّ أنّ مَرْوان يفعل به الذى فعله، وقد كان مدحه ابن سيحان ووَصَله مَرْوان، ولكنّ مَرْوان أراد فضيحة الوليد، فرصَده ليلةً فى المسجد، وكان ابن سيحان يخرج فى السَّحَر من عند الوليد ثَمِلا فيمرّ فى المقصورة من المسجد حتّى يخرجَ فى زُقاق عاصم، وكان محمد بن عمرو يبيت فى المسجد يصلّى، وكذلك عبد الله بن حَنْظَلة وغيرهما من القُرّاء يَبيتُون فى المسجد يتهجّدون، فلمّا خرج ابن سيحان ثَمِلا من دار الوليد أخذه مَرْوان وأعوانُه، ثم دعا له محمدَ بنَ عمرو وعبدَ الله بن حَنْظَلة فأشهدهما على سكره وقد سأله أن يقرأ أمّ القرآن فلم يقرأها، فدفعه إلى صاحب شُرْطَته[(٢)] فحبسه؛ فلمّا أصبح الوليد بلغه الخبر وشاع فى المدينة وعلِم أنّ مَرْوان إنّما أراد أن يفضَحه، وأنّه لو لقِىَ ابنَ سيحان ثَمِلا خارجا من عند غيره لم يَعْرِض له، فقال الوليد: لا يُبرِّئنى من هذا عند أهل المدينة إلّا ضربُ ابن سيحان، فأمر صاحبَ شُرْطَته[(٢)] فضربه الحدَّ ثم أرسله، فجلس ابن سيحان فى بيته لا يخرُج حياءً من الناس، فجاءه عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام فى ولده وكان له جليسا فقال له: ما يُجلسك فى بيتك؟ قال: الاستحياء من الناس؛ قال: اخرجْ أيها الرجل، وكان عبد الرحمن قد حَمَل له معه كُسوة، فقال له: ٱلبَسْها ورُحْ معنا الى المسجد فهذا أَحْرَى أن يكذَّب به مُكذِّب، ثم تَرْحَلُ إلى أمير المؤمنين فتخبِرُه بما صنع بك الوليد فإنّه يَصِلُك ويُبطِل هذا الحدّ عنك؛ فراح مع عبد الرحمن فى جماعة ولده متوسّطا لهم حتى دخل المسجدَ فصلّى ركعتين، ثم تساند مع عبد الرحمن إلى الأُسْطُوانة؛ فقائل يقول: لم يُضْرب، وقائل

مكث فى بيته استحياء فحمله عبد الرحمن ابن الحارث على الخروج الى المسجد

٨٣ / ٢

(١) كذا فى حـ . وسبعه: طعن عليه وعابه وشتمه ووقع فيه بالقول القبيح. وفى ب، س، ى، دل: «شعثه» ولم نجد لشعث مخففا أو مضعفا معنى يناسب المقام. وفى م: «سغنه» ولا معنى لها. (٢) فى طـ: «شرطه».

رحل الى معاوية وشفع فيه يزيد فعفا عنه وكتب بذلك الى الوليد

يقول : أنا رأيته يُضْرَب، وقائل يقول : عُزِّرَ أسواطًا . فمكث أيّاما ثم رحل إلى مُعاوية فدخل إلى يزيد فشرب معه، وكلّم يزيدُ أباه مُعاوية فى أمره فدعا به فأخبره بقصّته وما صنعه به مَرْوان، فقال : قبّح الله الوليد ما أضعفَ عقلَه ! أما استحيا من ضربك فيما شرب ! وأمّا مَرْوان فإنّى كنتُ لا أحسَبه يبلغ هذا منك مع رأيك فيــه ومودّتِك له، ولكنّه أراد أن يضَع الوليدَ عندى ولم يُصب، وقد صيرّ نفسه فى حدٍّ كنّا نُنزّهه عنه، صار شُرْطيا ! ثم قال لكاتبه : ا كتب : «بسم الله الرحمن الرحيم، من عبــد الله مُعاويةَ أميرِ المؤمنين إلى الوليد بن عُتْبة . أمّا بعد، فالعجَب لضربك ابنَ سَيْحان فيما تَشْربُ منه، ما زدتَ على أن عرّفتَ أهل المدينة ما كنتَ تَشْرَبه مما حُرّم عليك، فإذا جاءك كتابى هذا فأبطل الحدّ عن ابن سيحان، وطُف به فى حِلَق المسجد وأخبرْهم أنّ صاحب شُرَطك تعدّى عليه وظلَمه، وأنّ أميرالمؤمنين قد أبطَل ذلك عنه، أليس ابنُ سيحان الذى يقول :

وإنّى امرُؤٌ أُنْمى(1) إلى أفضل الورَى * عديدًا إذا ارْفَضّتْ عصا المُتحلِّف
إلى نَضَــدٍ(2) من عبــد شمس كأنّهم * هِضابُ أجًا(3) أركانُهــا لم تَقَصَّف
ميامينُ يَرْضَوْن الكِفَايَةَ إنْ كُفُوا * ويَكْفُونَ ما وُلّوا بغير تكلّف
غَطَارِفةٌ(4) ساسوا البــلاد فأحْسَــنوا * ســياستها حتّى أقــرّت لمُرْدِف(5)

---

(١) مر فى صحيفة ٢٤٧ سطر ٥ «حلف» بدل «أنمى» . (٢) النضد : الأعمام والأخوال المتقدّمون فى الشرف . (٣) أجا أصله أجأ بالهمز فأبدل الهمزة فقلبها حرف علة للضرورة كما فى قوله : مثل خناذيذ أجا وصخره . وأجأ أحد جبلى طيّئ، والآخر يقال له سلمى . (٤) كذا فى جميع الأصول وهو جمع غطريف، والغطريف : السيد الشريف السخىّ الكثير الخير . وفى اللسان مادة ردف، وياقوت فى الكلام على أجأ : «قلامسة» جمع قلمس وهو الســيد العظيم، ويقال للداهية من الرجال . (٥) اسم فاعل من أردف بمعنى تبع .

فمن يكُ منهم مُوسِرا يُفْشِ فضلَه * ومن يكُ منهم مُعسِرا يتعفَّف
وإنْ تُبْسَطِ النُّعْمَى لهم يَبْسُطوا بها * أكُفًّا سِباطًا[1] نفعُها غيرُ مُقرِف[2]
وإن تُزْوَ عنهم لا يَضِجُّوا وتُلْفِهِمْ * قليلِى التشكِّى عندها والتكلُّف
إذا آنصرفوا للحقّ يوماً تَصرَّفوا * إذا الجاهل الحيران لم يتصرَّف
سَمَوْا فعلَوْا فوق البرية كلِّها * ببُنْيان عالٍ من مُنيف ومُشْرِف

قال : وكتب له بأن يُعْطَى أربعَمائة شاة وثلاثين لِقْحَة مما يُوطِنُ السَّيالة[3] وأعطاه هو خمسَمائة دينار، وأعطاه يزيدُ مائتى دينار . ثم قدِم بكتاب مُعاوية إلى الوليد، فطاف به فى المسجد، وأبطل ذلك الحدّ عنه، وأعطاه ما كتب به له مُعاوية. وكتب مُعاوية إلى مَرْوان يلومه فيما فعله بآبن سَيْحان، وما أراده بذلك. ودعا الوليدُ عبدَالرحمن بن سَيْحان إلى أن يعود للشرب معه، فقال : والله لا ذقتُ معك شرابا أبدا.

ضربه مروان الحد فأبطله معاوية

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا أبو مسلم الغِفَارِىّ قال حدّثنى موسى بن عبد العزيز قال :

أُخذ ابنُ سَيْحان الجَسْرىّ — هكذا قال وهو غلط — فى شراب فى إمارة مَرْوان، وكان حليفا لأبى سُفْيان بن حَرْب، فضربه مَرْوان ثمانين سَوْطا على رءوس الناس، فكتب إلى مُعاوية يشكوه، فكتب إليه مُعاوية : أمّا بعد فإنّك أخذت حليف حَرْب فضربته ثمانين على رءوس الناس، والله لتُبْطِلَنّها عنه،

٨٤/٢

(١) سباطا جمع سبط وهو السمح، يقال : فلان سبط الكفين أى سمحهما قال حسان :
رب خال لى لو أبصرته * سبط الكفين فى اليوم الخصر
(٢) غير مقرف أى غير مشوب بما يشينه . (٣) السيالة : أرض يطؤها طريق الحاج، قيل هى أوّل مرحلة لأهل المدينة اذا أرادوا مكة . قال ابن الكلبى : مرّ تبع بها بعد رجوعه من قتال أهل المدينة ووادبها يسيل فسماها «السيالة» . انظر معجم البلدان لياقوت فى اسم السيالة .

أو لأُقِيدَنّه منك؛ فقال مَرْوان لابنه عبد الملك : ما تَرَى ؟ قال : أرى والله ألّا تفعل؛ قال : وَيْحَك! أنا أعلم بعَزَمات مُعاوية منك ، فصعِد المنبرَ فحمِد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيّها الناس، إنا كنّا ضربنا ابنَ سَيْحان بشهادة رجل من الحَرَس ووجدناه غير عدلٍ ولا رِضًا ، فاشهدوا أنى قد أبطلتُ ذلك الحَدّ عنه .

أخبرنى أحمد قال حدّثنا عمر قال حدّثنى محمد بن يحيى قال حدّثنى عبد العزيز ابن عِمْران قال :

ضَرب مَرْوانُ عبدَالرحمن بنَ سَيْحان فى الخمر ثمانين سَوْطا، فكتب إليه مُعاوية: أمّا بعد، فإنّك ضربتَ عبد الرحمن فى نبيذ أهل الشأم الذى يَستعمِلونه وليس بحرام، وإنّما ضربتَه حيث كان حِلفُه إلى أبى سُفيان بن حَرْب ، وآيْمُ الله لو كان حليفا للحَكَم ما ضربتَه، فأبطِلْ عنه الحدّ قبل أن أضرب مَن أُخِذَ معه: أخاك عبدَ الرحمن ابنَ الحَكَم؛ فأبطل مَرْوانُ عنه الحدّ؛ فقال ابنُ سَيْحان فى ذلك يذكر حِلْفه :

إنّى امرؤ عَقْدى[1] إلى أفضل الورَى * عَديدا إذا ارفَضّتْ عصا المُتحلِّف

وقال الطُّوسىّ: كان عبد الرحمن بنُ الحَكَم أخو مَرْوان يشرَب مع ابن سَيْحان، فلمّا ضرَبه مَرْوانُ الحدّ كتب اليه مُعاوية : والله لتُبْطِلنّه عنه أو لأبعثنّ إلى أخيك مَن يضرِب ظهرَه بالسَّوْط فى السُّوق، أليس ابن سَيْحان الذى يقول :

سَمَوْتُ بحِلْفى للطِّوال مِن الرُّبَى * ولم تَلْقَنى قِنًّا لدَى مَبْرَك الجُرْب
إذا ما حَليف الذّل أَقْمَأ[2] شخصَه * ودَبّ كما دبّ الحَسير[3] على نَقْب[4]

(١) أنظر الحاشية رقم ١ صفحة ٢٤٩ (٢) أقمأ : صغر وذلل . (٣) الحسير : المعيي .
(٤) النقب : رقة الأخفاف وهو من باب فرح يقال : نقب خف البعير نقبا اذا حفى حتى يتخرق فرسنه ، وتسكين القاف هنا لضرورة الوزن .

إذا أنا رانَى لى خِنَاقى بَنُــو حَرْبِ * وهَضْتُ(١) الحَصَى لا أُخْنَسُ(٢) الأنفَ قابِعًا(٣)

كان مع سعيد بن عثمان حين قتله وهرب عنه ثم رثاه

أخبرنى الحَرَمِىّ بن أبى العَلاء وأحمد بن سُليمان الطُّوسِىّ قالا حدّثنا الزُّبَيْر بن بَكّار قال حدّثنى عمّى مُصْعَب وغيره قالوا :

قدِم سعيد بن عثمانَ المدينــةَ فقتله غِلْمــانٌ جاء بهم من الصُّغْد(٤)، وكان معــه عبد الرحمن بن أَرْطاةَ بن سَيْحان حَلِيفُ بنى حرب بن أمية، فهرَب عنه لمــا قتلوه، فقال خالد بن عُقْبة بن أبى مُعَيط يرثِى سعيدَ بن عثمان — وعثمانُ أخوه لأمه — :

يا عينُ جُودِى بدمع منكِ تَهْتانَا * وآبكِى سعيدَ بنَ عثمانَ بنِ عَفّانَا
إنّ آبنَ زِينَــةَ لم تصدُق مودّتُه(٥) * وفرّ عنه آبنُ أرطــاةَ بنِ سَيْحانَا(٦)

فقال آبن سَيْحانَ يعتذر من ذلك :

يقول رجالٌ قد دعاك فلم تُجِبْ * وذلك من تِلْقــاء مثلِك(٧) رائعُ
فإن كان نادَى دعــوةً فسمعتُها * فشَلَّتْ يدى وآستَكَّ(٨) منّى المسامعُ
وإلا فكانتْ بالذى قال باطلًا * ودارتْ عليه الدائراتُ القوارِعُ
يلومونى أن كنتُ فى الدار حاسرًا * وقد فرّ عنــه خالدٌ وهو دارِعُ(٩)

---

(١) وهصت : دققت وكسرت . (٢) لا أخنس : من الخنس وهو انخفاض القصبة وعرض الأرنبة . (٣) أى مستخفيا، من القبوع وهو أن يدخل الإنسان رأســه فى قيصه . ويسمى القنفذ القبع لأنه يقبع رأسه بين شوكه أى يخبؤه، ويقال : فلان يقبع قبوع القنفذ اذا توارى . (٤) انظر ص ٣٥ حاشية ٤ من الجزء الأوّل من الأغانى طبع دار الكتب المصرية . (٥) فى ط : «لم يصدق مودّته» . (٦) تقدّم هذان البيتان مع خبرهما بالجزء الأوّل من الأغانى طبع دار الكتب ص ٣٥ فانظره . (٧) فى ح : «نفسك» . (٨) أى صمت وضاقت، ومنه قول النابغة :

أتانى أبيت اللعن أنك لمتــنى * وتلك التى تستك منهـا المسامع

(٩) الدارع : لابس الدرع .

فقال بعض الشعراء يجيبه :

فإنك لم تسمعْ ولكن رأيتَــه * بعينيك إذ مَجْراك فى الدار واسعُ
وأسلمتَه للصُّــغْد تَدْمَى كُلُومُهُ * وفارقتَه والصوتُ فى الدار شائعُ
٨٥/٢ وما كانــ فيها خالدٌ بمعــذَّرٍ(١) * سواء عليــه صَمّ أو هو سامعُ
فلا زلتُمـا فى غُلِّ سَــوْءٍ بِعَــبْرةٍ * ودارتْ عليكم بالشَّمات القَوارعُ

أخبرنى عمّى قال حدّثنا الكُرَانىّ قال حدّثنا العُمَرى عن العُتْبىّ قال :

لمـا قُتل سعيدُ بن عثمان بن عفّان قالت أمّه : أشتهى أنـ يرثيَه شاعرٌ كما فى نفسى حتى أُعطيَه ما يَحْتَكِم ؛ فقال آبن سَيْحان :

إن كنتِ باكيةً فتًى * فابْكى هَبِلْتِ(٢) على سعيدِ
فارقتَ أهلَكَ بغتــةً * وجَلَبتَ حَتْفَك من بعيدِ
أذْرِى دموعَك والدِّما * ءَ على الشَّهيدِ آبنِ الشهيــدِ

فقالت : هكذا كنت أشتهى أن يقال فيــه ، ووصلتِ آبنَ سيحان . وكانت تندُبه بهذا الشعر .

وقال أبو عمرو فى روايتــه التى ذكرتُها عنــ عمّى عن الحَزَنْبَل عن عمرو بن أبى عمرو عن أبيه قال :

جلَس آبنُ سَيْحان وخالدُ بن عُقْبة بعــد مقتل سعيد بن عثمان يتحدّثان ، فجرى ذكرُه فبكيا جميعا عليه ، فقال آبن سَيْحان يرثيه :

---

(١) المعذر : الذى لم يثبت له عذر . (٢) هبلت : ثكلت ، يقال هبلته أمه هبلا أى ثكلته . وذكر صاحب اللسان أن هبلت يقال فى الدعاء بالبناء للفاعل ، ولا يقــال هبلت بالبناء للفعول وان كان هو القياس لأنه إنمـا يدعى عليه بأن تهبله أمه أى تثكله . وهــذا أحد أفعال ثلاثة جاءت من باب فعل (بكسر العين) المتعدّى وجاء مصدرها على فعل بالتحريك ، ثانيها عمل الشىء عملا ، وثالثها زكنت الخبر زكنا .

ألا إنّ خيرَ الناس إن كُنتَ سائلًا * سعيدُ بنُ عثمانَ القتيلُ بلا ذَحْلِ (١)
تداعت عليه عُصْبةٌ فارسيّةٌ * فأضحَى سعيدٌ لا يُمِرُّ ولا يُحْلِي

وقال خالد بن عُقْبة :

ألا إنّ خيرَ الناس نفسًا ووالدًا * سعيدُ بن عثمانٍ قتيلُ الأعاجمِ
بكتْ عينُ من لم يَبْكِه وَسْطَ يَثْرِبٍ * مَدَى الدهرِ (٢) منه بالدموع السَّواجمِ
فإن تكن الأيامُ أَرْدت صروفُها * سعيدًا، فمَنْ هذا عليها بسالمِ (٣)

قال الحَزَنْبَلُ : أنشدنى عمرو بن أبى عمرو عن أبيه لابن سَيْحان قال عمّى وأنشدنى السُّكّرِىّ عن ابن حَبِيبَ والطُّوسِىّ له :

صــوت

رحِم اللهُ صاحِبَىَّ أبَى الحا * رثِ إذ يَنْهَيانِنِى أن أَبُوحَا
بالتى تيَّمتْ فؤادى وأن أُذْ * رِى دموعى على ردائى سُفُوحَا (٤)
فى مَغانِى منازلٍ من حبيبٍ * باشرتْ بعدَه قِطَارًا (٥) وريحَا
ولقد قلتُ للفؤاد ولكنْ * كان قِدْمًا إلى هواه جَمُوحَا
قلتُ أقْصِرْ عن بعضِ حُبِّك أرْوَى * إن بعضَ الحِبَابِ (٦) كان فُضُوحَا
فعصانِى، فليس يسمعُ قولًا * من حَمامٍ على الأراكِ، جُنُوحَا
أُمَّ يحيَى تقبَّلَ اللهُ يحيَى * بقَبُولٍ كما تقبَّلَ نُوحَا
أُمَّ يحيَى لولا طِلابُكِ قد سِحْـ * ـتُ مع الوحشِ أو لَبِسْتُ المُسُوحَا (٧)
ولقد قلت لا أُحدِّث سِرًّا * سرَّ أخرَى ما دمتُ أمشِى صحيحَا

---

(١) الذحل: الثأر. (٢) فى ط «يد الدهر»، ويد الدهر كيدى الدهر: كلمة يراد بها الدوام.
(٣) فى ط: «فمن هذا من الموت سالم» وعلى هذه الرواية يكون فى البيت إقواء. (٤) سفح الدمع سفوحا: صبه. (٥) قطارا: جمع قطر وهو المطر. (٦) الحباب: المحابة والموادّة والحب، قال أبو ذؤيب:
فقلت لقلبى يالك الخير إنما * يدليك للخير الجديد حبابها
وفى أ، ء، ط: «الأحباب». (٧) المسوح: جمع مسح وهو الكساء من الشعر.

الغناء لمَعْبد خفيفُ ثقيلٍ أوّلَ بالسَّبَّابة فى مجرى الوسطى عن إسحاق ويونس . وفيه للغَرِيض ثقيلٌ أوّلُ عن الهشامىّ . وفيه لزُرَيق رَمَل .

قال أبو عمرو : وآبنُ سَيْحان الذى يقول :

ألا هل هاجَك الأظعا ❊ نُ إذ جاوزْنَ مُطّلحَا

جفاه بنو مطيع فذمهم ومدح بنى عبد الرحمن بن الحارث

والناس يَرْوُونه لعمرَ بن أبى ربيعة لغلبته على أهل الحجاز جميعا . وقال أبو عمرو فى خبره : كان ابنُ سَيْحانَ يحدّث قال : كنت آلَفُ(١) من قريش أهلَ بيتين سِوَى من ٨٦/٢ كنت منقطعا إليه من بنى أمية : بنى عبد الرحمن بن الحارث بن هِشَام ، وبنى مُطِيع ، فلما ضربنى مروانُ الحدَّ جئتُ فجلست إلى بنى مُطيع كما كنت أجلس ، فلما رأَوْنى عرفتُ الكراهةَ فى وجوههم ، والله ما أقبلوا علىّ بحديثهم ولا وَسَّعُوا لى ، فانصرفتُ ورُحت إلى بنى عبد الرحمن ، فلما رأَوْنى أقبلوا بوجوههم علىّ وحَيَّوْا ورحّبوا وسهّلوا ووسّعوا ، ورفعونى إلى حيثُ لم أكنْ أجلس ، وأقبلوا علىّ بوجوههم يحدّثوننى ، وقالوا : لعلك خشَعْتَ للذى لحِقَك ، أما والله لقد علم الناسُ أنك مظلوم ، وظلّموا(٢) مروانَ فى فعله ، ورأَوْا أنه قد أساء وأخطأ فى شأنك ، وقالوا : ما ضَرَّكَ ذلك ولا نقَصك ولا زادك إلا خيرا ، ولم يزالوا حتى بسَطُونى ، فقلت أمدحهم وأذمّ بنى مطيع :

لقد حرَّمتُ وُدَّ بنى مُطِيع ❊ حَرَامَ الدُّهْنِ للرجل الحَرَامِ(٣)
وإن جنَفَ(٤) الزمانُ مددتُ حبلًا ❊ مَتِينًا من حبال بنى هِشَامِ
رطِيبٌ عودُهم أبدا وَرِيقٌ ❊ إذا ما آغبرَّ عِيدانُ اللئامِ

---

(١) فى حـ : «أختص» . (٢) ظلموه : نسبوه الى الظلم . (٣) الحرام : المحرم بحج أو عمرة . (٤) جنف : جار ومال .

لامته امرأته على مبيته خارج المنزل فقال شعرا

وقال أبو عمرو فى خبره : كان عبد الرحمن بن سَيْحان يُنَادِم الوليدَ بن عثمان على الشَّراب فيبيت عنده خوفًا من أن يظهر وهو سَكْرانُ فيُحَدَّ، فقالت له امرأته : قد صرتَ لا تبيت فى منزلك وأظنّك قد تزوجتَ، وإلّا فما مَبِيتُك عن أهلك ! فقال لها :

لا تَعْـذِليني نديمًا ماجِدًا أَنِفًا * لا قائلا قاذفًا خَلْقًا ببُهْتانِ (١)
أغرَّ رَاووقُه (٢) مَلْآنُ (٣) صافيـةً * تَنْفِى القَذَى عن جَبِينٍ غيرِ خَزْيانِ
سَـبِيئة (٤) من قُرَى بَيْروتَ صافيـة * عَذْراء أو سُبِئَتْ من أرض بَيْسانِ (٥)
إنّا لنَشربُها حتى تميـلَ بنا * كما تَمَايلَ وَسْنانٌ بوَسْنانِ (٦)

رأى ابن عمه يشرب نبيذ الزبيب فحثه على شرب الخمر

أخبرنى محمد بن مَزْيد بن أبى الأَزْهَر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن عاصم بن الحَدَثَانِ قال :

كان ابن سَيْحانَ صاحبَ شَراب، فدخل على آبن عمٍّ له يقال له الحارث بن سَرِيع فوجده يشرب نبيذ زبيب، فجعل يعظه ويأمره بشرب الخمر، وقال له : يآبن سَرِيع، إن كنت تشربه على أن نبيذ الزبيب حلالٌ فإنك أحمق، وإن كنت تشربه على أنه حرام تستغفر الله منه وتنوى التوبة فآشربْ أَجْوَده فإن الوِزْرَ واحد، ثم قال :

---

(١) فى ح : * لا حالفا شائبا حلفا ببهتان *

(٢) الراووق : ناجود الشراب الذى يروّق به فيصفى . والشراب يترّوق منه من غير عصر .

(٣) فى ح : «أغرّ راووقه صهباء صافية» . (٤) سبيئة أى مسبوءة من قولهم : سبأ الخمر أى اشتراها ليشربها كما فى الصحاح أو اشتراها ليحملها الى بلد آخر كما فى غيره . (٥) بيسان : مدينة بالأردنّ وهى بين حوران وفلسطين، قال ياقوت فى معجم البلدان : واليها فيما أحسب ينسب الخمر، وأورد أبياتا لليلى الأخيلية فى تَوْبةَ، منها :

هو الذوب أو أرى الضحى لى شبتُه * بدرياقة من خمر بيسان قرقف

(٦) الوسنان : النائم الذى ليس بمستغرق فى النوم .

دَعِ ٱبْنَ سَرِيعٍ شُرْبَ ما مات مرةً * وخُذْها سُلَافاً حيةً مُزَّةَ الطَّعْمِ
تَدَعْك على مُلْكِ ابن ساسان قادرًا * إذا حرّمت قُرّاؤنا حَلَبَ الكَرْمِ
فَشتّانَ بين الحيِّ والمَيْتِ فاعتزمْ * على مُزَّةٍ صَفْراء راووقُها يَهْمِي (١)
فإنّ سَرِيعًا كان أوصَى بحبِّها * بَنِيه وعمِّي جاوز اللهُ عن عَمِّي
ويا رُبَّ يومٍ قد شهدتُ بني أبي * عليها الى أن غاب تاليةُ النَّجْمِ (٢)
حَسَوْها صلاةَ العصر والشمسُ حيّةٌ * تُدار عليهم بالصغير وبالضَّخْمِ
٨٧/٢ فماتوا وعاشوا والمُدامة بينهم * مُشَعْشَعةٌ (٣) كالنجم تُوصَف بالوَهْمِ

أخبرني محمد بن مَزْيد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه عن عاصم بن الحَدَثان قال :

كان ابن سَيْحان حَلِيفَ حَرْب بن أمية يُنَادِم (٤) الوليدَ بن عُقْبَةَ بن أبي مُعَيط ، ويشرب معه الخمر، وهو القائل :

اِصبحْ (٥) نَدِيمَك من صَهْباء صافيةٍ * حتى يروح كريماً ناعمَ البالِ
واشربْ هُدِيتَ أبا وَهْبٍ مُجاهَرةً * واْختَلْ فإنك من قوم أُولى خَالِ (٦)
أنت الجوادُ أبا وَهْبٍ إذا جَمَدتْ * أيدي الرجال بما تَحْوِيه من مالِ
لولا رجاؤك قد شَمَّرْتُ مُرتحِلًا * عَنْساً (٧) تُعاقِبُ تَخْوِيدًا (٨) بإرْقالِ (٩)

---

(١) في ح : * وبادر الى صهباء راووقها يهمى * (٢) قال في اللسان : وتوالى كل شيء آخره وتاليات النجوم أخراها . (٣) مشعشعة : ممزوجة ، يقال : شعشع الشراب : مزجه بالماء . (٤) كذا في ح . وفي سائر النسخ : «ينادم بني عقبة بن أبي معيط ويشرب معهم الخمر وهو القائل للوليد» وقد آثرنا ما ورد في ح لأنه وإن كان للوليد بن عقبة أخوان وهما عمارة بن عقبة وخالد بن عقبة فهما لم يعرفا بشرب الخمر كما اشتهر هو . (٥) أي اسقه صبوحا ، قال طرفة :

* متى تأتني أصبحك كأسا روية *

(٦) الخال : الخيلاء والكبر . (٧) العنس في الأصل : الصخرة ، ويقال على الناقة القوية تشبيها لها بالصخرة لصلابتها . (٨) التخويد : ضرب من السير ، يقال : خوّد البعير : أسرع وزج بقوائمه ، وقيل : هو أن يهتز كأنه يضطرب . (٩) الإرقال : ضرب من السير فوق الخبب .

لما تَوَاصَــوْا بقتلِي قمتُ معترِمًا * حتى حَمَيْتُ من الأعداء أَوْصَـالى
عمّ الوليــدُ بمعروفِ عشــيرتَه * والأبعــدون حَظُوا منــه بإفضالِ

شعره فى الوليد وقد حماه من أخواله ودفع عنه الدية

قال : وكان ابن سَيْحان قد ضرب رجلا من أخواله بالسيف فقطع يده ولم تقم عليه بيّنة، فتآمر به القومُ ومنع منه ابن خال له منهم (١) ؛ وخاف الوَليــد بن عُقْبة أن يرجع إلى المدينة هاربا منهم وخوفًا من جنايته عليهم فيفارقَه وينقطع عنه، فدعاهم وأرضاهم وأعطاهم ديةَ صاحبِهم. فلم يزل عند الوليد حتى عُزِل وهو نَديمُه وصفيُّه.
وهو القائل فى الوليد — وفيه غناء — :

صــوت

بات الوَليــدُ يُعَاطِينى مُشَعْشَعَةً * حتى هَوَيْتُ صَرِيعًا بين أصحـابِى

فى الغناء : بات الكريم يعاطينى.

لا أستطيع نهوضًا إن هَمَمْتُ به * وما أُنَهْنِـــه (٢) من حَسْوٍ وتَشْرابِ (٣)
حتى إذا الصبح لاحتْ لى جوانبُه * وَلَّيْتُ أسحَبُ نحوَ الفــومِ أثوابِى
كأننى من حُمَيَّـا كأسِه جَمَــلٌ * صَحَّتْ قوائمُه من بعــد أَوْصابِ

ويروى :

* كأننى من حُمَيَّا كأسِه ظَلِـعٌ *

الغناء لِيَحْيى المَكّىّ — ورُوِى : ضَلِـعٌ (٤) — خَفِيفُ ثَقِيلٍ بالبِنْصر عن الهشَامىّ وبَذْل. قالت بَذْل (٥) : وفيه لحنٌ آخرُ ليحيى، ولم تذكُر طريقتَه.

---

(١) كذا فى أ . وفى سائر النسخ : «ومنع منه ابن خال منهم له» . (٢) نهنهه عن الشىء : زجره وكفه . (٣) كذا فى جميع النسخ، والمعروف «أن نهنه» يتعدّى بعن . (٤) كذا فى جميع النسخ وحق هذه الجملة التقديم، والضلع وصف من الضلع وهو كالظلع بالظاء : الميل فى المشى .
(٥) وردت هذه العبارة هكذا فى حـ ، ووردت محرفة فى سائر النسخ .

قصة تبرئه لسعيد ابن العاص من الشرب وما قاله فى ذلك

أخبرنى محمد بن مَزْيد قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدّثنى أبو فُهيرة[(١)] قال : دخل عبد الرحمن بن أَرْطَاةَ على سَعيد بن العاص وهو أمير المدينة؛ فقال له : ألستَ القائل :

إنّا لنشربُها حتى تميلَ بنا * كما تمايل وَسْنانٌ بوَسْنانِ

فقال له عبد الرحمن : مَعاذَ الله أن أشربها وأنعتها، ولكنّى الذى أقول :

سَمَوْتُ بحِلْفِى للطِّوالِ من الذُّرَى * ولم تَلْقَنِى كالنَّسْرِ فى ملتقًى جَدْبِ
إذا ما حَليفُ القـــوم أَقْعَى مكانَه * ودَبَّ كما يمشى الحَسِير[(٢)] من النَّقْبِ
وَهَصْتُ[(٣)] الحَصى لا أرهبُ الضيمَ قائما[(٤)] * إذا أنا رانَى لى خِنَــاقِى بنو حَرْبِ

وقام يجرّ مِطْرَفَه[(٥)] بين الصفَّين حتى خرج . فأقبل عمرو بن سعيد على أبيــه فقال : لو أمرتَ بهذا الكلب فضُرب مائتىْ سَوْطٍ كان خيرًا له؛ فقال : يابنىّ، أضربُه وهو حليفُ حَرْب بن أُميّة ومعاويةُ خليفةٌ بالشأم! إذًا لا يرضى ! فلمــا حجّ معاويةُ
٨٨ / ٢ لقيه بنىّ، فقال: إيهٍ ياسعيد ! أمرَك أحمقُك بأن تضرب حليفِى مائتىْ ســوط ! أما والله لو جلدتَه سوطًا لجلدتُك سوطيْن! فقال له سعيد : ولم ذاك ؟ أو لم تجلِدْ أنت حليفَك عمر بن جَبَلة ! فقال له معاوية : هو لَحْمِى آكلُه ولا أُوكِلُه . قال: وكان ابن سَيْحان قد قال :

(١) فى أ ، م : «أبو فهرة» . ولم نعثر عليه فى كتب التراجم، غير أنه عرفت التسمية بفهيرة (انظر شرح القاموس مادة فهر). (٢) كذا روى فيا تقدّم ص ٢٥١ من هذا الجزء وقد ورد هنا فى ط : «كما يمشى الكسير على النقب» . وفى سائر النسخ «كما يمشى الكسير من النقب» . (٣) وهصه : دقه وكسره . (٤) فى أ ، م : «قاعدا» . (٥) المطرف : واحد المطارف وهى أردية من خز مربعة لها أعلام . وقال الفراء : المطرف من الثياب : ماجعل فى طرفيه علمان، والأصل مطرف بالضم فكسروا الميم تخفيفا كما قالوا : مغزل وأصله مغزل من أغزل، أى أدير .

لا يَعْــدَمَنِّى نديمى ماجِدًا أَنِفًا (١) * لا قائلا خالطًــا زورًا ببُهْتانِ
أُمسِى أُعَاطِيه كأسًا لذَّ مَشْرَبُها * كالمسكِ حُفَّتْ بنِسْرِينٍ ورَيْحَانِ
سبيئةً من قُرَى بَيْرُوت صافيةً * أو التى سُبِئَتْ من أرض بَيْسانِ
إنا لَنَشرَبُهــا حتى تَميــل بنــا * كما تَمَــايل وَسْــنَانٌ بوَسْــنَانِ

انقضت أخباره .

أحد الأصوات المائة المختارة

صـــــوت

من المــائة المختارة من رواية علىّ بن يحيى .

يا خليــلىّ هجِّرا كَىْ تَرُوحا * هِجْتُما للرَّواح قلْبًــا قريحــا
إنْ تُرِيغا (٢) لِتَعْلَمَا سِرَّ سُــعْدَى * تَجِدانى بِسِرِّ سُــعْدَى شَحِيحا
إنّ سُعْدَى لَمُنْيَةُ المُتَمَنِّى * جَمَعتْ عِفّةً ووَجْها صَبِيحا
كلّمتنى وذاك ما نِلتُ منهــا * إنّ سُعْدَى ترى الكلامَ رَبِيحا (٣)

الشعر لابن مَيّادَةَ . والغناء لِحُنَيْن ، ولَحْنه المختارُ من الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر فى مَجْرى البنصر عن إسحاق . وذكر عمرو بن بانة أن فيه لِدَحْمان لحنا من الثقيل الأوّل بالبنصر، وأظنه هذا، وأنّ عَمْرا غَلِط فى نسبته إلى دَحْمانَ .

---

(١) كذا فى ط . وقد ورد فيما تقدّم فى صفحة ٢٥٦ من هذا الجزء : « لا تعدمينى نديما » ، وفى سائر النسخ هنا : « لا تعدمينى نديمى » . (٢) تريغا : تبغيا وتريدا . (٣) ربيحا : ذا ربح .

أخبارُ آبنِ مَيّادة ونَسَبُه

نســبه

اسمُــه الرَّمّاح بن أَبْرَد بن ثَوْبان(١) بن سُرَاقة بن حَرْمَلَة، هكذا قال الزبير بن بكّار في نسبه. وقال ابن الكلبيّ: ثَوْبان(١) بن سُرَاقة بن سَلْمى بن ظالِم ويقـال سُرَاقة بن قَيْس بن سَلْمى بن ظالِم بن جَذِيمة بن يَرْبُوع بن غَيْظ بن مُرّة بن عَوْف بن سَعْد بن ذُبْيان بن بَغِيض بن ريث بن زيد بن غَطَفان بن سعد بن قيس بن عَيْلان بن مُضَر.

كان يزعم أن أمّه فارسـية و يفتخر بذلك

وأُمه مَيّادة أم ولدٍ بَرْبَرِيّة، ورُوِى أنها كانت صَقْلَبِيّة(٢). ويكنى أبا شُرَحْبِيل، وقيل بل يُكْنى أبا شَراحِيل. وكان آبن ميّادة يزعمُ أن أمّه فارسيّة، وذكَرَ ذلك في شـعره فقال:

أنا آبنُ أبي سَلْمى وَجَدّيَ ظالمٌ * وأُمّي حَصَانٌ أخلصتْها(٣) الأعاجمُ
أليس غلامٌ بين كسرى وظالِمٍ * بأكرمِ مَن نِيطتْ عليـه التمائمُ

كذّبه مـوسى بن سـيار في أن أمه فارسـية

أخبرني بذلك الحرميّ بن أبي العلاء قال حدثنا الزبير بن بكّار قال حدثني أبو مَسْلَمة مرهوب(٤) بن سِيد(٥) وأخبرني الحرميّ [قال حدثنا الزبير](٦) قال حدثني موسى بن زُهَير الفَزاريّ قال أخبرني موسى بن سَيّار بن نَجِيح المُزَنيّ(٧) قال: أنشدني ابن مَيّادة أبياته التي يقول فيها:

---

(١) في ط: «ثريان». (٢) صقلب: بلد في الأندلس من أعمال شنترين، فلعل أم ابن ميادة تنسب اليه. وهذا يوافق ما سيأتي من أنها أشبانية نسبة الى أشبان وهي الأندلس. ومن المحتمل القريب أن تكون منسوبة الى الصقالبة وهم ابليل المعروف، فان أئمة الافرنج المتصلة بالأندلس كانوا يحاربون الصقالبة المتصلين بأرضهم فيسبونهم ويبيعون رقيقهم بأرض الأندلس (انظر معجم ياقوت في اسم «صقلب» ونفح الطيب طبع أوروبا ج ١ ص ٩٢). (٣) في حـ: «حصنتها».
(٤) كذا في ب، س، ء، ط. وفي أ، م: «موهوب» بالواو، وقد سمى العرب «مرهوبا» بالراء، ولم يذكر القاموس ولا شارحه في المستدرك أنهم سموا موهوبا بالواو.
(٥) كذا في جميع الأصول وسيرد فيما يلي: «رشيد» (انظر الصحف ٢٧٢ و ٢٧٩ و ٢٨٣ من هذا الجزء). (٦) زيادة في ط. (٧) في أ، حـ، م: «المري».

أليس غلامٌ بين كسرى وظالم * بأكرم من نيطَتْ عليه التمائمُ

فقلت له : لقد أشحطْتَ بدار العجوز وأبعدتَ بها النُّجْعَة ، فهلّا غرَّبتَ. (يريد أنها صَقْلَبيَّةٌ ومحلها بناحية المغرب) فقال : إى بأبى أنتَ ، إنه مَن جاعَ انتجع ، فدعْها تَسِرْ ٨٩/٢ فى الناس فإنه «مَن يَسْمَع يَخَلْ»[١]. قال الزبير قال ابن مَسْلَمة[٢] : ولمّا قال ابن مَيّادة هذه الأبيات قال الحَكَم الخُضْرىّ يَرُدّ عليه :

رد عليه الحكم الخضرى بفخره بأمه وهجاه

وما لكَ فيهم من أبٍ ذى دسيعةٍ[٣] * ولا وَلَدَتْكَ المُحْصَنَاتُ الكرائمُ
وما أنتَ إلّا عبدُهم إن تُرِبْهُمُ * مِنَ الدهر يوماً تَسْتَرِبْكَ المقاسمُ
رَمَى نَبْهَلٌ فى فَرْجِ أمِّك رَمْيَةً * بحَوْقَاءَ تَسْقِيهَا العُرُوق الثَّوَاجِمُ[٤]

قال أبو مَسْلَمة : ونَبْهل عبدٌ لبنى مُرّة كانت مَيّادة تزوّجتْه بعد سيّدها، وكانت صَقْلَبيّة . وابنُ مَيّادة شاعرٌ فصيحٌ مُقَدَّم مُخَضرم من شعراء الدولتين . وجعله ابن سلّام[٥] فى الطبقة السابعة، وقَرَنَ به عُمَر بن لَجَإٍ[٦] والعُجَيف العُقَيلىّ[٧] والعُجَير السَّلُولىّ[٨] .

شاعر مخضرم وضعه ابن سلام فى الطبقة السابعة

(١) هذا مثل ، قال فى اللسان مادة خال نقلا عن أبى عبيدة : ومعناه من يسمع أخبار الناس ومعايبهم يقع فى نفسه عليهم المكروه ، وقد فسره بذلك أيضا الميدانى فى مجمع الأمثال . (٢) كذا فى جميع الأصول ولكن الذى تقدّم فى سند هذا الخبر وهو من روى عنه الزبير ذكر باسم أبى مسلمة ، وسيذكر بعد قليل أيضا باسم أبى مسلمة فى جميع الأصول . (٣) الدسيعة : كرم الفعل ، وقيل : مائدة الرجل اذا كانت كريمة . (٤) الثواجم : جمع ثاجم ، والثاجم : دائم الصب ، من قولهم : ثجمت السماء اذا دام مطرها . (٥) اطلعنا على طبقات الشعراء لابن سلام فلم نجد فيها ذكرا لابن ميادة . (٦) عمر بن لجأ التيمىّ من تيم الرباب عدّه ابن سلام فى الطبقة الرابعة وذكر له شيئا من شعره . وورد ذكره فى الأغانى (ج ٧ ص ٤٤ و ٤٨ و ٦٨ و ٧٢ و ٧٣ و ٧٤ وج ١٦ ص ١١٥ وج ١٩ ص ٢٢ طبع بولاق) . (٧) العجيف العقيلى لم يرد ذكره فى ابن سلام ، وورد فى الأغانى (ج ١٦ ص ١٢٤ و ١٢٥ طبع بولاق) . (٨) العجير بن عبد الله السلولىّ عدّه ابن سلام فى الطبقة الخامسة وله ترجمة فى الأغانى (ج ١١ ص ١٥٢ — ١٥٩ طبع بولاق) .

ولهذا لا يستبعد أن يكون أبو الفرج قد أخطأ الرواية فى هذا النقل أو أنه روى ذلك مشافهة عن ابن سلام ، وابن سلام لم يذكره فى كتابه كما أخبره بأن يكون غير رأيه بعد حين تدوينه كتابه ، أو أن أبا الفرج اطلع على نسخة أخرى من الطبقات دخلها النقص فيما بعد حتى وصلت إلينا كما هى الآن .

كان يتعرض للهاجاة و يقول لأمه اصبرى على الهجو

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنا الحسن بن الحسين السُّكَّرىّ قال حدّثنا محمد بن حبيبَ عن ابن الأعرابىّ قال : كان ابنُ مَيَّادة عِرِّيضا للشرّ، طالبا مُهَاجاةَ الشعراء ومُسَابَّةَ الناس . وكان يضرب بيده على جَنْب أمه ويقول :

* اِعْرَنْزِمى مَيَّادَ للقوافى (١) *

أى إنى سأهجو الناسَ فيَهْجُونك .

وأخبرنا يحيى بن علىّ عن أبى هَفَّان بهذه الحكاية مِثْلَه ، وزاد فيها :

اِعْرَنْزِمى مَيَّادَ للقوافِى * واسْتَسْمِعِيهِنّ (٢) ولا تَخَافِى

* سَتَجِدِينَ ابنَكِ ذا قِذَافِ (٣) *

استنشد امرأة أمام أمه عما قيل فى هجوها فأنشدته

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبير بن بَكّار قال حدّثنا داود بن عُلْقَة الأَسَدىّ قال : جاورتِ آمرأةٌ من الخُضْر : (رَهْطِ الحَكَم الخُضْرِىِّ) أبياتَ ابن مَيّادة ، بجاءت ذاتَ يوم تَطْلُب رَحًى وثِفَالا (٤) لتَطْحَن ، فأعاروها إيّاهما ؛ فقال لها ابن مَيّادة : يا أختَ الخُضْر ، أتَرْوِينَ شيئا ممـا قاله الحَكَمُ الخضْرِىّ لنا ، يريد بذلك أن تسمع أُمُّه ، بجعلتْ تأبَى ، فلم يزل حتى أنشدته :

أَمَيّادَ قد أفسدتِ سيفَ آبن ظالم * بِبَظْـرِك حـتى عاد أَثْلَمَ باليَـا

قال : وميّادة جالسةٌ تسمع . فضحك الرمّاح ، وثارتْ ميّادة إليها بالعَمود تَضْرِبها به وتقول : أَىْ زانيـة ! هيَا زانية ! أَإِيّاىَ تعْنِين ! وقام آبن ميّادة يخلِّصها ، فَبَعْد لَأْىٍ (٥) مّا أَنْقَذَها ، وقد آنتزعَتْ منها الرّحى والثِّفال .

(١) اعرنزمى : اشتدّى ؛ يقال : اعرنزم الشىء اذا اشتدّ وصلب . (٢) استسمع : سمع .
(٣) ذا قذاف : ذا نضال ومراماة . (٤) الثفال : جلد يبسط تحت الرحى ليسقط عليه الدقيق . (٥) لأى : جهد وشدّة .

كان معه شماطيط وورد عليه هجاء أمه فأسمعه إياه

أخبرنى الحَرَمِىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنى أبو حَرْمَلة مَنْظُور بن أبى عَدِىّ الفَزَارىّ قال حدّثنى شَمَاطِيط — وهو الذى يقول :

أنا شَمَاطِيطُ الذى حُدِّثتَ بِهْ * متى أُنَبَّهْ للغَداء أَنْتَبِهْ(١)

* حتى يُقالُ(٢) شَرِهٌ ولستُ بِهْ(٣) *

— قال : كنتُ جالسا مع ٱبن مَيّادة فورَدَتْ عليه أبياتٌ للحكم الخُضْرِىّ يقول فيها :

أأنت ٱبن أشبانيّةٍ أَدْلَجَتْ به * إلى اللؤم مِقْلاتٍ(٤) لئيم جَنينُها

— أشبانية : صَقْلَبِيّة — قال : وأمه ميّادة تسمع فضرب جَنْبها وقال :

* اِعْرَنْزِمِى مَيَّادَ للقوافِى *

فقالت : هــذه جنايتك يابن مَن خَبُثَ وشَرّ، وأهوتْ الى عَصًا تريد ضَرْبه بها؛ ففرّ منها وهو يقول :

* يا صِدْقَها ولم تكن صَدُوقا *

فصحتُ به : أيُّهما المعنىّ؟ فقــال : أَضْرَعُهما خَدَّين وألأمُهما جَدَّين؛ فضربتُ جنبها الآخر وقلتُ : فهى إذًا ميّادة ؛ وخرجتُ أعدو فى أثر الرّمّاح ، وتَبِعَتْنا تَرْمِينا بالحجارة وتَفْتَرِى علينا حتى فُتناها .

أصل أمه ميادة وقصة تزوجها أبرد

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدثنى أبو داود الفَزَارىّ : أنّ ميّادة كانت أَمَةً لرجل من كَلْب زوجةً لعَبْدٍ له يقال له نَهْبَل، ٩٠/٢

(١) يقال : أنبهه فانتبه، ونبهه فتنبه . وكان حق الشاعر أن يقول : أتنبه لأنه قال : «أنبــه» ومطاوع فعل انمــا هو تفعل . لكن لمــا كان أنبه فى معنى أنبه جازله أن يأتى بمطاوعه وهو أنتبه .
(٢) روى برفع «يقال» لأنه أريد منه الحال ، واذا أريد من الفعل بعــد حتى الحال رفع . انظر لسان العرب مادة شمط . (٣) ورد هــذا الشعر فى لسان العرب فى مادة «شمط» وجاء فيه هذا الشطر عجزا لصدر لم يذكره المؤلف هنا . وأصل البيت :

ثم أُنَزِّ حوله وأحتبــه * حتى يقال سيد ولست به

والهاء فى قوله «وأحتبه» زائدة للوقف . (٤) آمرأة مقلات : ليس لها إلا ولد واحد .

فاشتراها بنو ثَوْبان[1] بن سُرَاقة فأقبلوا بها من الشأم، فلما قَدِموا وصَبَّحوا[2] بها المُلَيْحة (وهى ماءة لبنى سَلْمَى ورَحْلِ بنِ ظالم بن جَذِيمة)[3] نَظَر رَجُلٌ من بنى سَلْمَى إليها وهى ناعسة تَمَايَلُ على بعيرها، فقال: ما هذه؟ قالوا : اشتراها بنو ثَوْبان[1]؛ فقال : وأبيكم إنّها لميادةٌ تميدُ وتميل على بعيرها، فغلَبَ عليها «مَيّادةُ». وكان أبردُ ضِلّةً[4] من الضلَّل ورِثّةً[5] من الرِّثّث جِلْفا لا تَخْلُص إحدَى يديه من الأخرى، يَرْعَى[6] على إخوته وأهله، وكانت إخوته كلهم ظُرَفاء غيره. فأرسلوا ميّادةَ تَرْعَى الإبلَ معه فوقَع عليها، فلم يَشْعُروا بها إلّا حُبْلَى قد أقعسها[7] بطنُها، فقالوا لها : لِمَنْ ما فى بطنك؟ قالت : لأَبْرَد، وسألوه فجعل يسكُت ولا يُجيبهم، حتى رمتْ بالرِّمّاح فرأَوْا غلاما فَدْغَما[8] نجيبا، فأقرّ به أبردُ. وقالت بنو سَلْمَى : وَيْلَكم يا بنى ثَوْبان[1]! ابتطنوه[9] فلعله يُنْجِب؛ فقالوا : والله ما له غيرُ ميّادةَ، فبنَوْا لها بيتا وأقعدوها فيه، فجاءت بعد الرمّاح بثَوْبان[1] وخليل وبَشير بنى أبردَ، وكانت أوّل نسائه وآخرهنّ، وكانت امرأةَ صِدْق، ما رُميت بشىء ولا سُبّت إلا بنَهْبَل. قال عبد الرحمن بن جُهَيْم الأسَدىّ فى هجائه ابنَ ميّادةَ :

هجاء عبد الرحمن ابن جهيم الأسدى

لَعَمْرِى لئن شابتْ حَليلةُ نَهْبلٍ * لبئس شبابُ المرءِ كان[10] شبابُها

ولم تدرِ حمراءُ العِجانِ[11] أنَهْبَلٌ * أبوه أمِ المُرّىّ تَبَّ تَبابُها

---

(١) فى ط : «ثربان». (٢) صبحوا بها المليحة : أتوها صباحا. (٣) فى ط : «ابنى».
(٤) كذا فى ط. والضلة : الذى لا خير فيه. وفى سائر النسخ : «ضلة من الضلال». (٥) الرثة : خشارة الناس (سفلتهم) وضعفاؤهم، شبهوا بالردىء من المتاع. (٦) أى يرعى لهم ماشيتهم.
(٧) كذا فى أغلب النسخ. وفى ى، ط : «أقسع» وفى أ، م «أقشع» وكلاهما تحريف، ولم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا أقعس متعدّيا، ولعله يريد أن بطنها لنتوئه بالحمل جعلها كالقعساء، وهى من يخرج صدرها ويدخل ظهرها، ومنه قولهم للقوس ينتأ بطنها ويدخل ظهرها : قعساء. (٨) الفدغم : الجسيم الطويل فى عظم. (٩) ابتطنوه : أى انجبوه واتخذوا منه ولدا، تقول : ابتطنت الناقة عشرة أبطن أى نتجتها عشر مرات. (١٠) كان هنا زائدة وهى تزاد فى هذا الموضع كقوله :

ولبست سربال الشباب أزورها * ولنعم كان شبيبة المحتال

(١١) العجان : الدبر، وقيل هو ما بين القبل والدبر. وهو سب كان يجرى على ألسنة العرب يقال للأعجمىّ : يابن حمراء العجان.

هجا بنى مازن فرد عليه رجل منهم

قال أبو داود: وكان ابن ميّادة هجا بنى مازن وفَزَارة بن ذُبْيان، وذلك أنهم ظلموا بنى الصارِد — والصارد من مُرّة — فأخذوا مالَهم وغلبوهم عليه حتى الساعة؛ فقال ابن ميّـادة :

فلأُورِدَنّ على جماعة مازنٍ * خَيْلاً مُقلَّصةَ الخُصَى ورجالا
ظلّوا بذى أُرُك(1) كأنّ رءوسهم * شجَـرٌ تخطّاه الربيـع فخالا

فقال رجل من بنى مازن يردّ عليه :

يابن الخبيثة يابن طَلّة(2) نَهْبَلٍ * هلّا جَمعتَ كما زعَمتَ رجالا
أبِبَظْرِ(3) مَيْدَة أم بخُصْيَىْ نَهْبَلٍ * أم بالفُسـاة تُنازِل الأبطالا
ولئن وردتَ على جماعة مازنٍ * تبغِى القتال لتَلْقَيَنّ قِتالا

قال : وبنو مُرّة يُسمَّوْن الفُساةَ لكثرة آمتيارهم التمر، وكانت منـازلهم بين فَدَك وخَيْبَر فلُقّبوا بذلك لأكلهم التمر . وقال يحيى بن علىّ فى خبره — ولم يذكره عن أحد — : وقال ابن ميّادةَ يفتخر بأمّه :

شعره فى الفخر بنسبه

أنا آبن ميّـادةَ تَهْوِى نُجُبِى * صَلْتُ(4) الجبينِ حَسَنٌ مُرَكَّبِى(5)
ترفَعـنِى أمى ويَنْمِيـنِى(6) أبى * فوق السحاب ودُوَيْنَ الكوكبِ

قال يحيى بن علىّ فى خبره عن حمّاد عن أبيه عن أبى داود الفَزارىّ : إنّ آبن ميّادة قال يفخر بنسب أبيه فى العرب ونسب أمّه فى العجم :

(١) ذو أرك (بضمتين) : موضع بين تيماء والمدينة، كما فى معجم ما استعجم للبكرىّ طبع أوروبا ص ٢٠٩
(٢) طلة الرجل : آمرأته . (٣) فى ى ، أ ، م : «أبيطن» . (٤) صلت الجبين : واضحه . وفى صفة النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه كان صلت الجبين . (٥) مركبى : يريد جسمى، ومن هذه المادة قوله تعالى : (فى أى صورة ما شاء ركبك) . (٦) ينمينى : يرفعنى .

أليس غلامٌ بين كِسرَى وظالمٍ * بأكرمِ مَن نِيطت عليه التمائمُ(١)

لَوَ ٱنّ جميع الناس كانوا بتَلْعةٍ(٢) * وجئتُ بجَدّى ظالمٍ وابنِ ظالمِ

٩١/٢ لظلّت رقابُ الناس خاضعةً لنا * سُجودا على أقدامنا بالجماجمِ

سمع الفرزدق شيئا من شعره فانتحله

فأخبرنى هاشم بن محمد الخُزاعىّ قال حدّثنا أبو غسّان دَماذ(٣) عن أبى عبيدة قال: كان ابن مَيّادة واقفا فى المَوْسم يُنشد:

* لو ٱنّ جميع الناس كانوا بتَلْعةٍ *

وذكر تمام البيت والذى بعده. قال: والفرزدق واقف عليه فى جماعة وهو مُتلثّم، فلما سمع هذين البيتين أقبل عليه ثم قال: أنت يابن أَبْرَدَ صاحب هذه الصفة! كَذَبتَ والله وكذَب مَن سمِع ذلك منك فلم يُكذّبك؛ فأقبل عليه فقال: فَمَهْ يا أبا فِرَاس؛ فقال: أنا والله أَوْلَى بهما منك؛ ثم أقبل على راويته فقال: اضممهما إليك:

لَوَ ٱنّ جميع الناس كانوا بتَلْعةٍ * وجئت بجَدّى دارِمٍ وابن دارمِ

لظلّت رِقابُ الناس خاضعةً لنا * سُجودا على أقدامنا بالجماجمِ

قال: فأطرق ٱبن مَيّادة فما أجابه بحرف، ومضَى الفرزدق فانتحلهما.

كان له أخوان شاعران وقدأتاهم الشعر من قبل جدّهم زهير

أخبرنا يحيى قال حدّثنا حمّاد عن أبيه عن أبى داود قال: أُمّ بنى ثَوْبان(٤) — وهم أَبْرَد أبو ٱبن مَيّادة والعَوْثبانُ(٥) وقريض وناعضة(٦)، وكان العوثبان وقريض شاعرين — أمّهم جميعا سَلْمَى بنت كَعْب بن زُهَير بن أبى سُلْمى(٧).

(١) فى هذا الشعر إقواء، وهو اختلاف حركة الروىّ فى الاعراب. (٢) التلعة: ما ارتفع من الأرض وأشرف أو ما انهبط منها وانحدر، فهو من الأضداد. وقيل: التلعة مثل الرحبة.
(٣) راجع الحاشية رقم ١ صحيفة ١٥٣ جزء أوّل من هذه الطبعة. (٤) فى ط: «ثريان».
(٥) فى لسان العرب: العوتبان اسم رجل. ونقل المرتضى هذا فى تاج العروس وقال: «قلت وهو تصحيف صوابه عوبثان بتقديم الموحدة» وذكر فى مادة عبث اسمين ليس هذا أحدهما.
(٦) فى ط: «قريض وناعصة». ولم نعثر على هذين الاسمين. (٧) ذكر صاحب لسان العرب: أنه ليس فى العرب سلمى بوزن فعلى (بضم الفاء) غير أبى سلمى هذا.

مهاجاته لعقبة ابن كعب بن زهير

ويقال : إن الشعر أتى ابنَ ميادة عن أعمامه من قِبَل جدّهم زُهَير . قال إسحاق فى خبره هذا : وحدّثنى حُمَيد بن الحارث أن عُقْبة بن كَعْب بن زُهَير نزل المُلَيحة (١) على بنى سَلْمَى بن ظَالِم فأكلوا له بعيرا، وبلغ ابنَ مَيَّادة أن عقبة قال فى ذلك شعرا، فقال ابنُ مَيَّادة يردّ عليه :

ولقد حلفتُ بربِّ مكةَ صادقًا * لولا قرابةُ نِسْوةٍ بالحاجِرِ (٢)
لكسوتُ عُقْبةَ كُسْوةً مشهورةً * تَرِدُ المَنَاهِلَ من كلامٍ عائرِ (٣)

وهى قصيدة؛ فقال له عُقْبة :

ألَوْما (٤) أننى أصبحتُ خالًا * وذكرُ الخال ينقُص أو يزيد
لقد قلّدتُ من سَلْمَى رجالا * عليهم مَسْحَةٌ وهُمُ العبيدُ

فقال ابن مَيَّادة :

إن تكُ خالنا فقُبِحْتَ (٥) خالًا * فأنت الخال تنقُص لا تزيدُ
فيومًا فى مُزَينة أنت حُرٌّ * ويومًا أنت محتِدُك العبيدُ
أحقُّ الناسِ أن يَلْقَى هَوانًا * ويؤكلَ مالُه العبدُ الطَّرِيدُ

أوصاف ابن ميادة

قال إسحاق فحدّثنى مجرمة (٦) قال : كان ابن مَيَّادة أحمرَ سَبْطًا (٧) عظيم الخَلْق (٨) طويلَ اللِّحية ، وكان لَبَّاسًا عَطِرًا، ما دنوتُ من رجلٍ كان أطْيبَ عَرْفًا منه .

---

(١) مليحة : موضع فى بلاد بنى تميم ، وكان به يوم بين بنى يربوع وبسطام بن قيس الشيبانىّ . ومليحة أيضا : اسم جبل فى غربىّ سلمى أحد جبلى طيّئ وبه آبار كثيرة . (٢) الحاجر : اسم مكان بطريق مكة وهو من منازل الحاج . (٣) عائر : سائر ، يقال : قصيدة عائرة أى سائرة . (٤) كذا فى أغلب الأصول، وفى ط : « لوما » . (٥) كذا فى ط وفى سائر النسخ : « قبحت » بتشديد الباء. وقد رجحنا الرواية الأولى لأنه دعاء يجب اقترانه بالفاء . (٦) فى حـ وعلى هامش « أ » : « عكرمة » . (٧) سبطا : طويلا حسن القدّ والاستواء ؛ قال الشاعر :

فجاءت به سبط العظام كأنما * عمامته بين الرجال لواء

(٨) كذا فى حـ . وفى سائر النسخ : « عظيم الخلق طويلا طويل اللحية » ووصفه بالسبوطة مغن عن وصفه بالطول .

مقارنة بينه وبين النابغة

قال إسحاق : وحدّثنى أبو داود قال : سمعت شيخًا عالمـا من غَطَفان يقول : كان الرَّمّاح أشـعرَ غَطَفان فى الجاهليـة والإسلام ، وكان خيرًا لقومه من النابغة ، لم يمدح غيرَ قريش وقَيْس ، وكان النابغة إنما يَهْذِى باليمن مضلَّلا حتى مات .

هو كثير السقط فى شعره

قال إسحاق : وحدّثنى أبو داود أن بنى ذُبيانَ تزعُم أن الرَّمّاح بن مَيَّادَة كان آخرَ الشعراء . قال إسحاق : وحدّثنى أبو صالح الفَزَارىّ أن القاسم بن جُنْدَب الفَزارىّ ، وكان عالمـا ، قال لابن مَيّادة : والله لو أصلحتَ شعرَك لذُكِرتَ به ، فإنى لأراه كثيرَ السَّـقَط(١) ؛ فقال له ابن ميادة : يابنَ جُنْدَب ، إنمـا الشعر كنَبْلٍ فى جَفِـيرِك(٢) ٩٢ / ٢ ترمى به الغرضَ ، فطالعٌ وواقعٌ وعاصدٌ(٣) وقاصد .

كان فى أيام هشام وبقى الى خلافة المنصور

أخبرنا أحمد بن عبـد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنا عمر بن شَـبَّة قال : كان ابن مَيَّادة حديثَ العهـد لم يُدرِك زمانَ قُتَيبة بن مُسْلِم ، ولا دخل فيمن عَنَاه حين قال : « أشـعرُ قيس الملقّبون من بنى عامر والمنسوبون إلى أمهاتهم من غَطَفان » ، ولكنه شاعر مُجيدٌ كان فى أيام هِشَام بن عبد الملك وبقى إلى زمن المنصور .

مدح بنى أمية وبنى هاشم

أخبرنا يحيى بن علىّ قال : كان ابن مَيَّادة فصيحًا يُحتَجُّ بشعره ، وقد مدح بنى أمية وبنى هاشم : مدح من بنى أمية الوليدَ بن يَزِيد وعبـدَ الواحد بنَ سليمان ، ومدح من بنى هاشم المنصورَ وجعفرَ بن سليمان .

علم أنه شاعر حين وافق الحطيئة فى بيت قاله

وأخبرنى هاشم بن محمد الخُزَاعِىّ قال حدّثنا الرِّيَاشِىّ عن الأصمعىّ قال أخبرنى طَمَّاحُ ابن أخى الرَّمّاح بن مَيَّادة قال :

قال لى عمّى الرَّمّاح : ما علمتُ أنّى شاعرٌ حتى واطأتُ(٤) الحطيئة ، فإنه قال :

عفا مُسْحُلَانٌ من سُلَيْمى فَحَامِرُهْ * تَمَشَّى به ظُلْمَـانُه وجآذِرُهْ

---

(١) فى ط : « والله لقـد جددت بشعرك وذكرت به وإنى لأراه كثيرا لسقط » . والمجدود المحظوظ المبخوت . (٢) الجفير : ماتوضع فيه السهام . (٣) كذا فى أغلب النسخ ، والعاصد : الملتوى الذى لا يصيب الهدف . وفى ط : « وقاصد وقاصر » . (٤) أى وافقته .

فوالله ما سمعتُه ولا رويتُه فواطأته بطبعى فقلتُ :

فذو العُشّ(١) والممدورُ(٢) أصبح قاوِيًا(٣) * تَمَشَّى بــه ظُلمــانُهُ وجآذِرُهْ

فلما أنشدتُها قيل لى : قد قال الحطيئة :

* تَمَشَّى به ظلمانه وجآذرهْ *

فعلمتُ أنى شاعرٌ حينئذ .

كان ينسب بأم جحدر وشعره فيها

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثنى موسى بن زُهَير بن مُضَرِّس قال : كان الرَّمّاح بن أَبْرَد المعروف بابن ميّادة يَنْسُب بأمّ جَحْدَر بنت حَسّان المُرِّيّة إحدى نساء بنى جَذِيمة، فحلف أبوها لَيُخرجنّها الى رجل من غير عشيرته ولا يزوّجها بنجد، فقدِمَ عليه رجلٌ من الشأم فزوّجه إياهـا، فلقىَ عليها ابنُ ميّادة شدّة، فرأيتُه وما لَقِىَ عليها ، فأتاها نساؤها يَنْظُرْنَ إليها عند خروج الشامىّ بها . قال : فوالله ما ذَكَرْنَ منهـا جمالا بارعا ولا حُسْـنا مشهورا، ولكنّها كانت أكسبَ الناس لِعَجَب . فلما خرج بها زَوْجُها إلى بلاده اندفع ابن ميّادة يقول :

أَلَا ليتَ شِعْرِى هل إلى أمّ جَحْدَرٍ * سبيلٌ فأمّا الصبرُ عنها فلا صبرا(٤)

إذا نزلتْ بُصْرَى تراخَى مَزارُها * وأغلقَ بوّابَانِ مِن دُونها قَصْرَا

---

(١) ذو العش، ذكر ياقوت فى معجم البلدان : أنه من أودية العقيق بنواحى المدينة . وذكر البكرىّ فى معجم ما استعجم ص ٦٨٤ : أنه موضع ببلاد بنى مرة دون حرة النار بليلة، وأنشد عليه قول ابن ميادة :

فلم ترعينى مربعا بعــد مربع * بذى العش لو كان النعيم يدوم

(٢) المدور : موضع فى ديار غطفان . (٣) قاويا : مقفرا خاليا . (٤) هذا البيت اورده سيبويه شاهدا على أنّ الحجاز يين ينصبون المفعول لأجله المعرّف كما ينصبون المنكر . والشاهد فى قوله « الصـبرَ » فانه منصوب على المفعول له . وبنو تميم لا ينصبون المعرّف ويرفعون الصبر فى البيت على أنه مبتدأ . (انظر كتاب سيبويه ج ١ ص ١٩٣ طبع بولاق) .

فهـــل تأتيني الريحُ تَدْرُجُ مَوْهِنًا * بِريّاكِ تَعْرَوْرِى[1] بهـا جَرَعًا عُفْـــرَا

قال الزبير: وزادنى عمّى مُصْعَب فيها :

فلو كان نَذْرٌ مُدْنِيًا أمَّ جَحْدَرٍ * إلىّ لقـــد أَوْجَبتُ فى عُنُقى نَذْرَا

ألا لا تَلُطِّى[2] السِّـــتْرَ يا أمَّ جَحْـدَرٍ * كَفَى بذُرَا الأعلام مِنْ دُوننا سِـــتْرَا

لَعمرِى لئن أَمْسَيتِ يا أمّ جَحْـدَرٍ * نأيتِ لقـــد أبليتُ فى طلبٍ عُذْرَا

فَبَهْرًا لقومى إذ يبيعون مُهْجَتِى * بغانيـــةٍ[3] بَهْرًا لهم بعـــدَها بَهْـــرَا

قال الزبير: بَهْرًا هاهنا: يدعو عليهم أن ينزل بهم من الأمور ما يَبْهَرُهم، كما تقول: جَدْعًا وعَقْرا . وفى أوّل هـذه القصيدة — على ما رواه يحيى بن علىّ عن حمّاد بن

٩٣/٢ إسحاق عن أبيه عن حُمَيد بن الحارث — يقول :

ألا لا تَعُـدْ لِى لَوْعَةٌ مثلُ لَوْعَتِى * عليكِ بأَدْمَى والهوى يَرْجِعُ الذِّكْرَا

عَشِـيّةَ أَلْوِى بالرِّدَاء على الحَشَـا * كأنّ رِدائِى مُشْعَلٌ دونَه جَمْـرَا

تزوج أم جحدر وما قاله ابن ميادة فى ذلك

قال حُمَيـد بن الحارث : وأُمّ جَحْدَر امرأة من بنى رَحْل بن ظالم بن جَذِيمة بن يَرْبوع بن غَيْظ بن مُرّة .

---

(١) كذا فى ى، أ . وتعرورى : تركب ، يقال : اعرورى الفرس أو البعـير أى ركبه عريا واستعاره تأبط شرا للهلكة فقال :

يظل بموماة ويمسى بغـيرها * جحيشا ويعرورى ظهور المهالك

ويقال : اعرورى منى أمرا قبيحا أى ركبه . ولم يجئ فى الكلام افعوعل متعدّيا الا اعروريت واحلوليت المكان اذا استحليته . وفى باقى النسخ «تعرونى» وهو تحريف وجرع (بالتحريك) : جمع جرعة (بالتحريك أيضا)، وهى الأرض ذات الحزونة تشا كل الرمل، وقيل : الرملة السهلة المستوية . (٢) كذا فى ى، ولا تلطى : لا ترخى، يقال : لط الستر اذا أرخاه وسدله . وفى باقى النسخ «لا تلظى» بالظاء المعجمة، وهو تحريف . (٣) فى م، أ : «بجارية» .

أخبرنى يحيى بن علىّ قال حدّثنا حماد بن إسحاق عن أبيه وأخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء عن الزبير عن موهوب بن رشيد(١) عن جبر بن رباط(٢) النّعامىّ : أن أمّ جَحْدَر كانت آمرأة من بنى مُرّة ثم من بنى رَحْل ، وأنّ أباها بلغه مصيرُ ابنِ ميّادة إليها ، فحلف ليزوّجنّها رجلا من غير ذلك البلد ، فزوّجها رجلا من أهل الشأم فاهتداها(٣) وخرج بها إلى الشأم ، فتبعها ابنُ ميّادة ، حتى أدركه أهل بيته فردّوه مُصْمِتًا(٤) لا يتكلم من الوَجْد بها ؛ فقال قصيدة أوّلها :

خليلىّ من أَبْنَاء(٥) عُذْرَة بَلِّغَا * رسائلَ منّا لا تَزِيدكما وِقْرَا(٦)
أَلِمّا على تَيْماءَ نَسْأَلْ يَهُودَها * فإنّ لدى تيماءَ من رَكْبِها خُبْرَا(٧)
وبالغَمْر قد جازتْ وجازَ مَطِيُّها * عليه فسَلْ عن ذاك نَيَّانَ(٨) فالغَمْرَا
ويا ليتَ شِعْرِى هل يَحُلّنّ أهلُها * وأهلُكَ رَوْضاتٍ ببَطْنِ اللِّوَى خُضْرَا

قصة عشقه لها

أخبرنى الحرمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنى أبو سَعيد (يعنى عبد الله بن شَبيب) قال حدّثنى أبو العالية الحسن بن مالك وأخبرنى به الأخفش عن ثعلب عن عبد الله ابن شبيب عن أبى العالية الحسن بن مالك الرِّيَاحىّ العُذْرىّ قال حدّثنى عمر بن وَهْب العَبْسىّ قال حدّثنى زياد بن عثمان الغَطَفانىّ من بنى عبد الله بن غَطَفان قال : كنّا بباب بعض وُلاة المدينة فغَرِضْنا(٩) من طُول الثّواء ، فإذا أعرابىّ يقول :

---

(١) كذا ورد هذا الاسم هنا فى جميع النسخ وقد تقدّم قريبا باسم «مرهوب بن سيد» . انظر الحاشية رقم ٥ ص ٢٦١ من هذا الجزء . (٢) كذا فى أغلب النسخ . وفى ء ، ط : «جزء» .
(٣) كذا فى ط . واهتدى الرجل امرأته اذا جمعها وضمها اليه ، من هداء العروس وهو زفها الى زوجها . وفى سائر النسخ : «فأهداها» . (٤) مصمتا : صامتا . (٥) كذا فى أ ، م وفى سائر النسخ «أفناء» وهو تحريف . (٦) الوقر (بالكسر) : الثقل يحمل على الظهر . (٧) الخبر (بالضم والكسر) : العلم بالشىء . (٨) نيان والغمر : موضعان ببادية الشأم قرب تيماء . وقد روى ياقوت فى معجمه بيت ابن ميادة هكذا :

وبالغمر قد جازت وجاز حولها * فسق الغوادى بطن نيان فالغمرا

(٩) غرضنا : ضجرنا ، يقال : غرض منه غرضا فهو غرض اذا ضجر منه وقلق .

يا مَعْشَرَ العرب ، أَمَا منكم رجلٌ يأتيني أعلَّله إذ غَرِضْنا من هذا المكان فأُخبره عن أمّ جَحْدَر وعنّى ؟ فجئتُ إليـه فقلتُ : مَن أنت ؟ فقـال : أنا الرّمّاحُ بنُ أَبْرَدَ ، قلت : فأخبرنى ببَدْء أمرِكما ؛ قال : كانت أمّ جَحْـدَر من عَشِيرتى فأعجبتنى ، وكانت بينى وبينها خُلّة ، ثم إنى عَتَبْتُ عليها فى شىء بلغنى عنها ، فأتيتها فقلتُ : يا أمّ جَحْدَر إنّ الوَصْل عليـك مَرْدود ؛ فقالت : ما قَضَى اللهُ فهو خَيْر . فلبِثتُ على تلك الحال سنة ، وذهبتْ بهم نُجْعَةٌ فتباعدوا ، واشتقتُ إليها شوقا شديدا ، فقلتُ لآمرأة أخٍ لى : والله لئن دَنَتْ دارُنا من أمّ جَحْـدَر لآتينّها ولاطلبنّ إليها أن تردّ الوَصْـل بينى وبينها ، ولئن رَدَّته لا نَقَضْتُه أبدا ، ولم يكن يومان حتى رَجَعُوا ، فلمّـا أصبحتُ غَدَوْتُ عليهم فإذا أنا ببيتين نازلين إلى سَـنَدِ(١) أبرقَ طويلٍ ، وإذا آمرأتان جالستان فى كساءٍ واحدٍ بين البيتين ، فجئتُ فسلّمتُ ، فردّتْ إحداهما ولم تردّ الأخرى ، فقالت : ماجاء بك يا رمّاح إلينا ؟ ما كنّا حَسِبنا إلّا أنه قد آنقطع ما بيننا وبَيْنك ؛ فقلتُ : إنى جعلتُ علىّ نَذْرًا لئن دَنَتْ بأمّ جَحْدَر دارٌ لآتينّها ولأَطلبنّ منها أن تَرُدّ الوصلَ بينى وبينها ، ولئن هى فَعَلَتْ لا نقضْتُه أبدًا ، وإذا التى تكلّمنى آمرأةُ أخيها وإذا الساكتة أمّ جَحْدَر ؛ فقالت آمرأة أخيها : فَأَدخُلْ مُقَدَّم البيت فدخلتُ ، وجاءتْ فَدَخَلَتْ من مُؤَخَّره فَدَنَتْ قليـلا ، ثم إذا هى قد بَرَزَتْ ، فساعةَ بَرَزَتْ جاء غرابٌ فَنَعَبَ على رأس الأَبْرَق فنظرتْ إليه وشَهَقَتْ وتغيّر وجهها ؛ فقلتُ : ما شأنكِ؟ قالتْ : ٩٤/٢
لا شىء ؛ قلتُ : بالله إلّا أَخْبَرْتِنِي ؛ قالت : أرى هـذا الغرابَ يخبرنى أنّا لا نجتمع بعد هذا اليوم إلّا ببلد غير هذا البلد ؛ فَتَقَبَّضَتْ نفسى ، ثم قلتُ : جاريةٌ والله ما هى

(١) السند : ما آرتفع من الأرض من قبل الجبل أو الوادى ؛ وقيل : السند : ما قابلك من الجبل وعلا عن السفح . والأبرق من الجبال : ما كان له لونان من سـواد و بياض . وقال ابن الأعرابىّ : الأبرق : الجبل مخلوطا برمل .

فى بيت عِيافة[(١)] ولا قِيافة[(٢)]، فأقمتُ عندها، ثم تروّحتُ[(٣)] إلى أهلى فمكثت عندهم يومين، ثم أصبحتُ غاديا إليها، فقالت لى آمرأة أخيها : وَيْحَك يا رمّاح ! أينَ تذهب ؟ فقلتُ : إليكم؛ فقالت : وما تريدُ ؟ قد واللهِ[(٤)] زُوِّجَتْ أمُّ جَحْدر البارحة، فقلت : بِمَنْ وَيْحَكِ ؟ قالت : برجل من أهل الشأم من أهل بيتها، جاءهم من الشأم فخطبها فزَوَّجَها وقد حُمِلتْ إليه، فمضيتُ إليهم فإذا هو قد ضرب سُرَادقات، فجلستُ إليه فأنشدتُه وحدّثته وعدتُ إليه أياما، ثم إنه احتملها فذهب بها فقلتُ :

أجارتَنَا إنَّ الخطوبَ تَنُوبُ * علينا وبعضَ الآمنين تُصيبُ
أجارَتَنا لَسْتُ الغَدَاةَ ببـارحٍ * ولكنْ مُقِـيمٌ ما أقامَ عَسِيبُ[(٥)]
فإن تسأليني هل صَبَرْتَ فإنني * صَبُورٌ على رَيْب الزمانِ صَلِيبُ

قال علىّ بن الحسين : هذه الأبيات الثلاثة أغارَ عليها ابنُ مَيَّادة فأخذها بأعيانها، أما البيتان الأوّلان فهما لأمرئ القيس قالها لمّا احْتُضِر بأنْقرةَ فى بيتٍ واحد وهو :

أجارتنا إن الخطوبَ تَنُوبُ * وإنّى مُقيمٌ ما أقام عَسِيبُ

والبيت الثـالث لشاعر من شعراء الجاهليـة، وتمثل به أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السـلام فى رسالة كتب بها إلى أخيه عَقِيل بن أبى طالب، فنقله ابن مَيّادة نقلا . ونرجع إلى باقى شعر آبن ميّادة :

جَرَى بأنْيَاتِ الحَبْلِ من أمّ جَحْدَرٍ * ظبـاءٌ وطـيرٌ بالفِراق نَعُوبُ
نظرتُ فلم أعْتَفْ وعافتْ فبيَّنَتْ * لها الطيرُ قبلى واللبيبُ لبيبُ

---

(١) العيافة : زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرّها . والمعروف بالعيافة من العرب بنو أسد وبنو لهب وهم حىّ من الأزد (انظر اللسان مادة عاف وشرح الشواهد الكبرى للعينىّ بهامش خزانة الأدب للبغدادىّ ص ١٥٩ ج ١) . (٢) القيافة : تتبع الآثار ومعرفتها . والقائف هو الذى يتتبع الآثار ويعرفها ويعرف شبه الرجل بأبيه وأخيه . والمعروف بالقيافة من العرب بنو مدلج قبيلة من كنانة . (٣) تروّحت : سرت . (٤) يفصل بين قد والفعل بالقسم كقوله :

أخالد قد والله أوطأت عشوة * وما قائل المعروف فينا يعنف

(٥) عسيب : اسم جبل بعالية نجد، يقال : لا أفعل كذا ما أقام عسيب، أى لا أفعله أبدا .

فقالت حرامٌ أن نُرَى بعد هذه * جميعَيْنِ إلا أن يُلِمّ غريبُ
أجارتَنا صبراً فيارُبَّ هالكٍ * تَقَطَّعُ من وَجْدٍ عليه قلوبُ

رحل الى الشأم لرؤيتها فردته

قال: ثم انحدرْتُ فى طلبها، وطَمِعتُ فى كلمتها: "إلّا أن نجتمع فى بلد غير هذا البلد". قال: فجئت فدُرْتُ الشأمَ زماناً فتلقّانى زوجُها فقال: مالك لا تغسل ثيابَك هذه! أرسلْ بها إلى الدار تُغْسَل، فأرسلتُ بها؛ ثم إنّى وقفت أنتظر خروج الجارية بالثياب، فقالت أمُّ جَحْدر لجاريتها: إذا جاء فأعْلِميني؛ فلما جئتُ إذا أمُّ جَحْدَرٍ وراءَ الباب فقالت: وَيْحَكَ يارمَّاح! قد كنتُ أحسَب أن لك عقلا! أمَا ترى أمرًا قد حيل دونه وطابت أنفسُنا عنه؟ اِنصرفْ إلى عشيرتك فإنّى أستحيي لك من هذا المُقَام؛ فانصرفتُ وأنا أقول:

صوت

عسى إنْ حَجَجْنا أن نرى أمّ جَحْدَرٍ * ويجمعَنا من نَخْلَتين[(1)] طَرِيقُ
وتَصْطَكَّ أعضادُ المَطِيِّ وبينَنا * حديثٌ مُسَرٌّ دونَ كلّ رَفِيقِ[(2)]

فى هذين البيتين لحنٌ من الثقيل الثانى ذكر الهشامىّ أنه للحَجَبِيّ[(3)].

شعره فيها

٩٥ / ٢ وقال حينَ خرج إلى الشأم — هذه رواية ابن شَبيب[(4)] —:

ألا حيِّيا رَسْمًا بذى العُشِّ[(5)] مُقْفِرا * وربعًا بذى المَمْدُورِ[(5)] مستعجِماً قَفْرا

(١) النخلتان: واديان عن يمين بستان ابن عامر وشماله، ويقال لهما النخلة اليمانية والنخلة الشامية. (٢) فى هذين البيتين إقواء وهو اختلاف حركة الروى. وقد نسب ياقوت فى اسم «نخلتين» من معجمه هذين البيتين الى القُلاخ بن بُرْمة من بنى عوف بن عمرو بن كلاب الكلابىّ.

(٣) كذا فى ى. وهو الموافق لما تقدّم فى ج ١ ص ١٩، ١٨٥ من الأغانى طبع دار الكتب ولما سيأتى فى ج ١٤ ص ١٧٥ أغانى طبع بولاق. وفى سائر النسخ: «للحجنى» بالنون.

(٤) كذا فى ط. وفى سائر النسخ: «ابن حبيب» ولم يتقدم لابن حبيب ذكر فى هذا السند وانما الذى تقدم ذكره فى سند هذا الخبر فى صفحة ٢٧٢ هو عبد الله بن شبيب. (٥) انظر الكلام عليهما فى الحاشيتين ١ و ٢ بصفحة ٢٧٠ من هذا الجزء.

فأعجبْ دارٍ دارُها غيرَ أننى * إذا ما أتيتُ الدار تَرْجِعُنى صِــفْرا (١)
عشــيةَ أثْنِى بالرِّداء على الحَشَى * كأنّ الحَشى من دُونه أُسْعِرتْ جَمْرا (٢)
يَمِيلُ بنــا شَحْطُ النَّــوَى ثم نلتقِى * عِدادَ الثُّرَيَّا (٣) صادفتْ ليــلةً بَدْرَا
وبالغَمْرِ قــد جازتْ وجاز مطيُّهــا * فأسْقَى الغَوادِى بَطْنَ نَيّانَ فالغَمْرَا
خَلِيــلَىَّ من غَيْظِ بن مُرَّةَ (٤) بلِّغا * رسائلَ منِّى لا تَزِيدكُما وِقْــرَا
ألا ليت شعرى هل إلى أمِّ جَحْدرٍ * سَبِيلٌ (٥)، فأما الصبرُ عنها فلا صَبْرَا
فإن يَكُ نَذْرٌ راجعًا أمَّ جَحْــدَرٍ * علىّ لقــد أوْذَمْتُ (٦) فى عُنُقِى نَذْرَا
وإنى لأستنشِى الحديثَ (٧) من أجْلِها * لأسمعَ منهــا (٨) وهى نازحةٌ ذِكْرَا
وإنى لأســتحيِى من الله أن أُرَى * إذا غدَر الخُلّانُ أنوِى لهــا غَدْرَا

---

(١) الصفر (مثلث الصاد) : الشيء الخالى، يقال : بيت صفر من المتاع أى خال، ورجل صفر اليدين أى ليس فيهما شيء. وهو مأخوذ من الصفير وهو الصوت الخالى عن الحروف. (٢) تقدم هذا البيت فى ص ٢٧١ برواية أخرى غير هذه الرواية. (٣) العرب تقول : ما يأتينا فلان إلا عداد القمر الثريا وإلا قران القمر الثريا أى ما يأتينا فى السنة إلا مرة واحدة، أنشد أبو الهيثم لأسيد بن الحلاحِل :

اذا ما قارن القمر الثريا * لثالثة فقــد ذهب الشتاء

قال أبو الهيثم : وإنما يقارن القمر الثريا ليلة ثالثة من الهلال وذلك أوّل الربيع وآخر الشتاء. وقيــل هى ليلة فى كل شهر تلتقى فيها الثريا والقمر. وفى الصحاح : وذلك أن القمر ينزل الثريا فى كل شهر مرة. قال ابن برّى : صوابه أن يقول : لأن القمر يقارن الثريا فى كل ســنة مرة وذلك فى خمســة أيام من آذار. قال ابن منظور : رأيت بخط القاضى شمس الدين أحمد بن خلكان : هذا الذى استدركه الشيخ على الجوهرىّ لا يرد عليه لأنه قال : إن القمر ينزل الثريا فى كل شهر مرة، وهذا كلام صحيح لأن القمر يقطع الفلك فى كل شهر مرة ويكون كل ليــلة فى منزلة والثريا من جملة المنازل فيكون القمر فيها فى الشهر مرة. (٤) تقدّمت رواية هذا البيت قريبا : «خليلىّ من أبناء عذرة». (٥) كذا فى حـ، أ، م. وفى باقى النسخ «رسيل» والرسيل : الرسالة كما روى عن ثعلب. (٦) أوذمت : أوجبت، يقال : أوذم على نفسه حجا أو سفرا أى أوجبه. (٧) أستنشى الحديث : أتعرّفه وأبحث عنــه، ومنه المستنشية للكاهنة، لأنها كانت تستنشى الأخبار أى تبحث عنها. (٨) كذا فى جميع الأصول ولعله : «عنها».

أخبرني محمد بن مَزيد قال حدّثنا حمّاد عن أبيه قال أنشدني أبو داود لابن ميّادة وهو يضحك منذ أنشدني إلى أن سكت :

ألم تَرَ أنّ الصاردِيّةَ (١) جاورتْ * ليالىَ بالمَمْدور غيرَ كثيرِ
ثلاثًا فلمّا أن أصابتْ فؤادَه * بسَهْمَيْن من كُحْلٍ دعتْ بهَجيرِ
بأَصْهَبَ (٢) يَرْمِي للزِّمام برأسه * كأنّ على ذِفْراه (٣) نَضْخَ (٤) عَبِيرِ
جلتْ إذ جلت عن أهل نجدٍ حميدةً * جَلاءَ غنيٍّ لا جلاءَ فقيرِ
وقالت وما زادتْ على أن تبسّمتْ * عَذيرَكَ (٥) من ذي شَيْبةٍ وعَذيري
عَدِمتُ الهوى ما يَبْرح الدهرَ مُقْصِدًا (٦) * لقلبي بسَهْمٍ في اليدين طَريرِ (٧)
وقد كان قلبي مات للوَجْد مَوْتةً * فقد هَمَّ قلبي بعدَها بنُشورِ

قال: فقلت: ما أضحكك ؟ فقال : كذب ابنُ ميّادة، والله ما جَلَتْ إلّا على حمار وهو يذكر بعيرا ويَصِفُه وأنها جَلَتْ جلاءَ غنيّ لا جلاءَ فقيرٍ، فأنطقه الشيطان بهذا كلّه كما سمعت .

---

(١) الصاردية : نسبة الى بنى صارد وهم حىّ من بنى مرة بن عوف بن غطفان ، ومنهم الشاعر حنش بن قراد الصاردىّ . (٢) الصهبة فى لون الإبل : أن يعلو الشعر حمرة وأصوله سود فاذا دهن خيل اليك أنه أسود . وقيل : هى أن يحمرّ الشعر كله . (٣) الذفرى : الموضع الذى يعرق من البعير خلف الأذن . (٤) يقال : نضخت الثوب نضخا (من بابى ضرب ونفع) اذا بللته ، كالنضح بالحاء . وقد اختلف فى أيهما أكثر ، والأكثر أن النضخ بالمعجمة أقل من النضح بالمهملة . وفرق الأصمعىّ بينهما فقال فى النضخ : إنه لا يتصرف فلا يرد منه فعل ولا فاعل فلا يقال الا أصابنى نضخ من كذا . (٥) يقال : عذيرك من فلان بالنصب أى هات من يعذرك منه اذا جازيته بصنعه . (٦) مقصدا : مصيبا قاتلا ، تقول : أقصدت الرجل اذا رميته أو طعنته بسهم فلم تخطئ مقاتله . وفى ط : «موفقا» يقال : أوفق السهم وبالسهم إيفاقا : وضع الفوق فى الوتر ليرمى كأنه مقلوب أفوق ، ولا يقال أفوق على الأصل إلا نادرا . وفى أ ، م : «موشقا» يقال أوشق الشيء فى الشيء اذا نشب فيه .
(٧) السهم الطرير : المحدّد .

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنى موسى بن زُهَير قال: مكثتْ أُمّ جَحْدر عند زوجها زمانا ثم مات زوجُها [عنها][1] ومات ولدُها منه، [فقدِمتْ نجدا على إخوتها وقد مات أبوها][2].

قص على سيار خبره معها آخر عهده بها حتى تزوجت

أخبرنى سَيّار بن نجيح المُزَنىّ[3] قال: لقيتُ ابن ميّادة وهو يبكى فقلت له: وَيْحَك! مالك؟ قال: أخرجتْنِى أُمّ جحدر وآلتْ يمينًا ألّا تكلّمنى، فانطلِقْ فاشفعْ لى عندها؛ فخرجتُ حتى غَشِيتُ رِوَاقَ بيتها فوجدتُها وهى تَدْمُك[4] جَرِيرًا لها بين الصَّلَايَة[5] والمُدُقّ تريد أن تَخْطِم به بعيرًا تُحُجّ عليه؛ فقالت: إن كنت جئت شَفِيعًا لابن ميّادة فبيتى حرامٌ عليك أن تُلْقِىَ فيه قدمَك. قال: فحجّتْ، ولا والله ما كلّمتْه ولا رآها ولا رأتْه. قال موسى قال سَيّار: فقلت له: اذكُرْ لى يومًا رأيتَه منها؛ فقال لى: أمَا والله لأخبرنّك يا سَيّار بذلك: بعثتُ إليها عجوزًا منهم فقلتُ: هل تَرَيْنَ من رجالٍ؟ فقالت: لا والله، ما رأيتُ من رجل؛ فألقيتُ رَحْلى على ناقتى ثم أرسلتُها حتى أنختُها بين أطنابِ بيتهم؛ ثم جعلتُ أقيّد الناقة، فما كان إلا ذاك حتى دخلتُ وقد ألقتْ لى فراشًا مرقوما[6] مطموما[7]، وطرحتْ لى وسادتين على عَجُز الفِراش وأخريين على مقدّمه؛ قال: ثم تحدّثنا ساعةً وكأنّما تُلْعِقُنى بحديثها الرُّبّ[8] من حلاوته، ثم إذا هى تَصُبّ فى عُسٍّ[9] مخضوبٍ بالحِنّاء والزعفران من ألبان اللِّقاح، فأخذتُ منها ذلك ٩٦/٢

(١) الزيادة عن حـ. (٢) هذه الزيادة فى حـ، سـ، م، أ. (٣) لم نعثر فيه على ضبط خاص. وقد سمى بنجيح كزبير وكأمير. (٤) تدمك: ترقق وتلين. والجرير: حبل من أدم ملين يخطم به البعير. (٥) الصلاية: كل حجر عريض يدق عليه عطر أو حنظل. (٦) هذه الكلمة سقطت من ط. (٧) كذا فى جميع الأصول ولعله محرف عن «منصودا» أو نحو ذلك. (٨) الرب بالضم: دبس الرطب اذا طبخ. وفى حـ: «وكأنما تلعقنى الزبد». (٩) العس: القدح الضخم يروى الثلاثة والأربعة والعدة. وفى الحديث أنه «كان يغتسل فى عس حزر ثمانية أرطال أو تسعة».

العُسّ وكأنه قناةٌ فراوحتُه بين يديّ، ما ألقمتُه فمي ولا دَرَيْتُ أنه معي حتى قالت لى عجوز : ألا تصلّى يابنَ ميادة لا صلّى الله عليك فقد أظلّك صَدْر النهار![1] ولا أحسَب إلا أنّى فى أوّل البُكْرة، قال: فكان ذلك اليومُ آخرَ يومٍ كلّمتُها فيه حتى زوّجها أبوها، وهو أظرفُ[2] ما كان بينى وبينها .

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنى حَكَم[3] بن طَلْحة الفَزَارِىّ ثم المَنْظُورِىّ قال :

قال ابن مَيّادة : إنّى لأعلم أقصرَ يومٍ مرّ بى من الدهر، قيل له : وأىُّ يوم هو يا أبا الشَّرَحْبِيل؟ قال: يومٌ جئتُ فيه أمّ جَحْدرٍ باكرًا فجلستُ بفِنَاء بيتها فدعتْ لى بعُسٍّ[4] من لبن فأُتيتُ به وهى تحدّثنى، فوضعتُه على يدى وكرهتُ أن أقطع حديثَها إن شربتُ ، فما زال القدح على راحتى وأنا أنظر إليها حتى فاتتنى صلاةُ الظهر[5] وما شربت .

قال الزبير : وحدّثنى أبو مسلمة[6] موهوب بن رَشِيد بمثل هذا، وزاد فى خبره : وقال ابن مَيّادة فيها أيضا :

ألم تر أن الصارِدِيّةَ جاورتْ * ليالىَ بالمَنْدُور غيرَ كثيرِ
ثلاثًا فلما أن أصابتْ فؤادَه * بسهمينْ من كُحْل[7] دعتْ بهَجِيرِ

(١) كذا فى س، م، أ . وفى سائر النسخ : «الرجال» وهو تحريف . (٢) فى ى، ط : «أطرف» بالطاء المهملة . (٣) فى حـ : «حكيم»، ولم نعثر على ترجيح إحدى الروايتين . (٤) العس : القدح الضخم . (٥) فى ى، ط : «حتى فاتتنى الأولى وما شربت» . والأولى هى صلاة الظهر . وفى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلى الهجير التى تدعونها الأولى حين تدحض الشمس، وفسرها القسطلانىّ فى ج ١ ص ٦٢٠ بصلاة الظهر، وقال : لأنها أول صلاة فى إمامة جبريل عليه السلام . (٦) كذا فى ط وهو الموافق لما تقدم باتفاق الأصول . وفى سائر النسخ : «أبو سلمة» . (٧) كذا روى فيما تقدّم قريبا وفى أغلب الأصول «لغب» بالغين المعجمة ولم يظهر له معنى مناسب . وفى ى : «من لعب» بالعين المهملة .

بأحمرَ ذَيَّالِ(١) العَسِيبِ مفرَّجٍ(٢) * كأنَّ على ذِفْراه نَضْخَ عَبِيرِ
حلفتُ بربِّ الراقصاتِ إلى مِنًى * زَفِيفَ القَطَا يقطعْنَ بطنَ هَبِيرِ(٣)
لقد كاد حبُّ الصارِديَّةِ بعدما * علا فى سَوَاد الرأسِ نَبْذُ قَتِيرِ(٤)
يكون سَفَاهًا أو يكونُ ضمانةً(٥) * على ما مضى من نعمةٍ وعُصُورِ
عدمتُ الهوى لا يَبْرَحُ الدهرَ مُقْصِدًا * لقلبى بسهمٍ فى الفؤاد طَرِيرِ
وقد كان قلبى مات للحبّ موتةً * فقد همّ قلبى بعدها بنُشُورِ
جَلَتْ إذ جلت عن أهلِ نجد حميدةً * جلاءَ غنًى لا جلاءَ فقيرِ

ومما يغنَّى فيه من أشعار ابن مَيَّادة فى النَّسِيب بأمّ جَحْدَرٍ [قوله](٦) :

صوت

ألَا يا لَقَوْمِى لِلهوى والتذكُّرِ * وعينٍ قَذَى إنسانِها أمُّ جَحْدَرِ(٧)
فلم تَرَ عينى مثلَ قلبىَ لم يَطِرْ * ولا كضلوعٍ فوقَه لم تَكَسَّرِ

الغناء لإسحاق ثقيلٌ أوّلُ بالوسطى .

جاءه سيار فى حالة فرأى جاريته وسمع شعره فيها

أخبرنا الحَرَمِىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَيرِ بن بَكّار قال حدّثنا حَكِيم(٨) بن طَلْحة الفَزَارِىّ عن رجل من كَلْبٍ قال :

---

(١) تقدم هذا البيت قريبا فى ص ٢٧٧ برواية أخرى . (٢) الذيال : طويل الذيل . والعسيب : عظم الذنب، وقيل منبت الشعر منه . والمفرج : ما بان مرفقه عن إبطه، قال الشاعر :

متوسدين زمام كل نجيبة * ومفرّج عرق المقذ موّق

(٣) الهبير : رمل زرود فى طريق مكة . (٤) القتير : المشيب . وأصل القتير رءوس مسامير حلق الدروع تلوح فيها، شبه بها الشيب اذا نقب فى سواد الشعر . ونبذ القتير : الشيء القليل منه، يقال : فى اللحية نبذ من شيب، أى قليل . (٥) الضمانة : البلاء . (٦) الزيادة عن حـ .
(٧) لعل المراد أنّ أم جحدر سبب جريان دموعه كما أنّ القذى يقع فى العين فتسيل دموعها .
(٨) كذا فى أغلب الأصول « حكيم » بالياء . وفى أ ، م : « حكم » ولم نعثر على ترجيح إحدى الروايتين . وقد تقدّم قريبا باسم حكم فى أغلب النسخ .

جنيتُ جنايةً فغرِمْتُ فيها، فنهضتُ إلى أخوالى بنى مُرّةَ فاستعنتُهم فأعانونى، فأتيتُ سَيّار بن نجيح أحدَ بنى سَلْمى بنِ ظالِم فأعاننى، ثم قال: انهضْ بنا إلى الرّمّاح ابن أَبْرَدَ — يعنى ابنَ مَيّادةَ — حتى يُعِينَك، فدفعْنا[1] إلى بيتين له، فسألنا عنه فقيل: ذهَب أمسِ، فقال سَيّار: ذهب الى أَمَةٍ[2] لبنى سُهَيل، فخرجْنا فى طلبه فوقعْنا[3] عليه فى قَرارةٍ[4] بيضاء بين حَرّتين، وفى القَرارة غَنَمٌ من الضأن سُودٌ وبيضٌ، وإذا حمارٌ مقيّد مع الغنم وإذا به معها، فجلسْنا فإذا شابّةٌ حلوة صفراء فى دُرّاعةٍ مورّسةٍ[5]، فسلّمْنا وجلسْنا، فقال: أُنْشِدُهم مما قلتُ فيك شيئا، فأنشدتْنا: ٩٧ / ٢

يُمَنّونَنى منكِ اللقاءَ وإننى * لأَعلمُ لا أَلقاكِ من دونِ قابِلِ
إلى ذاك ما حارتْ أمورُك وانجلتْ * غَيَابةُ[6] حُبِّيكِ انجلاءَ المَخايِلِ[7]
إذا حَلّ أهلى بالجِنَاب[8] وأهلُها * بحيث ٱلتقَى الغُلّانُ[9] من ذى أرائِلِ[10]
أقلْ خُلّةٌ بانتْ وأَدْبر وصلُها * تقطّعُ منها باقياتُ الحبائِلِ
وحالتْ شهورُ الصيفِ بينى وبينها * ورفعُ الأعادى كلَّ حقٍّ وباطِلِ

---

(١) دفع الى كذا: انتهى اليه. (٢) كذا فى أ، م، ى. وفى ط «أمة بنى سهيل» بالاضافة. وفى باقى النسخ: «أمه» بالهاء وهو تحريف. وسياق الحكاية بعد يدل على ذلك.
(٣) فى أ، م، ى، ط «فوقفنا» بالفاء. (٤) القرارة: المطمئن من الأرض. وقال أبو حنيفة: القرارة: كل مطمئن ٱندفع اليه الماء فاستقرّ فيه. (٥) مورّسة: مصبوغة بالورس وهو نبت أصفر يكون باليمن. (٦) الغيابة: كل ما أظلك من سحاب أو غبرة أو نحوهما. وفى الأصول: «غيابة». (٧) المخايل: جمع مخيلة وهى السحابة التى اذا رأيتها حسبتها ماطرة.
(٨) الجناب بكسر الجيم: أرض لغطفان كما نقل أبو حاتم عن الأصمعى، وقيل أرض بين فزارة وكلب، وقيل أرض لفزارة وعذرة. ويدل على أن لعذرة فيه شركة قول جميل لبثينة: ما رأيت عبد الله ابن عمرو بن عثمان يمرّ على البلاط إلا غرت عليك وأنت بالجناب. وكان عبد الله هذا فائق الجمال.
(٩) الغلان بالضم: منابت الطلح، وهى أودية غامضة فى الأرض ذات شجر واحدها غال وغليل.
(١٠) كذا فى ب. وفى س، ح: «أرايل» بالياء من غير همز. وفى أ، م، ط: «أذابل» بالباء الموحدة، ولم نجد فى معجم ياقوت ولا معجم ما استعجم للبكرى ولا فى كتب اللغة التى بين أيدينا موضعا يسمى بشىء مما جاء فى هذه الأصول.

أقــول لعــذّالىّ لمـا تقابــلا * علىّ بلوم مثل طعن المعابل(١)
لا تكثرا(٢) عنها السـؤال فإنهـا * مصلصلة(٣) من بعض تلك الصلاصل(٤)
من الصفر لا ورهاء(٥) سمج(٦) دلالها * وليست من السود القصار الحوائل(٧)
ولكنها ريحانة طاب نشرها * وردت عليها بالضحى والأصائل

ثم قال لها : قومى فاطرحى [عنك](٨) درّاعتك، فقالت: لا حتى يقول لى سيّار بن نجيح ذلك، فأبى سيّار ؛ فقال له ابن ميادة : لئن لم تفعل لا قضيتُ حاجتكما، فقال لهـا فقامت فطرحتها ، فمـا رأيتُ أحلى منها . فقال له [سيّار](٩): فمالك يا أبا الشّرحبيل لا تشتريها ؟ فقال : إذًا يفسد حبّها .

ابن ميادة وصخر ابن الجعد الخضرى

أخبرنى الحرمىّ قال حدّثنا الزّبير قال حدّثتنى مغيرة بنتُ أبى عدىّ بن عبد الجبّار ابن منظور بن زبّان(١٠) بن سيّار الفزاريّة قالت أخبرنى أبى قال :

جمعنى وابنَ ميّادة وصخر بن الجعد الخضرىّ مجلس، فأنشدنا ابن ميّادة قولَه :

يمنّوننى منـك اللقاءَ وإننى * لأعلمُ لا ألقاك من دون قابل

---

(١) كذا فى ط. المعابل جمع معبلة، والمعبلة : نصل طويل عريض، وفى باقى الأصول «المعاول» .
(٢) كذا فى ء، ط . وفى أ، م : «فلا تكثرن» وفى سائر النسخ «ألا تكثرا» .
(٣) مصلصلة : مصوّتة . (٤) قال الليث : الصلصل : طائر تسميه العجم الفاختة، و يقال : بل هو الذى يشبهها . وقال الأزهرى : الصلصلة والعكرمة والسعدانة : الحمامة . (٥) ورهاء : خرقاء بالعمل، من الوره وهو الحمق . (٦) السمج : الذى لا ملاحة فيه . (٧) الحوائل : جمع حائلة وهى المتغيرة اللون، يقال : رجل حائل اللون اذا كان أسود متغيرا وحال لونه أى اسودّ .
(٨) الزيادة عن أ، م . (٩) الزيادة عن أ، حـ . (١٠) كذا فى شرح القاموس للسيد مرتضى مادة «نظر» وكتاب المعارف لابن قتيبة ص ٥٥ وفى ب، أ، حـ : «زيان» وسيرد كذلك فى مواضع متعدّدة من كتاب الأغانى . وفى سـ : «ريان» . والظاهر أنهما تحريف .

فأقبل عليه صخر فقال له : المحبّ المُكبُّ يرجو الفائتَ ويغُمّ الطيرَ(١)، وأراك حسَنَ العزاءِ يا أبا الشُّرَحْبِيل؛ فأعرض عنه ابنُ ميّادة . قال أبو عَدِىّ فقلت :

صادَفَ دَرْءُ السَّيْلِ(٢) سيلاً يدفعُهْ * بهَضْبةٍ تردُّه وتدفَعُهْ

— ويروى : دَرْءُ(٣) السيل سيلٌ — فقال لى(٤) : يا أبا عدىّ ، والله لا أتلطّخ بالخُضْرِ مرّتين

وقد قال أخو عُذرة :

هو العبـــدُ أقصَى همِّه أن تَسُـبَّه * وكان سِبَابُ الحرِّ أقصى مدى العَبْدِ

قال الزبير : قوله يغمّ الطير(١) يقول : إذا رأى طيراً لم يزجُرْها مخافةَ أن يقع ما يكره . قال : فلم يُحِرْ إليه صخر بن الجَعْد جوابا . يعنى بقوله : «لا أتلطخ بالخُضْر مرّتين» مُهَاجاتَه الحَكَمَ الخُضْرِىّ ، وكانا تَهاجَيَا زمانًا ثم كفَّ ابنُ ميّادة وسأله الصلحَ فصالَحه الحكمُ .

ابن ميادة والحكم الخضرى وبدء تهاجيهما

أخبرنى الحرمىّ(٥) بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال حدثنى أبو مَسْلَمة موهوبُ(٦) بن رَشِيد عن عبد الرحمن بن الأَحْول التغلِبىّ ثم الخَوْلانىّ قال :

كان أوّل ما بدأ الهجاءُ بين ابن ميّـادة وحَكَم بن مَعْمر الخُضْرِىّ أن ابنَ ميّادة مرّ بالحَكَم بن مَعْمر وهو يُنْشِـد فى مصلّى النبىّ صلى الله عليه وسـلم فى جماعة من الناس قولَه :

---

(١) فى جميع النسخ : «يعم» بالعين المهملة ، وهو تحريف (انظر الحاشـية رقم ١ ص ١٣٨ من الجزء الأوّل من الأغانى طبع دار الكتب المصرية) . (٢) كذا فى ء يقال : درأ السيل درءا اذا اندفع . وفى بقية الأصول : «دبر» . والدبر : آخر الشىء . وقد جاء هذا البيت فى تاج العروس مادة «درأ» هكذا :

صادف درء السيل سيل يدفعه * بهضبة طورا وطورا يمنعـــه

(٣) كذا فى ء . وفى ب : «ويروى درّ السيل فقال الخ» . وفى أ ، م : «ويروى درّ السيل سيل فقال الخ» . (٤) كذا فى ط . وفى باقى الأصول : «له» . (٥) كذا فى أ ، م ، ء ، وهو المعروف بالرواية عن الزبير بن بكار . وفى ب ، س ، حـ : «الحكم بن أبى العلاء» وهو تحريف من النساخ . (٦) كذا فى أغلب النسخ . وفى حـ : «مرهوب» بالراء وقد تقدّم هذا الاسم مرارا .

٩٨/٢

لمن الديارُ كأنّها لم تُعْمَـرِ * بين الكِنَاسِ[١] وبين بُرْقِ[٢] مُحَجَّرِ[٣]

حتى انتهى الى قوله :

يا صاحِبَىَّ ألم تَشِيَما بارِقًا * نُضِحَ الصُّرَادُ[٤] به فهَضْبُ المُنْحَرِ[٥]

قد بتُّ أَرْقُبُـه وبات مصعِّدًا * نَهْضَ المقيَّد فى الدَّهَاسِ[٦] المُوقَرِ[٧]

(١) الكناس : موضع من بلاد غنىّ . قال جرير :

لمن الديار كأنها لم تحلـل * بين الكناس وبين طَلْح الأعزل

كذا فى معجم ياقوت فى اسم «الكناس» . وقال البكرىّ فى معجم ما استعجم : هو موضع ينسب اليه رمل الكناس فى بلاد عبد الله بن كلاب، قاله ابن الأعرابىّ وأنشد للأعور بن براء من بنى عبد الله ابن كلاب : ومتى وسرّ الله بينى و بينها * عشيةَ أحجار الكناس رميمُ

(٢) البُرَق بضم ففتح (وسكنت الراء هنا للضرورة) : جمع برقة وهى أرض غليظة مختلطة بحجارة ورمل . قال ابن شميل : الغالب على حجارتها البياض وفيها حجارة سود وحمر وترابها أبيض وأعفر وهو يبرق بلون حجارتها . ويحتمل أن يراد بالبرق واحده وهى البرقة فان برقة قد يذكرها الشاعر بلفظ بُرَق . ولهذا الاستعمال شواهد كثيرة (انظرها فى تاج العروس مادة برق) . (٣) محجر (بكسر الجيم المشدّدة وروى بفتحها) : اسم لمواضع كثيرة ذكرها ياقوت فى اسم المحجر . (٤) كذا فى معجم ما استعجم للبكرىّ فى اسم الصراد وقد ضبطه بضم أوّله وتخفيف ثانيه وقال إنه موضع تلقاء يأجج ثم أنشد هذا البيت، وقال بعد أن أنشده : هكذا نقلته من خط يعقوب : بضم الصاد، ورواه القالى عن ابن عرفة بكسرها وأنشد لجعدى :

أسدية ترعى الصراد اذا * صافت وتحضر جانبى شعر

فذكر أنهـا من منازل بنى أسـد . وفى ب، س، حـ، أ «المزار» : وفى ء، م، ط : «المزاد» . (٥) هضب المنحر : هضاب حمر فى أرض بنى ثعلبة ذكرها البكرىّ فى معجم ما استعجم ص ٣٩٨ وأنشد عليها هذا البيت . (٦) الدهاس : المكان السهل اللين ليس برمل ولا تراب ولا طين لاينبت شجرا وتغيب فيه القوائم ويثقل فيه المشى . والموقر : المثقل وهو صفة للقيد . (٧) ورد هذا البيت فى معجم البكرى ص ٣٩٨ :

ركب السحاب وظل ينهض مصعدا * نهض المعبـد فى الدهاس الموقر

والمعبد : البعير المذلل .

فقال [له](١) ابن مَيّادة : ارفعْ الىّ رأسَك أيها المنشِد، فرفع حَكَمٌ إليه رأسَه، فقال له : من أنت؟ قال : أنا حكم بن مَعْمَر الخُضْرِىّ، قال : فوالله ما أنت فى بيتِ حسبٍ، ولا فى أُرُومةِ شِعْرٍ، فقال له حَكَم : وما ذا عِبْتَ من شِعرى؟ قال : عِبْتُ أنك أدْهستَ وأوْقرتَ، قال له حكم : ومن أنت؟ قال أنا ابن مَيّادة، قال : ويحك! فلِمَ رَغِبتَ عن أبيك وآنتسبتَ إلى أمك؟ قبّح الله والدينِ خيرُهما مَيّادة، أمَا والله لو وجدتَ فى أبيك خيرا ما آنتسبتَ إلى أمك راعيةِ الضأن. وأما إدْهاسى وإيقارى فإنى لم آتِ خَيْبَرَ إلّا مُمْتَارًا لا مُتَحامِلا(٢)، وما عدوتَ أن حكيتَ حالَك وحالَ قومك، فلو[كنتَ](٣) سكتَّ عن هذا لكان خيرًا لك وأبقى عليك. فلم يفترقا إلا عن هِجاء.

أخبرنى الحَرَمِىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا عبد الله بن إبراهيم الجُمَحِىّ قال حدّثنى عُمَير(٤) بن ضَمْرة الخُضْرِىّ قال :

أوّلُ ما هاج الهجاءَ بين ابن مَيّادة وبين حَكَم بن مَعْمَر بن قَنْبَر بن جَحّاش بن سَلَمة بن ثعْلَبة بن مالك بن طَرِيف بن مُحارِب ـ قال : والخُضْر ولد مالك بن طَرِيف، سُمُّوا بذلك لأن مالكا كان شديد الأُدْمَة، وكذلك خرج ولدُه فسُمُّوا الخُضْرَ ـ أن حَكَمًا نزل بسُمَيرِ(٥) بن سَلَمة بن عَوْسَجة بن أَنَس بن يَزِيدَ بن مُعاوية بن ساعدةَ بن عَمْرو وهو خُصَيلة بن مُرّة . فأقبل ابنُ مَيّادة إلى حَكَم ليَعْرِضَ(٦) عليه شعرَه وليسمعَ من شعره، وكان حَكَم أسنَّهما، فأنشدا جميعا جماعةَ القوم، ثم قال ابن مَيّادة : والله لقد أعجبنى بيتان قلتَهما يا حَكَمُ، قال : أو ما أعجبك من شعرى إلا بيتان! فقال:

(١) الزيادة عن حـ . (٢) يقال : تحامل أى تكلف الحمل بالأجرة، ومنه الحديث : «كان اذا أمرنا بالصدقة انطلق أحدنا الى السوق فتحامل» . أى تكلف الحمل بالأجرة ليكسب ما يتصدق به .

(٣) الزيادة عن حـ . (٤) فى حـ : «عميرة» . (٥) فى أ ، م : «شمير» بالشين المعجمة . (٦) كذا فى ط . وفى باقى الأصول : « ليعرض عليه شعره أو يسمع الخ » .

والله لقد أعجبانى، يردّد ذلك مرارا لا يزيده عليه؛ فقال له حكم: فأىُّ بيتينِ هما؟ قال: حين تُسَاهِمُ بين ثوبيْها وتقول:

فــوالله ما أدرِى أَزِيدتْ مَلاحَةً * وحُسنًا على النِّسوَانِ أم ليس لى عقلُ
تَساهَــم[1] ثوباها ففِى الدِّرع[2] غادَةٌ[3] * وفى المِرْط[4] لفّـاوانِ رِدْفهُما عَبْـلُ

فقال له حَكَم: أوَ ما أعجبَك غيرُ هذين البيتين؟ فقال له ابن مَيّادَة: قد أعجبانى، فقال: أوَ ما فى شعرى ما أعجبك غيرُهما؟ فقال: لقـد أعجبانى؛ فقال له حَكَم: فإنّى سوف أَعيب عليك قولك:

ولا برِح المَمْــطور رَيّان مُخْصِبًا * وجِيــدَ[5] أَعالِى شِعْبه وأسافلُهْ

فاستسقيتَ لأعلاه وأسفلِه وتركتَ وسطَه وهو خير موضع فيه؛ فقال: وأىَّ شىء تريد! تركتُه لا يزال رَيّان مُخْصبا. وتهاترا فغضب حَكَم فارتحل ناقتَه وهَدَر[6] ثم قال:

* فإنّه يومُ قَرِيضٍ ورَجَزْ *

فقــال رجل من بنى مُرّة لابن مَيّادة: اهدِرْ كما هدَر يا رمّاح، فقال: إنّمـا يَغِطُ[7] البَكْر. ثم قال الرَّمّاح:

فإنّه يومُ قَـــرِيضٍ ورَجَزْ * مَن كان منكم ناكِزًا فقــد نَكَزْ
* وبيّن الطِّرْفُ النَّجيب فبرَزْ *

(١) تساهم ثوباها: تقارعا وتقاسما. (٢) الدرع: الثوب الصغير تلبسه الجارية فى بيتها.
(٣) كذا فى أغلب النسخ، والغادة: الفتاة الناعمة اللينة. وفى ط، ء، حـ: «رأدة» والرأدة: الشابة الحسنة السريعة الشباب مع حسن غذاء. (٤) المرط: كساء يؤتزر به، ولفاوان: تثنية لفاء وهى الفخذ الضخمة. (٥) جيد: سق مطرا جودا أى غزيرا. (٦) هدر الفحل: صوّت فى غير شقشقة. وفى الصحاح: ردّد صوته فى حنجرته. (٧) يغط: يهدر فى شقشقته. والبكر: الفتىّ من الإبل.

قال الزُّبَيْر : يريد بقوله ناكزا : غائضا قد نزَف . قال الزُّبَيْر : وسمعت رجلا من أهل البادية يَنْزِع على إبِلٍ له كثيرة من قَلِيب و يرتجز : ٩٩/٢

قد نَكَزَتْ أنْ لم تكن خَسِيفًا[1] * أو يكنِ البحرُ لها حَلِيفَا

قال الزُّبَيْر قال الجُمَحىّ قال عُمَيْر بن ضَمْرة[2] : فهذ أوّل ماهاج التهاجِىَ بينهما .

فضلت أم جحدر ابن ميادة على الحكم وعملس فهجواها

قال الزُّبَيْر قال الجُمَحىّ : وحدّثنى عبد الرحمن بن ضَبْعان المُحارِبىّ قال : كان ابن مَيّادة وحَكَم الخُضْرىّ وعَمَلَّس بن عَقِيل بن عُلَّفَة[3] مُتَجاورِين مُتَحالِّين، وكانوا جميعا يتحدّثون إلى أمّ جَحْدَر بنت حَسّان المُرِّيّة، وكانت أمّها مَوْلاة، ففَضَّلت ابنَ ميّادة على الحَكَم وعَمَلَّس فغضبا . وكان ابن ميّادة قال فى أم جَحْدَر :

أَلَا ليت شِعْرِى هل إلى أمّ جَحْدَرٍ * سبيلٌ فأمّا الصَّبْرُ عنها فلا صَبْرَا

ويا ليت شِعْرِى هل يَحُلَّنّ أهلُها * وأهلُكَ رَوْضاتٍ ببطن اللِّوَى خُضْرا

وقال فيها [أيضاً][4] :

إذا رَكَدتْ شمسُ النهار ووضَّعتْ[5] * طَنافِسَها ولَّيْنها الأعيُنَ الخُزْرَا

الأبيات ؛ فقال عَمَلَّس بن عَقِيل وحَكَم الخُضْرىّ يهجُوانها — وهى تُنسب إلى حَكَم — :

لَا عُوفِيتْ[6] فى قبرها أمّ جَحْدَرٍ * ولا لَقِيَتْ إلّا الكَلالِيبَ[7] والجَمْرَا

كما حادثتْ عبدًا لئيما وخِلْتُه * مِن الزاد إلّا حَشْوَ رَيْطاته صِفْرا

(١) الخسيف : البئر التى تحفر فى الحجارة فلا ينقطع ماؤها كثرة . (٢) فى حـ : «عميرة ابن ضمرة» . وفى أ ، م ، ء ، ط : «غيث بن ضمرة» . (٣) كذا ورد فى القاموس مادة علف بضم العين وفتح اللام المشدّدة فى علفة هذا والد عقيل ، وعلفة والد المستورد الخارجى ، ولكن ابن الأثير فى تاريخه طبع ليدن ج ٣ ص ٣٥٣ قال فى ضبط علفة والد المستورد : إنه بضم العين المهملة وتشديد اللام المكسورة وفتح الفاء . (٤) الزيادة فى حـ . (٥) وضعت طنافسها : نضدتها ونظمتها . (٦) كذا فى ط وهذه الرواية وان كان فيها خرم أظهر وأنسب بقوله «ولا لقيت» بعده وفى باقى الأصول «ألا عوقبت» . (٧) الكلاليب : جمع كلوب وكلاب ، وهو هنا الحديدة المعطوفة كالخطاف .

فياليتَ شِعرِى هل رأت أمُّ جَحْدَرٍ (١) * أَكُشَّكَ أو ذاقت مَغابِنَكَ (٢) القُشْرَا (٣)
وهل أبصرتْ أَرْساغَ (٤) أَبْرَدَ أو رأت * قفا أمّ رَمّاح إذا ما استقت (٥) دَفْرا (٦)
وبالغَمْرِ قد صَرَّتْ (٧) لِقاحًا وحادثتْ (٨) * عبيدا فسَلْ عن ذاك نَيّانَ (٩) فالغَمْرا

وقال عَمَلّس بن عَقِيل بن عُلَّفَة ويقال : بل قالها عُلَّفَة بن عَقِيل :

فــلا تَضجعا عنهــا الطنافسَ إنّمــا * يُقَصِّر بالمِرْماة (١٠) مَن لم يكن صَــقْرَا

وزاد يحيى بن علىّ مع هــذا البيت عن حَمّاد عن أبيه عن جرير بن رِبَاط (١١) وأبى داود قال : يُعرِّض بقوله : «مَن لم يكن صَقْرا» بابن مَيّادة أى إنّه هَجِين ليس من أَبَوَيْن متشابِهَيْن كما الصقر . وبعدَه بيت آخَرُ من رواية يحيى ولم يَرْوه الزُّبَيْر (١٢) معه :

مُنَعَّمةٌ لم تَلْقَ بؤسًا وشِــقْوةً * بنجدٍ ولم يَكْشِف هَجِينٌ لها سِتْرَا

قالوا جميعا : فقال ابن مَيّادة يهجو عُلَّفَة :

أعُلَّفَ إنّ الصقر ليس بمُــدْلِج * ولكــنّه بالليــل مُتَّخِذٌ وَكْرَا
ومُفْتَرِشٌ بين الجَنــاحين سَــلْحَهُ * إذا الليل ألقَى فوق خُرْطومه كِسْرا (١٣)

---

(١) لم نهتد الى تحقيق هذه الكلمة ، وقد بحثنا عن هذا الشعر فى الأمالى والكامل والمفضليات وشرح الحماسة فلم نجده ، ولعلها «كثيثك» وهو الشعر الكثيف . (٢) المغابن : الآباط والأرفاغ وهى بواطن الأفخاذ ، واحدها مغبن . (٣) القشر : جمع أقشر وهو الشديد الحمرة أو الأبرص . (٤) الأرساغ : جمع رسغ وهو مفصل ما بين الكف والذراع وقيل مجتمع الساقين والقدمين وقيل هو مفصل ما بين الساعد والكف والساق والقدم . (٥) كذا فى جميع الأصول ولعلها محرفة عن : «اتقت» . (٦) دفرا : دفعا ، يقال : دفرته فى قفاه دفرا أى دفعته . (٧) تقول : صررت الناقة أى شددت عليها الصرار وهو خيط يشدّ فوق الخلف لئلا يرضعها ولدها . (٨) فى ط : «وجاذبت» وهو تحريف . (٩) كذا فى ى . وفى ب ، س ، حـ : «زيان» . وفى م : «تبيان» وانظر الحاشية رقم ٨ ص ٢٧٢ من هذا الجزء . (١٠) المرماة : سهم يتعلم به الرامى . وفى حـ : «بالموماة» وهى المفازة الواسعة . (١١) فى ى ، ط : «جبر بن رباط» وقد تقدّم هذا الاسم قريبا كذلك . (١٢) كذا فى أغلب النسخ . وفى س ، ب ، ط : «على بن يحيى» وقد تقــدّم فى أول السند «يحيى بن على» وفيما يأتى أيضا «يحيى بن على» . (١٣) الكسر فى الأصل : الشقة السفلى من الخباء ، ويراد هنا أن الليل غطاه وستره .

فإنْ يكُ صـقرا بعـد ليـلة أمّه * وليـــلة جَحّاف(١) فأُفٍّ له صـقرا
تَشُــدّ بكفّيهـا على جِذْل أَيْرِه * إذا هى خافت من مَطِيّتها نَفْـرا

يريد أنّ أمّ عُلَّفَة من بنى أَنْمـار، وكان أبوه عَقِيـلُ بن عُلَّفَة ضربها، فأرسلت إلى رجل من بنى أَنْمـار يقال له جَحّاف، فأتاها ليلا فاحتملها على جمل فذهب بهـا .

وقال يحيى بن علىّ خاصّة فى خبره عن حمّاد عن أبيه عن أبى داود : إنّ جَحّاف بن إِيَاد كان رجلا من بنى قِتَال بن يَرْبوع بن غَيْظ بن مُرّة، وكان يتحـدّث إلى آمرأة ١٠٠/٢ عَقِيل بن عُلَّفَة ـ وهى أمّ ابنه عُلَّفَة بن عَقِيل ـ ويُتَّهم بها، وهى آمرأة من بنى أَنْمار بن بَغِيض(٢) بن رَيْث بن غَطَفان يقال لها سُلَافَة، وكانت من أحسن الناس وجها، وكان عَقِيل من أَغْيَر الناس، فربَطها بين أربعة أَوْتَاد ودهَنها بإِهالَة(٣)، وجعلها فى قرية نَمْل(٤)، فمرّبها جَحّاف بن إياد [ليلا](٥) فسمِع أنينَها، فأتاها فاحتملها حتى طرَحها بفَدَك، فاستعدت واليَها على عَقِيل. وقام عَقِيل من جوف الليل فأوقد عُشْوَة(٦) ونظَرها فلم يجدها ووجد أثر جَحّاف فعرَفه وتبِعه حتّى صَبّح القرية، وخَنَس جَحّاف عنها، فأتى الوالىَ فقال: إنّ هذه رأتنى قد كَبِرتْ [سِنّى](٧) وذهب بصرى فاجترأَتْ علىّ، وكان عَقِيل رجلا مَهِيبا فلم يعاقبه الوالى بما صنَعه لَموْضعه من صِهْر بنى مَرْوان . قال : فعيّر ابنُ مَيّادة عُلَّفَةَ بن عَقِيل بأمر جَحّاف هذا فى قوله :

فإنْ يكُ صقرا بعد ليــــلة أمّه * وليــلةِ جَحّاف فأُفٍّ له صقرا

(١) كذا فى ط . وقد نص فى القاموس وشرحه على التسمية به . وفى سائر النسـخ : جحاف بتقديم الحاء على الجيم ولم نعثر على أنه سمى به . (٢) فى ب ، س ، حـ : «بنى أنمـار من بغيض» وهو تحريف ، لأن بغيضا ولد ذبيان وعبسا وأنمـارا ، كما فى المعارف لابن قتيبة طبـع أوروبا ص ٣٩
(٣) الإهالة : الشحم المذاب . (٤) قرية النمل : مايجمعه النمل من التراب . (٥) الزيادة عن أ ، ء ، م ، حـ . (٦) العشوة (بالضم والكسر) : النار يستضاء بها ، قال أبو زيد : ابغونا عشوة أى نارا نستضىء بها . (٧) الزيادة فى حـ . والذى فى سائر الأصول : « كبرت » .

قال : ولَجَّ(١) الهجاءُ بينهما . وقال فيه ابنُ مَيّادة وفى حَكَمٍ الخُضْرِىّ وقد عاون عُلَّفَة :

لقــد ركِب الخُضْرِىُّ مِنّى وتِرْبُه * على مَرْكَب من نابيات المَراكِبِ

وقال لعُلَّفَة :

يا بنَ عَقيــل لا تكن كَذُوبا * أألن شَرِبتَ الحَــزْرَ(٢) والحَليبا
من شَــوْل(٣) زيد وشَمَمْتَ الطِّيبَا * جَهْــلًا تَجَنَّيتَ لِىَ الذنوبا

قال : ثم لم يُلْبِثْه ابنُ مَيّادة أن غلبه ، وهاج التهاجى بينه وبين حَكَمٍ الخُضْرِىّ ، وانقطع عنه عُلَّفَة مفضوحا . قال : وماتت أُمّ جَحْدَر التى كان يَنْسُب(٤) بها ابن مَيّادة على تَفِيئَةِ(٥) ما كان بينه وبين عُلَّفَة من المُهاجاة ، ونُعِيتْ له فلم يُصدِّق حتّى أتاه رجل من بنى رَحْل يقال له عَمّار فنعاها له ؛ فقال :

ما كنتُ أحسَب أنّ القوم قد صدقوا * حتّى نعاها لىَ الرَّحْــلِىُّ عمّــارُ

وقال يرثيها :

خَلتْ شُعَبُ المَنْدُور لستَ بواجدٍ * به غيرَ بالٍ من عِضاهٍ(٦) وحَرْمَلِ
تمنّيتَ أنْ تلْــقَى به أمَّ جَحْــدَرٍ * وماذا تَمَنّى من صَدًى تحتَ جَنْدَلِ
فلَلْمــوتُ خيرٌ من حياةٍ ذَميمــةٍ * ولَلْبخلُ خيرٌ من عَنـاء مُطــوَّلِ

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى عبد الله بن إبراهيم عن ساعِدة ابن مرمىٍّ(٧) ، وذكره إسحاق أيضا عن أصحابه :

---

(١) لج : تمادى واستمرّ . (٢) كذا فى ء ، حـ . والحزر من اللبن : ما كان فوق الحامض . وفى ب ، سـ : «الجزر» بالجيم وهو تصحيف . (٣) الشول : النوق التى خف لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها سبعة أشهر أو ثمانية من يوم نتاجها ، فلم يبق فى ضروعها الا شول من اللبن أى بقية منه مقـدار ثلث ما كانت تحلب حدثان نتاجها ، واحدتها شائلة وهو جمع على غير قياس . (٤) كذا فى ط . وفى سائر النسخ : «يتشبب» . (٥) على تفيئة : على حين ؛ يقال : أتيته على تفيئة ذلك أى على حينه وزمانه . (٦) العضاه والحرمل : نوعان من الشجر . (٧) كذا فى أغلب النسخ . وفى م ، أ هكذا : «مرابن» ولم نهتد اليه ، ولم تذكر هذه الكلمة فى ط .

أن ابن مَيَّادة وحَكَما الخُضْرىّ تواعَدا المدينةَ ليتواقَفا(١) بهـا ، فتواقفا بها وجاء نَفَرٌ من قريش ــ أمهاتُهم من مُرَّة ــ الى ابن مَيَّادة فمنعوه من مُواقفة حَكَم ، وقالوا : أتتعرض له ولست بكُفْئه فيشتُم أمهاتِنا وأخوالَنا وخالاتِنا وهو رجلٌ خبيثُ اللسان ! ــ قال : وكان حَكَم يَسْجَع سَجْعا كثيرا ــ فقال : والله لئن وافقتُه لأسجَعَنّ به قبلَ المُقَارضة سَجْعا أفضَحُه به فلم يَلْقَه . وذكر الزُّبَير له سَجْعا طويلا غَثًّا لا فائدةَ فيـه ، لأنه ليس برَجَز منظوم ولا كلامٍ فصيح ولا مسجَّع سَجْعا مؤتلفا كائتلاف القوافى ، إلا أن من أسْلَمه قولَه : والله لئن ساجعتَنى سِجَاعا ، لتجدنِّى شُجَاعا ، لجـار مَنَّاعا ، ولأجدنَّك هيَّاعا(٢) ، لحَسَب مِضْياعا ، ولئن باطشْتُك بِطَاشا ، لأُدْهِشنَّك إدهاشا ، ولأَدُقَّنَّ منك مُشَاشا(٣) ، حتى يجىء بولُك رَشَاشا . وهذا من غَثّ السَّجْع ورَذْله ، وإنما ذكرتُه ليُستدلَّ به على ما هو دونه مما ألغيتُ ذكره . قال : ورجز به فقال : ١٠١/٢

يامعــدِنَ اللؤم وأنت جَبَلُه * وآخِرَ اللــؤم وأنت أوّلُهْ
جاريتَ سَبَّاقا بعيدًا مَهَلُه * كان اذا جارَى أباك يُفْشِلُهْ(٤)
فكيف ترجوه وكيف تأمُلُهْ * وأنت شرُّ رجلٍ وأنْذَلُهْ
ألأمُهُ فى مأزِقٍ وأجهــلُهْ * أدخله بيتَ المخازى مُدْخِلُهْ
فاللؤم سِرْبالٌ له يُسَرْبلُهْ * ثوبًا اذا أنْهجه(٥) يُبَــدِّلُهْ

(١) التواقف كالموافقة : أن يقف معك وتقف معه فى حرب أو خصومة . (٢) هو صيغة مبالغة من هاع يهيع هيعا وهيوعا اذا جبن وفزع : وقد ورد فى كتب اللغة من هذه المـادة هائع وهاع .
(٣) المشاش : رءوس العظام مثل الركبتين والمرفقين والمنكبين . (٤) يفشله : يجعله فشــلا أى ضعيفا ناكلا عن المجاراة ؛ ولم نجد فى كتب اللغــة التى بين أيدينا كاللسان والقاموس أفشــل متعدّيا ولكن دخول همزة النقل على الفعــل اللازم قياسىّ كما حققه ابن هشام فى مغنى اللبيب . (انظر حاشية الصبان على شرح الأشمونى فى باب تعدى الفعل ولزومه) أولعله «يفسله» بمعنى يرذله أى يجعله مرذولا .
(٥) أنهجه : أبلاه وأخلقه .

فأجابه حَكَم (١) :

يابنَ التى جيرانَها كانت تَصُرّْ (٢) * ونَتْبَعُ الشَّوْلَ وكانت تَمْتَصِرْ (٣)

* كيف اذا مارسْتَ حُرًّا تنتصِرْ *

ولهما أراجيزُ كثيرةٌ طويلةٌ جدًّا أسقطتُها لكثرتها وقلة فائدتها .

خروج الحكم الى الرقم للقاء ابن ميادة ولما لم يلقه تهاجيا

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير عن عبد الله بن ابراهيم قال :

أخبرنى بعضُ من لقيت من الخُضْر : أن حكما الخضرىّ خرج يريد لِقاءَ ابنِ مَيّادة بالرَّقَم (٤) من غير مَوْعد فلم يَلْقَه ، إمّا لأنه تغيَّب عنه وإما لأنه لم يصادفه ، فقال حكم :

فَرّ ابنُ مَيّادةَ الرَّقطاءِ من حَكَمٍ * بالصُّغْرِ (٥) مثلَ فِرارِ الأَعْقَدِ (٦) الدَّهِم

أصبحتَ فى أُقُرٍ (٧) تَعْلُو أطاوِلَه * تفرُّ منّى وقد أصبحتُ بالرَّقَمِ

وقال إسحاق فى روايته عن أصحابه : قال ابن مَيّادة يهجو حَكَمًا وينسُبُ بأم جَحْدَرٍ:

يُمَنُّونَنِي منكِ اللقاءَ وإننى * لأعلمُ لا ألقاكِ من دون قابِلِ

---

(١) فى أ ، ء ، م ، ط : « وقال أيضا » والظاهر صحة الرواية المثبتة فى الأصل .

(٢) فى ط : « يابن التى حياتها كانت تصر » وصر الناقة ربط أخلافها لئلا يرضعها ولدها .

(٣) كذا فى أ ، ء ، م . والامتصار : حلب الناقة أو الشاة بأطراف الأصابع الثلاث أو بالإبهام والسبابة . وفى سائر النسخ : « تمتضر » بالضاد وهو تصحيف . (٤) الرقم : بجبال دون مكة بديار غطفان واسم ماء عندها أيضا ، كذا قال ياقوت فى معجمه فى اسم «رقم» . وقال البكرىّ فى معجم ما استعجم ص ٤٢٢ : الرقم : موضع بالحجاز قريب من وادى القرى كانت فيه وقعة لغطفان على عامر .

(٥) كذا فى أ ، ء ، م والصغر كالصغار : الذل والهوان . وفى سائر النسخ : «الصعر» بالعين المهملة وهو تصحيف . (٦) الأعقد يقال على التيس الذى فى قرنه أو ذنبه التواء . ويقال على الكلب والذئب لانعقاد ذنبهما وكل ملتوى الذنب فهو أعقد ، ولم نجد فى مادّة «دهم» وصفا على وزن فعل أو فعل ولعله محرف عن (الزهم) وهو ذو الرائحة المنتنة . (٧) أقر (بضمتين) : واد لبنى مرة .

وقد مضى أكثر هذه الأبيات متقدّما، فذكرتُ هاهنا منها مالم يمض وهو قولُه :

فياليت رَثَّ الوصلِ من أمّ جحْدَرٍ * لنا بجـديدٍ من أُولاكَ البَدَائِلِ
ولم يَبْق ممـا كان بيني و بينهـا * من الوُدِّ إلا مُخْفيَات الرسائِلِ
و إني اذا استَنْبهتُ من حُلْو رَقْدةٍ * رُميتُ بحُبِّيهـا كرَمْيِ المُنَاضِـلِ

صـــوت

فما أَنْسَ مِ الأشياءِ لا أنسَ قولَهَا * وأدمُعُها يُذْرِينَ حَشْوَ المَكَاحِلِ
تمتّـعْ بذا اليوم القصـيرِ فإنه * رَهِينٌ بأيام الدهـور الأطاولِ

الغناء فى هذين البيتين لعلىّ بن يحيى المنجِّم، ولحنه من الثقيل الثانى .

وكنتُ آمرأً أَرْمِى الزوائلَ(1) مرّةً * فأصبحتُ قد ودّعتُ رمىَ الزوائلِ
وعطَّلتُ قوسَ اللهو من سَرَعاتهـا(2) * وعادتْ سِهَامِى بين رَثٍّ وناصِـلِ(3)

السَّرَعان : وَتَرٌ يعمل من عَقَبِ(4) المَتن، وهو أطول العَقَب .

اذا حَلَّ بَيْتِى بين بَدْرٍ ومازِنٍ * ومُرَّةَ نِلْتُ الشمسَ واشتدّ كاهِلِى

يعنى بَدْرَ بن عمرو بن جُؤَيّة بن لَوْذَان بن ثَعْلبة بن عَدِىّ بن فَزَارة بن ذُبْيَان، ومُرَّةَ
١٠٢/٢ ابنَ عَوْف بن سَعْد بن ذُبْيان ، ومُرَّةَ بن فَزَارة ، ومَازِنَ بن فَزَارة . وهى طويلة .

---

(1) الزوائل هنا : النساء على التشبيه بالوحش . و يقال : فلان يرمى الزوائل اذا كان طبا بإصباء النساء اليه .

(2) كذا فى حـ واللسان مادة « سرع » والمخصص (ج ٦ ص ٤٦) مع اختلاف فى بعض كلمات الشطر الثانى وهو الذى يتفق مع تفسير المؤلف . وفى سائر النسخ : « من شرعاتها » بالشين المعجمة . وقد أورد صاحب اللسان هذه الرواية أيضا فى مادّة « زول » وقال فى تفسيرها : والشرعات : الأوتار، واحدها شرعة الخ .

(3) الناصل : السهم الذى خرج منه النصل .

(4) العقب (بالتحريك) : العصب الذى تعمل منه الأوتار ، الواحدة عقبة . والعقب من كل شىء : عصب المتنين والساقين والوظيفين .

قال أبو الفرج الأصْبَهَانىّ : أخذ إسحاقُ الموصلىّ معنى بيت ابن ميّادة فى قوله : «نلتُ الشمسَ واشتدّ كاهلى» فقال :

عطَسْتُ بأنفٍ شامخ وتناولتْ * يَدَاىَ الثريّا قاعـدًا غيرَ قائمِ

ولعَمْرِى لئن كان استعار معناه لقد اضطّلع به وزاد فأحسن وأجاد .

وفى هذه القصيدة يقول :

فضَلْنا قريشًا غيرَ رَهْطِ محمـدٍ * وغيرَ بنى مروان أهلِ الفضائلِ

ضربه إبراهيم بن هشام لدعواه أنه فضل قريشا

قال يحيى بن علىّ وأخبرنى علىّ بن سليمان بن أيّوب عن مُصْعَب، وأخبرنى به الحسن بن على عن أحمد بن زُهَير عن مُصْعَب قال :

قال إبراهيم بن هِشَام بن إسماعيل لأبن ميّادة : أنت فَضَلْتَ قريشا ! وجرّده فضربه أسواطا .

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بَكّار قال :

لمـا قال ابن ميّادة :

فضَلنا قُرَيشًا غيرَ رَهْطِ محمـد * وغيرَ بنى مَرْوانَ أهلِ الفضائلِ

قال له الوليـد بن يزيد : قدّمتَ آلَ محمـدٍ قبلنا (١) ؛ فقال : ما كنتُ ياأمير المؤمنين أظنّه يمكنُ غيرُ ذلك . قال : فلمـا أفْضت الخلافةُ الى بنى هاشم وفَد ابن ميّادة الى المنصور ومدحه، فقال له أبو جعفر لمـا دخل إليه : كيف قال لك الوليد؟ فأخبره بما قال، فجعل المنصور يتعجّب .

ابن ميادة والحكم الخضرىّ بعريجاء

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنى عبدالله بن إبراهيم الجُمَحِىّ قال : حدّثنى العباس بن سَمُرَة بن عَبّاد بن شَمّاخ بن سَمُرَة عن رَيْحانَ بنِ سُوَيد الخُضْرِىّ، وكان راويةَ حَكَم بن مَعْمر الخُضْرِىّ، قال :

(١) فى أغلب النسخ بعد هذه الجملة : «صلى الله على محمد وعلى آله» وفى نسخة ط زيادة : «ولعنة الله على الوليد» وظاهر أن ذلك كله من زيادات النساخ .

تواعد حَكَمٌ وابنُ ميادة عُرَيجاء — وهي ماءة[1] — يتواقفان عليها، فخرج كلّ واحد منهما في نَفَرٍ من قومه؛ وأقبل صَخْر بن الجَعْد الخُضْرِيّ يؤُمُّ حَكَمًا، وهو يومئذ عدوّ لحَكَم لِمَا كان فرَط بينهما من الهجاء في أُرْكُوبٍ[2] من بني مازن بن مالك بن طَرِيف ابن خَلَف بن مُحَارِب؛ فلما لقيه قال له: يا حكم، أهؤلاء الذين عرّضْتَ[3] للموت! وهم وجوه قومك! فوالله ما دماؤهم على بني مُرّة إلا كدماء جِدَايةٍ[4]؛ فعرَف حَكَمٌ أن قول صخر هو الحقّ فردّ قومَه، وقال لصخر: قد وعدني ابنُ ميّادة أن يُواقفني غدًا بعُرَيجاء لأن أناشِدَه؛ فقال له صخر: أنا كثير الإبل — وكان حَكَمٌ مُقِلًّا — فإذا وردتْ[5] إبلي فارتجزْ، فإن القوم لا يَشجُعُونَ[6] عليك وأنت وحدَك، فإن لقيتَ الرجل نحر وأطعم فانحرْ وأطعِمْ وإن أتيتَ على مالي كلّه. قال رَيْحان راويتُه: فورد يومئذ عُرَيجاءَ وأنا معه فظلّ على عُرَيجاءَ ولم يَلْقَ رَمّاحًا ولم يواف لموعده، وظلّ يُنْشِد يومئذٍ حتى أمسى، ثم صرف وجوهَ إبل صخرٍ وردّها. وبلغ الخبرُ ابنَ ميّادة ومُوَافاةُ حَكَمٍ لموعده، فأصبح على الماء وهو يرتجزُ ويقول:

أنا ابنُ مَيّادةَ عَقّارُ الجُزُرْ * كلِّ صَفِيٍّ[7] ذاتِ نابٍ مُنْفَطِرْ

---

(١) في معجم ما استعجم للبكريّ ص ٦٥٣: «عريجاء: ماءة معروفة بحمى ضرية وقد أقطعها ابن ميادة المرّيّ من بني ذبيان». (٢) الأركوب: كالركب والركبان.

(٣) كذا في حـ، أ، م. وفي سائر النسخ: «أهؤلاء الذين عرّضت للموت من أجلهم وهم وجوه قومك الخ» وليس لكلمة «من أجلهم» موقع. (٤) الجداية: الظبية. وفي ب، سـ: «حدأة». (٥) في ط: «أوردت».

(٦) كذا في أغلب الأصول، وفي ط «لا يسجعون». (٧) يقال: ناقة صفيّ أي غزيرة اللبن، والجمع صفايا.

توافيهما بحمى ضرية وصلحهما

وظَلّ على الماء فنحر وأطْعَم[١] . فلما بلغ حَكَمًا ماصنَع ٱبْنُ مَيّادة من نَحْره و إطعامِه شقّ عليه مَشَقّةً شديدةً . ثم إنهما بعدُ توافَيا بحِمَى ضَرِيّة . قال رَيْحان بن سُوَيْد[٢] : وكان ذلك العامُ عامَ جَدْبٍ وسَنَةٍ إلّا بقيةَ كلإٍ بضريّة . قال : فسبقْنا ٱبنَ ميادة يومئذ فنزلنا على مولاةٍ لعُكّاشة بن مُصْعَب بن الزُّبَير ذاتِ مالٍ ومنزلة من السلطان . قال : وكان ١٠٣/٢ حَكَم كريمًا على الوُلاةِ هناك يُتّقَى لسانُه . قال ريحان : فبيْنا نحن عند المولاة وقد حطَطْنا برادعَ دوابِّنا إذا راكبان قد أقبلا، وإذا نحن برَمّاح وأخيه ثَوْبانَ[٣] — ولم يكن لثوبانَ[٣] ضَريبٌ فى الشجاعة والجمال — فأقبلا يتسايران، فلما رآهما حَكَمٌ عرفهما، فقال : يا رَيْحانُ، هذان ابنا أَبْرَد، فما رأيك؟ أتكْفِينى ثوبانَ[٣] أم لا؟ قال : فأقبلا نحوَنا ورَمّاح يتضاحَكُ حتى قبَض على يد حكم[٤] وقال : مَرْحبا برجل سكتُّ عنه ولم يسكتْ عنّى، وأصبحتُ الغداةَ أطلب سَلْمه يَسُوقنى الذِّئْبُ[٥] والسنةُ، وأرجو أن أَرْعَى الحِمَى بجاهِه وبَرَكته؛ ثم جلس إلى جَنْب حَكَم وجاء ثَوْبانُ[٣] فقعد إلى جَنْبى؛ فقال له حَكَم : أما وربِّ المرسَلين يا رَمّاح لولا أبياتٌ جعلْتَ تعتصم بهنّ وترجعُ إليهنّ — يعنى أبياتَ ابنِ ظالم — لاستوسَقْتَ[٦] كما استوسق مَنْ كان قبْلَك . قال ريحانُ : وأخذا فى حديثٍ أَسْمَع بعضَه ويخفَى علىّ بعضُه، فظَلِلْنا عند المرأة وذُبِح لنا وهما فى ذلك يتحادثان، مقبِلٌ كلّ واحد منهما على صاحبه لا ينظرانِ شَدّنا، حتى كان العِشاء فشدَدْنا

(١) فى جميع الأصول : « فانحر » وهو تحريف، فان انحر انما يستعمل لازما، يقال : انحر الرجل أى نحر نفسه وانحر القوم على كذا أى تشاحوا عليه . (٢) فى جميع الأصول هنا : « سويد بن ريحان » وقد تقدم فى أول السند كما أثبتناه هنا « ريحان بن سويد » ويؤيد هذا أنه اذا ذكره مجردا من الصفة قال : « ريحان » . (٣) فى ط : « ثريان » . (٤) فى ب، س : « على حكم » . (٥) فى أساس البلاغة مادة ذأب : وأكلتهم الضبع وأكلهم الذئب أى السنة، وأصابتهم سنة ضبع وسنة ذئب على الوصف، وأنشد النضر :

وقد ساق قبلى من معد وطيئ ❊ الى الشأم جوحات السنين وذيبها

(٦) لاستوسقت : لأطعت وانقدت .

للرَّوَاح ثُمَّ أهلَنا؛ فقال رَمَّاح لحكم : يا أبا مَنِيع — وكانت كنيةَ حَكَم — : قد قضيتَ حاجتَك وحاجةَ مَنْ طلبتَ له من هذا العامل، وإن لنا إليه حاجةً فى أن يُرْعِينَا؛ فقال له حكم: قد والله قضيتُ حاجتى منه وإنى لأكره الرجوعَ إليه، ومامن حاجتك بُدٌّ؛ ثم رجع معه إلى العامل، فقال له بعد الحديث معه : إن هذا الرجلَ مَنْ قد عرفتَ ما بينى وبينه، وقد سأل الصلحَ وأناب إليه، فأحببتُ أن يكون ذلك على يدك وبحَضْرتك. قال: فدعا به عاملُ ضَرِيّة وقال: هل لك حاجةٌ غيرُ ذلك؟ قال: لا والله، ونسى حاجةَ رَمّاح، فأذْكَرْتُه إياها، فرجع فطلبها واعتذر بالنسيان. فقال العامل لابن مَيَّادة: ما حاجتك؟ فقال: تُرْعِينى عُرَيجاء لايَعْرِضُ لى فيها أحدٌ، فأرْعاه إيَّاها. فأقبل رَمَّاح على حَكَم فقال : جزاك الله خيرا يا أبا مَنِيع، فوالله لقد كان ورائى مِنْ قومى مَنْ يتمنّى أن يرعَى عُرَيجاء بنصف ماله . قال فلمّا عزما على الانصراف ودّع كلّ واحد منهما صاحبَه وانصرفا راضيَيْن . وانصرف ابنُ مَيّادة إلى قومه فوجد بعضَهم قد ركب إلى ابن هِشَام فاستغضبه على حكم فى قوله :

استعدى قوم ابن ميادة السلطان على الحكم فأمر بطرده فرحل الى الشام ومات هناك

وما ولدتْ مُرِّيّةٌ ذاتَ ليلةٍ * من الدهرِ إلا زاد لؤمًا جَنِينُها

فأطْرده[1] وأقسم : لئن ظفر به ليُسَرِّجَنّه وليَحْمِلَنّ عليه أحدَهم . فقال رَمّاح — وساءه ما صنعوا — : عَمَدتُم الى رجل قد صلَح ما بينى وبينه وأُرْعِيتُ بوجهه فاستعديتم عليه وجئتم بإطْراده! وبلغ الحَكَمَ الخبرُ فطار إلى الشأم فلم يبرَحْها حتى مات .

قال العباس بن سَمُرَة : مات بالشأم غرَقًا، وكان لايُحْسِن العَوْمَ فمات فى بعض أنهارها . قال : وهو وجْهُه[2] الذى مدَح فيه أَسْود بن بِلَال المُحَارِبِىّ ثم السُّوائِىّ فى قصيدته التى يقول فيها :

---

(١) أى أمر بإخراجه وطرده . (٢) أي رحلته وسفره .

واستيقنتْ أن لا بَرَاحَ(١) من السُّرَى * حتى تُنَاخَ بأَسْوَدَ بنِ بِلَالِ

قَرْمٌ إذا نزَل الوُفودُ ببابه * سَمَتِ العيونُ إلى أشَمَّ طُوَالِ

مناقضات حكم وابن ميادة

ولِحَكَمٍ الخُضْرِىّ وابنِ مَيّادة مُنَاقضاتٌ كثيرة وأراجيزُ طِوالٌ طَوَيتُ ذكرَأكثرها وألغيتُه، وذكرتُ منها لُمَعًا من جيّد ما قالاه لئلا يخلوَ هذا الكتاب من ذكر بعض ما دار بينهما ولا يَستوعبَ سائرَه فيطولَ . فمما قاله حَكَمٌ فى ابنِ مَيّادة قولُه : ١٠٤/٢

خليلَىَّ عُوجَا حَيِّيَا الدارَ بالجَفْرِ(٢) * وقُولا لها سَقْيًا لعَصْرِكِ من عَصْرِ

وماذا تُحَيِّى من رُسُومٍ تلاعبتْ * بها حَرْجَفٌ(٣) تَذْرِى بأذيالها الكُدْرِ

ومن جيّد قوله فيها يفتخر :

إذا يبِسَت عِيدانُ قومٍ وجدتَنا * وعِيدَانُنَا تَغْشَى على الوَرَق الخُضْرِ

إذا الناسُ جاءوا بالقُرُوم(٤) أتيتُهم * بقَرْمٍ يُساوِى(٥) رأسُه غُرَّةَ البدرِ

لنا الغَوْرُ والأنجاد والخَيلُ والقَنا * عليكم وأيامُ المَكارِمِ والفخرِ

ومن جيّد هجائه قولُه :

فيا مُرّ قد أخزاكِ فى كلّ موطنٍ * من اللؤم خَلّاتٌ يزِدْنَ على العَشْرِ

فمنهنّ أنّ العبدَ حامِى ذِمَارِكم * وبئس الحامى العبدُ عن حَوْزة الثغرِ

ومنهنّ أن لم تمسَحُوا وجهَ سابقٍ(٦) * جَوادٍ(٧) ولم تأتوا حَصَانا على طُهْرِ

ومنهنّ أن المَيْتَ يُدْفَن منكمُ * فيَفْسُو على دُفّانه وهو فى القبرِ

---

(١) فى ا ، م ، ى ، ط : «أن لا رواح» . (٢) الجفر : موضع بناحية ضرية من نواحى المدينة . (٣) الحرجف : الريح الباردة الشديدة الهبوب . (٤) كذا فى ا ، حـ ، م : وفى باقى النسخ : «ناموا» . (٥) فى حـ : «يسامى» بالميم . (٦) كذا فى أغلب النسخ . وفى ا ، م : «خد» . (٧) فى ا ، م : «كريم» .

ومنهنّ أن الجارَ يسكُن وَسْطَكم * بريئًا فيُلْقَى بالخيانة والغَدْرِ
ومنهنّ أن عُذْتم بأَرْقَطَ كَوْدَنٍ(١) * وبئس المحامى أنت ياضَرْطةَ(٢) الجَفْرِ
ومنهنّ أن الشيخ يوجَدُ منكمُ * يَدِبُّ إلى الجارات مُحْدَوْدِبَ الظهرِ
تَبيت ضِبابُ(٣) الضِّغْنِ تَحْشَى احتراشَها(٤) * وإن هى أمستْ دونَها ساحلُ البحرِ

فأجابه آبن مَيّادة بقصيدةٍ طويلة، منها قولُه مجيبًا له عن هذه الخصال التى سبّهم بها :

لقد سَبقتْ بالمُخْزِيات مُحارِبٌ * وفازتْ بخَلّاتٍ على قومها عَشْرِ
فمنهنّ أن لم تَعْقِروا ذاتَ ذِرْوةٍ * لحقٍّ إذا ما آحْتِيجَ يومًا إلى العَقْرِ
ومنهنّ أن لم تمسَحُوا عربيّةً * من الخَيْل يوما تحت جُلٍّ على مُهْرِ
ومنهنّ أن لم تضربوا بسيوفكم * جَماجِمَ إلا فَيْشَلَ(٥) القُرَّحِ الحُمْرِ
ومنهنّ أن كانت شيوخُ محارِبٍ * كما قد علمتم لا تَرِيشُ ولا تَبْرِى(٦)
ومنهنّ أخزى سوءةٍ(٧) لو ذكرتُها * لكنتم عَبِيدًا تخدُمون بنى وَبْرِ(٨)
ومنهنّ أن الضأن كانت نساءَكم * إذا آخضرّ أطرافُ الثُّمام من القَطْرِ

---

(١) الكودن : البرذون الهجين . يريد انسانا كالبرذون (٢) كذا فى أ ، م . وفى باقى النسخ : «ضَرِط» بدون تاء . والجَفْر : ولد المعزى اذا بلغ أربعة أشهر وفصل عن أمه وأخذ فى الرعى والمعزى يضرب بها فى ذلك المثل فيقال : «أضرط من عنز» . (٣) الضباب : الأحقاد، يقال : فى قلبه ضب، أى غل داخل كالضب الممعن فى جحره . (٤) احترش الضب : أتى قفا جحره فقعقع بعصاه عليه وأتلج طرفها فى جحره فاذا سمع الصوت حسبه دابة تريد أن تدخل عليه فجاء يزحل على رجليه وعجزه مقاتلا ويضرب بذنبه فناهزه الرجل (بادره) فأخذ بذنبه فضب عليه (شد القبض) فلم يقدر أن يفلت منه . (٥) الفيشلة : طرف الذكر . (٦) أى لا تضر ولا تنفع . (٧) فى جميع الأصول : «ومنهن أخرى سوءة» بالراء . (٨) كذا فى ب ، س ، حـ . وبنو وبر : بطن . وفى باقى النسخ : «وفر» بالفاء ولم نجد قبيلة تسمى بهذا الاسم .

ومنهنّ أن كانت عجوزُ مُحاربٍ * تُرِيغ(١) الصِّبا تحت الصَّفيح من القبرِ
ومنهنّ أنْ لو كان فى البحر بعضُكم * لخبَّث ضَاحِى(٢) جِلْدِهِ حَوْمةَ(٣) البحرِ

وممّا قاله ابن ميّادة فى حكم قولُه من قصيدة أوّلها :

ألا حَيِّيا الأطلالَ طالتْ سِنِينُها * بحيثُ التقتْ رُبْدُ(٤) الجِنابِ(٥) وعِينُها(٦)

ويقـــول فيها :

فلمّا أتانى ما تقـــولُ مُحارِبٌ * تغنّتْ شياطينى وجُنّ جُنونُها
ألم تَرَ أنّ اللهَ غَشَّى مُحارِباً * إذا اجتمعَ الأقوامُ لوناً(٧) يَشِينُها ١٠٥/٢
ترى بوجوهِ الخُضْرِ خُضْرِ مُحارِبٍ * طوابعَ لؤمٍ ليس ينقَضُّ(٨) طِينُها
لقـــد ساهمَتْنا(٩) كُمْ سُليمٌ وعامرٌ * فَضمْناهمُ إنّا كذاكَ نَدِينُها
فصارتْ لنا أهلُ الضَّئِين(١٠) مُحارِبٌ * وصارتْ لهم جِسْرٌ(١١) وذاكَ ثَمِينُها
إذا أخذتْ خُضْرِيّةٌ قائمَ الرحَى * تحـــرّكَ قُنباها(١٢) فطارَ طَحِينُها
وما حَمَلتْ خُضريّةٌ ذات ليلةٍ * من الدهرِ إلّا ازدادَ لؤماً جَنِينُها

---

(١) كذا فى أغلب النسخ . وتريغ : تطلب ، يقال : ماذا تريغ ، أى ماتريد وما تطلب . وفى أ ، م « تريع » بالعين المهملة ، وهو تصحيف . (٢) ضاحى جلده : ظاهره . (٣) حومة البحر : أكثر موضع فى البحر ماء وأغزره . (٤) ربد : جمع أربد أو ربداء ، وصف من الربد ، وهو فى النعام سواد مختلط ، وقيل هو أن يكون لونها كله أسود . وعن اللحيانى : ظليم أربد ونعامة ربداء ، أى لونها كلون الرماد . وفى ب ، حـ : «زبد» بالزاى ، وهو تصحيف . (٥) الجناب : موضع بعراض خيبر وسلاح ووادى القرى ، وقيـــل : هو من منازل بنى مازن . وقال نصر : الجناب من ديار بنى فزارة بين المدينة وفيد . (٦) عين : جمع عيناء وهى واسعة العين . (٧) كذا فى ط وفى باقى الأصول «لؤما» . (٨) الانقضاض : الانكسار . (٩) كذا فى جميع الأصول ، ولم نجد فى كتب اللغة التى بأيدينا أن ساهم يتعدّى لمفعولين ، وهو بمعنى قارع ، من القرعة . (١٠) كذا فى ى ، والضئين : الضأن وهو خلاف الماعز من الغنم واحده ضائن وفى باقى النسخ «الضنين» وهو تصحيف .
(١١) جسر : اسم حىّ . (١٢) تثنية قنب وهو البظر ، والبظر : مابين الاسكتين وهما جانبا الحياء .

فقال حَكَمٌ يجيبه عن هذه بقصيدته[1] :

لأنتَ ابنُ أَشبانيّةٍ أدلجتْ به * إلى اللّــؤم مِقْلاتٍ لئيمٍ جَنِينُها
فجــاءتْ بَروّاثٍ كأنّ جَبينَــه * إذا ما صَغَا فى خِرْقتيها جَبِينُهــا
فمــا حَمَلتْ مُرّيّةٌ قطُّ ليــلةً * من الدهر إلّا ازدادَ لؤمًا جَنِينُها
وما حَمَلتْ إلّا لألأمِ[2] مَنْ مشَى * ولا ذُكِرتْ إلّا بأمرٍ يَشِينُها
تزوّجُ عثوانُ[3] الضّيْئِنَ وتَبْتَــغِى * بها الدّرّ[4] لا دَرّتْ بخــيرٍ لَبُونُهــا[5]
أظنّتْ بنو عثوان أن لستُ شاتمًا * بشَتْمِى وبعضُ القوم حَمْقَى ظُنُونُها
مَـــدَانِيسُ أبرامٌ[6] كأنّ لِحَــاهُمُ * لِحَى مُسْتَهِبّاتٍ[7] طِوَالٍ قُرُونُهــا

قال الزبير : فحدّثنى مَوْهوب بن رشيد قال : فسمع هــذه القصيدة أحدُ بنى قَتّال بن مُرّة فقال : ماله أخزاه الله يهجو صِبْيَتَنا ! قال : وهم أجفَى قوم غَضَبًا لصبيتهم وقد هجاهم بما هجاهم به .

قال : وبلغ إبراهيمَ بن هشام قولُه فى نساء بنى مُرّة اذ يقول :

* وما حَمَلتْ إلا لألأم مَنْ مَشَى *

فغَضِبَ ثم نَذَر[8] دَمَه ، فهَرَب من الحجاز إلى الشأم فمات بها .

---

(١) كذا فى ط . وفى سائر النسخ : « بقصيدته التى أوّلها الخ » ولا موقع لها هنا .
(٢) فى م : « بألأم » . (٣) يظهر من سياق الشعر أنها قبيلة ولم نعثر عليها .
(٤) كذا فى أ . وفى سائر النسخ : « به » . (٥) اللبون : الكثيرة اللبن .
(٦) جمع برم وهو الثقيل الجافى . (٧) هذا وصف للتيوس مأخوذ من الهباب وهو هياجها للسفاد ، يقال : هب التيس هبا وهبابا ، أى هاج . وفى حـ « مستنبات » يقال : نب التيس ينب نبا ونبيبا ونبابا اذا صاح عند السفاد ، ولم نجد فى كتب اللغة التى بأيدينا استنب أو ما يشتق منها كمستنبات .
(٨) فى أ ، م : « هدر » .

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزبير قال حدّثنى عبد الرحمن بن ضَبْعان المُحْضِرىّ قال :

لقِىَ ابنُ ميّادة صخرَ بنَ الجَعْد الخُضْرىّ فقال له : يا صخر، أَعَنْتَ علىّ ابنَ عمّك الحَكَمَ بنَ مَعْمَر ! فقال له صخر : لا والله يا أبا الشُّرَحْبيل ما أعنتُه عليك ، ولكن خُيِّل إليك ما كان يُخَيَّل إلىّ ، ولقد هاجَيْتُه فكنتُ أظنّ أنّ شَجَر الوادى يُعِينه علىّ .

ومن جيّد قول ابنِ ميّادة فى حَكَم قصيدتُه التى أوّلها :

صــــوت

لقد سَبَقَتْك اليومَ عَيْناك سَبْقَةً * وأبكاكَ من عهد الشباب ملاعبُهْ
فوالله ما أدرى أيَغلِبُنى الهَوَى * إذا جَدَّ جِدُّ البَيْنِ أم أنا غالبُهْ
فإن أستطِعْ أغلِبْ وإن يَغلِبِ الهَوَى * فمثلُ الذى لاقيتُ يُغْلَبُ صاحبُهْ

— فى هذه الأبيات غناءٌ يُنسَبُ — يقول فيها فى هجاء حَكَم :

لقد طالَ حَبْسُ الوَفْدِ وَفْدِ مُحارِبٍ * عن المجد لم يَأْذَنْ لهم بَعْدُ حاجِبُهْ
وقال لهم كُرُّوا فلستُ بآذِنٍ * لكم أبدا أو يُحْصِىَ التُّرْبَ حاسِبُهْ

وهى قصيدة طويلة .

فضله الوليد بن يزيد على الشعراء وأجازه

أخبرنى الحرمىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنى جلال[1] بن عبد العزيز المُرِّىّ ثم الصارِدىّ عن أبيه :

ـــ قال جلال : وقد رأيتُ ابنَ ميّادة فى بيت أبى، قال : قال لى ابنُ ميّادة : ١٠٦/٢
وصلتُ أنا والشعراءُ إلى الوليد بن يزيد وهو خليفة . وكان مَوْلًى من موالى خَرَشَةَ

---

(١) كذا فى أغلب النسخ وجاء هذا الاسم فى ط مضبوطا هكذا « جلال » بفتح فتشديد . وفى حـ «حلال» بالحاء المهملة . وفى أ ، م : « خلال » بالخاء المعجمة ، ولم نعثر على ما يرجح احدى هذه الروايات .

يقال له شُقْران يَعيب ابنَ ميّادة ويَحْسُده على مكانه من الوليد ، فلما اجتمعت الشعراءُ قال الوليد بن يزيد لشُقْران : يا شُقْران، ما عِلْمُك فى ٱبن ميّادة؟ قال علمى فيه يا أميرَ المؤمنين أنّه :

لئيمٌ يُبَـارِى فيـــه أَبْرَدُ نَهْبَلًا * لئيمٌ أتاه اللـؤمُ من كلّ جانبِ

فقال الوليــد : يابن ميّادة، ما عِلْمُك فى شُقْران ؟ قال : عِلْمِى يا أميرَ المؤمنــين أنه عبدٌ لعجوز من نَخَرَشَةَ كاتَبَتْه على أربعين درهما ووعدها ـ أوقال : وعدَتْه ـ أن تُجيزه بعشرين درهما فقَبَّضَتْه(١) إيّاها، فأغنِه عنّى يا أمير المؤمنين، فليس له أَصْلٌ(٢) فأحتفِرَه، ولا فَرْعٌ فأهتَصِرَه؛ فقال له الوليد : اجْتَنِبْه يا شُقران فقد أبلغَ إليك فى الشّتيمة ، فقَصَر شُقْرانُ صاغرا، ثم أنشدتُه ، فأقيمت الشعراء جميعا غيرى، وأمر لى بمـائة لِقْحةٍ وفَحْلها وراعيها وجاريةٍ بِكْرٍ وفَرَسٍ عتيق(٣)، فاخْتلتُ ذلك اليومَ وقلتُ :

أعطيْتَنِى مائةً صُــفْرا مَدَامِعُها(٤) * كالنخل زَيَّنَ أعلَى نَبْتِه الشَّرَبُ(٥)

ويُرْوَى :

* كأنها النخلُ رَوّى نَبْتَها الشَّرَبُ(٦) *

---

(١) فى حـ : «فنقصته» (٢) كذا فى حـ . وفى باقى النسخ : «فليس بأصل أحتفره ولا فرع أهتصره» . (٣) فى ط : «عربىّ» . (٤) مدامعها : مآقيها وهى أطراف العين . ولعل مسايل الدمع من الناقة تصفرّ اذا رعت ما يخضر من الشـجر . وقد نقـل صاحب اللسان فى مادة «صفر» عن أبى حنيفة «أن الماشية تصفرّ اذا رعت مايخضرّ من الشجر ترى معابنها ومشافرها و.وبارها صفرا» . (٥) جمع شربة وهى ما يحفر حول النخلة والشجرة كالحويض ويملأ ماء فتتروّى منه . (٦) تكلم صاحب اللسان فى مادة «شرب» عن الشرب، ثم قال : وأنشد ابن الأعرابى :

* مثل النخيل يروّى فرعها الشرب *

يَسُوقُها يافعٌ جَعْدٌ مفارِقُهُ * مثلُ الغُرابِ غَذاه الصَّرُّ والحَلَبُ
وذا سَبِيبٍ (١) صُهَيْبِيًّا له عُرُفٌ * وهَامَةٌ ذاتُ فَرْقٍ نَابُهَا صَخِبُ (٢)

لم يذكر الزُّبير فى خبره غيرَ هذه الأبيات الثلاثة ، وهى من قصيدة للرمّاح طويلة يمدح فيها الوليدَ بن يزيد، وقد أجاد فيها وأحسن؛ وذكرتُ من مُختارها هاهنا طرَفا ، وأوّلها :

هل تعرفُ الدارَ بالعَلْياء غَيَّرَها * سَافِى الرِّياح ومُسْتَنٌّ (٣) له طُنُبُ
دارٌ لبيضاءَ مُسْوَدٌّ مسائحُها * كأنّها ظَبْيَةٌ تَرْعَى وتَنْتَصِبُ

المسائح : ما بين الأُذُن إلى الحاجب من الشَّعَر . وتنتصب : تقِفُ إذا ارتاعتْ متنصبةً تتوجّس (٤) .

تحنو لأَكْحَلَ أَلْقَتْهُ بمَضْيعَةٍ * فقلبُها شَفَقًا من حَوْلِه يَجِبُ (٥)

يقول فيها :

يا أطيبَ الناسِ رِيقًا بعدَ هَجْعَتِها * وأملحَ الناسِ عَيْنًا حينَ تَنْتَقِبُ
ليستْ تجودُ بنَيْلٍ حينَ أسألها * ولستُ عندَ خَلاءِ اللَّهوِ أغتصِبُ
فى مِرْفَقَيْها إذا ما عُونِقَتْ جَمَمٌ (٦) * على الضَّجيعِ وفى أنيابِها شَنَبُ
وليلةٍ ذاتِ أهوالٍ كواكِبُها * مثلُ القناديلِ فيها الزَّيتُ والعُطُبُ (٧)

---

(١) السبيب هنا : شعر الذنب والناصية . (٢) فى أ « مابها صخب » .

(٣) يقال : استن المطر، أى انصب، ومنه قول عمر بن أبى ربيعة :

قد جرّت الريح بها ذيلها * واستنّ فى أطلالها الوابل

(٤) كذا فى ط . وتتوجس : تسمع وهى خائفة . وفى باقى الأصول : « تتوحش » .

(٥) يجب : يخفق ويضطرب . (٦) الجمم : كثرة اللحم . (٧) العطب بضمة وبضمتين : القطن واحده عطبة ، ويريد هنا ذبالة المصباح التى تتخذ من القطن .

قد جُبتُها جَوْبَ ذى المِقْراض[1] مِمْطَرةً[2] * إذا استوى مُغْفَلاتُ[3] البِيدِ والحَدَبُ[4]
بِعَنْتَرِيس[5] كأنّ الدَّبْرَ[6] يَلْسَعُها * إذا تَرنَّمَ حادٍ خَلْفَها طَرِبُ
إلى الوليد أبى العبّاس[7] ما عَمِلتْ * ودونه المُعْطُ[8] من لُبنانَ[9] والكُثُبُ

وبعد هذا البيت قولُه :

* أعطيتَنى مائةً صُفْرًا مَدامعُها * الخ .

لمّا أتيتُك من نَجْدٍ وساكِنِه * نفحتَ لى نَفْحةً طارتْ بها العَرَبُ
إنّى آمرُؤٌ أعتفِى[10] الحاجاتِ أطلُبُها * كما اعتفَى سَنِقٌ يُلْقَى له العُشُبُ

السَّنِق : الذى قد شَبِع حتّى بَشِمَ ، يقول : أطلب الحاجة بغير حِرْص ولا كَلَب ، كما يَعْتَفِى هذا البعيرُ البَشِمُ من غير شَرَه ولا شدّة طَلَب . ١٠٧/٢

ولا أُلِحّ على الخُلّانِ أسألُهم * كما يُلِحّ بعظْمِ الغاربِ القَتَبُ
ولا أُخادع نَدْمانِى[11] لأخْدَعَه * عن ماله حين يَسْتَرْخِى به اللَّبَبُ[12]

---

(١) المقراض : المقص . (٢) الممطرة : ثوب من صوف يلبس فى المطر يتوقى به منه . (٣) كذا فى جميع الأصول واللسان مادة «قرض» ، وكتب مصحح اللسان على هذه الكلمة مانصه : «قوله مغفلات كذا فيا بأيدينا من النسخ ولعله معقلات جمع معقلة بفتح فسكون فضم وهى التى تمسك الماء» ولكننا لم نجد فى كتب اللغة التى بأيدينا سوى أن معقلة خبراء بالدهناء تمسك الماء وأنها سميت معقلة لأنها تمسك الماء كما يعقل الدواء البطن . (٤) الحدب : الغليظ المرتفع من الأرض . (٥) العنتريس : الناقة الغليظة الصلبة الوثيقة الشديدة الكثيرة اللحم . (٦) الدبر : الزنابير ، وقيل : النحل . (٧) كنية الوليد بن يزيد وقد ورد فى شعر بشار : تقسم كسرى رهطه بسيوفهم * وأمسى أبو العباس أحلام نائم
وقال أبو الفرج : إنه يعنى الوليد بن يزيد (انظر الأغانى طبع بولاق ج ٣ ص ٢٩) . (٨) المعط : جمع معطاء وهى الأرض التى لا نبات بها . (٩) لبنان : جبل بالشأم وفى معجم البلدان لياقوت فى اسم لبنان هو جبل مطل على حمص يجىء من العرج الذى بين مكة والمدينة حتى يتصل بالشأم فما كان بفلسطين فهو جبل الحمل وما كان بالأردن فهو جبل الجليل وبدمشق سنير وبحلب وحماة وحمص لبنان . وفى ط : «نيان» وقد تقدم الكلام عليه فى الحاشية رقم ٨ ص ٢٧٢ من هذا الجزء . (١٠) أعتفى : أطلب . (١١) الندمان : المنادم على الشراب وربما توسع فيه فاستعمل لكل رفيق ومصاحب . (١٢) اللبب : البال ، والمراد أنه صار فى رخاء وسعة ، يقال : استرخت به الحال إذا صار فى حال حسنة بعد ضيق وشدّة ، ويقال : فلان فى بال رخىّ ولبب رخىّ أى فى سعة وخصب وأمن ، وأصل اللبب ما يشدّ على صدر الدابة أو الناقة يمنع الرحل أو السرج من الاستئخار .

وأنت وأبناك لم يوجد لكم مَثَلٌ (١) * ثلاثة كلّهم بالتاج مُعْتَصِبُ
الطيّبون إذا طابتْ نفوسُهُمُ * شُوسُ (٢) الحواجب والأبصار إنْ غَضِبُوا
قِسنِي إلى شُعراء الناسِ كلّهمِ * وآدعُ الرُّواة إذا ما غَبّ (٣) ما آجتلَبوا (٤)
إنّى وإن قال أقوام مَديحهُمُ * فأحسنوه وما حابوا (٥) وما كَذَبوا
أجرِى أمامَهُمُ جَرْىَ آمرئٍ فَلِج (٦) * عِنانُه حين يَجْرِى ليس يَضْطرِبُ

سبب الهجاء بينه وبين شقران

أخبرنى يحيى بن علىّ قال أخبرنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال أخبرنى أبو الحسن — أظنّه المَدائنىّ — قال أخبرنى أبو صالح الفَزارىّ قال :

أقبل شُقْران مولى بنى سَلامان بن سَعْد هُذَيْم (٧) أخى عُذْرة بن سعدا بن هُذَيْم، قال : وهُذَيْم عبدٌ حَبَشىّ كان حَضَنَ سعدا فغلَب عليه، وهو آبن زيد بن لَيْث بن سُود بن أسلم بن الحَاف بن قُضاعة من اليمامة ومعه تمر قد آمتاره — فلقيَه آبنُ مَيّادة فقال له : ما هذا معك؟ قال : تمرٌ آمترتُه لأهلى يقال له : زُبُّ رُبّاح (٨)، فقال له آبن مَيّادة يمازِحه :

كأنّك لم تَقْفُل لأهلك تَمْرةً (٩) * إذا أنت لم تقفُل بزُبّ رُباحِ

(١) فى ط : « كلكم » بالكاف . (٢) شوس : جمع أشوس من الشوس وهو النظر بمؤخر العين تكبرا أو تغيظا . (٣) كذا فى أغلب النسخ . وغب : فسد . وفى حـ : « غث » وهو بمعنى غب ، يقال : غث حديث القوم أى فسد وردؤ . (٤) كذا فى أغلب الأصول . واجتلاب الشعر : استمداده من آخر وقد فسر ابن الأعرابىّ قول الشاعر : * يا أيها الزاعم إنى أجتلب * فقال : معناه أجتلب شعرى من غيرى أى أسوقه وأستمدّه ، ومن هذا قول جرير :

ألم تعلم مسرحى القوافى * فلا عيا بهنّ ولا آجتلابا

وفى ب ، س ، ط «احتلبوا» بالحاء المهملة . (٥) كذا فى ط . وفى أ ، م : «خانوا» . وفى سائر النسخ : «خابوا» . (٦) الفلج : الظفر والفوز . والوصف منه فالج وفلج (بفتح الفاء وسكون اللام) وحرك هاهنا للضرورة . (٧) سقطت هذه الكلمة من ط وحذفها وإثباتها سواء ، قال فى القاموس وشرحه : وسعدا بن هذيم كزبير بإثبات الألف بين سعد وهذيم أبو قبيلة . (٨) هكذا جاء مضبوطا فى القاموس واللسان والمخصص بضم الراء وتشديد الباء ولعل تخفيف بائه فى البيت الآتى لضرورة الوزن ، وهو نوع من تمور البصرة . (٩) فى حـ : « لأمك » .

فقال له شُقران :

فإنْ كان هـذا زُبّه فانطلق به * إلى نِسْوةٍ سُودِ الوجُوه قِبَاحِ

فغضِب ٱبن مَيّادة وأَمَضّه(١) وأَنحَى عليه بالسوط فضرَبه ضَرَبات وٱنصرف مُغْضَبا ؛ فكان ذلك سَبَبَ الهجاء بينهما .

قال حَمّاد عن أبيه وحدّثنى أبو علىّ الكَلْبىّ قال :

اِجتمع ٱبن مَيّادة وشُقْران مَوْلَى بنى سَلامان عند الوليد بن يزيد، فقال ٱبن مَيّادة : يا أمير المؤمنين، أتجمَع بينِي وبين هذا العبد وليس بِمِثْلِي فى حَسَبِي ولا نَسَبى ولا لِسَانِى ولا مَنْصِبِى ! فقال شُقْران :

لَعَمْرِى لئن كنت ٱبن شَيْخَىْ عشيرتى * هِرَقْلٍ وكِسْرَى ما أَرَانِى مُقَصّـرا
وما أتمنّى أنْ أكون ٱبنَ نزوةٍ(٢) * نَزَاها ٱبنُ أرْضٍ(٣) لم تجِـدْ مُتَمَهِّرا(٤)
على حائلٍ(٥) تَلْوِى الصِّرارَ(٦) بكفِّها * فجاءتْ بخَـوّارٍ(٧) إذا عُضّ جَرْجَرا(٨)

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَيْر بن بَكّار وأخبرنا يحيى بن علىّ عن أبى أيُّوب المَدِينىّ عن زُبَير(٩) قال حدّثنِي جلال بن عبد العزيز وقال يحيى بن خَلّاد عن أبى أيُّوب ٱبن عبد العزيز قال :

(١) أمضه : آلمه وأوجعه . (٢) كذا فى حـ و م . والنزوة : الوثبة عند السفاد، يقال : نزا الذكر على الأنثى نزاء ونزوا اذا وثب عليها عنـد السفاد . وفى باقى الأصول : «ثروة» بالثاء المثلثة والراء وهو تحريف . (٣) ابن الأرض : كناية عن الغريب والمسافر والضيف والفقير (انظر كتاب ما يعوّل عليه فى المضاف والمضاف اليه النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٧٨ أدب م تأليف المحبى). (٤) كذا فى جميع الأصول . ولم نجد فى كتب اللغة التى بأيدينا لتمهر معنى سوى تمهر بكذا أو فى كذا اذا صار به حاذقا، وهو لا يناسب المقام . وظاهر جدّا أن المراد هنا : لم تجد من يمهرها أو لم تجد مهرا . (٥) كذا فى ا، م، ء . وفى سائر النسـخ : «خلا حائل» . والحائل : غير الحامل، يقال : حالت المرأة والناقة والنخلة وغيرهن اذا لم تحمل . (٦) الصرار : خيط يشدّ فوق خلف الناقة لئلا يرضعها ولدها . (٧) خوّار : ضعيف . (٨) جرجر : صوّت . (٩) هو الزبير بن بكار الذى تكرر ذكره كثيرا فى رجال السند .

استأذن آبنُ مَيّادة على الوَليد بن يزيد وعنده شُقْران مَوْلَى قُضاعة فأدخله فى صُندوق وأذِن لآبن مَيّادة؛ فلمّا دخل أجلسه على الصُّندوق وآستنشده هِجاء شُقْران فجعل يُنشِده، ثم أمر بفتح الصُّندوق فخرج عليه شُقْران وجعل يَهدِر كما يهدِر الفَحْلُ ويقول :

سأَكْعَمُ(١) عن قُضاعةَ كلْبَ قيسٍ * على تَجْرٍ فيُنْصِتُ للكِعامِ
أسيرُ أمامَ قيْسٍ كلَّ يومٍ * وما قيْسٌ بسائرةٍ أمامى

١٠٨/٢ وقال أيضا وهو يسمع :

إنّى إذا الشعراءُ لاقَى بعضُهُمْ * بعضًا ببَلْقعةٍ يريد نِضالَها
وقَفوا لمُرْتَجِزِ الهديرِ(٢) إذا دنتْ * منه البَكارةُ(٣) قَطَّعتْ أبوالَها
فتركتُهمْ زُمَرًا تَرَمَّزُ(٤) باللِّحَى * منها عَنافِقُ(٥) قد حَلَقتُ سِبالَها(٦)

فقال له آبن مَيّادة : يا أميرَ المؤمنين آكفُف عنّى هذا الذى ليس له أصلٌ فأحفِرَه، ولا فرعٌ فأَهصِرَه؛ فقال الوليد : أشهد أنّك قد جَرْجرت كما قال شُقْران :

* بجاءتْ بخَوّار إذا عُضّ جرجرَا *

---

(١) الكعم : شدّ فم البعير لئلا يعض أو يأكل وشدّ فم الكلب لئلا ينبح، يقال : كعمه (من باب فتح) اذا شدّ فاه بالكعام . والكعام (وزان كتاب) : ما يعكم به . يريد أنه سيلقمه بحجر . وعكم مثل كعم معنى ووزنه كضرب . (٢) الهدير : ترديد البعير صوته فى حنجرته . والمرتجز : ما تسمع له صوتا متتابعا، يقال : ارتجز الرعد اذا سمع له صوت متتابع . (٣) كذا فى م ، ى . وفى سائر النسخ : «البكار وقطعت» . والبكارة كالبكار : جمع بكرة وهى الفتية من الإبل . (٤) ترمز : تتحرك . (٥) العنافق : جمع عنفقة وهى الشعرات التى بين الذقن وطرف الشفة السفلى . (٦) سبالها : جمع سبلة بالتحريك وهى الدائرة فى وسط الشفة العليا، وقيل : ما على الشارب من الشعر، وقيل : مجتمع الشاربين .

تفاخره مع عقال بالشعر

قال يحيى فى خبره : وآجتمع آبن ميّادة وعقّال بن هاشم بباب الوليد بن يزيد، وكان عِقالٌ شديد الرأى فى اليمن، فغمز(١) عِقالٌ آبنَ ميّادة وآعتلاه، فقال آبن ميّادة :

بَحَرْنا ينابيع الكلام وبَحْرَهُ * فأصبحَ فيه ذو الرِّواية يَسْبَحُ
وما الشِّعرُ إلّا شعرُ قيس وخِنْدِفٍ * وقولُ سِواهم كُلْفةٌ وتَملُّحُ(٢)

فقال عِقالٌ يُجيبه :

ألا أبلغِ الرَّمّاح نقضَ مَقالةٍ * بها خَطِلَ الرَّمّاحُ أو كان يَمزَحُ(٣)
لئن كان فى قيسٍ وخِنْدِفَ ألْسُنٌ * طِوالٌ وشِعْرٌ سائرٌ ليس يُقْدَحُ(٤)
لقد خرَق الحىُّ اليمانون قبلَهم * بحورَ الكلام تُسْتقَى وهى تَطْفَحُ(٥)
وهُمْ علّموا مَنْ بعدَهم فتعلّموا * وهُمْ أعربوا هذا الكلامَ وأوضحوا
فللسابقين الفضلُ لا يَجْحَدُونه * وليس لمخلوقٍ عليهم تَبَجُّحُ(٦)

أخبرنى الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَيْر قال حدّثنا جلال بن عبد العزيز عن أبيه قال حدّثنى آبن ميّادة قال :

شعره فى حنينه الى وطنه وحوار الوليد إياه

قلتُ وأنا عند الوليد بن يزيد بأَبَايِن — وهو موضع كان الوليد يَنْزِله فى الربيع — :

لعَمْرُكَ إنى نازلٌ بأبايِنٍ * لَصَوْءرٍ(٧) مشتاقٌ وإن كنتُ مُكْرَمَا
أبِيتُ كأنّى أرمَدُ العين ساهرٌ * إذا بات أصحابى من الليل نُوَّمَا

---

(١) كذا فى أغلب النسخ . وغمزه : عابه وصغر من شأنه . وفى ط : «غمر» بالراء . (٢) تملح : تكلف الملاحة ، يقال : فلان يتظرف ويتملح أى يتكلف الظرف والملاحة . (٣) فى م ، أ ، ء : «كاد» . (٤) كذا فى أغلب النسخ ولعله بمعنى يعاب وان كنا لم نعثر فى كتب اللغة على أن قدح بهذا المعنى يتعدى بنفسه وانما يتعدى بفى . وفى ط : « يفرح » وهو تحريف . (٥) كذا فى أغلب النسخ وفى حـ ، ء ، ط «طفح» ولم نجد فى كتب اللغة التى بين أيدينا نصا على أنّ طالحا يجمع على طفح ولكن علماء العربية يقولون : إن فعلا يطرد جمعا لفاعل متى كان وصفا صحيح اللام نحو عاذل وعذل وشاهد وشهد (انظر شرح الأشمونى للخلاصة) . (٦) تبجح : افتخار وتعظم . (٧) صوءر : ماء لكلب على مسافة يوم وليلة من الكوفة مما يلى الشأم . ويوم صوءر من أيامهم المشهورة .

قال : فقال لى الوليد : يابن ميّادة كأنك غَرِضْتَ[1] مِن قُربنا؛ فقلتُ : ما مِثلُك يا أمير المؤمنين يُغْرَضُ من قربه، ولكن :

ألا لَيتَ شِعرِى هل أَبيتنّ ليلةً * بحَرَّةِ[2] ليلَى حيث رَبَّتْنِي[3] أهلى
وهل أَسمَعنّ الدهرَ أصواتَ هَجْمةٍ[4] * تَطَالَعُ من هَجْلٍ[5] خَصيبٍ الى هَجْلِ
بلادٌ بها نِيطَتْ علىّ تَمائِمى * وقُطِّعنَ عنّى حينَ أدركنِي عَقْلِي
فإنْ كنتَ عن تلك المواطنِ حابسِى * فأَيْسِرْ علىّ الرزق وٱجمَع إذًا شَمْلى

فقال : كم الهَجْمَة؟ قلت : مائة ناقة؛ فقال : قد صَدَرْتَ بها كلّها عُشَراء[6]. قال ٱبن ميّادة : فذكرتُ وِلْدَانا لى بنَجْد إذا ٱستطعموا الله عزّ وجلّ أطعمهم وأنا، وإذا ٱستَسْقَوْه سقاهم اللهُ وأنا، وإذا ٱستكْسَوْه كساهم اللهُ وأنا، فقال: يابن ميّادة، وكم وِلْدانُك؟ فقلت : سبعةَ عشَرَ، منهم عشرةُ نَفَرٍ وسبعُ نِسوة، فذكرتُ ذلك منهم فأخذ بقلبى؛ فقال : يابن ميّادة، قد أطعمهم اللهُ وأميرُ المؤمنين، وسقاهم الله وأميرُ المؤمنين، وكساهم الله وأميرُ المؤمنين؛ أمّا النساء فأربعُ حُللٍ مختلفاتُ الألوان، وأمّا الرجال فثلاثُ حُللٍ مختلفاتُ الألوان، وأمّا السَّقْىُ فلا أرَى مائة لِقْحة إلّا ستَرْوِيهم، فإن لم تُروِهم زِدتُّهم عينَيْن من الحجاز؛ قلتُ : يا أمير المؤمنين، لسنا ١٠٩/٢

(١) غرضت : ضجرت ومللت .

(٢) الحرة أرض ذات حجارة سود . وفى ديار العرب حرّات كثيرة، وأكثرها حوالى المدينة الى الشام، ومنها حرة ليلى هذه، وهى فى ديار بنى مرة بن عوف من غطفان، يطؤها الحاج فى طريقهم الى المدينة، وقال السكرىّ : حرة ليلى معروفة فى بلاد بنى كلاب، وأورد قصة الوليد مع ابن ميادة وهذه الأبيات . (أنظر معجم البلدان لياقوت فى اسم «حرة ليلى») .

(٣) ربتنى : فعل رباعىّ، يقال : ربت الصبى تربيتا أى رباه تربية .

(٤) الهجمة : القطعة الضخمة من الإبل، قيل أوّلها الأربعون فما زادت، وقيل هى ما بين الثلاثين الى المائة .

(٥) الهجل : المطمئن من الأرض .

(٦) العشراء : الناقة التى أتى على حملها عشرة أشهر وجمعها عشار، وليس فى الكلام فعلاء يجمع على فعال غير عشراء ونفساء .

بأصحاب عيون يأكلنا بها البَعوض ، وتأخذنا بها الحُمَّيَاتُ ؛ قال : فقد أخلفها الله عليك ؛ كلّ عام لك فيه مثلُ ما أعطيتك العامَ : مائة لِقحة وفحلها وجارية بِكْر وفرس عتيق .

عارض ابن القتال وانتحل بيتا من شعره

وأخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني شدّاد ابن عُقْبة عن عبد السلام بن القتّال قال :

عارضني ابن ميّادة فقال : أنشدني يابن القتّال، فأنشدته :

ألَا ليت شعرى هل أبيتنّ ليلةً * بصحراءَ ما بين التّنُوفة(1) والرّمْلِ
وهل أزجُرَنّ العيسَ شاكيةَ الوَجى(2) * كما عَسَلَ(3) السّرحانُ بالبلد المَحْلِ
وهل أسمعنّ الدهرَ صوتَ حمامةٍ * تُغنّى حماماتٍ على فَنَنٍ(4) جَثْلِ
وهل أشربنّ الدهرَ مُزْنَ(5) سحابةٍ * على ثَمَد(6) الأفعاة(7) حاضرَه أهلى
بلادٌ بها نيطتْ علىّ تمائمى * وقُطّعنَ عنّى حين أدركنى عقلى

قال : فأتانى الرّواة بهذا البيت وقد اصطرفه(8) ابن ميّادة وحده .

(1) التنوفة : المفازة وقيل الفلاة التى لا ماء بها ولا أنيس وإن كانت معشبة . (2) الوجى : الحفا وقيل شدّته . (3) عسل : مضى مسرعا واضطرب فى عدوه وهز رأسه ، والسرحان : الذئب . (4) الفنن : الغصن ، والجثل : الضخم الكثير الورق . (5) كذا فى أغلب النسخ ، والمزن : جمع مزنة وهى المطرة ، وتقال على السحابة البيضاء أو السحابة ذات الماء . وفى ح ، م : «صوب» والصوب : المطر . (6) الثمد والثمد : الماء القليل . (7) الموجود فى أسماء الأماكن «أفعى» وقد ذكر فى القاموس أنها هضبة لبنى كلاب . وذكر البكرىّ فى معجم ما استعجم ص ٧١٨ أنها ماءة فى ناحية هضب الوراق لبنى الطماح من بنى أسد . وقد يرد هذا الاسم فى الشعر بالتاء فيقال أفعاة قال بعض الكلابيين :

هل تعرف الدار بذى النبات * الى البريقات الى الأفعاة

قال الصاغانى : أدخل الهاء فى الأفعاة لأنه رغب بها الى الهضبة . (8) كذا فى أغلب الأصول بالصاد والطاء ، ولم نجد لاصطرف فى هذا الموضع معنى مناسبا . وفى س : «أسطرفه» بالسين والطاء ولعل أصله «استطرفه» أى عدّه طريفا أو اختاره يقال : استطرفت الابل المرتع أى اختارته .

أجازه الوليد إبلا فأرادوا ابدالها فقال شعرا

أخبرنى حبيب بن نصر المُهَلَّبىّ قال حدّثنا عُمَر بن شَبّة قال حدّثنى إسحاق بن إبراهيم قال حدّثنى رجل من كَلْب وأخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى عن حَمّاد(١) عن أبيه عن أبى علىّ الكلبىّ قال :

أمر الوليد بن يزيد لآبن مَيّادة بمائة من الإبل من صَدَقات بنى كلب ، فلمّا أتى الحول أرادوا أن يبتاعوها له من الطرائد، وهى الغرائب، وأن يُمسِكوا التِّلاد(٢)، فقال آبن مَيّادة :

ألم يَبْلُغك أنّ الحىّ كلبًا * أرادوا فى عطيّتك آرتدادا(٣)
وقالوا إنّها صُهْب(٤) وورْق(٥) * وقد أعطيتها دُهْمًا(٦) جِعادا(٧)

فعلموا أنّ الشعر سيبلغ الوليدَ فيُغْضِبُه؛ فقالوا له : آنطلق فخذها صُفْرا جِعادا .

شعره فى رثاء الوليد

وقال يحيى بن علىّ فى روايته : لمّا قتل الوليد بن يزيد قال آبن مَيّادة يرثيه :

---

(١) كذا فى أ ، م ، حـ . وفى سائر النسخ : «عن حماد الراوية عن أبيه» وزيادة الراوية هنا من تشويه النساخ لأن الذى يروى كثيرا عن أبيه هو حماد بن اسحاق لا حماد الراوية ، وقد تقدّم ذلك فى أسانيد كثيرة ولم يعرف أن حمادا الراوية يروى عن أبيه ، على أنه ليس فى السند بين أبى الفرج الأصفهانى وبين حماد هذا إلا راو واحد ومعروف أن حمادا الراوية عاش الى خلافة المنصور ومات سنة ١٦٤ هجرية وصاحب الأغانى مات ٣٥٦ فالمدّة بينهما طويلة ، ولا يعقل لذلك أن يتوسطهما راو واحد . (٢) التلاد : مال قديم ولد عندك أو نتج . (٣) يروى فى كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة (ص ٤٨٥) : «أرادوا لى بها لونين شتى...» الخ . (٤) صهب : جمع أصهب أو صهباء ، والصهبة فى الإبل : أن يكون فى ظاهر الشعر حمرة وفى أصوله اسوداد . (٥) فى أ ، م ، ء ، ط «زرق» . وورق : جمع أورق أو ورقاء . والورقة : سواد فى غبرة وقيل سواد فى بياض . قال أبو نصر النعامىّ : هجر بحمراء ، وأسر بورقاء وصبح القوم على صهباء ، قيل له : ولم ذلك؟ قال : لأن الحمراء أصبر على الهواجر ، والورقاء أصبر على طول السرى ، والصهباء أشهر وأحسن حين ينظر اليها . (٦) الدهم : جمع أدهم أو دهماء ، والدهمة : السواد . (٧) جعاد : جمع جعدة من الجعودة وهى فى الإبل التواء وبرها وتقبضه ونقيضها السبوطة وهى الانبساط والاسترسال .

ألا يا لهفَ نفسي على وليدٍ[1] * غداةَ أصابه القدرُ المُتاحُ[2]
ألا أبكي الوليد فتى قريشٍ * وأسمحَها إذا عُدّ السَّماحُ
وأجبرَها لذي عظمٍ مَهِيضٍ[3] * إذا ضنّت بدِرّتها اللِّقاحُ
لقد فعلتْ بنو مروان فعلًا * وأمرًا ما يسوغ به القَراحُ[4]

قال يحيى : وغنّى فيه عُمَرُ الوادى ولم يذكر طريقة غنائه .

ابن ميادة وعثمان ابن عمرو بن عثمان ابن عفان

أخبرنا الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبَير قال حدّثنا محمد بن زُهَير بن مُضَرِّس[5] الفَزارىّ عن أبيه قال :

أخصب جَنابُ الحجاز الشامىّ فحالتْ لذلك الخِصْب بنو فَزارة وبنو مُرّة ، فتحالّوا[6] جميعا به . قال : فبينا ذات يوم أنا وابن ميّادة[7] جالسان على قارعة الطريق عشاءً إذا راكبان يُوجِفان[8] راحلتين حتّى وقفا علينا ، فإذا أحدهما بحر الريح[9] وهو عثمان بن عمرو بن عثمان بن عفان معه مولًى له ، فنسبَنا[10] وانتسب لنا ، وقد كان ابن ميّادة يعلّنى[11]

---

(١) كذا فى أغلب النسخ : بغير أل . وفى أ ، م « الوليد » وقد نظر من رجّح « وليد » الى ضرورة تنوينها فى صدر البيت ليتم به عروض « فعولن » ولا يبرر عدم تنوينها إلا وقوعها صدرا لمطلع قصيدة دالية من نوعها والحال هنا بخلاف ذلك . (٢) المتاح : المقدّر، يقال : أتاح الله له خيرا أو شرا أى قدّره . (٣) المهيض : المكسور يقال : هاض العظم يهيضه هيضا فانهاض أى كسره بعد الجبور أو بعد ما كاد ينجبر فهو مهيض . (٤) القراح : الماء الخالص الذى لم يخالطه شىء من سويق ولا غيره . (٥) لم نستند فى ضبط هذا الاسم الى نص صريح وإنما وجدنا العرب يسمون مضرسا كمحدّث ولم يذكر صاحب القاموس فيما سموا به غير هذه الصيغة .
(٦) كذا فى حـ وتحالوا فى كذا أى حلوا متجاورين ، ومنه قيل للزوجة حليلة لأنها تحال زوجها فى دار واحدة . وفى باقى النسخ : « فتحالفوا » بفاء بعد اللام . (٧) كذا فى ب ، سـ . وفى سائر النسخ : « فانى ذات يوم الخ » . (٨) يوجفان : يحثان . (٩) كذا فى ب ، سـ ، ء . وفى حـ « بخر الزنج » ، وسيأتى هذا الاسم فى ترجمة أشعب وأخباره فى ج ١٧ ص ٨٩ من الأغانى طبع بولاق هكذا : « خراء الزنج » وهو عثمان بن عمرو بن عثمان . (١٠) فنسبنا : سألنا أن ننتسب . وفى ط : « فنسبنا فانتسب » . (١١) يعلّنى : يشغلنى ويلهينى ، يقال : علله بالحديث أو الطعام اذا شغله به .

بشعره ، فلمّا انقضى كلامُنا مع القُرَشىّ ومولاه استعدتُ ابنَ ميّادة ما كنّا فيه ، فأنشدنى فخرًا له يقول فيه : ١١٠ / ٢

وعلى المُلَيحة[1] من جَذِيمةَ فِتيةٌ * يتمارضُون[2] تمارضَ الأُسْدِ
وتَرى الملوكَ الغُرّ تحت قِبابهم * يمشُون فى الحَلَقات والقِدِّ[3]

قال : فقال له القُرشىّ : كذبتَ ؛ قال ابن ميّادة : أفى هذا وحدَه ! أنا واللهِ فى غيره أكذَبُ ؛ فقال له القُرشىّ : إنْ كنتَ تريد فى مديحك قريشا فقد كفرتَ بربّك ودفعتَ قوله ، ثم قرأ عليه : ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ﴾ حتّى أتى على آخرها ، ونهَض هو ومولاه وركِبا راحلتَيْهما ؛ فلمّا فاتا أبصارَنا قال ابن ميّادة :

سمينُ قريشٍ مانعٌ منكَ نفسَهُ * وغثُّ قريشٍ حيث كان سمينُ

ابن ميادة وسنان ابن جابر وهجاؤه بنى حميس

أخبرنا يحيى بن علىّ عن حمّاد عن أبيه عن أبى الحارث المُرّىّ قال :

كان ابن ميّادة قد هاجَى سِنانَ بن جابر أحد بنى حُمَيس بن عامر بن جُهَيْنة ابن زيد بن لَيْث بن سُود بن أسْلَمَ ؛ فقال ابن ميّادة له فيما قال من هِجائه :

لقد طالما علّتَ حُجْرًا وأهلَه * بأعراض قيسٍ ياسنانُ بنَ جابرِ
أأهجُو قُرَيْشًا ثم تكرَه رِيبتِى * ويَسرِقُنِى عِرضِى حُمَيسُ بنُ عامرِ

---

(١) الموجود فى معجم البلدان لياقوت ومعجم ما استعجم للبكرىّ وشرح القاموس للسيد مرتضى «مليحة» بدون أل ، وهى موضع فى بلاد بنى تميم ، وكان به يوم بين بنى يربوع وبسطام بن قيس الشيبانىّ . ومليحة : اسم جبل أيضا فى غربىّ سلمى أحد جبلى طيّئ وبه آبار كثيرة وطلح . (٢) التمارض : أن يرى من نفسه المرض وليس به . (٣) القدّ (بالكسر) : سيور تقدّ من جلد فطير غير مدبوغ يشدّ به الأسير .

قال : وقال فيهم أيضا :

قِصار الخُطَى فُرْق(١) الخُصَى زُمَرُ اللِّحَى(٢) * كأنّهمُ ظِرْبَى(٣) اهترشْنَ على لحْمْ
ذ كرتُ حَمَامَ القَيْظِ لما رأيتُهم * يُمَشُّون(٤) حولى فى ثيابهم الدُّسْمِ(٥)
وتُبْدِى الحُمَيْسِيّاتُ فى كلّ زِينةٍ * فُروجا كآثار الصِّغار من البَهْمْ

قال : ثم إنّ ابنَ ميّادة خرج يبغى إبِلًا له حتى ورَد جُبَارًا(٦) ـ وهو ماءٌ لحُمَيس بن عامر ـ فأتى بيتا فوجد فيه عجوزا قد أسنَّتْ، فنَشَدها إبلَه فذكرتْها له وقالت : ممن أنت ؟ قال : رجلٌ من سُلَيم بن منصور؛ فأذِنَتْ له وقالت : ادخل حتى نَقْرِيَك وقد عرَفَتْه وهو لا يدرى ؛ فلمّا قرَتْه قال ابن ميّادة : وَجَدتُ ريحَ الطِّيب قد نفَح علىّ من البيت ، فإذا(٧) بِنتٌ لها قد هتَكَتِ السِّتْرَ، ثم استقبلتْنى وعليها إزارٌ أحمرُ وهى مؤتزرةٌ به، فأطلقتْه وقالت : انظرْ يابنَ ميّادة الزانية ! أهذا كما نعَتَّ ! فلم أرَ امرأةً أضخمَ قُبُلًا منها؛ فقالت : أهذا كما قلتَ ! :

وتُبْدِى الحُمَيْسيّاتُ فى كلّ زينةٍ * فُرُوجًا كآثار الصِّغَارِ من البَهْمْ

---

(١) جمع أفرق، من الفرق وهو تباعد ما بين الخصيتين و يقال للشاة البعيدة ما بين الخصيتين فرقاء .

(٢) كذا فى جميع الأصول ، ولعله بمعنى «مجتمعو اللحى» . (٣) الظربى : جمع ظربان وهى دويبة كالهرّة منتنة الرائحة . ويقال : إن أبا الطيب المتنبي لقى أبا علىّ الفارسىّ فقال له أبو علىّ : كم لنا من الجموع على فعلى (بالكسر) . فقال أبو الطيب بديهة : حجلى وظربى ولا ثالث لهما . فما زال أبو علىّ يبحث هل يستدرك عليه ثالثا فلم يمكن إلا ذلك . واهترشن : تواثبن وتقاتلن .

(٤) يمشون لازم كيمشون . (٥) الدسم : الوسخة . (٦) جبار : ماء لبنى حميس ابن عامر بن ثعلبة بين المدينة وفيد . (٧) كذا بالفاء فى أ ، م . وفى سائر النسخ : « وإذا » بالواو .

قال : قلتُ : لا والله يا سيّدتى، ما هكذا قلتُ ولكن قلت :

وتُبْدِى الحُمَيسيّاتُ فى كلّ زينةٍ * فروجا كآثار المُقَيْسِرةِ(١) الدُّهْمِ

وانصرف يتشبّب(٢) بها، فذلك حين يقول :

نَظَرْنا فهاجَتْنا على الشَّوْق والهوَى * لزينبَ نارٌ أُوقِدَتْ بجُبَارِ
كأنّ سَنَاها لاحَ لى من خَصَاصةٍ * على غير قَصْدٍ والمَطِىُّ سَوَارِى
حُمَيسيّةٌ بالرملتين مَحَلُّها * تَمُدّ بحِلْفٍ بيننا وجِوَارِ

قال أبو داود(٣) : وكانت بنو حُمَيس حُلَفاءَ لبنى سَهْم بن مُرّة، ثم للحُصَيْن بن الحُمَام . وتمدّ وتَمُتّ واحد .

زجع الى الشعر

١١١/٢

تُجاوِرُ من سهم بن مُرّةَ نِسوةً * بمُجْتَمَع النقبين(٤) غير عوارى
نواعمَ أبكارًا كأنّ عيونَها * عيونُ ظِباءٍ أو عيونُ صُوارِ(٥)
كأنّا نراها وهى منّا قريبةٌ * على متْن عصْماءِ(٦) اليَدَيْن نَوارِ(٧)
تَتَبّعُ من حِجر(٨) ذُرا مُتَمَنّعٍ * لها مَعْقِلٌ فى رأس كلّ طَمار(٩)

(١) المقيسرة : الإبل المسانّ، يقال : هذه مقيسرة بنى فلان، أى إبلهم المسانّ . (٢) فى حـ : «يشبب» وفى ط : «ينسب» . (٣) فى ط : «أبو دراد» . (٤) كذا فى أ، ء، م، ط . وفى ب، س : «النصفين» . وفى حـ : «الصفين» . ولم نهتد لترجيح احدى هذه الروايات . (٥) الصوار هنا : القطيع من البقر، ويقال أيضا على وعاء المسك وقد جمع الشاعر بينهما بقوله :

اذا لاح الصوار ذكرت ليلى * وأذكرها اذا نفح الصوار

(٦) العصماء : ما يكون فى ذراعها بياض من الظباء والوعول . (٧) نوار : نفور . (٨) كذا فى أغلب الأصول، وهو اسم لمواضع منها جبل فى بلاد غطفان . وفى حـ «حجز» بالزاى المعجمة . (٩) الطمار : اسم المكان المرتفع، يقال : انصب عليهم فلان من طمار أى من مكان عال .

يَدُورُ بِهَا ذو أسهُم لا ينالها * وذو كَلْبات كالقِسِيّ ضَوارِي(١)
كأنّ على المَتْنَيْنِ منها وَدِيَّةً(٢) * سقتْها السواقِي من وَدِيّ دَوارِ(٣)
يَظَلّ سحيقُ المِسْك(٤) يقطُر حَوْلَها * إذا الماشطاتُ آحتفنه(٥) بَمَدارِي
وما رَوْضةٌ خضراءُ يضرِبها النّدَى * بها قُنّةٌ من حَنْوَةٍ وعَرارِ(٦)
بأطيبَ من ريح القَرَنْفُل ساطعًا * بما آلتفَّ من دِرْع لها وخِمَارِ
وما ظبيةٌ ساقتْ لها الريحُ نَغْمةً(٧) * على غفلةٍ فاستسمعت لخُوارِ(٨)
بأحسنَ منها يومَ قامتْ فأَتْلعتْ(٩) * على شَرَكٍ(١٠) من رَوْعةٍ ونفارِ
فليتَك ياحسناءُ يابنةَ مالكٍ * يَبِيعُ لنا منكِ المَوَدّةَ شارِي(١١)

ابن ميادة وزينب بنت مالك

وأخبرني بهذا الخبر الحَرَمِيّ قال حدّثنا الزُّبَيْر قال حدّثني أبو حَرْمَلَة مَنْظُورُ بن أبي عَدِيّ الفَزارِيّ ثم المَنْظُورِيّ عن أبيه قال حدّثني رَمّاح بن أَبْرَد قال :

---

(١) وصف للكلبات ، وهو جمع ضارية أى المتعوّدة الصيد ، يقال : ضرى الكلب بالصيد ضراوة أى تعوّد وأضراه صاحبه أى عوده وأغراه به . (٢) الودية : واحدة الوديّ وهو فسيل النخل وصغاره ، وهى هنا كناية عن الضفيرة من الشعر . (٣) كذا فى أغلب الأصول . وفى ء : «درار» ولم نعثر على أنه اسم مكان خاص . (٤) كذا فى أغلب الأصول . وفى ط : « سليخ البان » ولعل كلمة سليخ جمع لسليخة وهى دهن ثمر البان ، قال فى اللسان : وسليخة البان دهن ثمره قبل أن يربب بأفاويه الطيب . (٥) كذا فى أغلب النسخ ولم نجد لها معنى مناسبا . وفى حـ : « آحتفته » وهو تحريف قطعا ولم نوفق الى تقريبه من صوابه . (٦) القنة : الجبل الصغير . والحنوة : نبات سهلىّ طيب الريح . وفى ب ، سـ : «من جنوة» بالجيم المعجمة وهو تصحيف . والعرار : بهار ناعم أصفر طيب الريح . (٧) كذا فى أغلب النسخ . وفى حـ ، أ « بغمة » بالباء الموحدة من بغمت الظبية والبقرة والناقة أى صوّتت . (٨) كذا فى أ ، ب نسخة الشيخ الشنقيطى بعد تصحيحه لها . والخوار : صوت البقر والغنم والظباء ، وفى باقى النسخ : « حوار » بالحاء المهملة . (٩) أتلعت : مدّت عنقها متطاولة . (١٠) الشرك : حبالة الصائد .
(١١) شارى أى بائع ، يقال : شراه اذا باعه ، ومنه قول يزيد بن مفرّغ :

شريت بردا ولولا ما تكنفنى * من الحوادث ما فارقته أبدا

خرجتُ قافلا من السَّلْع[1] إلى نَجْـد حتى إذا كنتُ ببعض أَهْضام[2] الحَرّة (هكذا[3] فى نُسختى، وأظنّه هِضاب[4] الحَرّة) رُفِـع لى بيتٌ كالطِّراف[5] العظيم، وإذا بفِنائه غَنَمٌ لم تَسْرَحْ، فقلت: بيت من بيوت بنى مُرّةَ وبى من العَيْمَة[6] إلى اللبن ما ليس بأحد، فقلت: آتيهم فأُسلِّم عليهم وأَشْرَب من لبنهم، فلما كنت غيرَ بعيد سلّمت فردّتْ علىّ امرأةٌ بَرْزَة[7] بفِناء البيت، وحَيّت ورحّبت وآستنزلتنى فنزَلْتُ، فدعَتْ بلبن ولِبَإٍ[8] ورِسْلٍ من رِسْل تلك الغنم، ثم قالت: هَيّا فلانةُ آلبَسى شَفًّا[9] وآخرُجى، فخرجتْ علىّ جاريةٌ[10] كأنّهـا شَمْعة ما رأيتُ فى الخَلْق لها نظيراً قبلُ ولا بعدُ، فإذا شَفُّها ذاك ليس

---

(١) عرف باسم «سلع» جبل بقرب المدينة . وقد أورده الجوهرىّ معرّفا فقال: السلع: جبل بالمدينة . وخطأه صاحب القاموس بحجة أنه علم والأعلام لا تدخلها اللام . ونقل السيد مرتضى فى تاج العروس مادّة سلع منازعة شيخه لصاحب القاموس فى هذه التخطئة . وسلع أيضا: جبل فى ديار هذيل بين نجد والحجاز ويقال فيه: ذوسلع . (٢) الأهضام: جمع هضم (بالفتح والكسر) وهو المطمئن من الأرض . (٣) هذه العبارة المحصورة بين قوسين واردة فى أغلب النسخ ما عدا نسخة حـ . والظاهر أنها ليست من كلام أبى الفرج وإنما هى حاشية وجدت على بعض نسخ الأغانى فأدخلها الناسخ فى أصل الكتاب لأن صاحب الأغانى روى هذا الخبر عن الحرمىّ ولم يذكر أنه نقلها من كتاب . (٤) إنما رجح أن تكون فى الأصل هضاب لأن المتبـادر من قوله: « رفع لى بيت » أنه أطل عليه من هضبة . (٥) الطـراف بيت من أدم ليس له كفاء (سـترة تكون فى مؤخر البيت من أعلاه الى أسـفله) وفى أ ، م ، حـ : «الظرب» والظرب ككتف: الرابية أو الجبل المنبسط . (٦) العيمة: شهوة اللبن، يقال: عام الرجل الى اللبن يعام ويعيم عيما وعيمة اذا آشتهاه . (٧) البرزة: المرأة المتجاهرة تبرز للناس ويجلس اليها القوم وهى مع ذلك عفيفة عاقلة . (٨) اللبأ: أوّل اللبن عند النتاج . والرسل: اللبن . (٩) كذا فى حـ ، والشف من الثياب: الرقيق، يقال: شف الثوب عن المرأة يشف شفوفا وشفيفا فهو شف أى رق حتى يرى ما خلفه، وفى باقى النسخ: «شقا» بالقاف وهو تصحيف . (١٠) كذا فى أغلب الأصول . وفى ب ، سـ : «فخرجت على آمرأة جارية» بزيادة لفظة آمرأة .

يُوارِى منها شيئا وقد نَبَا عن رَكَبِها(١) ما وقع دليــه(٢) من الثوب فكأنّه قَعْبٌ(٣) مُكْفَأ ، ثم قالت : يابن مَيّادة الخبيثة ، أأنت القائل :

وتُبْدِى الحُمَيْسِيَّات فى كلّ زينةٍ * فُروجا كآثار الصِّغار مِن البَهْمِ ؟

فقلت : لا والله — جعلنى الله فِداكِ ياسيّدتى — ما قلت هذا قط ، وإنّما قلت :

وتُبْدِى الحُمَيْسِيَّاتُ فى كلّ زينةٍ * فُــروجا كآثار المُقَيْسرة الدُّهْــمِ

قال : وكان يقال للجارية الحُمَيْسيّة : زينب بنت مالك ، وفيها قال ابن مَيّادة قصيدته :

* ألِمّا فَزُورا اليومَ خيرَ مَزارِ *

أعطاه الوليد جارية فقال فيها شعرا

أخبرنى الحَرَمِىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبَيْر بن بَكار قال حدّثنى مَوْهُوب ابن رَشيد الكِلَابِىّ قال :

أعطى الوليد بن يزيد ابنَ مَيّادة جاريةً طَبَرِيّةً(٤) أعجميّةً لا تُفْصِح ، حسناءَ جميلةً كاملةً لولا العُجْمَة ، فعشِقَها وقال فيها :

جزاكَ الله خيرا مِن أمير * فقــد أعطيتَ مِبْرادا سَخُونَا
بأهلى ما أَلَذّكِ عنــدَ نفسى * لَوَ انّكِ بالكلام تُعَرِّبينـا
كأنّكِ ظبيةٌ مَضَغَتْ أراكًا * بوادِى الجِزْع حين تُبَغِّمينا(٥)

١١٢ / ٢

ملاحاته مع رجل من بنى جعفر

أخبرنى الحَرَمِىّ قال حدّثنــا الزُّبَير قال حدّثنى إسحــاق بن شُعَيْب بن إبراهيم ابن محمد بن طَلْحة قال :

(١) الركب : ظاهر الفرج ، وقيل : هو الفرج نفسه . (٢) فى ب ، س ، ط بعد كلمة الثوب كلمة « شىء » وهى زيادة لم يظهر لهــا معنى . (٣) القعب : القــدح الضخم الغليظ الجافى ، وقيل قدح من خشب مقعر . والمكفأ : المقلوب يقال أكفأ الشىء أى كبه وقلبه ككفأه . (٤) نسبة الى طبرستان من بلاد الفرس وهى بلدان واسعة كثيرة يشملها هذا الاسم . (٥) التبغم : ترخيم الصوت .

وردتُ على بنى فَزارة ساعيا[(١)] ، فأتانى ٱبنُ مَيّادة مُسَلِّما علىّ ، وجاءتْنى بنو فَزارة ومعها رجلٌ من بنى جَعْفَر بن كِلاب كان لهم جارا وكان مُخَطَّطا[(٢)] مَوْسوما بجمال ، فلمّا رأيتُه أعجبنى ، فأقبلتُ على بنى فزارة وقلتُ لهم : أى أخوالى هـذا؟ فوالله إنّه ليَسُرّنى أنْ أرى فيكم مثلَه ؛ فقالوا : هذا — أمْتَعَ الله بك — رجلٌ من بنى جعفر ابن كِلاب وهو لنا جارٌ . قال : فأصغى إلىّ ٱبن مَيّادة ، وكان قريبا منّى ، وقال : لا يغرّنّك — بأبى أنت — ما ترى من جسمه فإنّه أجوفُ لا عقـلَ له ؛ فسمعه الجعفرىُّ فقال : أفِى تَقَع يابن مَيّادة وأنت لا تَقْرِى ضيفك؟ فقال له ٱبن مَيّادة : إن لم أقرِه قراه ٱبن عمّى[(٣)] وأنت لا تَقْرِى ولا ٱبنُ عمّك . قال ٱبن عمران : فضحكت مما شهِد به ٱبن مَيّادة على نفسه[(٤)] .

كان بخيلا لا يكرم أضيافه

أخبرنى الحَرَمِىّ قال حدّثنا الزُّبَيْر قال حدّثنى محمد بن إسماعيل الجعفرىّ عن المُعَلَّى بن نُوح[(٥)] الفَزارىّ قال حدّثنى خال لى كان شريفا من سادات بَنِى فَزَارة قال :

ضِفتُ ٱبن مَيّادة فأكرمنى وتحفَّى بى[(٦)] وفَرَغ لى بيتا فكنتُ فيه ليس معى أحد ، ثم جاءنى بقَدَح ضخم من لبن إبله فشربتـه ثم ولّى ، فلم يَنْشَب أن جاءنى بآخَر فتناولتُ منه شيئا يسيرا ، فما لبثتُ حتّى عاد بآخر فقلتُ : حَسْبُك يارَمّاح فلا حاجةَ لى بشىء ؛ فقال : ٱشرَب بأبى أنت ، فوالله لربّما بات الضيفُ عندنا مَدْحُورا[(٧)] .

أخبرنى الحَرَمِىّ قال حدّثنا الزُّبَيْر قال حدّثنى عمّى مُصْعَب عن جَدّى عبدِ الله ٱبن مُصْعَب قال :

---

(١) ساعيا : جابيا صدقاتهم . (٢) مخططا : جميلا . (٣) كذا فى جميع الأصول ولم يتقدّم لهذا الاسم ذكر فى السند . (٤) فى حـ : «مما باء ابن ميادة على نفسه» . (٥) كذا فى أغلب النسخ . وفى حـ : «برج» بدل «نوح» . (٦) كذا فى ط وتحفى بى أى بالغ فى برّى والسؤال عن حالى . وفى باقى الأصول : «وأتحفنى» . (٧) مدحورا : مطرودا .

أتينا ابنَ ميّادة نتلقّى منه الشعرَ، فقال لنا : هل لكم فى فضـل شَنّةٍ[١]؟ فظننّاها تمرا، فقلنا له : هاتِ، لنَبْسُطه[٢] بذلك، فإذا شَنّةٌ فيها فَضْلةٌ من خمْر قد شُرِب بعضُها وبقى بعضٌ، فلمّا رأيناها قمنا وتركناه .

دعى فى وليمة فرجع لما رأى من ضرب الناس بالسياط

أخبرنا الحَرَمىّ قال حدّثنا الزُّبيْر قال حدّثنى إبراهيم بن عبد الرحمن الكَثِيرىّ قال حدّثنى نعمة[٣] الغِفارىّ قال :

قدم ابن ميّادة المدينة فدُعى فى وليمة فجاء فوجد على باب الدار التى فيها الوليمةُ حَرَسًا يضربون الزّلّالين[٤] بالسّياط يمنعونهم من الدخول، فرجع وهو يقول :

ولمّا رأيتُ الأَصْبَحيّـةَ[٥] قنّعتْ[٦] * مفارِقَ شُمْطٍ حيث تُلْوَى العمائمُ
تركتُ دِفاعَ الباب عمّا وراءَه * وقلتُ صحيحٌ من نجا وهو سالمُ

جوابه حين سأله الوليد : من تركت عند نسائك

أخبرنى يحيى بن علىّ عن أبيه عن إسحاق قال :

قال الوليد بن يزيد لابن ميّادة فى بعض وِفاداته عليه : مَن تركتَ عند نسائك ؟ قال : رَقيبين لا يُخالفانى طَرْفة عَيْن : الجُوع والعُرْى . وهذا القول والجواب يُرْوَى[٧] أنّ عمرَ بنَ عبد العزيز وعَقِيلَ بنَ عُلّفة تَراجعاهما، وقد ذُكرا فى أخبار عَقِيل .

(١) الشنة : الخلق من كل آنيـة صنعت من جلد، ويقال للسقاء شنّ، وللقربة شنّ .
(٢) كذا فى أغلب الأصول . وفى ط : «لننشطه» . (٣) سموا «نعمة» بضم النون وبكسرها، ولم نوفق الى تعيين ضبط هذا الاسم هنا . وفى ط : «نعمة الغفارى» .
(٤) الزلالون : الطفيليون نقل ابن برّى عن ابن خالويه أن من أسماء الطفيل الزلال (انظر اللسان مادة طفل) . (٥) الأصبحية : السياط نسبة الى ذى أصبح ملك من ملوك حمير . (٦) قنعت أى علت الرءوس، يقال : قنع فلان رأس الجبل أى علاه، وقنعت فلانا بالسيف والسوط أى علوته به .
(٧) فى جميع الأصول : «يرويان» وهو تحريف .

مدحه لأبى جعفر المنصور

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلاء قال حدّثنا الزُّبَيْر بن بَكّار قال حدّثنى عمّى مُصْعَب وأخبرنى محمّد بن مَزْيَدَ قال : حدّثنا حَمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزُّبَيْر وأخبرنا يحيى بن علىّ قال : حدّثنا أبو أَيُّوبَ المَدِينىّ عن مُصْعَب :

أنّ ٱبن مَيّادةَ مدَح أبا جعفر المنصور بقصيدته التى يقول فيها :

* طلعتْ علينا العِيسُ بالرَّمّاح *

١١٣/٢ ثم خرج من عند أهله يُريده ، فمرّ على إبله فحُلِبت له ناقةٌ من إبله ، وراح عليه راعِيه بلبنها فشرِبَه ثم مسَحَ على بطْنِه ثم قال : سبحان الله ! إنّ هذا لهو الشَّرَه ! يكفينى لبن بَكْرَة وأنا شيخ كبير ، ثم أخرج[1] وأغترب فى طلب المال ! ثم رجَع فلم يخرُج . وهذه القصيدةُ من جَيّد شعر ٱبن مَيّادة ، أوّلها :

وكواعبٍ قد قلن يوم تَوَاعُدٍ[2][3] * قَوْلَ المُجِدّ وهُنّ كالمُزّاحِ
ياليتنا فى غير أمرٍ[4] فادحٍ[5] * طَلَعتْ علَيْنا العِيسُ بالرَّمّاحِ
بَيْنا كذاكَ رأَيْنَنِى مُتعصِّبًا * بالخَزّ فوق جُلالةٍ سِرْداحِ[6]
فيهنّ صفراءُ المَعاصِمِ طَفْلةٌ[7] * بيْضاءُ مثلُ غَرِيضةِ[8] التُّفّاحِ

---

(١) كذا فى أغلب الأصول . وفى ب ، سـ : «ثم قال أخرج» وهى هنا حشو لا فائدة فيها .

(٢) كذا ورد هذا الشطر فى جميع الأصول . وجاء فى الكامل للبرد طبع أوروبا ص ٢٩ هكذا :

* ونواعم قد قلن يوم ترحلى *

(٣) كذا فى حـ . وفى باقى الأصول : « يوم تواعدوا » ولا يصح أن تكون الواو ضميرا للنسوة .

(٤) فى الكامل للبرّد : «من غير» . (٥) كذا فى حـ والكامل للبرّد . وفى أغلب الأصول : « ثائر» . وفى ب . « بائر» . (٦) الجلالة : الناقة العظيمة . والسرداح : الناقة الطويلة ، وقيل : الكثيرة اللحم . (٧) الطفلة (بالفتح) : الجارية الرقيقة البشرة الناعمة .

(٨) الغريضة : الطرية .

فنظَرنَ من خَلَل الحِجَال بأعينٍ * مَرْضَى مُخالِطُها السَّقامُ صِحاحِ
وارتَشْنَ حين أَرَدْنَ أن يرمِينَنِي * نَبْلًا[1] بلا رِيشٍ ولا بِقِـداحِ

يقول فيها فى مدح المنصور وبنى هاشم :

فلَئِنْ بَقِيتُ لأَلحقَنّ بأَبْحُـرٍ * يَنْمِينَ لا قُطْعٍ[2] ولا أَنزاحِ[3]
ولآتِينّ بَنِى عـلىّ[4] إنّهـمْ * مَن يأتهـم يَتَلَقّ بالإفلاحِ
قومٌ إذا جُلِب الثناء إليهـمُ * بِيعَ الثناء هنـاك بالأرباحِ
ولأَجْلِسَنّ إلى الخليفـة إنّه * رَحْبُ الفِناء بواسع تَجْباحِ

وهى قصيدة طويلة .

أصاب الحاج بمكة مطر شديد وصواعق فقال شعرا

أخبرنى الحَرَمِىّ قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنا إسحاق بن أيّوب بن سَلَمَةَ قال: آعتمرتُ فى رجب سنةَ خمس ومائة، فصادفنى آبن مَيّادة بمكة وقدِمها مُعْتَمِرا، فأصابنا مطرٌ شديد تهدّمت منه البيوت وتوالت فيه الصواعق، فجلس إلىّ آبن مَيّادة الغَدَ من ذلك اليوم، فجعل يأتينى[5] قومٌ من قومى وغيرهم فأستخبرهم عن ذلك الغَيْث فيقولون : صَعِق فُلان وآنهدم منزل فلان؛ فقال آبن مَيّادة : هذا العَيْث[6] لا الغَيْث؛ فقلت : فمـا الغيث عندك؟ فقال :

سحائبُ لا مِن صَيّبٍ[7] ذى صَواعِقٍ * ولا مُخْـرِقات ماؤهنّ حَمِـيمُ
إذا ما هبطْنَ الأرضَ قد مات عُودُها[8] * بكَيْنَ بهـا حتّى يَعيش هَشِـيمُ

---

(١) ارتشن نبلا : آتخذن لهـا ريشا . (٢) لا قطع : جمع أقطع وهو الذى انقطع ماؤه . (٣) أنزاح جمع نزح [بالتحريك] وهو ما نزح أكثر مائه، وهو أيضا المـاء الكدر . (٤) كتب فى هامش ط على هذا البيت (يعنى على بن عبد الله بن العباس اه) وهو أصغر أولاد عبدالله بن عباس ولكنه تقدمهم لشرفه ونبله وقد أنزله عبد الملك بن مروان الحميمة ببلاد الشام فلبث فيها حتى مات (انظر اليعقوبى ص ٣١٤ و٣٢١ و٣٤٨ و٣٨٥) . (٥) فى ط : «المطر» . (٦) العيث بالعين المهملة : الفساد . (٧) فى حـ، ء، ط «صيف» ورواية الكامل للبرد ص ٥٠ «... صيف ... ... مخرقات ... » . (٨) فى ط : « داء عودها » من داء الرجل (وزان شاء) : أصابه الداء .

كان ينشد من شعره فيستحسنه الناس

أخبرنى الحَرَمِىّ قال حدّثنا الزُّبَيْر قال حدّثنى موسى بن زُهَيْر عن أبيه قال : جلست أنا وعيسى بن عُمَيْلَة وآبن مَيّادة ذات يوم، فأنشدنا آبنُ مَيّادة شعره مَلِيًّا، ثم أنشدنا قوله :

ألَا ليتَ شِعْرى هل أبيتنّ ليلةً * بحَرّة ليلَى حيث ربَّتَنِى أهلِى
بلادٌ بها نِيطتْ علىّ تمائمى * وقُطِّعن عنّى حين أدركنى عقلِى
وهل أسمعنّ الدهرَ أصوات هَجْمَةٍ * تَطالَعُ من هَجْلٍ خَصِيبٍ الى هَجْلِ
صُهَيْبِيّةٍ صفراءَ تُلْقِى رِباعها * بمُنْعَرِج الصَّمّان(1) والجَرَعِ(2) السهلِ

تلقى رِباعها : تطرَح أولادها . وواحد الرباع رُبَع .

وهل أجمعنّ الدهرَ كفّىّ جَمْعةً * بمَهْضومةِ الكَشْحَين ذاتِ شَوًى عَبْلِ(3)
مُحَلَّلةٍ لى لا حَراماً(4) أتيتُها * من الطيبات حين تركُض فى الحِجْلِ(5)
تميلُ إذا مالَ الضجيعِ بِعطْفِها * كما مالَ دِعْصٌ(6) من ذُرَا عِقَدِ(7) الرملِ

١١٤ / ٢

فقال له عيسى بن عُمَيْلَة : فأين قولك يا أبا الشُّرَحْبِيل :

لقد حَرَمت أمّى علىّ عِدِمتُها * كرائمَ قومى ثم قِلّةُ ماليا

(١) الصمان : أرض غليظة دون الجبل ، ويطلق على جبل ينقاد ثلاث ليال وليس له ارتفاع بين البصرة ومكة ، يخرج المسافر من البصرة الى مكة فيسير الى كاظمة ثلاثا ثم الى الدوّ ثلاثا ثم الى الصمان ثلاثا ثم الى الدهناء ثلاثا . (انظر معجم ما استعجم للبكرىّ ص ٦٠٥ طبع أوربا) . (٢) الجرع : الرملة السهلة المستوية . (٣) الشوى : الأطراف : اليدان والرجلان والرأس . والعبل : الضخم . (٤) كذا فى حـ ، أ : «حراما» . وفى باقى النسخ : «حرام» . (٥) الحجل بفتح الحاء المهملة وكسرها : الخلخال . (٦) الدعص (بالكسر) : قطعة من الرمل مستديرة ، أو الكثيب منه المجتمع ، جمعه دعص (كعنب) وأدعاص ودعصة (كعنبة) . (٧) العقد : المتراكم من الرمل .

فقلت له : فاعطف إذًا الى أَمَة بنى سُهَيل فهى أعنَدُ وأنكَدُ ، وقد كنتُ أظنّ أن مَيّادة قد ضربت جأشك على اليأس من الحرائر [١]، وأنا أُداعبه وأُضاحكه ؛ فضحك وقال :

ألم تَرَ قومًا يَنْكِحون بمـالهِمْ * ولو خَطَبتْ أنسابُهم [٢] لم تُزَوَّجِ

أخبرنى الحَرَمِىّ قال حدّثنا الزُّبَيْر قال حدّثنى عمّى مُصْعَب وغيرُه :

أنّ حُسَيْنَة اليسارِيّة كانت جميلة ــ وآلُ يَسَار من موالى عُثْمان رِضوانُ الله عليه يسكنون تَيْماء، ولهم هناك عَدَد وجَلَد، وقد انتسبوا فى كَلْب الى يَسار بن أبى هند فقبِلهم [٣] بنو كَلْب ــ قال : وكانت عنـد رجل من قومها يقال له : عيسى بن إبراهيم ابن يَسار، وكان ابن مَيّادة يزورها ؛ وفيها يقول :

ستأتينا حُسَيْنَةُ حيث شِئْنا * وإن رَغِمَتْ أُنوفُ بنى يَسارِ

قال : فدخل عليها زوجها يوما فوجَد ابنَ مَيّادة عندها، فهمّ به هو وأهلُها ؛ فقاتلهم وعاونتْه عليهم حُسَيْنَة حتى أفلت ابنُ مَيّادة ؛ فقال فى ذلك :

لقـد ظلّتْ تُعاونُنى عليهمْ * صَمُوتُ الحِجْل كاظمةُ السِّوارِ [٤]

وقد غادرتُ عيسى وهو كَلْبٌ * يُقطِّع سَلْحَه خَلْفَ الجِدارِ

أخبرنى يحيى بن علىّ بن يحيى قال حدّثنى إبراهيم بن سعد [٥] بن شاهين قال حدّثنى عبد الله بن خالد بن دُقَيْف التَّغْلِبىّ عن عثمان بن عبد الرحمن بن نُمَيْرة العَدَوِىّ عن أبى العَلاء بن وَثّاب قال :

---

(١) قال فى اللسان (مادة جأش) : «وقال مجاهد فى قوله تعالى : (يأيتها النفس المطمئنة) : هى التى أيقنت أن الله ربهـا وضربت بذلك جأشا . قال الأزهرى : معناه : قرت يقينا واطمأنت كما يضرب البعير بصدره الأرض» . والمعنى هنا : أنها جعلت قلبه على يأس من الاقتران بالحرائر لانحطاط نسبها .

(٢) كذا فى م ، أ . وفى ب ، حـ ، سـ ، ط : «أقاتهم» . وفى ى : «أمهاتهم» وهو تحريف . (٣) كذا فى أ ، م ، ى ، ط . وفى باقى النسخ : «قيلتهم» وهو تحريف .

(٤) كاظمة : من كظم أى صمت ، والسوار من حلىّ اليدين معروف . والمعنى أنّ خلخالهـا وسوارها لا يسمع لهما صوت لامتلائهما بمعصمها وساقها . (٥) فى أ ، م ، ى ، ط : «سعيد» .

ابن ميادة وعبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك ومدائحه فيه

قَدِمَ ٱبنُ مَيّادة المدينةَ زائرا لعبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك وهو أميرها وكان يَسمُر عنده فى الليل، فقال عبد الواحد لأصحابه : إنّى أَهُمّ أن أتزوّج، فابغونى[1] أيِّمًا؛ فقال له ٱبن مَيّادة : أنا أَدُلُّك، أصلحك الله أيها الأمير؛ قال : على مَن يا أبا الشُّرَحْبيل؟ قال : قدِمتُ عليك أيها الأمير فدخلت مسجدكم فإذا أشبه شىء به وبمَن فيه الجنةُ وأهلُها، فوالله لَبَيْنا أنا أمشى فيه إذْ قادتنى رائحة عِطْر رجل حتّى وَقَفَتْ بى عليه، فلمّا وقع بَصَرى عليه ٱستلهانى[2] حُسْنُه فما أقلعتُ عنه حتّى تكلّم، فخلْته لمّا تكلّم يتلو زبورا أو يدْرُس إنجيلا أو يقرأ قرآنا حتّى سكت، فلولا معرفتى بالأمير لشككتُ أنّه هو، ثم خرَج من مُصلّاه إلى داره، فسألت : مَن هو؟ فأُخْبِرتُ أنّه للخَيِّرَيْن[3] وبين الخليفتين، وأنْ قد نالته ولادة من رسول الله صلّى الله عليه وسلّم لها [نور][4] ساطع من غُرّته وذؤابته، فنعم الْمُنْكَحُ ونعم حَشْو الرحْل وٱبْنُ العَشيرة، فإن ٱجتمعت أنت وهو على ولد ساد العبادَ وجاب ذِكْرُه البلاد . فلمّا قضى ٱبن مَيّادة كلامه قال عبد الواحد ومَن حضره : ذاك محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، وأمّه فاطمة بنت الحُسَيْن، فقال ٱبنُ مَيّادة :

لهم نَبْوةٌ[5] لم يُعْطِها اللهُ غيرَهم * وكلُّ قضاء الله فهو مُقَسَّم[6]

١١٥
٢
قال يحيى بن علىّ : وممّا مدَح به عبدَ الواحد لمّا قدِم عليه قولُه :

مَن كان أخطأه الربيعُ فإنما * نُصِرَ[7] الحجازُ بغَيْث عبدِ الواحدِ

إنّ المدينةَ أصبحتْ معمورةً * بمُتَوَّجٍ حُلْوِ الشمائلِ ماجدِ

(١) بغى كما يتعدّى لمفعول يتعدّى لمفعولين ومنه قوله تعالى : (يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم) .
(٢) كذا فى جميع النسخ . وفى نسخة بهامش ط : «استهانى» . (٣) كذا فى أغلب النسخ . وفى أ ، م : «وابن الخليفتين» . (٤) الزيادة فى أ ، م . (٥) النبوة : ما ارتفع من الأرض ، وهى هنا كناية عن العلوّ والارتفاع . (٦) فى حـ : «فضل» .
(٧) نصر : سقى ، يقال : نصر الغيث الأرض نصرا ، أى غاثها وسقاها وأعانها على الخصب والنبات ، وقد أورد صاحب اللسان هذا المعنى واستشهد عليه بهذا البيت .

ولقد بلغتَ بغير أمرِ تكلُّفٍ * أعلى الحظوظ برغم أنفِ الحاسدِ
وملكتَ ما بين العراق ويثربٍ * مُلْكاً أجارَ لمسلمٍ ومُعاهِدِ
مَالَيْهما ودَمَيْهما من بعد ما * غشّى الضعيفَ شُعاعُ سيفِ المارِدِ

التقاؤه فى طريق مكة بجماعة يرتجزون بشعره

أخبرنى الحرمىّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثنى سَعيد بن زَيْد السُّلَمِىّ قال :
إنّا لنُزُولٌ أنا وأصحابٌ لى قبْلَ الفِطْر بثلاثِ ليالٍ على ماءٍ لنا، فإذا راكبٌ يسير على جَمَلٍ مُلْتَفٌّ بثوب والسماءُ تغسِـلُه حتى أناخَ إلى أَجَمِ عَرَفْتُه، فلمّا رأيناه لَثِقاً[(١)] قُمْنا إليه فوضعنا رَحْلَه وقيّدنا جَمَلَه ، فلمّا أقلعتِ السماءُ عنّا وهو معنا قاعدٌ قام غِلْمةٌ منّا يرتجزون[(٢)] والرَّجُلُ لم يَنْتَسب لنا ولا عَرَفناه، فارتجزَ أحدُهم فقال :

أنا ٱبنُ مَيّادةَ لَبّاسُ الحُلَلْ * أَمَرُّ من مُرٍّ وأحْلَى من عَسَلْ

حتى قال له الرجل : يابن أخى، أتَدْرِى من قال هـذا الشعر؟ قال : نعم، ابنُ ميادة قال: فأنا [هو][(٣)] ابنُ ميّادة الرّمّاح بن أَبْرَدَ، وبات يُعَلِّلُنا من شعره، ويقطعُ عنّا الليلَ بنَشِيده، وسَرَيْنا راحلين فصبّحنا مكة فقضينا نُسُكَنا، ولَقِيَــه رَجُلان من قومه من بنى مُرّة فعرَفهما وعرَفاه وأفطرنا بمكة، فلما ٱنصرفنا من المسجد يوم الفِطر إذا نحن

طلب عبد الصمد له ودخوله عليه مع واحد ممن كانوا معه ومحاورة عبد الصمد لهما

بفارسَيْن مُسَوّدين وراجلَيْن مع المرّيّين يقولون : أينَ ابنُ ميّادة ؟ فقلنا : ها هو وقد بَرَزْنا من خَيْمة كنّا فيها، فقلنا لابن ميّادة : ابرُزْ؛ فلما نَظَر إلى المرّيّين قال :

* إحدَى عَشِيّاتِك يا شميرجْ *

---

(١) كذا فى ى ، واللثق : المبتل ؛ يقال : لثق الطائر من باب تعب فهو لثق اذا ابتل ريشه . وفى باقى الأصول : « لثغا » بالغين المعجمة وهو تصحيف . (٢) كذا فى أ ، م وفى ى : « يختبزون » بالخاء المعجمة . وبذلك صحح الأستاذ الشنقيطى نسخته طبع بولاق . وفى ب ، س ، حـ : « يختبرون » بالراء المهملة وهو تصحيف . (٣) زيادة فى حـ ، أ .

— قال : وهذا رَجَزٌ لبعض بنى سُلَيم يقوله لفرسه :

أقولُ والرَّكبة فوقَ المِنْسَجْ (١) * إحدَى عَشِيَّاتِك يا شميرجْ

ويروى : مشمرج — فقالوا لابن مَيَّادة : أجب الأميرَ عبدَ الصمد بن علىّ ، وخذ معك من أصحابك مَن أحببتَ ؛ فخرج وخرج معه منّا أربعةُ نَفَرٍ أنا أحدُهم حتى وقفنا على باب دار النَّدْوة (٢) ، فدخل أحد المسوِّدين ، ثم خرج فقال : ادخل يا أبا شَجَرة ، فدَخَلتُ على عبد الصمد بن علىّ فوجدتُه جالسا مُتَوَشِّحا بمِلْحَفَةٍ مُوَرَّدة (٣) ؛ فقال لى : مَنْ أنت ؟ قلتُ : رَجُلٌ من بنى سُلَيم ؛ فقال : مالك تُصاحِبُ المُرِّىّ وقد قَتَلُوا معاويةَ بنَ عمرو ! وقالت الخَنْساءُ :

أَلَا ما لِعينِى أَلَا ما لَهَا * لقد أَخْضَلَ الدمعُ سِرْبالَهَا

فآلَيْتُ آسَى (٤) على هالكٍ * وأسألُ نائحةً مالَهَا

أبعدَ ابنِ عمرٍو منَ آلِ الشَّرِيـ * ـد حلَّتْ (٥) به الأرضُ أثقالَهَا

فإن تكُ مُرَّةُ أَوْدَتْ به * فقد كانَ يُكثِرُ تقتالَهَا

---

(١) منسج الدابة : ما بين العرف وموضع اللبد ، وقيل : المنسج للفرس بمنزلة الكاهل من الانسان والحارك من البعير . (٢) دار الندوة : دار أحدثها قصىّ بن كلاب بن مرة لما تملك مكة ، وجعلها بعد وفاته لابنه عبد الدار بن قصىّ ، ثم صارت الى حكيم بن حزام ، فاشتراها منه معاوية بن أبى سفيان بمائة ألف درهم ، وقيل لم تزل فى أيدى بنى عبد الدار حتى اشتراها معاوية بن عكرمة بن عامر من بنى عبد الدار وجعلها دار الإمارة ، وسميت دار الندوة لأنهم كانوا يندون فيها أى يجتمعون للشاورة (انظر معجم ياقوت فى اسم دار الندوة وشرح القاموس فى مادة ندى) . (٣) موردة : لونها ورد ، يقال : ورّدت الثوب أى جعلته وردا . والورد فى الألوان : حمرة تضرب الى صفرة حسنة . (٤) يريد لا آسى ولا أسأل وقد أورد صاحب اللسان هذا البيت شاهدا على حذف لا فى جواب القسم (انظر مادة «لا») . (٥) حلت به الأرض أثقالها : زينت موتاها ، وهو من التحلية . والأثقال : الموتى ، وقد فسر بذلك قوله تعالى : (وأخرجت الأرض أثقالها) . أو حلت من حللت الشىء فانحل ، ومعناه أن أخاها معاوية ابن عمرو كان ثقيلا على الأرض لأنه كان هو وأصحابه ومن معه يركضون على الأرض ويقاتلون عليها فلما مات انحل ذلك الثقل الذى كان عليها (انظر أنيس الجلساء شرح ديوان الخنساء طبع بيروت ص ٢٠١ ، ولسان العرب مادة ثقل) .

أَتَرْوِيهـا ؟ قلتُ : نعم أصلحَ الله الأمير، وما زال من المعركة حتى قَتَـل به خُفَافُ ابن عمرو[(١)] المعروف بابن نُدْبةَ كَبْشَ القومِ مالكَ بن حِمَارٍ[(٢)] الفَزَارىّ ثم الشَّمْخِىّ[(٣)]، أمَا سمِـع الأميرُ قولَ خُفَاف بن نُدْبَةَ فى ذلك :

فإن تَكُ خَيْلِى قد أُصِيب صَمِيمُها * فعَمْدًا على عينٍ[(٤)] تيمَّمْتُ مالِكَا ١١٦/٢

تيمَّمتُ كَبْشَ[(٥)] القوم حين رأيتُه * وجانَبْتُ شُبّانَ الرِّجال الصَّعالِكَا

أقـولُ له والرمحُ يأْطِـرُ[(٦)] مَتْنَـه * تأمَّـل خُفَافًا إنّنى أنا ذَلِكَا[(٧)]

وقد توَسَّط معـاويةُ بن عمرو خيلَهم فأكثر فيهم القتلَ ، وقتَـل كبشَ القوم الذى أُصِيب بأيديهم؛ فقال : لله دَرُّكَ ! إذا ولَدَتِ النساءُ فَلْيَلِدْنَ مثلَك ! وأمر لى بألف درهم ، فدُفِعت إلىّ وخَلَع علىّ. وأُدخِل آبنُ ميّادة فسلّم عليه بالإمْرة؛ فقال له : لا سـلّم اللهُ عليـك يا ماصّ كذا من أمه[(٨)] ؛ فقال آبن ميّادة : ما أكثرَ المـاصّين ! فضحِك عبدُ الصّمد، ودعا بدفتر فيه قصيدةُ آبن ميّادة التى يقول فيها :

---

(١) كذا فى جميع الأصول ، وعمرو من جدود خفاف ، وأما أبوه فاسمه عمير إذ هو خفاف بن عمير ابن الحارث بن عمرو بن الشريد السلمىّ وهو صحابىّ . وندبة أم خفاف كانت سوداء حبشية ، فقولهم : خفاف ابن ندبة نسبة الى أمه ، وكتب على هامش نسخة الأستاذ الشنقيطى عمير تصحيحا لقوله عمرو ، وهو الموافق لما ذكر فى ج ١٣ ص ١٣٩ و ١٤٠ أغانى طبع بولاق . (انظر تاج العروس مادتى خفف وندب) .

(٢) كذا فى أغلب النسخ والكامل للبرد ص ٥٦٩ طبع أوروبا . وفى م : « حماد » بالدال وهو الموافق لما ذكر فى ج ١٣ ص ١٤١ أغانى طبع بولاق .

(٣) كذا فى أغلب النسخ نسبة الى شمخ بن فزارة : بطن ، قال صاحب القاموس فى مادة شمج : «وأما بنو شمخ بن فزارة فبالخاء المعجمة وسكون الميم ، وغلط الجوهرى» وقال فى مادة شمخ : «شمخ بن فزارة بطن وصحف الجوهرى فى ذكره بالجيم» قال السيد مرتضى فى شرحه : وذكر الخلاف الزبير بن بكار وغيره ، ولكن الراجح ماذكره المصنف . وفى أ ، م «الشمجى» بالجيم على نحو ما فى الصحاح ، وقد عرفت أنه خلاف الراجح .

(٤) كذا فى ط . وفى سائر النسخ : «على عينى» باضافته الى الياء ، يريد أنه تيممه بجدّ ويقين ، يقال : فعلت كذا عمدا على عين وفعلته عمد عين أى بجدّ ويقين .

(٥) كبش القوم : رئيسهم وسيدهم .

(٦) يأطر : يثنى ويعطف .

(٧) أورد البغدادىّ فى خزانة الأدب ج ٢ ص ٤٧٠ هذه الأبيات مضافة الى بقية القصيدة البالغة ثمانية أبيات مع شرح كلماتها .

(٨) تقول العرب فى السب : ياماص بظر أمه ، ولم يصرح به هنا لقبحه .

لنا المُلكُ إلّا أنّ شيئا تَعُدُّه * قريشٌ ولو شئنا لداخَتْ(١) رقابُها

ثم قال لابن ميّادة : أعتِق ما أملِك إن غادرتَ منها شيئا إن لم أبلُغ غيظَك ، فقال ابن ميّادة : أعتِق ما أملِك إن أنكرتُ منها بيتا قلتُه أو أقررتُ ببيت لم أقُلْه ؛ فقرأها عبدُ الصّمد ثم قال له : أأنتَ قلتَ هذا؟ قال نعم؛ قال : أفكُنتَ أمِنتَ يابن ميّادة أن يَنْقَضّ عليك بازٍ(٢) من قريش فيَضْرِبَ رأسك ! فقال : ما أكثر البازين ! أفكان ذلك البازى آمِنا أن يلقاه بازٍ(٢) من قيس(٣) وهو يسير فيرميَه فتَشُولَ(٤) رِجْلاه! فضَحِك عبد الصمد ثم دعا بكُسْوة فكساهم .

تمثل بعض ولد الحسن بشعر ابن ميادة

أخبرنى حبيب بن نصر(٥) المهلّبى قال حدّثنا عبد الصمد بن شَبيب(٦) قال قال أبو حُذافة السّهمىّ :

سَبّ رجلٌ من قُرَيش فى أيام بنى أميّة بعضَ ولد الحسن(٧) بن علىّ عليهما السلام، فأغلظ له وهو ساكتٌ ، والناسُ يَعْجَبون من صَبْره عليه ، فلما أطال أقبل الحَسَنىّ(٨) عليه متمثّلا بقول ابن ميّادة :

أظنّتْ سَفاهًا من سَفَاهة رأيِها * أنَ اَهْجُوَها لمّا هَجَتْنى مُحارِبُ
فلا وأبيها إنّنى بعَشيرتى * ونفسِىَ عن ذاك المَقامِ لراغبُ

فقام القُرَشىّ خَجِلا وما ردّ عليه جوابا .

(١) داخت : ذلت وخضعت ، وفى رواية أخرى فى ص ٣٣٣ سطر ٤ من هذا الجزء : «ذلت» .
(٢) كذا فى ط : وفى سائر النسخ « باز » قال فى المصباح : البازى وزان القاضى ، فيعرب إعراب المنقوص ، والباز وزان الباب لغة فتعرب الزاى بالحركات الثلاثة ، ويجمع على أبواز مثل باب وأبواب وبيزان مثل نار ونيران ، وعلى هذه اللغة فأصله بوز . (٣) كذا فى أ ، م . وفى سائر النسخ : «قريش» وهو ظاهر التحريف . (٤) تشول : ترتفع ، وهو كناية عن الموت .
(٥) كذا فى حـ ، أ ، م وهو الموافق لما اتفقت عليه النسخ فى مواضع تقدّمت (انظر ص ٦٤ ج ١ أغانى طبع دار الكتب و ص ١٥ من هذا الجزء) وفى ب ، سـ ، ء : « نصر بن حبيب » .
(٦) كذا فى ب ، سـ ، حـ . وفى أ ، ء ، م ، ط : « عبد الله بن شبيب » .
(٧) فى حـ : «الحسين» (٨) فى حـ : « الحسينى » .

مدحه بجعفر بن سليمان وهو أمير على المدينة

أخبرنى أبو خليفة إجازةً عن محمد بن سلّام قال :

مدح ابنُ مَيّادة جعفر بن سليمان وهو على المدينة، فأخبرنى مِسْمَع بن عبد الملك أنه قام له بحاجته عند جعفر وأوصلها اليه . قال فقال [له](١) : جزاكَ اللهُ خيرا ! ممّن أنتَ رحمك الله؟ قلتُ : أحدُ بنى مِسْمع؛ قال : ممّن؟ قلتُ : من قَيْس بن ثعلبة؛ قال : ممّن؟ عافاك الله! قلتُ : من بكر بن وائل؛ قال : والله لو كنتُ سمعتُ ببكر بن وائل قط(٢) أو عرفتُهم(٣) لمدحتُك، ولكنى ما سمعتُ ببكر قطّ ولا عَرَفتهم، ثم مدح جعفرا فقال :

لَعَمْرُكَ ما سيوفُ بنى علىٍّ * بنابِيَةِ الظُّبَاةِ(٤) ولا كِلَالِ(٥)
هُمُ القومُ الأُلَى وَرِثُوا أباهُمْ * تُراثَ محمّدٍ غيرَ انتحالِ
وهم تَرَكوا المقالَ لهم رفيعا * وما تَرَكوا عليهم من مَقَالِ
حَذَوتُمْ قومَكم ما قد حَذَوْتُمْ(٦) * كما يُحْذَى المثالُ على المِثَالِ
فَرُدُّوا فى جِراحكُمُ أَسَاكم(٧) * فقد أبلغتمُ مُرَّ النَّكَالِ

يُشير عليه بالعَفْو عن بنى أمية ويُذَكِّره بأرحامهم .

---

(١) الزيادة عن أ ، م . (٢) كذا فى جميع الأصول، والمعروف أن قط تختص بالنفى، وقد جاءت بعد المثبت فى مواضع من الجامع الصحيح للامام البخارىّ، منها : «الكسوف أطول صلاة صليتها قط» وفى سنن أبى داود : «توضأ ثلاثا قط» وأثبته ابن مالك فى الشواهد لغة وحقق بحثه فى التوضيح على مشكلات الجامع الصحيح، قال : وهى مما خفى على كثير من النحاة (انظر القاموس وشرحه تاج العروس فى مادة «قطط»). (٣) كذا فى حـ ، أ . وباقى النسخ : «وعرفتهم» . (٤) الظباة : جمع ظبة وهى حدّ السيف والسنان والنصل . (٥) قال ابن سيدة : يجوز أن يكون جمع كال كجائع وجياع ونائم ونيام أو جمع كليل كشديد وشداد وحديد وحداد . (٦) فى حـ ، أ ، م ، ط : «ما قد حذوكم» . (٧) الأسى : المداواة والعلاج .

أخبرنا بهذا الخبر يحيى بن علىّ عن سليمان المَدِينى عن محمد بن سلّام، قال يحيى قال أبو الحارث المُرّىّ فيما ذكره إسحاق من أخباره :

قال جعفر بن سليمان لابن ميّادة : أتحبّ أن أعطيك مثلَ ما أعطاك ابنُ عمِّك ١١٧/٢
رِيَاح[1] بن عثمان؟ فقال: لا، أيُّها الأمير، ولكن أعطنى كما أعطانى ابنُ عمِّك الوليد ابنُ يزيد .

قال يحيى وأخبرنا حماد عن أبيه عن أبى الحارث قال قال جعفر بن سليمان لابن ميّادة : أأنت الذى تقول :

بَنِى أَسَـدٍ إن تَغْضَبوا ثمّ تَغْضَبُوا * وتَغْضَبْ قُرَيْشٌ تَحْمِ قَيْسًا غِضَابُها

قال : لا والله! ما هكذا قلتُ، قال : فكيف قلتَ؟ قال : قلتُ :

بَنِى أَسَـدٍ إن تَغْضَبُوا ثمّ تَغْضَبُوا * وتَغْضَبْ قُرَيْشٌ تَحْمِ قَيْسًا غِضَابُهـا

هجا بنى أسد وبنى تميم

قال : صَدَقتَ هكذا قلتَ . وهـذه القصيدةُ يَهجو بها ابنُ ميّادة بنى أسد وبنى تميم، وفيها يقول بعد هذا البيت الذى ذكره له جعفر بن سليمان :

وأحقـرُ محقـورٍ تَمِـيمٌ أخوكُمُ * وإن غَضِبَتْ يَرْبُوعُهـا[2] ورِبَابُهـا[3]

---

(١) كذا فى أ «رياح» بالياء المثناة وهو الموافق لما كتبه الأستاذ الشنقيطى بهامش نسخته طبع بولاق تصحيحا لها . وفى أغلب النسخ : «رماح» بالميم . (٢) يربوع بن حنظلة بن مالك بن عمرو ابن تميم أبو حىّ من تميم منهم متمم بن نويرة اليربوعىّ الصحابىّ . ويربوع بن غيظ بن مرّة أبو بطن من مرّة ابن عوف بن سعد بن ذبيان، منهم الحارث بن ظالم المرّى اليربوعىّ، نقله الجوهرىّ . (٣) الرباب قبائل، قال أبو عبيد : سموا بذلك لأنهم جاءوا برب فأكلوا منه وغمسوا فيه أيديهم وتحالفوا عليه وهم تيم وعدىّ وعكل، وقريب منه قول الأصمعىّ وقال ثعلب : سموا ربابا لأنهم تربّبوا أى تجمعوا ربة ربة وهم خمس قبائل تجمعوا فصاروا يدا واحدة وهم : ضبة وثور وعكل وتيم وعدى . وقد قيل أيضا عكس ذلك وهو أنهم سموا بذلك لتفرقهم لأن الربة الفرقة ولذلك اذا نسبت الى الرباب قلت ربى بالضم ترده الى واحده . (انظر لسان العرب مادة ربب) .

أَلَا ما أُبالِى أن تُخَنْدِفَ[1] خِنْدِفٌ * ولستُ أُبالِى أن يَطِنَّ[2] ذُبابُها
ولو أنّ قيسًا قَيسَ عَيْلانَ أقسمتْ * على الشمس لم يَطْلُعْ عليكم حِجابُها
ولو حاربَتْنا الجنُّ لم نَرفعِ القَنَا * عن الجنّ حتى لا تَهِرّ كِلَابُها
لنا المُلْكُ إلّا أنّ شيئا تَعُدُّه * قُرَيشٌ ولو شِئْنا لَذَلَّتْ رِقابُها
وإن غَضِبتْ من ذا قُرَيشٌ فقُلْ لها * مَعَاذَ الإلٰهِ أن أكونَ أَهَابُها
وإنى لقَوّالُ الجوابِ وإننى * لَمُفتجِرٌ[3] أشياءَ يُعْيِى[4] جوابُها
إذا غَضِبتْ قيسٌ عليك تقاصرتْ * يداكَ وفاتَ الرِّجلَ منك رِكابُها

ابن ميادة وسماعة ابن أشول

قال إسحاق فى خبره فحدّثنى جبر[5] بن رباط بن عامر بن نصر قال: فقال سَمَاعة ابن أَشْوَلَ[6] النعامى يعارض ابنَ ميّادة:

لعلّ ابنَ أشبانيّة عارضتْ[7] به * رِعاءَ الشَّوِىِّ[8] من مُرِيح وعازِبِ
يُسَامِى فروعاً من خُزَيمة أحرزتْ * عليه ثنايا المجد من كل جانبِ

فقال ابن ميّادة: مَنْ هذا؟ لقد أغلقَ علىّ أغلقَ اللهُ عليه! قالوا: سَمَاعة بن أَشْول؛ فقال: سماعةُ يُسَمِّع[9] بى، وأَشْوَلُ يَشُول[10] بى، والله لا أُهاجِيه أبدا، وسكت عنه.

---

(١) تخندف: تهرول، يقال: خندف الرجل اذا هرول ومشى بسرعة. (٢) يطنّ: يصوّت. (٣) كذا فى نسخة م، يقال: افتُجر الكلام اذا اخترقه من غير أن يسمعه فيتعلمه. وفى باقى النسخ: «لمفتخر» وهى تتعدّى بالباء، ولذلك رجحنا ماجاء بنسخة م. (٤) كذا فى ب، حـ. وفى ط، ى: «يعيا». وفى أ: «يعمى». وفى م: «يعصى». (٥) كذا فى ب، حـ، سـ. وفى م، أ، ط: «جبر بن رياط النعامى أبو نصر» وفى ى: «جبر بن رباط النعامى أبو نصر» ولم نهتد لتصحيح هذا الاسم. (٦) كذا فى جميع الأصول. وفى شرح القاموس مادة شول فى المستدرك: «الأشول» بالتعريف. (٧) كذا فى أغلب النسخ من المعارضة وهى المباراة والمفاخرة. وفى ب، سـ: «فارضت» ولم يظهر لها معنى. (٨) الشوى: اسم جمع، للشاة وقيل: هو جمع لها مثل كلب وكليب. (٩) أى يشهرنى ويفضحنى. (١٠) يشول بى: يرفع من ذكرى ويشهرنى.

هجاء عبد الرحمن بن جهيم الأسدى

وقال عبد الرحمن بن جُهَيم الأسدى أحدُ بنى الحارث بن سعد بن ثَعْلبة بن دُودان بن أسد يردّ على ابن ميّادة، وهى قصيدة طويلة ذكرتُ منها أبياتا :

لقد كَذَبَ العبدُ ابنُ ميّادة الذى * رَبَا وهى وَسْطَ الشَّوْلِ تَدْمَى كِعابُها
شَرَنْبَثَة[1] الأطرافِ لم يقْنَ[2] كَفَّها * خِضَابٌ ولم تَشْرَقْ بعطرٍ ثيابُها
أرمّاحُ إن تَغْضَبْ صناديدُ خِنْدِفٍ * يَهِجْ لك حَرْبًا قَصْبُها[3] واعتيابُها

ويروى "اغتيابها" من الغِيبة . و"اعتيابها" من العَيْب .

ولو أغْضَبَتْ قَيْسٌ قُرَيشا لجَدَّعَتْ * مَسَامعَ قيسٍ وهى خُضْعٌ رِقابُها
لقد جَرَّ رمّاحُ ابن واهصةِ الخُصَى[4] * على قومه حَرْبًا عظيما عذابُها
118/2 وقد عَلِمَ الملوحُ بالشؤم رأسُهُ * قُتَيبةُ أن لم تَحْمِ قَيْسا غِضابُها
ولم تَحْمِها أيامَ قَتْلِ ابنِ حازمٍ[5] * وأيامَ قَتْلَى كانَ خِزْيًا مُصابُها
ولا يومَ لاقينا نُمَيرًا فقُتِّلَتْ * نُمَيرٌ وفرّتْ كَعْبُها وكِلابُها
وإن تَدْعُ قَيْسًا لا تُجِبْكَ وحَوْلَها * خُيُولُ تميمٍ سَعْدُها ورِبَابُها
ولو أنّ قيسا قيسَ عَيْلان أصْحرتْ[6] * لأنواء غَيْمٍ غَرَّقتها شِعابُها
ولو أنّ قَرْنَ الشمسِ كان لمعشرٍ * لكان لنا إشراقُها واحتجابُها
ولكنّها لله يَمْلك أمرَها * بقُدْرته إصعادها وانصبابُها
لَعَمْرِى لئن شابتْ حَليلةُ نَهْبَلٍ * لبئسَ شبابُ المرءِ كان شبابُها

(١) أى غليظتها . (٢) كذا فى أغلب النسخ وهو من قنا الشىء لغة فى قنأ ، أى صبغه ، وقوله بعد : «لم تشرق» الخ . أى لم تمتلئ ، يقال : شرق الجسد بالطيب ، أى امتلأ . (٣) قصبها : عيبها ، يقال : قصبه يقصبه قصبا ، أى عابه ووقع فيه . (٤) من الوهص وهو الغمز أو شد خصى الكبش ، ويعير الرجل فيقال له : يابن واهصة الخصى اذا كانت أمه راعية . (٥) فى أ ، م ، ح : «خازم» بالخاء المعجمة . (٦) أصحرت : برزت الى الصحراء لا يواريها شىء .

ولم تدرِ حَمْراءُ العِجَانِ أَنَهْبَلٌ[1] * أبوهُ أم المُرِّىّ تَبَّ تَبَابُهَا
فإن يك رَمَّاحُ بنُ ميَّادةَ التى * يِصِنُّ[2] إذا باتتْ بأرضٍ ترابُها
جَرَى جَرْىَ موهونِ القُوَى قَصَّرتْ به * لئيمةُ أعراقٍ إليه انتسابُها
فلن تَسْبقَ المِضمارَ[3] فى كلِّ مَوْطِنٍ * من الخيل عندَ الجِدِّ إلاّ عِرابُها
وواللهِ لولا أنَّ قَيْساً أذلّةٌ * لئامٌ فلا يُرْضَى لحُرٍّ سِبابُها
لألحقتُها بالزِّنْجِ[4] ثم رَمَيْتُها * بشنعاءَ يُعْيِى القائلين جوابُها

ابن ميادة وأبان ابن سعيد

أخبرنى يحيى بن على عن حمّاد عن أبيه قال :

وجدتُ فى كتاب أبى عمرو الشَّيْبانى فعرضتُه على أبى داود فعَرَفه أو عامّتَه، قال :

إنّا لجلوسٌ على الهَجْمِ[5] فى ظلّ القَصْر عَشِيّةً، إذ أقبلَ إلينا ثلاثةُ نَفَرٍ يقودون ناقةً حتى جلسوا إلى أبان بن سعيد بن عُيَينة بن حِصْن وهو فى جماعة من بنى عُيَينة، قال : فرأيتُ أجِلّةً ثلاثةً ما رأيتهم قطُّ، فقلنا : مَن القوم؟ فقال أحدهم : أنا ابن ميّادة وهذان من عشيرتى؛ فقال أبان لأحد بَنِيه : آذهبْ بهذه الناقة فأطلِقْ عنها عند بيت أمّك؛ فقال له ابنُ ميّادة : هذه يا أباجعفر السَّعْلاة، أفلا أُنشِدُك ماقلتُ فيها؟ قال : بَلَى فهات؛ فقال :

قَعَدْتُ على السَّعلاة تَنفُضُ مِسْحَها[6] * وتُجْذَبُ مِثلَ الأَيْمِ فى بُرَة الصُّفْرِ

(١) حمراء العجان : هو سب كان يجرى على ألسنة العرب يسب به الأعجمى فيقال له : « يابن حمراء العجان » . (٢) يصنّ : ينتن . (٣) كذا فى نسخة الأستاذ الشنقيطى طبع بولاق تصحيحا منه، وفى بقية الأصول : «الصمات» ولم نجد له فى كتب اللغة التى بين أيدينا معنى مناسبا . (٤) فى ط : «بالريح» . (٥) الهجم : ماء لبنى فزارة، ويقال : إنه من حفر داد . (٦) المسح : كساء من الشعر . والأيم : الحية . والبرة : الحلقة من صفر أو غيره تجعل فى لحم أنف البعير .

تُيَمِّم خيرَ الناس ماءً وحاضرًا[١] * وتَحْمِلُ حاجاتٍ تضمَّنها صدرى
فإنى على رَغْمِ الأعادِى لقائلٌ * وَجَدْتُ خِيَارَ الناسِ حَىَّ بنى بدرِ
لهم حاضرٌ بالهَجْمِ لم أرَ مثلهم * من الناس حيًّا أهل بَدْوٍ ولا حَضْرِ
وخيرُ مَعَدٍّ مجلسًا مجلسٌ لهم * يَفِيءُ عليه الظلُّ من جانب القَصْرِ
أَخُصُّ بها رَوْقَىْ عُيَينة إنه * كذاك ضِحَاحُ[٢] الماء يأوِى الى الغَمْرِ[٣]
فأنتم أحقُّ الناس أن تتخيَّروا الـ * ـمياه وأن تَرْعَوْا ذُرَى البلد القَفْرِ

قال : فكان أوّل قائم من القوم رَكَضَةُ بن علىّ بن عُيَينة، وهو ابن عم أبان وعَبْدَة بنت أبان، وكانت إبلُه فى العَطَن[٤] وهى أكرمُ نَعَمِ بنى عُيَينة وأكثرُه، فقال : ماسمعتُ كاليوم مَدِيحَ قَوْمٍ [قطّ][٥]، حُكْمُكَ ماضٍ فى هذه الإبل؛ ثم قام آخر فقال مثل ذلك، وقام آخر وآخر؛ فقال ابن مَيّادة : يا بنى عُيَينة، إنى لم آتكم لتتبارَى لى شياطينكم فى أموالكم، ١١٩/٢ إنما كان علىّ دَيْنٌ فأردتُ أن تُعطونى أَبْكُرًا أبيعها فى دَيْنى . فأقامَ عندَ أبان بن سعيدٍ خمسةَ عشرَ يوما، ثم راح بتسع عشرة ناقة، فيها ناقةٌ لآبن أبان عُشَراءُ أو رَبَاعيةٌ .

قال يحيى فى خبره : وقال يعقوب بن جعفر بن أَبَان بن سَعِيد بن عُيَينة :

إنّى على الهَجْم يومًا إذ أقبلَ رجلٌ بجعل يُصَرِّفُ[٦] راحلته فى الحِيَاض فيردّه الرجل بعد الرجل، فدعوته فقلت : إِشرَعْ[٧] فى هذا الحوض؛ فلما شَرَع فسَقَى[٨] قال: مَن هذا الفتى؟ فقيل : هذا جعفر بن أبان بن سعيد بن عُيَينة؛ فقال :

---

(١) الحاضر : الحى العظيم أو القوم، كما يطلق الحاج والسامر والجامل على جماعة الحجاج والسمار وجماعة الابل . وقال الأزهرى : العرب تقول : حىّ حاضر بغير هاء اذا كانوا نازلين على ماء عد .
(٢) لم توجد هذا الصيغة فى كتب اللغة التى بأيدينا وإنما الموجود «ضحضح» و «ضحضاح» . ولعله «ضحال الماء تأوى» جمع ضحل وهو الماء القليل . (٣) الغمر : الماء الكثير كالغمرة . (٤) العطن للابل : كالوطن للناس، وقد غلب على مبركها حول الحوض . (٥) زيادة فى أ ، م ، ح .
(٦) يصرف راحلته : يردّها ويصرفها من حوض الى آخر . (٧) شرعت الدواب فى الماء (وزان منع) : دخلت فيه، وشرع فلان فى الماء : تناوله بكفيه أو دخل فيه، وشرع إبله : أوردها شريعة الماء . (٨) فى ط : «فلما أشرع يسق» . وأشرع كشرع .

بَنُو الصالحين الصالحون ومَن يكن * لآباء سَوْءٍ يَلْقَهم حيثُ سَيَّرا (١)
فما العود إلا نابتٌ فى أُرُومه (٢) * أبي شَجَرُ العِيدان أن يتغيّرا

قال إسحاق : سألت أبا داود عن قوله :

* كذاك صُحاحُ (٣) الماءِ يَجْرِى الى الغَمْرِ *

فقال : أراد أنّ الأمرَ كلَّه والسؤدد يصير إليه ، كما يصير الماءُ الى الغَمْرة حيث كانت .

ابن ميادة وأيوب ابن سلمة

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبو أيوب المَدِينيّ قال أخبرنى مُصْعَب بن الزبير قال :

ضافَ ابنُ ميّادة أيّوبَ بن سَلَمة فلم يَقْرِه ، وابنُ ميّادة من أخوال أيوب ابن سلمة ، فقال فيه :

ظَلِلْنا وُقُوفًا عند باب ابن أختنا * وظلّ عن المعروف والمجدِ فى شُغْلِ
صَفًا صَلَدٌ (٤) عند النَّدَى ونَعامةٌ * إذا الحربُ أبدتْ عن نواجذها العُصْلِ (٥)

ابن ميادة ورياح ابن عثمان

قال أبو أيوب وأخبرنى مُصعب قال :

قدم ابنُ ميّادة على رِيَاح (٦) بن عثمان ، وقد وَلِيَ المدينةَ وهو جادٌّ فى طلب محمد ابن عبد الله بن حسن وإبراهيم أخيه ، فقال له : اتخذْ حَرَسًا وجُنْدًا من غَطَفان واترك هؤلاء العبيد الذين تُعطيهم دراهمَك ، وحَذارِ من قريش ؛ فاستخفّ بقوله ولم يقبل رأيه ؛ فلمّا قُتِلَ رِيَاحُ قال ابن ميّادة :

(١) سير : ذكر سير الأوائل ، ويحتمل أن يكون بمعنى «سار» وشدّد الفعل للبالغة وإن لم توجد هذه الصيغة فى كتب اللغة التى بأيدينا . (٢) الأروم : الأصل ، كالأرومة . (٣) أنظر حاشية رقم ٢ من الصفحة السابقة . (٤) الصلد : الصلب الأملس والأصل فيه سكون اللام وحرّك هنا للضرورة . (٥) جمع أعصل أى بين العصل ، والعصل فى الناب اعوجاجه . قال أوس *رأيت لها نابا من الشر أعصلا*
(٦) كذا فى ح ، أ ، م . وهو الموافق لما فى اللسان فى مادة «هشم» ولما فى الكامل للبرد طبع أوروبا ج ١ ص ٢٨ . وفى باقى النسخ : «رباح» بالباء الموحدة وهو تحريف .

أمرتكَ يا رِياحُ بأمرِ حَزْمٍ * فقلتَ هَشِيمةٌ[1] من أهل نجد

وقلتُ له تحفَّظ من قُريش * ورَقِّع كلّ حاشيةٍ وبُردِ[2]

فوجدًا ما وَجَدْتُ على رِيَاحٍ * وما أغنيتُ شيئا غيرَ وَجْدى

تشبيه بالنساء

أخبرنى عمّى قال حدّثنى أحمد بن أبى طاهر قال حدّثنى أحمد بن إبراهيم ابن إسماعيل قال حدّثنى أكثم بن صَيْفِىّ[3] المُرِّىّ ثم الصاردىّ عن أبيه قال :

كان ابنُ ميّادة رأى آمرأة من بنى جُشَم بن معاوية ثم من بنى حَرَام يقال لها : أمّ الوليد، وكانوا سارُوا عليه[4]، فأُعجِبَ بها وقال فيها :

ألَا حَبّذا أمُّ الوليدِ ومَرْبَعٌ[5] * لنا ولها نَشْتُو[6] به ونَصِيفُ

ويروى :

... ... ومَرْبَعٌ[7] * لنا ولها بالمشتوى[8] ومصيفُ

حَرَامِيَّةٌ أمّا مَلَاثُ إزارِها * فَوَعْثٌ[9] وأمّا خَصْرُها فلطيفُ

---

(١) هشيمة : ضعفة ، وأصل الهشيم النبت اذا ولى وجف وتكسر فذرته الرياح يمينا وشمالا . والنجد : أعالى الأرض ، عن الكامل للبرد . (٢) روى فى الكامل للبرد :

نهيتك عن رجال من قريش * على محبوكة الأصلاب جرد

وقال فى شرحه : فالمحبوك الذى فيه طرائق ، واحدها حباك ، والجماعة حبك . (٣) فى ط : «أكثم بن الغيض المرّى» . (٤) فى ط : «عليهم» ، والمراد : الحى . (٥) المربع هنا : المنزل . (٦) فى ط : «نثوى به» . (٧) المربع : هنا المكان يقام فيه وقت الربيع . (٨) كذا فى جميع الأصول ولم نجده اسما لمكان خاص ، ولعله محرف عن المستوى بالسين المهملة وكسر الواو وهو اسم موضع (انظر معجم ياقوت فى اسم المستوى) . (٩) ملاث الإزار : موضع لوثه وعصبه ، وهو ما دون الخصر من الجسم . والوعث : السمين . ومن هذا المعنى قول الشاعر :

ثم قامت حولها أترابها * وعثة الأرداف غرثى الملتزم

كأنّ القُرونَ السُّودَ فوقَ مَقَذِّها[١] * إذا زَالَ عنهـا بُرقُعٌ ونَصيفُ[٢]
بهـا زَرَجُوناتٌ[٣] بقَفْرٍ تَنَسَّمت * لهـا الريحُ حتى بينهنّ رَفِيفُ[٤]

قال : فلما سمع زَوْجُها هذه الأبيات أتاها فحلَف بطلاقها : لئن وَجَدَ ابنَ ميّادة عندها ليَدُقّنّ فَخِذَها ، ثم أعرض عنها وآعترّها[٥] ، حتى وجده يوما عنـد بيتها فدقّ فخذها ، واحتمل فرحل ورحل بها معه ؛ فقال ابن ميّادة : ١٢٠/٢

أتانا عامَ سارَ بنو كلابٍ * حَرَاميّون ليسَ لهم حَرامُ
كأنّ بيوتهم شجرٌ صِـغارٌ * بقِيعانٍ تَقِيـلُ بها النَّعامُ
حَرَاميّون لا يَقْرون ضَيْفا * ولا يَدْرون ما خُلُقُ الكرامِ[٦]

قال : ثم سارت عليهم بعـد ذلك بنو جعفر بن كلاب ، فأُعجِبَ بامرأة منهـم يقال لها أمّ البَخْتَرِيّ ، وكان يتحدّث إليها مدّة مُقامهم ، ثم ارتحلوا فقال فيها :

أرِقتُ لِـبَرْقٍ لا يُفَـتِّرُ لامِعُـهْ * بشُهْب الرُّبَى والليلُ قد نام هاجعُهْ
أرِقتُ له من بعـد ما نام صُحْبَتِي * وأعجبـنى إيماضُه وتتابعُـهْ
يُضيءُ صَبِيرا[٧] من سَحابٍ كأنّه * هِجَانٌ أرنّتْ للحنين نوازعُـهْ
هَنيئا لأمّ البَخْتَرِيّ الرِّوَى[٨] به * وإن أنْهَجَ الحبلُ الذى النَّأْىُ قاطعُهْ
لقد جَعَـل المُسْتَبْضِعُ الغشّ بيننا * لَيَصْرِمَ حَبْلَينا تَجُوز بضائعُـهْ

---

(١) المقذ (بالفتح) : ما بين الأذنين من خلف ومنتهى قص الشعر من مؤخر الرأس . (٢) النصيف : الخمار . (٣) الزرجونة : شجرة العنب ، وكل شجرة زرجونة ، وهى فارسية معربة . (٤) يقال : رف النبات رفيفا اذا اهتز نضارة وحسنا . وفى ط : « نبتهن رفيف » ورفيف متندّ : ناعم ، يقال : شجر رفيف اذا تندى . (٥) كذا فى ط ومعناه راقبها وطلب غرتها . وفى سائر النسخ : « واعتزلها » . (٦) فى هذا البيت إقواء وهو اختلاف حركة الروىّ بالكسر والضم مع ما قبله . (٧) الصبير من السحاب : البيضاء أو الكثيفة التى فوق السحاب أو الذى يصير بعضه فوق بعض . والهجان من الابل : البيض . (٨) الروى (بالكسر) : الارتواء والماء الكثير المروى . وأنهج الحبل : أخلق وبلى .

فما سَرْحةٌ تَجْرِى الجداولُ تحتها * بمطَّرد(١) القِيعَانِ عَذْبٍ ينابِعُهْ
بأحسنَ منها يومَ قالتْ بذى الغَضا * أَتَرْعَى جديدَ الحبلِ أمْ أنتَ قاطعُهْ

خطب امرأة من بنى سلمى بن مالك فلم يزوجوه فقال شعرا

أخبرنى عمّى قال حدّثنى أحمد بن أبى طاهر قال حدّثنى أحمد بن إبراهيم قال :

وذكر أبو الأَشْعَث أنّ ابن ميّادة خطب امرأة من بنى سَلْمَى بن مالك بن جعفر ثم من بنى البُهْثَة — وهم بطن يقال لهم البهثاء — فأبَوْا أن يزوّجوه وقالوا : أنت هَجِينٌ ونحنُ أشرفُ منك، فقال :

فلو طاوعَتْنى آلُ سَلْمَى بن مالكٍ * لأعطيتُ مَهْرًا من مَسَرَّةَ غاليا(٢)
وسِرْبٍ كسِرْبِ العين من آل جَعْفرٍ * يُغَادِينَ بالكُحْلِ العُيونَ السواجِيَا
اذا ما هَبَطْنَ النِّيلَ(٣) أو كُنّ دونه * بسَرْوِ(٤) الحِمَى القَيْنَ ثمّ المَرَاسِيَا

مات فى صدر خلافة المنصور

قال أحمد بن إبراهيم : مات ابنُ ميّادة فى صَدْر من خلافة المنصور، وقد كان مدحه ثم لم يَفِدْ(٥) إليه ولا مدحه ، لِمَا بلغه من قلّة رغبته فى مدائح الشعراء وقلّة ثوابه لهم .

---

(١) المطرد : الماء المتتابع السيلان . (٢) كذا فى ط : « غاليا » بالغين المعجمة . وفى سائر النسخ : «عاليا» بالعين المهملة . (٣) كذا فى ب ، س ، ح وهو بليدة فى سواد الكوفة قرب حلة بنى مزيد يخترقها خليج كبير يختلج من الفرات الكبير حفره الحجاج بن يوسف وسماه بنيل مصر . (انظر معجم ياقوت) . وفى ء ، أ ، م ، ط : «النير» بالراء وهو اسم موضع . (٤) كذا فى أغلب النسخ وأشير اليه فى هامش ط . وفى صلب ط : «بسوف الحمى» . والسرو : ما ارتفع عن مجرى السيل وانحدر عن غلظ الجبل . والسوف (بالضم) : جمع سوفة (بالضم أيضا) وهى الأرض بين الرمل والجلد . والحمى : موضع . (٥) كذا فى ط . وفى باقى الأصول : « يمد » بالعين .

أخبار حُنَين الحِيرىّ ونسبه

نسبه وكان شاعرا ومغنيا

حنين بن بَلُّوعَ(١) الحِيرىّ مختلف فى نسبه، فقيل : إنه من العِبَادِيِّين من تميم، وقيل : إنه مِنْ بنى الحارث بن كعب، وقيل : إنه من قوم بَقُوا من جَدِيس وطَسْم فنزلوا فى بنى الحارث بن كعب فعُدُّوا فيهم، ويُكْنَى أبا كعب، وكان شاعرا مُغَنِّيا فَحْلا من فُحُول المُغَنِّين، وله صنعة فاضلة متقدّمة، وكان يسكن الحِيرَة ويُكْرِى الجمالَ الى الشأم وغيرها، وكان نصرانيًّا . وهو القائل يصفُ الحِيرَةَ ومنزلَهُ بها :

صــــوت

أنا حُنَيْنٌ ومَنْزِلى النَّجَفُ(٢) * وما نَدِيمِى إلّا الفَتَى القَصِفُ(٣)
أَقْرَعُ بالكأس ثَغْــرَ باطيــةٍ(٤) * مُتْرَعَــةٍ، تارةً وأَغْــتَرِفُ
مِنْ قهوة باكَرَ التِّجَارُ بهـا * بيتَ يَهُــودٍ قرارُها الخَــزَفُ
والعيشُ غَضٌّ ومنزلى خَصِبٌ * لم تَغْـذُنى شِـقْوَةٌ ولا عُنُفُ

١٢١/٢

الغناء والشعر لحُنَين، ولحنُهُ خفيفُ رَمَل بالبنصر . وفيــه لابن المكّىّ خفيفُ ثقيل قديم . ولعَرِيبَ فيه خفيفُ ثقيل آخر عن الهِشَامىّ .

غنى هشام بن عبد الملك فى الحج

أخبرنا وَكِيع قال قال حمـاد حدّثنى أبى عن أبى الخطّاب قال وحدّثنى آبن كُنَاسة(٥) عن سليمان بن داود : مولًى ليحيى، وأخبرنى بهـذا الخبر الحسن بن علىّ عن ابن مَهْرُويَهْ عن قَعْنَب بن المحرز الباهلىّ عن المدائنى قالوا جميعا :

---

(١) هكذا ورد مضبوطا فى ط . ولم نجد فى مصدر آخر ما يؤيد هذا الضبط أو ينفيه . (٢) النجف : موضع بظهر الكوفة، والكوفة قريبة من الحيرة . (٣) القصف : حليف اللهو واللعب . ولم ترد هذه الصيغة فى كتب اللغة التى بأيدينا . (٤) الباطية : إناء الخمر . (٥) كذا فى أ، م، ء وهو الصواب، لأن الحسن بن على يروى عن ابن مهرويه وهو محمد بن القاسم كما تقدّم فى الجزء الأوّل من الأغانى طبع دار الكتب ص ٨، وفى باقى النسخ : «الحسن بن على بن مهرويه»، وهو تحريف .

حجّ هشامُ بن عبد الملك وعَدِيلُه[(١)] الأبرشُ الكلبيّ، فوقف له حُنَين بظهر الكوفة ومعه عُودُه وزامِرٌ له، وعليه قَلَنْسِيَةٌ[(٢)] طويلة، فلمّا مرّ به هشام عَرَض له؛ فقال : مَنْ هذا؟ فقيل : حُنَين؛ فأمر به فحُمِل فى مَحْمِلٍ على جمل وعَدِيلُه زامِرُه، وسِيرَ به أمامه وهو يتغنّى :

صـــوت

أَمِنْ سَلْمَى بِظَهْـرِ الكو * فَـــةِ الآياتُ والطَّلَلُ
يلوحُ كما تـــلوحُ على * جفون الصَّـيقلِ[(٣)] الخِلَلُ[(٤)]

ـــ الصنعة فى هذا الصوت لحُنَين ثانى ثقيل بالبنصر عن عمرو . وفيه خفيفُ ثقيـــل يُنسب إلى حنين أيضا وإلى غيره ـــ قال : فأمر له هشام بمـائتى دينار، وللزامر بمـائة. وذكر إسحاق فى خبره عن أبى الخطّاب أنه غنّى هشاما :

صـــوت

صاحِ هل أبصرتَ بالخَبْـ * ـتَيْنِ من أسماءَ نارَا
مَوْهِنًـا شُــبَّت لعينيـ * ـكَ ولم تُوقَــدْ نهـارَا
كتلالى البَرْقِ فى المُــزْ * نِ إذا الـبَرْقُ اسْتَطَارَا
أذكرتنى الوصلَ من سُعْـ * ـدَى وأيّامًا قِصَـارَا

---

(١) العديل : الذى يعادلك فى المحمل . (٢) القلنسية : القلنسوة (بفتح القاف) فإن ضمت القاف كسرت السين وقلبت الواو ياء . (٣) الصيقل : شحاذ السيوف وجلاؤها .
(٤) الخلل : جمع خلة وهى بطانة يغشى بها جفن السيف ينقش بالذهب وغيره . ويشبه بها الطلل قال الشاعر :

لمية موحشا طلـل * يلوح كأنه خلـل

وقال عبيد بن الأبرص الأزدىّ :

دار حى مضى بهم سالف الدهـ * ـر فأضحت ديارهم كالخلال

— الشعر للأحوص، والغناء لابن سُرَيج ثانى ثقيل بالسبّابة فى مَجْرَى الوُسْطَى عن إسحاق . ونسبه ابن المكّىّ إلى الغَرِيض . وقال يونس : فيه لحنان لمالك ولم يُجَنِّسهما . وقال الهِشَامىّ : فيه لمالك خفيفُ رملٍ — قال : فلم يزل هشام يستعيده حتى نَزَلَ من النجف، فأمر له بمائتى دينار . وقال . إسحاق : قيل لحُنَين : أنتَ تُغَنِّى منذ خمسين سنة ما تركتَ لكريم مالا ولا دارا ولا عَقَارًا إلّا أتيتَ عليه ! فقال : بأبِى أنتم، إنما هى أنفاسى أُقَسِّمها بين الناس، أَفَتَلُومُونَنِى أن أُغْلِىَ بها الثمن ! .

كان يغلى بغنائه الثمن

غنى فى الموسم فى ظل بيت أبى موسى الأشعرىّ

أخبرنى الحسين بن يحيى ومحمد بن مَزْيد قالا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه ومُصْعَب بن الزُّبير عن بعض المكّيّين ، وأخبرنى به الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء وحَبِيب ابن نصر قالا حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنى عمِّى مُصْعَب قال حدّثنى شيخ من المكيّين يقال له شَرِيس(١) قال :

إنّا لبالأبطَح أيامَ الموسم نَشْتَرِى ونَبِيع إذ أقبل شيخٌ أبيضُ الرأس واللحية على بَغْلة شَهْباءَ ما ندرى أهو أشدّ بياضًا أم بغلته أم ثيابه ؛ فقال : أينَ بيتُ أبى موسى؟ فأشرنا له إلى الحائط؛ فمضى حتى انتهى إلى الظلّ من بيت أبى موسى، ثم استقبلنا ببغلته ووجهِهِ ثم اندفع يُغَنِّى :

صــــوت ١٢٢ / ٢

أَسْـــعِدِينِى بدمعـــةٍ أَسْرابِ(٢) * من دموعٍ كثيرة التَّسْكابِ

إنّ أهل الحِصَاب(٣) قد تركونى * مُغْـرَمًا مُولَعا بأهـل الحِصابِ

---

(١) لم نقف على ضبط هذا الاسم الا فى ط فقد ضبط بكسر الراء ، ولعله منقول من «الشريس» اسم للأسد . (٢) أسراب : جمع سرب، والسرب : الماء السائل . (٣) الحصاب (بكسر الحاء) : موضع رمى الجمار بمنى .

فارقونى وقــد علمتُ يقينـا * ما لِمَنْ ذاق مِيتةً من إياب
سكنوا الجِزْعَ جزعَ بيْت أبى مو * سى إلى النخل من صُفِىّ السِّباب (١)
كم بذاك الحَجُون من حَىّ صِدْق * وكهولٍ أعفّــةٍ وشَــبابِ
أهــلُ بيتٍ تتايعــوا (٢) للمنـايا * ما عَلَى الموت بعدَهُم من عِتاب
فــلِىَ الوَيْلُ بعــدَهم وعليهم * صِرتُ فــردًا ومَلّنى أصحَـابى

— الشعر لكَثير بن كَثير (٣) بن المطَّلب بن أبى وَدَاعة السَّهْمىّ . والغناء لمعبد ثقيلٌ أوّل بالسبّابة فى مَجْرى الوُسْطى . وفيه لابن أبى دُبَاكل (٤) الخُزَاعىّ ثانى ثقيل بالوسطى عن ابن خُرْدَاذْبَه (٥) — قال : ثم صَرَفَ الرجل بغلتَه وذهب ، فتبعناه حتى أدركناه ، فسألناه مَن هو؟ فقال : أنا حُنَين بن بَلْوع وأنا رجلٌ جَمّالٌ أُكْرِى الإبل ، ثم مضى .

---

(١) صفى السباب : موضع بمكة ، وقال الزبير : إنه ماء بين دار سعيد الحرشىّ التى تناوح بيوت أبى القاسم ابن عبـد الواحد التى فى أصلها المسـجد الذى صلى عنده على أمير المؤمنين أبى جعفر المنصور . والمراد بأبى موسى أبو موسى الأشعرى (انظر معجم البلدان لياقوت) . (٢) كذا فى س . وفى سائر النسخ : «تتابعوا» بالباء ، قال فى لسان العرب : التتايع : الوقوع فى الشرّ من غير فكرة ولا روية والمتابعة عليه ولا يكون فى الخير ، وقيل : التتايع فى الشر كالتتابع فى الخير . (٣) فى ب ، حـ : «كثير بن أبى كثير» وهو تحريف والصواب ما أثبتناه تبعا لأغلب النسخ ، وقد ورد ذكره فى الجزء الأوّل من الأغانى طبع دار الكتب ص ٢٤٦ (انظر الحاشية رقم ٧ فى هذه الصفحة من هذا الجزء) .
(٤) انظر الحاشية رقم ١ ص ٣٢١ من الجزء الأوّل طبع دار الكتب . (٥) ورد هذا الاسم بالباء الموحدة فى قاموس الأعلام التركى لشمس الدين سامى بك ج ١ ص ٢٦٠ وفى خطبــة كتابه المسالك والممالك ، والصفحة الأولى من كتاب تقويم البلدان لأبى الفــدا إسماعيل ومعجم البلدان لياقوت ج ١ ص ٧ وج ٤ ص ٩٥ و ٦٠٢

وكتب الشيخ نصر الهورينى على هامش صفحة ١٦٢ ج ١ من كتاب الخطط للقريزىّ طبع بولاق ما يأتى : «خرداذبه بالخاء المعجمة والذال الثانيــة معجمة والهاء ، آخره باء موحدة ، هكذا فى تقويم البلدان للؤيد أبى الفدا إسماعيل فى كتابه ، وكذا فى النســخة المطبوعة بفرنسا . ثم قال : وضبطه عاصم بضم الخاء المعجمة وكسر الذال المعجمة بعدها تحتية ساكنة ، وضبطه بالياء الموحدة فانظره» ونحن أثبتناه فيما سبق بالياء المثناة اعتمادا على وروده فى القاموس كذلك فى مادة «روم» وعلى ضبط شارحه السيد مرتضى حيث قال : «بضم الخاء وسكون الراء وفتح الدال بعدها ألف وكسر الذال المعجمة وسكون الياء التحتية وآخره هاء» .

خاف أن يفوقه ابن محرز بالعراق فرده عنه

أخبرنى الحسين بن يحيى قال قال حمّاد قرأتُ على أبى عن المدائنىّ، قال : كان حُنَين غُلاما يحمل الفاكهة بالحِيرة، وكان لطيفا فى عمل التحيات(١)، فكان إذا حَمَلَ الرياحين الى بيوت الفِتْيان ومياسير أهل الكوفة وأصحابِ القِيان والمتطرّبين إلى الحيرة ورأوا رشاقتَهُ وحُسْنَ قدّه وحلاوتَهُ وخفّةَ رُوحِه استحْلَوه ، وأقام عندهم وخفّ لهم ، فكان يسمع الغناءَ ويَشْتهيه ويُصْغِى إليه ويَسْتمعه ويُطيل الإصغاء إليه، فلا يكاد يُنْتفَعُ به فى شىء إذا سَمِعَه ، حتى شَدَا منه أصواتًا فأسمعها الناسَ — وكان مطبوعاً حَسَنَ الصوت — واشتَهَوْا غناءَه والاستماعَ منه وعِشْرتَهُ ، وشُهِرَ بالغناء ومَهَرَ فيه ، وبَلَغ منه مَبْلغا كبيرا، ثم رَحَلَ إلى عُمَر بن داود الوادىّ وإلى حَكَمٍ الوادىّ، وأخذ منهما ، وغَنّى لنفسه فى أشعار الناس ، فأجاد الصَّنْعة وأحكمها، ولم يكن بالعراق غيرُهُ فاستولَى(٢) عليه فى عَصْره . وقَدِمَ ابنُ مُحْرِزٍ حينئذ إلى الكوفة فبلغ خبرُه حُنَينا ، وقد كان يَعْرفه ، فخَشِىَ أن يعرفه الناس فيَسْتَحلُوه(٣) ويَسْتَوْلِىَ على البلد فيَسْقُطَ هو، فقال له : كم مَنَّتْك نفسُك من العراق ؟ قال : ألف دينار؛ قال : فهذه خمسمائة دينار عاجلة فخُذْها وانصرف واحلف لى أنك لا تعود إلى العراق؛ فأخذها وانصرف .

أخبرنى عمّى وعيسى بن الحُسَين قالا حدّثنا أبو أيوب المدائنىّ(٤) عن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل قال :

(١) التحيات : جمع تحية وهى ما يحيا به من نحو السلام ؛ ومن المحتمل أن يراد منه ما يقدّم عند التحية من باقات الرياحين، وقد كان العرب فى الجاهلية يفعلون ذلك فى عيد لهم يقال له يوم السباسب قال النابغة : * يحيون بالريحان يوم السباسب * و يظهر أن هذه العادة ظلت الى العهد الاسلامى؛ وسيأتى فى هذه الترجمة فى ص ٣٥٢ أن حنينا حيا ضيوفه بالرياحين . (٢) فى حـ : «فاستوى» وكلاهما بمعنى واحد . (٣) كذا فى حـ . وفى سائر النسخ : « فيستحلونه » باثبات النون وهو خطأ . (٤) فى حـ ، أ : « المدنى » وفى م ، ى ، ط : « المدينى » وقد تقدّم الكلام عليه (انظر الحاشية رقم ٢ ص ٨ من هذا الجزء) .

كان ابنُ مُحرز قَدِمَ الكوفةَ وبها بِشْرُبن مَرْوان، وقد بلغه أنه يَشْرَبُ الشراب ويَسْمَعُ الغِناء، فصادفه وقد خرج[1] إلى البَصْرَة؛ وبلغ خبرُه حُنَيْنَ بنَ بَلُّوع فتلطّف له حتى دعاه؛ فغنّاه ابنُ مُحْرِز لحنَه — قال أحمد بن إبراهيم وهو من الثقيل الثانى من جيِّد الأغانى — :

صـــوت

وحُرُّ الزَّبَرْجَــدِ فى نَظْمِه * على وَاضِحِ اللِّيتِ[2] زانَ العُقُودَا
يُفَصِّــلُ ياقُــوتُهُ دُرَّه * وكالجَمْرِ أَبْصَرْتَ فيه الفَرِيدَا[3]

قال: فسمِع شيئًا هاله وحيّره، فقال له حُنين: كم مَنَّتْكَ نفسُك من العراق؟ قال: ألفَ دينار، فقال: هذه خمسمائة دينار حاصلة عاجلة ونفقتُك فى عَوْدتك وبَدْأتك ١٢٣/٢ ودَعِ العراق لى وامضِ مُصاحَبًا حيث شئت — قال: وكان ابن مُحْرِز صغيرَ الهِمّة لا يحبّ عشرةَ الملوك ولا يُؤْثِرُ على الخَلْوَة شيئا — فأخذها وانصرف.

خرج الى حمص وغنى بها فلم يستطعم أهلها غناؤه

وقال حمّاد فى خبره قال أبى حدّثنى بعض أهل العلم بالغناء عن حُنَين قال:

خرجت إلى حِمْص ألتمس الكَسْبَ بها وأرتاد مَنْ أستفيدُ منه شيئًا، فسألت عن الفِتْيان[4] [بها][5] وأين يجتمعون، فقيل لى: عليك بالحَمّامات فإنهم يجتمعون بها إذا أصبحوا

---

(١) فى ب، ح، ى: «قد خرج» بدون واو وكلاهما مستقيم.
(٢) الليت (بكسر اللام): صفحة العنق. (٣) الفريد: الدر اذا نظم وفصل بغيره.
(٤) الفتيان: طائفة يدينون بالفتوّة وخصال الرجولة وهم أشد الناس احتفالا بالغرباء من الناس وأسرع الى اطعام الطعام وقضاء الحوائج، فيخدمون بالنهار ويشترون بما يجمع معهم الفواكه والطعام فان ورد فى ذلك اليوم مسافر على البلد أنزلوه وكان ذلك ضيافته لديهم وان لم يرد وارد اجتمعوا هم على طعامهم فأكلوا وغنوا ورقصوا وانصرفوا الى صناعاتهم بالغدو وقد كان الخليفة الناصر العباسى المتوفى سنة ٦٢٢ قد جعل نفسه رئيسا لهذه الطائفة وكتب سنة ٦٠٧ الى ملوك الأطراف الذين يعترفون بخلافته أن يشربوا كأس الفتوّة ويلبسوا سراويلها وأن ينتسبوا اليه برمى البندق (انظر رحلة ابن بطوطة طبع باريس ج ٢ ص ٢٦٠ ورحلة ابن جبير طبع ليدن ص ٢٨٢، وتاريخ التمدن الاسلامى لجرجى زيدان ج ٥ ص ١٦٩). (٥) الزيادة عن أ، م.

فجئتُ إلى أحدها فدخلتُه، فإذا فيه جماعة منهم، فأنِسْتُ وانبسطت، وأخبرتُهم أنى غريب، ثم خرجوا وخرجتُ معهم، فذهبوا بى إلى منزل أحدهم، فلما قعدنا أُتِينا بالطّعام فأكلنا، وأُتِينا بالشراب فشربنا، فقلت لهم: هل لكم فى مُغَنٍّ يُغَنِّيكم؟ قالوا: ومَنْ لنا بذلك؟ قلت: أنا لكم به، هاتوا عُودًا فأُتِيتُ به، فابتدأتُ فى هُنَيَّات[1] أبى عَبّاد مَعْبد، فكأنما غنّيتُ للحيطان لا فَكِهوا لغنائى ولا سُرُّوا به، فقلت: ثَقُلَ عليهم غناءُ مَعْبَد لكثرة عَمَله وشدّته وصعوبة مذهبه، فأخذتُ فى غناء الغَرِيض فإذا هو عندهم كلا شىء، وغنّيتُ خَفَائف ابن سُرَيج، وأهزاجَ حَكَم، والأغانىَ التى لى، واجتهدتُ فى أن يفهموا، فلم يتحرك من القوم أحدٌ، وجعلوا يقولون: ليت أبا مُنَبِّه قد جاءنا؛ فقلت فى نفسى: أرى أنّى سأفتضح اليوم بأبى مُنَبِّه فضيحةً لم يَفْتضِح أحدٌ قطُّ مثلَها. فبينا نحن كذلك إذ جاء أبو مُنَبِّه، وإذا هو شيخ عليه خفّان أحمران كأنه جمّال، فوثبوا جميعا إليه وسلّموا عليه وقالوا: يا أبا مُنَبِّه أبطأتَ علينا، وقدّموا له الطعام وسَقَوْه أقداحًا، وخَنَسْتُ[2] أنا حتى صرتُ كَلَا شىءٍ خوفًا منه، فأخذ العُودَ ثم اندفع يغنّى:

طَرِبَ[3] البحر فاعبُرى يا سفينهْ * لا تَشُقِّى على رجالِ المدينهْ

فأقبل[4] القومُ يصفّقون ويَطْرَبون ويَشْرَبون، ثم أخذ فى نحو هذا من الغِناء؛ فقلت فى نفسى: أنتم ها هنا! لئن أصبحتُ سالمًا لا أمسيتُ فى هذه البلدة. فلمّا أصبحتُ شَدَدتُ رَحْلى على ناقتى واحتقبْتُ[5] رَكْوَةً من شراب ورَحَلت متوجّهًا الى الحيرة، وقلت:

---

(١) الهنيات: الأراجيز. (٢) خنس الرجل من القوم خنوسا: تأخر واختفى.
(٣) فى م، ء، ط: «طرف البحر فاضربى ياسميته». وفى أ: «ظرف البحراخ».
(٤) فى أ، م: «فأخذ». (٥) احتقب ركوة: احتملها خلفه. والركوة: إناء صغير من جلد يشرب فيه الماء. وفى ط: «زكرة». والزكرة (بالضم): زق صغير للشراب.

ليت شعرى متى تَخُبّ بىَ النا * قةُ بين السَّدير والصِّنّين[1]
مُحْقِبًا رَكْوَةً[2] وخُبْزَ رُقاقٍ * وبُقُولا وقطعةً من نُونِ[3]
لستُ أبغى زادًا سواها من الشا * م وحسبى عُلالةٌ[4] تكفينى
فإذا أُبْتُ سالمًا قلت سُحْقًا * وبِعَادًا لمعشرٍ فارقونى

غنى خالدا القسرى بعد ما حرم الغناء

أخبرنى محمد بن مَزْيَد والحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه، وأخبرنا به وَكِيع[5] فى عقب أخبارٍ رواها عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه فقال: وقال لى إسحاق، فلا أدرى أأدْرَجَ الإسنادَ وهو سماعه أم ذكره مُرْسَلا، قال إسحاق وذكر ابن كُنَاسة:

أن خالدَ بنَ عبد الله القَسْرِىّ حرّم الغناءَ بالعراقِ فى أيامه، ثم أَذِنَ للناس يومًا فى الدخول عليه [عامّة][6]، فدخل إليه حُنَين ومعه عودٌ تحت ثيابه، فقال: أصلح الله الأمير، كانت لى صِناعةٌ أعودُ بها على عِيالى فحرّمها الأميرُ فأضرّ ذلك بى وبهم؛ فقال: وما صناعتك؟ فكشف عن عوده وقال: هذا؛ فقال له خالد: غَنِّ؛ فحرّك أوتاره وغنّى: ١٢٤ / ٢

صوت

أيها الشامتُ المُعَيِّر بالدهـ * ـرِ أأنت المُبَرَّأُ الموفورُ
أم لديك العهدُ الوثيقُ من الأ * يّامِ بل أنت جاهلٌ مغرورُ
مَنْ رأيتَ المنونَ خَلَّدن أم مَنْ * ذا عليه من أن يُضَامَ خَفِيرُ

(١) راجع الحاشية رقم ٣ من صفحة ١١٦ من هذا الجزء. وفى هذا الشعر السناد وهو، كما فسره ابن سيدة المخالفة بين الحركات التى تلى الأرداف فى الروى (انظر الجزء الأوّل من هذه الطبعة ص ١٤٣ حاشية رقم ١). (٢) فى ط: «زكرة». وانظر الكلام عليها فى الصفحة السابقة حاشية رقم ٥
(٣) النون: الحوت. (٤) العلالة بالضم: ما يتعلل به. (٥) يريد أنه لا يدرى هل جعل وكيع هذا الخبر من جملة ما رواه بسند حماد عن أبيه أم ذكره عن إسحاق مرسلا أى منقطعا. ٢
(٦) الزيادة عن حـ.

قال : فبكى خالد وقال : قد أذنتُ لك وحدَك خاصّةً فلا تجالسنّ سفيهًا ولا مُعَرْبِدًا. فكان إذا دُعِى قال : أفيكم سفيهٌ أو مُعرْبِد؟ فإذا قيل له : لا، دخل.

شعر هذا الصوت المذكور لعدىّ بن زيد، والغناء لحُنَين رمل بالوسطى عن عمرو. وقوله : المبرأ، يعنى المبرأ من المصائب. والموفور : الذي لم يذهب من ماله ولا من حاله شىء، يقال : وُفِرَ الرجل يُوفر. ولديك بمعنى عندك هاهنا.

غنى بشر بن مروان بحضور الشعبىّ

أخبرنى أبو صالح محمد بن عبد الواحد الصَّحّاف الكوفىّ قال حدّثنا قَعْنَب ابن المُحْرِز الباهلىّ قال أخبرنا الهَيْثَم بن عدىّ عن عبد الله بن عيّاش وعن مُجالد عن الشّعْبِىّ جميعا، وأخبرنى محمد بن مَزْيد وحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن الهَيْثَم ابن عدىّ عن عبد الله بن عيّاش عن الشّعْبِىّ قال :

لما ولِىَ بِشْر بن مَرْوان الكوفةَ كنتُ على مَظالمه، فأتيتُه عشيّةً وحاجبُه أعْيَن (صاحب حَمّام أعْيَن) جالس، فقلت له : استأذنْ لى على الأمير! فقال لى : يا أبا عمرو، هو على حالٍ ما أظنّك تصل إليه معها؛ فقلت : أعْلِمْه — وخَلاك ذَمٌّ — فقد حدث أمر لا بدّ لى من إنهائه إليه — وكان لا يجلس بالعَشِىّ — فقال : لا، ولكنِ اكتب حاجتَك فى رُقْعة حتى أوصلَها إليه؛ فكتبتُ رقعة، فما لبث أن خرج التوقيع على ظهرها : ليس الشعبىّ ممن يُحْتَشَم منه فأْذَنْ له، فأذن لى فقال : ادخل، فدخلت فإذا بشْر بن مروان عليه غِلالةٌ[1] رقيقة صفراء ومُلاءةٌ تقوم قيامًا من شدّة الصِّقال، وعلى رأسه إكليل من رَيْحان، وعلى يمينه عِكْرِمةُ بن رِبْعِىّ، وعلى يساره خالد بن عتّاب[2] بن وَرْقاء، وإذا بين يديه حُنَين بن بَلّوَع معه عودُه، فسلمت فردّ[3] علىّ السلام ورحّب

(١) الغلالة : شعار يلبس تحت الثوب. (٢) فى ا، م، ء، ط : «خالد بن زياد ابن ورقاء» والصواب ما أثبتناه (راجع تاريخ ابن جرير الطبرى طبع أوربا قسم ٢ ص ٩٦١ و ٩٦٤ — ٦٩٨ و ١٠٠٢). (٣) فى ط : «فردّوا».

وقرّب ، ثم قال : يا أبا عمرو، لو كان غيرُك لم آذنْ له على هـذه الحالِ؛ فقلت : أصلح الله الأمير، عندى لك السترُ لكل ما أرى منك والدخولُ معك فيما لا يَحْمُل، والشكرُ على ما تُولِينِى؛ فقال : كذاك الظنّ بك، ثم التفتُّ إلى حُنَين وعودُه فى حَجْره وعليه قباء خُشْك شَوِى[1] — وقال إسحاق : خشكون[2] — ومُستقة[3] حمراء وخُفّان مُكَعَّبان[4]، فسلم علىّ؛ فقلت له : كيف أنت أبا كعب؛ فقال : بخير أبا عمرو؛ فقلت : أَحْزِق[5] الزِّير[6] وأَرْخِ البَمّ[7] ففعل؛ وضرب فأجاد؛ فقال بشر لأصحابه : تلوموننى على أن آذن له فى كل حال ! ثم أقبل علىّ فقال : أبا عمرو، من أين وقع لك حَزْقُ الزير[8]؟ فقلت : ظننت أن الأمر هناك؛ فقال : فإن الأمر كما ظننتَ هناك كلّه . ثم قال : فمن أين تعرف حُنَينا؟ فقلت : هذا بطّةٌ أعراسنا فكيف لا أعرفه ! فضحك، وغنّى حُنَين فأجاد، فطرِبَ وأمر له بجائزة، ثم ودّعتُه وقمتُ بعد أن ذكرتُ له ما جئتُ فيه ، فأمر لى بعشرة آلاف درهم وعشرة أثواب ، فقمتُ مع الخادم حتى قبضتُ ذلك منـه وانصرفتُ . وقد وجدت هذا الخبرَ بخط أبى سَعِيد السُّكَّرىّ يأْثِره[9] عن محمد بن ١٢٥ / ٢

(١) كذا بالأصل . ونطقها بالفارسية : «خشك شفى» ومعناها : «القميص الخشن» . (٢) كذا بالأصل وفى الفارسية مركبة من كلمتين : « خوش » بمعنى « زاهى » و « كو » بمعنى « اللون » أى قباء زاهى اللون ، ولعله المعنى المراد لأنه أنسب بالمقام . (٣) كذا فى ح . وفى ء ، أ ، م ، ط : «منشفة » وفى باقى النسخ : «منشة » وهما محرّفان . والتصويب عن كتاب المعرب للجواليقىّ قال : «وأصلها بالفارسية مشته فعرب» . والمستقة : فرو طويل الكم ، وقيل : هى الجبة الواسعة . وعن أنس أن ملك الروم أهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مستقة من سندس فلبسها رسول الله فكأنى أنظر الى يديها يذبذبان فبعث بها الى جعفر فقال : ابعث بها الى أخيك النجاشىّ . وأنشد :

اذا لبست مساتقها غنىّ ٭ فياويح المساتق ما لقينا

(٤) مكعبان : موشيان . (٥) احزق : اشدد . (٦) الزير : أرفع أوتار العود ، وكانت أربعة فى ذلك العهد . (٧) البمّ : أغلظ أوتار العـود . (٨) فى أ ، م : «الوتر» .

(٩) يأثره : يرويه .

عثمان المخزوميّ عن أبيه عن جَدّه : أنه كان عنــد بِشْر بن مَرْوان يوم دخل عليــه الشَّعبيّ هذا المَدْخَل وأن حُنَين بن بَلّوع غَنّاه :

هُمُ كتمونى سَيْرَهُمْ حين أزمَعُوا (١) * وقالوا اتّعــدنا للرَّوَاح وبَكَّرُوا

وهذا القول خطأ قبيح ، لأن هذا الشعر للعبّاس بن الأحنف ، والغناء لعَلُّويَه رمل بالوسطى ، وغُنِّى للمأمون فيه فقال : سَخِرُوا من أبى الفضل أعزّه الله .

شيء من أوصاف الحيرة

أخبرنى الحسين بن يحيى قال قال حمّاد بن إسحاق : قرأت على أبى ، وقال أبو عُبَيد الله الكاتب حدّثنى سليمان بن بِشْر بن عبد الملك بن بشر بن مروان قال :

وكان بعضُ وُلاة الكوفة يذُمُّ الحِيرَةَ فى أيام بنى أميّة ، فقال له رجل من أهلها — وكان عاقلا ظريفا — : أتعيبُ بلدةً بها يُضْرَب المَثَلُ فى الجاهليّة والإسلام! قال : وبماذا تُمْدَح ؟ قال : بصحّة هوائها ، وطِيبِ مائها ، ونُزْهةِ ظاهِرِها ، تَصْلُح للخُفِّ والظِّلف ، سَهْلٌ وجَبَلٌ ، وباديةٌ وبُسْتان ، وبَرٌّ وبَحْر ، مَحَلُّ الملوك ومَزَارُهم (٢) ، ومَسْكَنُهم ومَثْواهم ، وقد قَدِمْتَها — أصلحك الله — مُخِفًّا فرَجَعْتَ مُثْقِلًا ووردْتَها (٣) مُقِلًّا فأصارتْك مُكْثِرًا ؛ قال : فكيف نعرفُ ما وَصَفْتَها به من الفضل ؟ قال : بأن تصير إلىّ (٤) ، ثم ٱدعُ ماشئتَ من لذّاتِ العَيْش ، فوالله لا أجوزُ بك الحِيرَةَ فيه ؛ قال : فاصنعْ لنــا صَنِيعا وأخرُجْ من قولك ؛ قال : أفعلُ ، فصنع لهم طَعاما وأطعمهم من خُبْزها وسَمَكِها وماصِيدَ من وَحْشها : مِن ظِبَاءٍ ونَعَام وأرانبَ وحُبَارَى (٥) ، وسقاهم ماءَها

(١) فى أ ، م ، ى ، ط : « ثم فارقوا » . (٢) فى ط : « ومرادهم » .

(٣) كذا فى أغلب النسخ . وفى س ، ح : « وزرتها » . وفى ب : « ودرتها » وهو تحريف . (٤) فى ط : « اليها » . (٥) الحبارى : طائر قال فى كتاب الحيوان : إنه طويل العنق رمادىّ اللون ، فى منقاره بعض طول وهو يقع على الذكر والأنثى واحده وجمعه سواء وإن شئت قلت فى الجمع حباريات ، وهو ممنوع من الصرف معرفا ومنكرا .

فى قِلالها، وخَمْرها فى آنيتها، وأجلسَهم على رَقْمِها(١) — وكان يُتَّخذ بها من الفُرُش أشياءُ ظريفة — ولم يستخدِم لهم حُرًّا ولا عبدًا إلّا من مُوَلَّديها ومولّداتها من خَدَمٍ ووصائفَ [ووُصَفاءَ](٢) كأنهم اللؤلؤ، لُغَتهم لُغَةُ أهلها، ثم غنّاهم حُنَين وأصحابُه فى شعر عَدِىّ ابنِ زَيْد شاعرِهم وأَعْشَى هَمْدان لم يتجاوزْهما، وحيّاهم برَياحِينها، ونقّلهم(٣) على خَمْرها، وقد شَرِبُوا بفواكهها؛ ثم قال له: هل رأيتَنى آستعنتُ على شىء مما رأيتَ وأكلتَ وشَرِبتَ وآفترشتَ وشَمِمتَ وسَمِعتَ بغيرِ ما فى الحِيرَة؟ قال: لا والله، ولقد أحسنتَ صفةَ بلدك ونُصْرَتَه فأحسنتَ نُصْرَتَه والخروجَ ممّا تَضَمَّنتَه، فبارك الله لكم فى بلدكم.

المغنون المشهورون بالحيرة غير حنين ونوع غنائهم

قال إسحاق: ولم يكن بالحيرة مذكورٌ فى الغِناء سِوَى حُنَين إلّا نَفَرًا من السَّدْرِيِّين يقال لهم: عَبَاديس، وزَيْد بن الطَّلِيس، وزَيْد بن كعب، ومالك بن حَمَمَة، وكانوا يغنّون غناء الحِيرَة بين الهَزَج والنَّصْب(٤) وهو إلى النصب أقرب ولم يُدَوَّن(٥) منه شىءٌ لسقوطه وأنه ليس من أغانى الفحول. وما سَمِعنا نحن لأحد من هؤلاء خبرا إلا لمالك بن حُمَمة، أخبرنى به عمّى عن عبد الله بن أبى سَعْد.

عمره ونسبه

وقال وَكِيع فى خبره عن إسحاق حدّثنى أبو بِشْر الفَزارىّ قال حدّثنى بِشْر بن الحسين بن سليمان بن سَمُرَة بن جُنْدَب قال:

عاش حُنَين بن بَلْوَع مائةَ سنة وسبع سنين، وكان يقال إنه من جَدِيس؛ قال: وقيل أيضا: إنه من لَخْم؛ وكان هو يزعم أنه عِبَادىّ وأخواله من بنى الحارث ابن كعب.

(١) الرقم: ضرب مخطط من الوشى أو الخز. (٢) زيادة فى ط والوصائف: جمع وصيفة وهى الجارية البالغة حد الخدمة، والوصفاء: جمع وصيف وهو الغلام البالغ حد الخدمة أيضا. وقد يقال الوصيف للخادم غلاما كان أو جارية. (٣) نقلهم: أطعمهم النقل، والنقل: ما يتنقل به على الشراب من فستق وتفاح ونحوهما. (٤) النصب: غناء يشبه الحداء إلا أنه أرق. (٥) كذا فى ط. وفى باقى الأصول: «يذروا منه شيئا» وهو تحريف.

غنى حفيده لأبى اسحاق ابراهيم بن المهدى وقص عليه خبر جده مع ابن سريج

أخبرنى رِضْوان بن أحمد الصَّيْدلانىّ قال حدّثنا يوسفُ بن إبراهيم قال حدّثنا أبو إسحاق إبراهيم بن المهدىّ قال :

كنتُ مع الرشيد فى السنة التى نَزَل فيها على عَوْنٍ العِبَادىّ ، فأتانى عَوْن بابن ابن حُنَين بن بَلّوع ، وهو شيخ ، فغنّانى عدّةَ أصوات لجَدِّه ، فما آستحسنتها ، لأنّ الشيخ كان مشوّهَ الخَلْق(١)، طَنَّ الغِناء(٢)، قليلَ الحلاوة، إلا أنه كان لا يفارق عمود الصوت أبدا حتى يَفْرُغ منه ، فغنّانى صوتَ ابن سُرَيج :

١٢٦/٢

فتركْتُه جَزَرَ السباعِ(٣) يَنُشْنَهُ(٤) * ما بينَ قُلّةِ رأسِه والمِعْصَمِ

فما أذكُر أنى سَمِعتُه من أحد قطّ أحسنَ ممّا سمعتُه منه ، فقلتُ له : لقد أحسنتَ فى هذا الصوت ، وما هو من أغانى جَدّك ولا من أغانى بلدك ، وإنى لأعجبُ من ذلك ! فقال لى الشيخ : والصليبِ والقُرْبان ما صُنِعَ هذا الصوتُ إلا فى منزلنا وفى سِرْدَابٍ لجَدّى ، ولقد كاد أن يأتىَ على نفس عمّى ؛ فسألته عن الخبر فى ذلك فقال :

ضافه ابن سريج متنكرا فأكرمه ثم بالغ فى اكرامه لما عرفه

حدّثنى أبى أن عُبَيد(٥) بن سُرَيج قدم الحِيرةَ ومعه ثلثمائة دينار ، فأتى بها منزلَنا فى ولاية بِشْر بن مَرْوان الكوفةَ ، وقال : أنا رجلٌ من أهل الحجاز من أهل مكّة ، بلغنى طِيبُ الحِيرة وجَوْدةُ خَمْرها وحُسْنُ غِنائك فى هذا الشعر :

حنَتْنى حانياتُ الدهرِ حتّى * كأنّى خاتِلٌ يَدْنُو(٦) لصَيْدِ
قريبُ الخَطْوِ يَحْسَبُ مَنْ رآنى * ولستُ مُقَيَّدًا أنّى بِقَيْدِ

(١) فى أ ، م ، ى ، ط : «مشنّى الخلق» . وفى حـ «مشتو الخلق» . ومشتو الخلق : مكروهه . وقد ورد فى هذا الوصف : مشنوء (بالهمز) ومشنو ومشنّى . (٢) طن الغناء : يدل السياق على أنه وصف من الطنين وهو صوت الشىء الصلب كالنحاس وغيره . ولم نجد هذه الصيغة من هذه المادة فى كتب اللغة التى بأيدينا ولعله طان الغناء اسم فاعل من طنّ . وفى ى ، أ ، م ، ط : «كز الغناء» . (٣) جزر السباع : اللحم الذى تأكله ، يقال : تركوهم جزرا بالتحريك إذا قتلوهم وقطعوهم إربا إربا وجعلوهم معرّضين للسباع والطير . (٤) ينشنه : يتناولنه . (٥) كذا فى ط . وفى سائر النسخ : «عبيدالله» انظر الحاشية رقم ٣ ص ٢٤٨ من الجزء الأول طبعة دار الكتب . (٦) فى ط : «أدنو» .

فخرجتُ بهـذه الدنانير لأُنفقها معك وعنـدك ونتعـاشر حتى تَنْفَدَ وأنصرف إلى منزلى . فسـأله جَدِّى عن آسمه ونسبه فغيّرهمـا وآنتمى الى بنى مخزوم ، فأخذ جدّى المـال منـه وقال : مُوَفَّرٌ مالُك عليك ولك عنـدنا كلّ ما يحتاج إليـه مثلُك ما نَشِطْتَ للمُقَام عندنا ، فإذا دَعَتك نفسُك إلى بلدك جهّزناك اليه ورَدَدْنا عليك مالك وأخلفنا ما أنفقتَهُ عليك [إلى](١) أن جئتنا ، وأسكنه دارا كان يَنْفرد فيها ، فمكث عندنا شهرين لا يعلم جَدِّى ولا أحدٌ من أهلنا أنه يُغَنِّى ، حتى آنصرف جَدِّى من دار بِشْر ابن مَرْوان فى يومٍ صائفٍ مع قيام الظَّهِيرة ، فصار إلى باب الدار التى كان أنزلَ ابنَ سُرَيج فيها فوجده مُغْلَقا فارتابَ بذلك ، ودقّ الباب فلم يُفْتَح له ولم يُجِبْه أحدٌ ، فصار إلى منازل الحُرَم فلم يجد فيها ابنَتَهُ ولا جَوَارِيَه(٢) ، ورأى ما بين الدار التى فيها الحُرَم ودار ابن سُرَيج مفتوحا ، فانتضَى سيفَه ودخل الدار ليقتُل آبنته ؛ فلمّا دخلها رأى ابنَتَهُ وجوارِيَه(٢) وقوفا على باب السِّرداب وهُنَّ يُومِئْنَ إليه بالسكوت وتخفيف الوطء ، فلم يَلْتفت إلى إشارتهنّ لِمَـا تداخَلَهُ ، إلى أن سَمِـعَ تَرَنُّمَ ابنِ سُرَيْجٍ بهـذا الصوت ، فألقى السيفَ من يده وصاح به — وقد عَرَفه من غير أن يكون رآه ، ولكن بالنعت والحِذْق — : أبا يحيى ، جُعِلْتُ فداءك ، أتيتنا بثلثمائة دينار لتُنفِقَها عندنا فى حيرَتنا ! فوحقِّ المسيح لا خرجتَ منها إلا ومعك ثلثمائة دينار وثلثمائة دينار وثلثمائة دينار سوى ما جئتَ به معك ، ثم دخلَ إليه فعانقه ورحَّب به ولَقِيَهُ بخلاف ما كان يلقاه به ، وسأله عن هذا الصوت ، فأخبره أنه صاغه فى ذلك الوقتِ . فصار معه الى بِشْر بن مَرْوان فوصَله بعشرة آلاف درهم أوّلَ مرّةٍ ، ثم وصَله بعـد ذلك بمثلها ؛ فلمّا أراد الخروجَ ردّ عليه جَدّى مالَه وجَهَّزه ووصَله بمقدار نفقته التى أنفقها

(١) زيادة فى ط . (٢) كذا فى حـ . وفى سائر النسخ : « جواريها » .

من مكة الى الحِيرة ، ورجعَ ابنُ سُرَيج الى أهله وقد أخَذ جميعُ مَنْ كان فى دارنا منه هذا الصوتَ .

استقدمه ابن سريج والغريض ومعبد الى الحجاز فقدم وغنى فازدحم الناس فسقط عليه السطح فمات

١٢٧/٢ أخبرنى عمِّى قال حدّثنى عبدُ الله بن أبى سعد قال حدّثنى حَسّان بن محمد الحارثىّ قال حدّثنا عبد الله قال حدّثنا عُبَيد بن حُنَين الحِيرِىّ(١) قال :

كان المغنُّون فى عصر جَدِّى أربعة نَفَرٍ ثلاثة بالحجاز وهو وحدَه بالعراق ، والذين بالحجاز : ابنُ سُرَيج والغَرِيض ومَعْبَد ، فكان يَبْلُغُهم أنّ جَدِّى حُنَينًا قد غَنَّى فى هذا الشعر :

هَلَّا بَكَيْتَ على الشباب الذاهبِ * وكَفَفْتَ عن ذَمِّ المَشيبِ الآئبِ
هـذا ورُبَّ مُسوِّفِينَ(٢) سَقَيْتَهُمْ * من خمـر بابلَ لَذَّةً للشاربِ
بَكَرُوا عَلَيَّ بسُحْرَةٍ فَصَبَحْتُهم * من ذات كُوبٍ(٣) مثلِ قَعْبِ الحالِبِ
بزجاجة مِـلْءِ اليَدَيْن كأنّهـا * قِنْـدِيلُ فِصْحٍ(٤) فى كَنِيسة راهبِ

قال : فاجتمعوا فتذاكروا أمر جَدِّى وقالوا : ما فى الدنيا أهلُ صناعة شرٌّ منّا ، لنا أخٌ بالعراق ونحن بالحجاز ، لا نَزُوره ولا نَسْتَزِيرُه . فكتبوا إليه ووجّهُوا إليه نفقةً وكتبوا يقولون : نحنُ ثلاثةٌ وأنت وَحْدَك فأنت أَوْلَى بزيارتنا ، فشخَص إليهم ، فلمّا كان على مَرْحلة من المدينة بلَغَهُم خبرُه فخرجوا يتلَقَّوْنَه ، فلم يُرَ يومٌ كان أكثرَ حَشْرًا(٥) ولا جَمْعًا من يومئذ ، ودخلوا ، فلمّا صاروا فى بعض الطريق قال لهم مَعْبَد : صِيرُوا إلىَّ ؛ فقال له ابنُ سُرَيج : إن كان لك من الشرف والمُرُوءة مثلُ ما لِمَوْلاتى سكينة

(١) كذا فى جميع الأصول ، ولعل الراوى نسب عبيدا الى جدّه حنين لشهرته . (٢) قال فى اللسان : السوف : الصبر ، والمسوِّف : الصبور ، وأنشد للفضل هذا البيت شاهدا بذلك . (٣) كذا فى ى وهامش ط . وفى باقى النسخ : «من ذات كَرِيب كقعب» . والكَرِيب : لبن حليب ينقع فيه تمر برنىّ . ولم يظهر لهذه النسخة معنى يلتئم به السياق . (٤) كذا فى ط والفصح من أعياد النصارى (انظر الحاشية رقم ١ ص ١٢٩ من هذا الجزء) . وفى باقى الأصول : «صبح» . (٥) فى أ ، م ، ى ، ط : «حشدا» .

بنت الحسين عطفْنا إليك؛ فقال : مالى من ذلك شيء، وعَدَلوا الى منزل سُكَينة . فلمّا دخلوا إليها أَذِنَتْ للناس إذْنًا عامًّا فغصّت الدارُ بهم وصَعِدُوا فوق السطح، وأمرتْ لهم بالأطعمة فأكلوا منها، ثم إنهم سألوا جَدّى حُنينًا أن يغنّيَهم صوتَه الذى أوّله :

* هلّا بكيتَ على الشباب الذاهبِ *

فغنّاهم إيّاه بعد أن قال لهم : ابدءوا أنتم ؛ فقالوا : ما كنّا لنتقدّمك ولا نُغَنِّىَ قبلك حتى نسمع هذا الصوتَ؛ فغنّاهم إياه، وكان من أحسن الناس صوتا، فازدحمَ الناسُ على السطح وكَثرُوا ليسمعوه ، فسقط الرِّواق على مَنْ تحتَه فَسَلِمُوا جميعا وأُخرجوا أَصِحّاءَ، ومات حُنينٌ تحتَ الهَدْم؛ فقالت سُكَينةُ عليها السلامُ : لقد كدّر علينا حُنَينٌ سرورَنا، انتظرناه مُدّة طويلةً كأنّا والله كُنّا نَسُوقه الى مَنِيّته .

الغناء فى الأصوات المتقدّمة

نسبة ما فى الخبر الأوّل من الغناء

صــــوت

وَتَرَكْتُهُ جَزَرَ السِّباعِ يَنُشْنَهُ * مابين قُلّةِ رأسِه والمِعْصَمِ
إن تُغْدِفِى دُونِى القِنَاعَ فإنّنى * طَبٌّ بأخذ الفارسِ المُسْتَلْئِمِ (١)

الشعر لعَنْتَرَةَ بن شَدّاد العَبْسىّ، والغناء فيه لحُنَين ثانى ثقيل (٢) .

ومنها :

صــــوت

حَنَتْنِى حانياتُ الدهرِ حتّى * كأنّى خاتِلٌ يَدْنُو لِصَيْدِ
قَرِيبُ الخَطْوِ يَحْسَبُ مَنْ رآنى * ولَسْتُ مُقَيَّدًا أَنّى بقَيْدِ

(١) أغدفت المرأة قناعها : أرسلته على وجهها . والطب : الحاذق من الرجال الماهر بعلمه . والمستلئم : لابس اللأمة، وهى الدرع . (٢) فى ط : «والغناء لابن سريج ثقيل أوّل» .

الغناءُ لحُنَين الحِيرِىّ ثقيل أوّلُ . وفيه لابراهيم المَوْصِلىّ ماخُورِىّ جميعا عن ابن المَكّىّ، ووافقه عمرو بن بَانَةَ فى لحن ابراهيم[الموصلىّ](١) . ونسبة الشعر الذى غنّاه حُنَين فى منزل سُكَينة — عليها السلام — يقال : إنه لعَدِىّ بن زَيْد، وقيل : إنّ بعضه له وقد أضافه المغنّون اليه . ولحنُه خَفِيفُ ثَقِيلٍ مُطلق فى مَجْرَى البِنْصَر عن إسحاق .

١٢٨/٢

صوت من المـائة المختارة

رَاعَ الفؤادَ تَفَرُّقُ الأحبـابِ * يومَ الرحيل فهاجَ لى أَطْرابِى(٢)
فَظَلِلتُ مكتئبا أُكَفْكِفُ عَبْرَةً * سَحًّا تَفِيضُ كواشِلِ(٣) الأسراب
لـمّا تَنَادَوْا للرحيـل وقـرّبوا * بُزْلَ الجِمَـال لِطِيَّـةٍ(٤) وذَهَابِ
كاد الأَسَى يَقْضِى عليك صبابةً * والوجهُ منك لِبَيْنِ إلفك كَابِى

عروضه من الكامل . والشعر لعمر بن أبى ربيعة . والغناء للغَرِيض، ولحنه المختار من الثقيـل الأوّل بإطلاق الوتَر فى مَجْرَى البِنْصَر عن إسحاق . [وقال حَبَش : وفيه لأبى كامل ثانى ثقيل بالوسطى](٥) . وذكر حبش : أنّ للغريض أيضا فيه خفيفَ ثقيل بالوُسْطى . ولمـالك ثقيلٌ أوّل بالوسطى . وهذه الأبياتُ قالها عمر بن أبى ربيعة فى بنتٍ لعبد الملك بن مَرْوان كانت حَجّت فى خلافته .

قصة ابن أبى ربيعة مع بنت عبد الملك ابن مروان

أخبرنى علىّ بن صالح بن الهَيْثَم قال أخبرنى أبو هَفّان عن إسحـاق بن إبراهيم عن الزُّبَيْرِىّ والمدائنىّ ومحمد بن سَلّام والمُسَيَّبِىّ :

---

(١) الزيادة عن حـ . (٢) راع الفؤاد : أفزعه . والأطراب : جمع طرب، والطرب يطلق على الفرح والحزن والشوق، والمراد هنا أحد المعنيين الأخيرين . (٣) واشل : سائل، من وشل المـاء يشل (كوعد) إذا سال وقطر، والأسراب : جمع سرب (بالتحريك) وهو المـاء السائل من المزادة . (٤) يقال : مضى فلان لطيته أى لوجهه ونيته التى انتواها . (٥) الزيادة عن أ، م، حـ .

أنّ بنتا لعبد الملك بن مَرْوان حَجّت، فكتب الحجاج إلى عمر بن أبى ربيعة يتوعّده إن ذكرها فى شعره بكلّ مكروه؛ وكانت تحبُّ أن يقول فيها شيئا وتتعرّض لذلك، فلم يَفعل خوْفا من الحجّاج . فلمّا قضتْ حَجَّها خرجت فمرّ بها رجلٌ فقالت له: مِنْ [أين](١) أنت؟ قال : من أهل مَكّة؛ قالت: عليك وعلى أهل بلدك لعنةُ الله! قال: ولِمَ ذاك؟ قالت : حَجَجتُ فدخلتُ مكة ومعى من الجوارى ما لم تَرَ الأعينُ مثلهنّ، فلم يستطع الفاسقُ ٱبن أبى ربيعة أن يُزوِّدنا من شعره أبياتا نَلْهُو بها فى الطريق فى سَفَرنا! قال : فإنى لا أراه إلّا قد فعل؛ قالت : فأْتِنا بشىء إن كان قاله ولك بكل بيتٍ عشرةُ دنانيرَ؛ فمضى إليه فأخبره؛ فقال : لقد فعلتُ، ولكن أُحبُّ أن تَكْتُمَ علىّ؛ قال : أفعل؛ فأنشده :

رَاعَ الفؤادَ تَفرُّقُ الأحبابِ ❊ يومَ الرحيلِ فهاجَ لى أَطْرابى

وهى طويلة . وأنشده :

هَاجَ قلبى تَذَكُّرُ الأحبابِ ❊ وٱعترتْنى نوائبُ الأطرابِ(٢)

وهى طويلة أيضا، يقول فيها :

أُقْتُليِنِى قَتْلًا سريعًا مُريحًا ❊ لاتكونى علىّ سَوْطَ عَذَابِ
شَفَّ عنها مُحقّقٌ(٣) جَنَدِىٌّ ❊ فهى كالشمس من خلال سَحَابِ

— ذكر حَبَشٌ : أنّ فى هذه الثلاثة الأبيات للهُذَلىّ ثانىَ ثقيل بالبِنصر —

قال : فعادَ إليها الرجل فأنشدَها هاتين القصيدتين فدفَعتْ إليه ما وعدتْه به .

---

(١) الزيادة عن أ ، م .

(٢) الأطراب هنا : الأحزان .

(٣) كذا فى أ ، م ، ء وهو الموافق لما تقدّم فى ص ٢٤٠ من الجزء الأوّل من هذه الطبعة . وفى باقى النسخ : « مرقق حندىّ » بالحاء المهملة . وقد تقدّم تفسير هذا البيت فى الصفحة المذكورة .

ذكر الغريض وأخباره

١٢٩/٢ الغَرِيض لَقَبٌ لُقِّبَ به، لأنه كان طَرِيَّ الوجه نَضِرًا غَضَّ الشباب حَسَنَ المنظر، فلُقِّبَ بذلك. والغريض: الطريّ من كل شيء. وقال ٱبن الكلبيّ: شُبِّه بالإغريض وهو الجُمّار فسُمِّيَ به، وثَقُلَ ذلك على الألْسنة فحذفت الألف منه، فقيل له: الغريض. وٱسمه: عبد الملك، وكنيته: أبو يزيد.

اسمه وكنيته وسبب لقبه

وأخبرنا إسماعيل بن يونس الشِّيعِيّ عن عمر بن شَبَّة عن أبي غسّان عن جماعة من المكّيّين:

أنه كان يكنّى أبا مَرْوان. وهو مَوْلَى العَبَلات، وكان مُوَلَّدًا من مُوَلَّدِي البَرْبَر. وَوَلاؤه وولاءُ يحيى قَيْل[1] وسُمَيَّة[2] للثريّا (صاحبة عُمَر بن أبي ربيعة) وأخواتها: الرُّضَيّا وقُرَيبة وأمّ عثمان بنات عليّ بن عبد الله بن الحارث بن أميّة الأصغر، وقد مضت أخبارُهنّ في صدر الكتاب[3].

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثني محمد بن نصر الضُّبَعِيّ[4] قال حدثني عبد الكريم بن أبي معاوية العلابيّ[5] عن هشام بن الكلبيّ عن أبيه وعن

أخذ الغناء عن ابن سريج فلما رأى ابن سريج مخايل التفوق فيه حسده وطرده

(١) في ط، ى: «فيل» بالفاء، (وانظر ترجمته بالجزء الثالث ص ١١ من الأغاني طبع بولاق).
(٢) في ى، أ، م، ط: «سمية» وقد سمى العرب بهما، ولم ندر أيهما أصح لوجوده مجردا.
(٣) انظر الجزء الأوّل من هذه الطبعة ص ٢٠٩ — ٢١٣
(٤) لم يرد هذا الاسم في فهارس الكتب التي تحت أيدينا. والضبعى بضم الضاد المعجمة وفتح الباء الموحدة كما في شرح القاموس والمشتبه للذهبيّ والاشتقاق لابن دريد ولسان العرب، نسبة الى ضبيعة بن قيس بن ثعلبة الذين نزلوا البصرة، وقيل الى المحلة التي سكنها هؤلاء بالبصرة. وقد ضبطه السمعانيّ بالعبارة فقال انه: «بفتح الضاد المعجمة وفتح الباء المنقوطة بواحدة وفي آخرها العين المهملة. هذه النسبة الى ضبيعة بن قيس بن ثعلبة ... الخ». وهو كما ترى مخالف لكل المصادر المتقدّمة.
(٥) كذا في ب، س، ح. وفي ى، ط: «العبلانى» وفي أ، م: «الغيلانى» ولم يرد في كتب الأنساب «العلابى» بالعين المهملة، والذى ورد هو الغلابى بالغين المعجمة. ولم نهتد الى هذا الاسم لنتحقق من صحة هذه النسبة.

أبى مِسْكين،[(١)] وأخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجوهرىّ قال حدّثنى عمر بن شَبّة قال حدثنى أبو غَسّان محمد بن يحيى، وأخبرنى الحسين بن يحيى ومحمد بن أبى الأزهر حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزُّبَيْرىّ والمَدَائنىّ ومحمد بن سلّام، وقد جمعت رواياتهم فى قصّة الغريض، قالوا :

كان الغريض يضرب بالعود وينقر بالدّف ويُوقِع بالقضيب، وكان جميلا وَضِيئا، وكان يُصنِّع[(٢)] نفسه ويُبرِّقها[(٣)]، وكان قبل أن يُغَنِّىَ خيّاطا. وأخذ الغناءَ فى أوّل أمره عن ابن سُرَيج، لأنه كان يَخْدُمُه. فلما رأى ابنُ سُرَيج طَبْعَه وظَرْفَه وحَلَاوةَ مَنْطقه خَشِىَ أن يأخذ غناءَه فيغلِبَه عليه عند الناس ويفوقَه بحسن وجهه وجسده، فاعتَلّ عليه، وشكاه إلى مَوْلَيَاته، وهنّ كُنّ دَفَعْنه إليه ليعلّمه الغناء، وجعل يتجنّى عليه ثم طرده؛ فشكا ذلك إلى مَوْلَيَاته وعرّفهنّ غرضَ ابن سُرَيج فى تنحيته إيّاه عن نفسه، وأنه حسده على تَقَدّمه؛ فقلن له : هل لك فى أن تسمع نَوْحَنا على قتْلانا فتأخُذَه وتُغَنِّىَ عليه؟ قال : نعم فافعلْنَ، فأسْمَعْنه المراثىَ فاحتذاها وخرّج غناءً عليها كالمراثى، وكان يَنُوح مع ذلك فيدخل المآتم وتُضْرَب دونَه الحُجُب ثم يَنُوح فيفتن كلَّ من سمعه. ولما كثر غناؤه اشتهاه الناس وعدلوا إليه لما كان فيه من الشَّجا[(٤)]. فكان ابن سريج لا يغنّى صوتا إلا عارضه[(٥)] الغريض فيه لحنا آخر. فلما رأى ابن سُرَيج

تعلم النوح وكان ينوح للنساء فى المآتم

(١) كذا فى ء. وفى ا، م، حـ : «عن أبيه عن أبى مسكين». وفى ب، سـ : «عن أبيه مسكين» وهو خطأ. وقد أثبتنا رواية ء لأنها تقدّمت فى ص ٢٤٨ من الجزء الأوّل من هذه الطبعة وكتب الأنساب ترجحها. (٢) يصنع نفسه : يقوم على تحسينها وتزيينها. (٣) كذا فى ط، ويبرقها : يزينها ويحسنها. يقال برّق منزله أى زينه وزوّقه. وفى باقى الأصول : «ويترفها» ومعناه يوسع عليها ويدللها ويعطيها شهواتها. (٤) الشجا : الحزن. (٥) أى ناقضه وباراه فيه بلحن آخر يغنيه. ولم نجد عارض يتعدى لمفعولين إلا فيما ورد من الحديث من «أن جبريل عليه السلام كان يعارضه القرآن فى كل سنة مرة وأنه عارضه العام مرتين» أى كان يدارسه جميع ما نزل من القرآن، من المعارضة وهى المقابلة.

موقع الغَرِيض اشتدّ عليه وحسده، فغنّى الأَرْمَالَ والأَهْزَاجَ فاشتهاها الناس؛ فقال له الغريض : يا أبا يحيى، قصَّرتَ الغناءَ وحذفتَــه؛ قال : نعم يا مخنَّث حين جعلتَ تنُوح على أمّك وأبيك .

قال إسحاق وحدّثنى أبو عُبَيــدة قال : لمــا غضِب ابنُ سُرَيج على الغَرِيض فأقصاه وهجَره لحِق بحَوْراءَ وبَغُومَ — جَارِيتَيْن نائحتَيْن كانتــا فى شِعْب ابن عامر بمكة، ولم يكن قبلَهما ولا بعدَهما مثلُهما — فرأتاه يومًا يعصِر عينيه ويبكى؛ فقالتا له : مالك تبكى؟ فذكر لهما ما صنع به ابنُ سُرَيج؛ فقالتــا له : لا أَرْقأَ اللهُ دمعَك ! أُلْزُزْ رأسَك(١) بين ما أخذتَه عنه وبين ما تأخذه منّا، فإن ضِعْتَ بعدَها فأبعدك الله .

عدّه جرير ضمن الأربعة المشهورين فى الغناء

قال إسحاق وحدّثنى أبو عبد الله الزُّبَيرى قال : رأيت جَرِيرًا فى مجلِس من مَجالس قريش فسمعتُه يقول : كان المغنُّون بمكة أربعة، فسيد مبرِّز وتابع مسدِّد؛ فسألناه عن ذاك، فقال : كان السيِّدَ أبو يحيى بن سُرَيج والتابعَ أبو يزيد الغَرِيض(٢). وكان هناك رجل عالم بالصناعة فقــال : كان الغريضُ أَحْذَقَ أهلِ زمانه بمكة بالغناء بعــد ابن سُرَيج، وما زال أصحابنــا لا يُفرّقون بينهما لمقاربتهما فى الغناء . قال الزُّبيرىّ وقال

١٣٠ / ٢

كان النــاس لا يفرقون بينــه وبين ابن سريج

بعض أهلى : لو حُكِّمتُ بين أبى يحيى وأبى يزيد لمــا فرقتُ بينهما، وإنمــا تَفضيلى أبا يحيى بالسَّبْق، فأمّا غيرُ ذلك فلا، لأنّ أبا يزيد عنــه أخذ ومن بحره آغترَف وفى ميــدانه جرى، فكان كأنّه هو؛ ولذلك قالت سُكَينة لمــا غنّى الغريض وابن سريج :

* عُــوجِى علينــا رَبّةَ الهــودَجِ *

---

(١) أى اجعــل رأســك بينهما : تريدان بذلك أن يجمــع بين ما أخذه عن ابن سريج وما سيأخذه عنهما .

(٢) يلاحظ أنه لم يذكر هنا إلا اثنين .

والله ما أُفرّق بينكما، وما مَثَلُكما عندى إلا كَمَثَل اللؤلؤ والياقوت فى أعناق الجوارى الحِسان لا يُدْرَى أىّ ذلك أحسن .

قيل كان الغريض أشجى غناء من ابن سريج

قال إسحاق : وسمعت جماعةً من البُصَراء عند أبى يتذاكرونهما، فأجمعوا على أنّ الغَرِيض أشْجَى غناءً، وأنّ ابن سريج أحْكَمُ صنعةً .

غنى الناس بجمع فحسبوه من الجن

قال إسحاق وحدّثنى أبو عبد الله الزُّبيْرِىّ قال حدّثنى بعض أهلى قال : حَجَجنا فلمّا كنّا بجَمْع(١) سَمِعنا صوتا لم نسمع أحسنَ منه ولا أشْجى، فأصْغَى الناسُ كلّهم إليه تعجُّبا من حسنه، فسألتُ : مَنْ هذا الرجلُ؟ فقيل لى : الغَريض، فتتابع جماعةٌ من أهل مكّة فقالوا : ما نعرِف اليومَ أحدًا أحسنَ غِناءً من الغَرِيض، ويدلّك على ذلك أنه يعترِض بصوته الحاجّ وهم فى حَجّهم فيُصْغُون إليه . فسألوا الغريض عن ذلك، فقال : نعم، فسألوه أن يُغنّيَهم فأجابهم، وخرج فوقَف حيث لا يُرَى ويُسْمع صوتُه فترنّم ورجّع صوتَه وغنّى فى شعر عمَر بن أبى ربيعة :

أيُّها الرائحُ المُجِدّ ٱبتِكارَا * قد قضَى مِن تِهامَةَ الأَوْطَارَا

فما سمع السامعون شيئًا كان أحسنَ من ذلك الصوتِ، وتكلّم الناسُ فقالوا : طائفةٌ من الجِنّ حُجّاجٌ .

نسبة هذا الصوت

صوت

أيُّها الرائحُ المُجِدّ ٱبتِكارَا * قد قضَى مِن تِهامَةَ الأَوْطارَا(٢)
مَنْ يكنْ قلبُه الغَداةَ خَليًّا * ففؤادى بالخَيْف أَمْسَى مُعارَا(٣)
ليت ذا الحَجّ كان حَتْمًا علينا * كلَّ شهرين حَجّةً(٤) وٱعتِمارَا

(١) جمع : المزدلفة وهو مبيت الحاج ومجمع الصلاة اذا صدروا من عرفات، وهو المشعر الحرام .
(٢) تقدمت هذه الأبيات مع شرحها فى الجزء الأول من الأغانى طبع دار الكتب ص ١٦٧ (٣) فى ب، س، حـ : «مطارا» . (٤) الحجة (بالكسر) : المرة من الحج وهو شاذ لأن قياس المرة على فعلة بفتح الفاء .

عَرُوضه من الخَفِيف . الشعر لعمر بن أبى ربيعة . والغِناء لابن مُحْرِز، ولحنُه من القَدْر الأوْسط من الثقيل الثانى بالخنصر فى مَجْرَى الوُسْطَى . وفيه لحن للغَرِيض من رواية حمّاد عن أبيه .

غنى هو ومعبد وابن سريج على أبى قبيس فعفا الوالى عنهم بعد الأمر بنفيهم

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز الجَوْهرىّ وإسماعيل بن يُونُس قالا حدّثنا عمر ابن شَبّة قال حدّثنى إسحاق بن إبراهيم قال :

بلغنى أن مَعْبـدا وابن سُرَيْج والغريض اجتمعوا بمكّة ذاتَ ليـلة فقالوا : هَلُمَّ نَبْكِ أهلَ مكّة، ووجدتُ هذا الخبر بغير إسناد مَرْويّا عن يونُس الكاتب : أنّ أميرًا من أمراء مكّة أمر بإخراج المُغنّين من الحَرَم، فلمّا كان فى الليلة التى عزَم بهم على النَّفى فى غَدِها اجتمعوا على أبى قُبَيْس — وكان مَعْبد قد زارهم — فبدأ معبد فغنّى — كذا رُوِى عن يونس ولم يذكره الباقون — :

١٣١
٢

صـــوت

أَتَرْبَىَّ من أَعْلَى مَعَـدّ هُدِيتُمَا (١) * أَجِدَّا البُكَا إنّ التفـرُّقَ باكِرُ
فما مُكْثُنا دام الجَمِيــلُ عليكما * بِثَهْلانَ (٢) إلّا أنْ تُزَمّ الأباعِرُ

— عَرُوضه من الطويل . هكذا ذكره ولم ينسُبه ولا جنّسه — قال : فتأوّه أهل مكّة وأنّوا وتمخّطوا (٣) . واندفع الغَرِيض يُغنّى :

أيُّهـا الرائحُ المُجِــدّ ابتِكارَا * قـد قضَى من تِهـامَةَ الأوطارَا

فارتفع البكاء والنحيب . واندفع ابن سريج يغنى :

جَدِدِى الوصلَ يا قُرِيبُ وجُودِى * لمُحِبٍّ فِـراقُـه قــد ألَمّا
ليس بين الحياة والموت إلّا * أن يَرُدّوا جِمالَهُــمْ فـتُزَمّا

(١) فى حـ : «عليا» . (٢) ثهلان : جبل بنجد . (٣) تمخطوا : اضطربوا .

فارتفع الصُّراخُ من الدُّور بالوَيْل والحَرَب[1] . قال يونس فى خبره : وٱجتمع النــاسُ إلى الأمير فاستعفَوْه من نفيهم فأعْفاهم . وذكر الباقون أنّ الغَرِيض ٱبتدأ بلَحْنه :

* أيُّها الراكب المُجِــدّ ٱبتكارًا *

وتلاه ٱبن سريج فى «جَدِّدِى الوصل» . قال : وٱرتفع الصراخ فلم يُسْمَع من مَعْبَد شىء ولم يقدِر على أن يُغَنِّىَ .

غنت شطباء المغنية على بن جعفــر فطــرب

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العَلَاء قال حدّثنا الزُّبَيْر بن بكّار قال أخبرنى عبدالرحمن ابن محمد السَّعْدىّ قال :

حضرتُ شَطْباءَ المُغَنِّيَةَ جارِيةَ علىّ بن جعفر ذاتَ يوم تُغَنِّى :

ليس بين الرَّحيــل والبَيْنِ[2] إلّا * أنْ يَرُدُّوا جِمــالَهم فــتُزَمَّا

فطرِب علىّ بن جعفر وصاح[3] : سبحان اللهِ العظيم ! ألَا يُوكُونَ[4] قِرْبة ! ألَا يَشُــدُّون مَحْملا ! ألَا يُعلِّقون سُفْرَةً[5] ! ألَا يُسَلِّمون على جارٍ ! هذه والله العجلةُ .

لما ماتت الــثريا ناح عليها الغريض

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز وإسماعيل بن يونُس قالا حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثنا محمد بن يحيى قال زعم عُبَيد بن يَعْلى قال :

قال لى كَثِير بن كَثِير السَّهْمىّ : لمـّا ماتتِ الثُّرَيّا أتانى الغَرِيض فقــال لى : قل لى شعرًا أبْكِ به عليها، فقلت :

---

(١) كذا فى ء ، أ ، م أى قيــل واويلاه وواحرباه . والحرب (بالتحريك) : أن يسلب الرجل ماله ، ثم توسع فيه فعبر به عما يصيب المرء من مكروه . وفى باقى النسخ : «بالويل والحزن» .

(٢) فى حـ : «والموت» . (٣) كذا فى ط . وفى سائر النسخ : «وقال» .

(٤) أوكى القربة : شدّها بالوكاء وهو رباطها ، وفى الحديث : «أوكوا الأسقية» . أى شدّوا رءوسها بالوكاء لئلا يدخلها حيوان أو يسقط فيها شىء . (٥) السفرة فى الأصل : طعام يتخذه المسافر ، ومنه حديث عائشة : صنعنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأبى بكر سفرة فى جراب أى طعاما ، ثم أطلق مجازًا على جلد مستدير يحمل فيه هذا الطعام . وتطلق السفرة أيضا على ما يبسط ليؤكل عليه .

صـــــوت

أَلَا يا عينُ مالكِ تَدْمَعِينا * أَمِنْ رَمَـدٍ بكيتِ فتُكْحَلِينا
أَمَ انتِ مريضةٌ تَبْكِينَ شَجْوًا[(١)] * فَشَجْوُكِ مثلُهُ أبكى العيونا

فناح به عليها. قال: وأخبرنى مَن رآه بين عمودَىْ سَرِيرها يَنُوح به. الغناء للغَرِيض فى هذين البيتين خفيفُ ثقيل بالوُسْطى عن ابن المكّىّ. وفيه ثقيلٌ أوّلُ مجهول.

تحاكم هو وابن سريج الى سكينة بنت الحسين فساوت بينهما

أخبرنى الحَرَمىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال حدّثنى محمد ابن سلّام وأخبرنا وَكِيع قال حدّثنا محمد بن إسماعيل عن محمد بن سلّام عن جَرِير، ورواه حمّاد عن أبيه عن ابن سلام عن جَرِير أيضا:

أنّ سُكَينة بنت الحُسَين عليه السلام حجّت فدخل إليها ابن سُرَيج والغَرِيض وقد استعار ابن سُرَيج حُلّةً لامرأة من قُرَيش فلبسها؛ فقال لها ابنُ سُرَيج: ياسيّدتى، إنى كنتُ صنعتُ صوتًا وحسّنتُه وتنوّقتُ[(٢)] فيه، وخبّأته لك فى حَرِيرة فى دُرْج مملوءٍ مِسْكًا فنازَعَنيه هذا الفاسق — يعنى الغَرِيض — فأردنا أن نتحاكم إليك فيه، فأيُّنا قدّمتِه فيه تقدّم؛ قالت: هاته؛ فغنّاها:

عُوجِى علينا رَبّةَ الهَوْدَجِ * إنّكِ إلّا تَفْعَلِى تَحْرَجِى[(٣)]

فقالت: هاتِه أنتَ يا غَرِيض؛ فغنّاها إياه؛ فقالت لابن سُرَيج: أعِدْه، فأعاده، وقالت: يا غَرِيضُ، أعِدْه، فأعاده؛ فقالت: ما أُشَبّهكما إلا بالجَدْيَيْنِ[(٤)]:

(١) فى الجزء الأول من هذه الطبعة ص ٢٤٦: «وزينة». (٢) تنوّق: تجوّد فى الشىء وبالغ فيه. (٣) تحرجى: تأثمى. (٤) كذا فى ء. وورد فى المسعودى ج ٢ ص ٥٦ فى وصف معاوية: «ثم يؤتى بالغداء الأصغر وهو فضلة عشائه من جدى بارد». وفى أ، م: «إلا بالجدّ بين الحارّ والبارد». وفى حـ: «إلا بالجدّ بين الحارّ والبارد» وهما محرّفان عن الأوّل. وفى ب، سـ: «بالجوزابين» ولعله محرّف عن الجوذابين: وهو مثنى جوذاب (بالضم) ويقال فيه ذوباج أيضا، وهو كما قال صاحب اللسان: طعام يصنع بسكر وأرز ولحم. وفى كتاب الأطعمة (الموجود بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥١ علوم معاشية): بيان لأنواع الجواذيب وكيفية صنع كل منها.

الحارّ والبارد لا يُدْرَى أيُّهما أطيب . وقال إسحاق فى خبره : ما أُشَبِّهُكُما إلا باللؤلؤ والياقوت فى أعناق الجوارى الحِسَان لا يُدْرَى أيّهما أحسن .

نسبة هذا الصوت

صوت

عُوجِى علينا رَبَّةَ الهَوْدَجِ * إنكِ إلّا تَفْعَلِى تَحْرَجِى
إنّى أُتِيحتْ لى يَمَانِيَّةٌ(١) * إحدى بنى الحارثِ من مَذْحِجِ
نَلْبَثُ حَوْلًا كاملًا كُلَّه * لا نلتقى إلا على مَنْهَجِ
فى الحَجِّ إن حَجَّت وماذا مِنًى * وأهلُه إنْ هى لم تَحْجُجِ
أيسرُ ما نالَ مُحِبٌّ لدى * بَيْنِ حبيبٍ قولُه عَرِّجِ

عَروضُه من السريع . والشعرُ للعَرْجِىّ . والغِناء لابن سُرَيْج ثانى ثقيل بالوُسْطَى عن عَمْرو . وفيه للغَرِيض ثقيل أوّل بالوُسْطَى عن حَبَش . ولإسحاق فى الأوّل والثالث ثقيل أوّل بالبِنْصَر عن عمرو . وللأَبْجَر فيه ثانى ثقيل بالخِنْصَر فى مَجْرَى البِنْصَر عن ابن المكىّ . ولِعَلُّوَيْهِ خفيفُ ثقيلٍ عن الهِشامىّ . ولحَكَم خفيفُ رملٍ عنه أيضا .

غنى عطاء بشعر العرجىّ فردّه عليه

أخبرنى محمد بن خَلَف وَكِيع قال حدّثنا عبد الله بن عمرو(٢) بن بِشْر قال حدّثنى إبراهيم بن المُنْذِر قال حدّثنى حمزة بن عُتْبَة اللَّهَبِىّ عن عبد الوهاب بن مُجاهِد أو غيره قال :

---

(١) يمانية (بتشديد الياء) نسبة الى اليمن ، والمشهور فى النسبة الى اليمن : يمنى و يمان بالتخفيف والألف عوض عن ياء النسب ، قال سيبويه : و بعضهم يقول يمانىّ بالتشديد . ومما جاء بالتشديد قول أمية بن خلف :

يمانيا يظل يشدّ كيرا * وينفخ دائما لهب الشواظ

(٢) فى أ ، م ، ء ، ط : « عمر » ولم نعثر على ما يرجح إحدى الروايتين .

كنت مع عَطاء بن أبى رَباح فجاءه رجل فأنشده قَوْلَ العَرْجِىّ :

* إنّى أُتيحَتْ لى يمـانيةٌ *

وذكر الأبيات وختمها بقوله :

فى الحجّ إن حجّتْ وماذا مِنًى * وأهــلُه إنْ هى لم تَحْجُجِ

قال فقــال عطاء : بمنًى والله وأهــلِه خَيْرٌ كثيرٌ إذ غيّبها الله وإيّاه عن مَشاعرِه .

قصة الأوقص المخزومىّ مع سكران يغنى

أخبرنى إسماعيل بن يونُس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى إسحاق قال :
وَلِىَ قضاءَ مكّة الأَوْقَصُ المخزومىُّ فما رأى الناس مثلَه فى عفافه ونُبْلِه ، فإنّه لنائم ليلةً فى جَناحٍ[1] له إذ مرّ به سكرانُ يتغنّى :

* عُوجِى علينا ربّةَ الهَوْدَجِ *

فأشرف عليه فقال : يا هــذا شرِبتَ حراما ! وأيقظتَ نِياما ! وغنّيتَ خطأ ! خُذْه عنّى ! فأصلَحه له وٱنصرف .

عطاء بن رباح والأبجر المغنى

أخبرنى إسماعيل بن يونُس قال حدّثنا عمر بن شَبّة قال حدّثنى إسحاق عن حمزة ٱبن عُتْبَةَ اللهبِىّ قال :

مرّ الأبجر بعَطاء وهو سكرانُ فعَذَله وقال : شهّرتَ نفسَك بالغناء وأطّرحْتَها وأنت ذو مُرُوءة ، فقال : ٱمرأته طالقٌ ثلاثا إنْ برِحْتَ أو أُغنّيَك صوتا ، فإن قلتَ لى : هو قبيحٌ تركتُه ، فقال له عَطاء : هاتِ ويحكَ ! فقد أضررتَ بى ، فغنّاه :

فى الحجّ إنْ حجّتْ وماذا مِنًى * وأهــلُه إنْ هى لم تَحْجُجِ

فقال له عَطاء : الخيرُ والله كلُّه هناكَ حجّتْ أو لم تَحُجّ ، فاذهب الآن راشــدا فقد برّتْ يمينُكَ .

---

(١) أى فى ناحية خاصة به من البيت .

ابن أبى عتيق والغريض

أخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مَهْرُوَيْه قال حدّثنى المُغيرة بن محمد قال حدّثنى هارون بنُ موسى الفَـرْوِىّ(١) قال حدّثنى بعضُ المَدَنيِّين قال :

١٣٣/٢

خرج ابن أبى عتيق على نَجِيبٍ له من المدينة قد أَوْقَرَه(٢) من طُرَف المدينة المَشارِبَ(٣) وغيرَ ذلك ، فَلَقِىَ فتًى من بنى مَخْزُوم مُقْبِلًا من بعض ضِياعِه ، فقال : يابن أخى ، أتَصْحَبُنِى؟ قال : نعم ؛ قال المَخْزُومِىّ : فمَضَيْنا حتى إذا قرُبْنا من مكّةَ جَنَبْنا عنها حتّى جُزْناها فصِرْنا إلى قصرٍ ، فاستأذن ابن أبى عتيق فأُذِن له ، فدخلنا فإذا رجل جالسٌ كأنّه عَجُوزٌ بَرْبَرِيّة مُخْتَضبة ، لا أشكّ فى ذلك ، وإذا هو الغَرِيض وقد كَبِر ، فقال له ابن أبى عتيق : تَشَوّقْنا إليك ، وأهدَى له ما كان معه ، ثم قال له : نُحِبّ أنْ نسمعَ ؛ قال : أُدْعُ فُلانة — جارية له — فجاءت فغنّت ، فقال : ما صنعتِ شيئًا ، ثم حلّ خِضابَه وغنّى :

* عُوجِى علينا رَبّةَ الهَوْدَجِ *

فما سمعتُ أحسنَ منه قطُّ ، فأقمنا عنده أيامًا كثيرة وخَبّازُه قائمٌ وطعامُه كثير . ثم قال له ابن أبى عتيق : إنى أريد الشُّخُوصَ ، فلم يَبْقَ بمكّةَ تُحْفَةُ عَدَنِىّ ولا يَمانٍ ولا عُودٌ إلّا أَوْقَر به راحلتَه . فلمّا ارتحلنا وبرَزْنا صاح به الغَرِيض : هيًا هيًا ، فرجعنا إليه ، فقال : ألم تَرْوُوا عن النبىّ صلّى الله عليه وسلّم أنه قال : "يُحْشَر من بَقِيعنا هذا سبعون ألفًا على صورة القمر ليلةَ البدر" ! فقال له ابن أبى عتيق : بلى ؛

(١) فى أغلب النسخ : «الصورى» . وفى ء ، ط : «الصروى» . وفى حـ : «القروى» بالقاف ، وكل ذلك محرف عن الفروىّ بالفاء وقد ورد كذلك فى المشتبه فى أسماء الرجال للذهبى ص ٤٠٥ طبع أوروبا . (٢) أوقره : حمله . (٣) المشارب : جمع مشربة (بالكسر) وهى إناء يشرب به .

فقال : هـذه سِنٌّ لى انتزعتْ فأُحبّ أن تدفِنَها بالبقيع ، فخرجْنا والله أخْسَرَ اثنين لم نَعتمِر ولم ندخُل مكّة، حاملِيْن سِنّ الغَرِيض حتّى دفنّاها بالبقيع .

غنى بعض أهـل المدينـة فطربوا لغنـائه

أخبرنى الحُسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن بعض أهل المدينة قال : خرج الغَرِيض مع قوم فغنّاهم هذا الصوتَ :

جَرَى ناصحٌ بالوُدّ بيـنى وبينَها * فقرّبَنى يومَ الحِصاب إلى قَتْلِى

فاشـتد سرورُ القوم، وكان معهم غلام أعجبه، فطلب إليهم أن يُكلّموا الغلامَ فى الخَلْوَة معه ساعةً ففعلوا، فانطلق مع الغلام حتّى تَوارَى بصَخْرة، فلما قضى حاجتَه أقبل الغلامُ الى القوم، وأقبل الغَرِيض يتناول حَجَرًا حَجَرًا يَقْرَع به الصخرةَ، ففعل ذلك مرارا، فقالوا له : ما هذا ياغريض؟ قال : كأنّى بهـا قد جاءت(١) يومَ القيامة رافعـةً ذَيْلها تَشْهد علينا بمـا كان منّا الى جانبها ، فأردتُ أن أُجَرّح شهادتَهـا علىَ ذلك اليوم .

نسـبة هـذا الصوت

صـوت

جَرَى ناصحٌ بالوُدّ بَيْنى وبينهـا * فقرّبنى يومَ الحِصَاب الى قَتْـلى
فقالتْ وأَرْخَتْ جانبَ السِّتر إنما * معى فتحدّثْ غيرَ ذى رِقْبَةٍ أهلى
فقلتُ لهـا ما بى لهم من تَرَقُّبٍ * ولكنّ سِرّى ليس يَحْمِلُهُ مِثْـلِى

عَرُوضه من الطويل . الشـعر لعُمَر بن أبى ربيعة . والغناء لابن سُرَيج رَمَلٌ بإطلاق الوَتَر فى مجرى البِنْصَر عن إسحاق فى الثلاثة الأبيات . وذكر يونس أن فيـه لحْناً لمـالك، وفيه للغَرِيض خفيفُ ثقيلٍ أوّل بالوسطى عن حَبَش والهشامىّ وعلىّ

(١) كذا فى ط . وفى سائر النسخ : « كأنى بها قد جاءت به يوم القيامة الخ » .

ابن يحيى وحمّاد بن إسحاق . ولمَعْبَد فيــه ثقيل أوّل بالبِنْصَر عن حبش . ولابن مُحْرِز ثانى ثقيل بالوُسْطى عنه .

كان عمر وجميل يتعارضان فى قول الشــعر

حدّثنى علىّ بن صالح بن الهَيْثَم[1] قال حدّثنى أبو هِفَّان عن إسحاق بن إبراهيم عن المُسَيَّبىّ والمدائنىّ وابن سلّام :

أنّ عمر بن أبى ربيعة كان يُعارض جَميلا، إذا قال هذا قصيدةً قال هذا مثلَها، فيقال : إنّ عمر فى الرائيّة والعينيّة أشعرُ من جَميل، وإنّ جَميلا أشعرُ منه فى اللاميّة.

وقال الزُّبير فيما أخبرنى به الحَرَمىّ بن أبى العلاء عنه : من الناس من يُفَضِّل قصيدة ١٣٤/٢
جَميــل اللاميّة على قصيدة عمر، وأنا لا أقول هذا، لأنّ قصيدة جميل مختلفــة غير مؤتلفة، فيها طوالعُ النَّجْد وخوالدُ المَهْد، وقصيدة عمر بن أبى ربيعة مَلْساء المتون، مُستوية الأبيات، آخذٌ بعضُها بأذناب[2] بعض، ولو أنّ جميلا خاطب فى قصيدته مخاطبة عمر لأُرْتِجَ[3] عليه وعَثَرَ كلامُهُ به .

أخبرنى الحَرَمىّ[4] قال حدّثنا الزُّبير قال حدّثنى محمد بن إسماعيل بن إبراهيم قال حدّثنى شيخ من أهلى عن أبى الحارث بن نابتة مَوْلى هشام بن الوليد المخزومىّ وهو الذى يقول له عمر بن أبى ربيعة :

يا أبا الحــارثِ قَلْبِى طائرٌ * فاستمِــعْ[5] قَوْلَ رشيدٍ مُؤْتَمَنْ

(١) كذا فى ط . وفى سائر النسخ : «عن» وهو تحريف، اذ هو على بن صالح بن الهيثم الملقب كيلجة ، وقد ورد ذكره فى الجزء الأول ص ١٢٠ من هذه الطبعة وكتبنا عنه كلمة فى الحاشية رقم ١ من هذه الصفحة المذكورة . (٢) فى ى : «بأذيال بعض» . (٣) فى ى ، ط : «لأرتج عليه وعثر بكلامه وعثر كلامه به» . (٤) كذا فى ط . وفى سائر النسخ : «جدّى» ولم نعهد فيما تقدم لنا فى رجال السند أن لأبى الفرج جدّا يروى عن الزبير بن بكار، وإنما الذى تكرر كثيرا أن الحرمىّ ابن أبى العلاء هو الذى يروى عنه . (٥) فى ط بعد ذكر البيت قوله : «الرواية فأتمر أمر رشيد» وهو الموافق لما فى ديوانه ولما تقدّم فى الجزء الأول من هذه الطبعة ص ١١٤ و ٢٠٣

قال : شَهِدتُ عمر بن أبى ربيعة وجميلا بالأبْطَح ، فأنشد جَمِيلٌ قصيدتَه التى يقول فيها :

لقد فَرِحَ الواشُونَ أنْ صَرَمَتْ حَبْلِى * بُثَيْنَــةُ أو أبْدَتْ لنا جانبَ البُخْلِ

ثم قال : ياأبا الخطّاب، هل قلتَ فى هذا الوزن شيئا؟ قال : نعم؛ فأنشدَه قولَه :

* جَرَى ناصحٌ بالوُدِّ بَيْنِى وبَيْنَها *

فقال جميلٌ : هيهاتَ يا أبا الخطّاب ، والله لا أقول مثلَ هذا سَجِيسَ(١) الليالى ؛ والله ما خاطبَ النساءَ مخاطبتَك أحدٌ! وقام مُشَمِّرًا .

أخبرنى الحَرَمِىّ بن أبى العلاء قال حدّثنا الزُّبَير بن بكّار قال :

رأيتُ علماءنا جميعا لا يشكُّون فى أنّ أحسن ما يُرْوَى فى تعظيم السرّ(٢) قولُ عمر:

* ولكنّ سِرِّى ليس يَحْمِله مِثْلِى *

قال الزبير: وحدّثنى محمد بن إسماعيل قال حدّثنى ابن أبى الزِّناد قال: إنما اجتمع عمر بن أبى ربيعة وجميل بالجِناب(٣) .

سمع الفرزدق شعر ابن أبى ربيعة فمدحه

أخبرنى محمد بن أحمد الطّلّاس قال أخبرنا أحمد بن الحارث الخَرّاز عن المدائنىّ :

أنّ الفرزدق سمع عمر بن أبى ربيعة يُنشد هذه القصيدة ، فلمّا بلغ الى قوله :

فقُمْنَ وقد أَفْهَمْنَ ذا اللبِّ أنما * فَعَلْنَ الذى يَفْعَلْنَ مِن ذاك مِن أَجْلِى

صاحَ الفرزدق وقال: هذا واللهِ الشعرُ الذى أرادتْه الشعراء فأخطأتْه وبَكَتِ الديارَ .

(١) يقال : لا أفعل ذلك سجيس الليالى أى لا أفعله أبدا . (٢) فى حـ وهامش ط : «فى حفظ السر» . وفى ى : «فى تعظيم حفظ السر» . (٣) الجناب : موضع بعراض خيبر وسلاح ووادى القرى، وقيل هو من منازل بنى مازن . وقال نصر : الجناب : من ديار بنى فزارة بين المدينة وفيد (انظر معجم ياقوت) .

نسبة ما فى قصيدة عمر وسائر هذه الأخبار من الأغانى سِوَى قصيدة جميل فإنّ لها أخبارًا تُذكَر مع أخباره

فمن ذلك قصيدة عمر التى أوّلها :

* جَرَى ناصحٌ بالوُدِّ بَيْنِى و بينها *

صوت

قِفِى البغلةَ الشهباءَ باللهِ سَلْمِى * عُزَيْزةَ[1] ذاتَ الدَّلِّ والخُلُقِ الجَزْلِ
فلمَّا تَواقَفْنا عَرَفْتُ الذى بها * كمِثْلِ الذى بِى حَذْوَكَ النَّعْلَ بالنَّعْلِ
فقُلْنَ لها هذا عِشاءٌ وأهلُنا * قريبٌ أَلَمَّا تَسْأَمِى مَرْكَبَ البَغْلِ

عَرُوضه من الطويل . الشعر لعمر بن أبى ربيعة . والغناء لمعبد فى الأوّل والثانى ثقيل أوّل بالوُسْطى عن عمرو بن بَانَةَ وعلىّ بن يحيى ، وقيل إنه لمالك . ولابن مُحْرِز فى الثانى والثالث خفيف ثقيل أوّل بالبِنْصَر عن الهِشَامىّ . ولابن سُرَيج فى الأوّل ثقيل والثانى خفيف آخر بالوُسْطَى[2] وهو الذى فيه استهلال . ولمالك فى الثانى والثالث ثانى ثقيل بالبِنْصَر . ولإبراهيم فيهما[3] خفيف ثقيل بالسبَّابة فى مَجْرَى الوُسْطى عن ابن المكّىّ .

ومنها :

١٣٥/٢

صوت

يا أبا الحارثِ قَلْبِى طائرٌ * فاستمِعْ[4] قولَ رشيدٍ مؤتَمَنْ
ليس حُبٌّ فوق ما أحببتُكم * غيرَ أن أقْتُلَ نفسى أو أُجَنّ
حَسَنُ الوجهِ نقىٌّ لونُهُ * طيبُ النَّشْرِ لذيذُ المحتضَنْ

(١) فى حـ ، ى ، ط : «غريرة» . (٢) كذا فى ب ، س . وفى حـ : «فى الأول والثانى خفيف ثقيل آخر بالوسطى» . وفى ى ، أ ، م : «فى الأول والثانى خفيف آخر بالوسطى» . (٣) فى ط : «فيها» . (٤) انظر الحاشية رقم ٥ ص ٣٧٠ من هذا الجزء .

عروضه من الرَّمَل[1] . الشعر لعمر بن أبى ربيعة . والغِناءُ لابن سُرَيج ثانى ثقيل بالوُسْطى عن عمرو، وقيل : إنه لابن عائشة، وذكر ابن المكّىّ أنه للغَريض فى الثانى والثالث، وفيهما رَمَلٌ يقال إنه لأهل مكة، ويقال : إنه لعبد الله بن يُونس صاحب أَيْلَة[2] . وفيه ثقيلٌ أوّلُ ذكر حَبَشٌ أنه لابن سُرَيج ، وذكر غيره[3] أنه لمحمد ابن السِّنْدِىّ المكّىّ، وأنه غنّاه بحضرة إسحاق فأخذه عنه .

أخبرنى إسماعيل بن يُونُس قال حدّثنا عُمَرُ بن شَبَّة قال حدّثنا أبو غَسّان محمد ابن يحيى قال :

كان ابن عائشة يُغَنِّى الهَزَج والخفيف، فقيل له : إنك لا تستطيع أن تُغَنِّىَ غناءً شجيًّا ثقيلا، فغنّى :

* ياأبا الحارث قلبى طائرٌ *

رجع الحديث إلى أخبار الغريض

قيل إنه كان يتلق غناءه عن الجن

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أيّوب بن عَبَايَةَ عن مَوْلًى لآل الغَريض قال :

حدّثنى بعض مَوْلَياتى وقد ذَكَرْنَ الغريض فترحّمْنَ عليه وقُلْن : جاءنا يوما يحدّثنا بحديث أنكرناه عليه ثم عَرَفنا بعد ذلك حقيقتَه، وكان من أحسن الناس وجها

(١) كذا فى ا ، م وهو الصواب . وفى سائر النسخ : «المديد» وهو خطأ .

(٢) أيلة بالفتح : مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلى الشام، وقيل : هى فى أوّل الحجاز وآخر الشام . وقال أبو المنذر، سميت بأيلة بنت مدين بن إبراهيم عليه السلام، وقد ورد هذا الاسم هكذا فى جميع النسخ هنا ، ولهذا نصحح ما ورد فى الجزء الأول طبع الدار ص ١٥٨ فقد ورد هناك « الأبلى » نقلا عن النسخة التيمورية التى انفردت بذكر هذا العلم على نحو ما أثبت هناك . (٣) كذا فى أغلب النسخ . وفى ط : «عمرو» .

صغيرا وكبيرا، وكنّا نَلْقَى من الناس عَنَتًا بسببه، وكان ابن سُرَيج فى جِوارنا فدفعناه إليه فَلَقِنَ الغناءَ، وكان من أحسن الناس صوتا ففتَن أهلَ مكةَ بحُسْن وجهه مع حُسْن صوته، فلمّا رأى ذلك ابنُ سُرَيج نحّاه عنه، وكانت بعضُ مَوْلَياته تُعلّمه النِّياحة فبَرَّز فيها، فجاءنى يوما فقال: نَهَتْنى الجنُّ أن أنُوحَ وأسمعتْنى صَوْتا عجيبا فقد ابتنيتُ عليه لحنا فاسمعيه منّى، واندفع فغنّى بصوت عجيب فى شعر المَرّار الأسدىّ[1]:

حَلَفْتُ لها بالله ما بَيْنَ ذى الغَضَا * وهضْبِ القَنَانِ[2] من عَوانٍ ولا بِكْرِ[3]
أحَبُّ إلينا منكِ دَلًّا وما نَرَى * به عنـد لَيْلَى من ثوابٍ ولا أجرِ

فكذّبناه وقلنا: شىء فكّر فيه وأخرجه على هذا اللحن[4]، فكان فى كل يوم يأتينا فيقول: سمعتُ البارحةَ صوتا من الجنّ بترجيع وتقطيع قد بَنَيْتُ عليه صوت كذا وكذا بشعر فلان، فلم يَزَل على ذلك ونحن نُنْكِر عليه؛ فإنّا لكذلك ليلةً وقد اجتمع

---

(١) هو المرار بن سعيد بن حبيب بن خالد بن فضلة بن الأشتر بن جحوان (بتقديم الجيم المفتوحة على الحاء المهملة الساكنة) بن فقعس بن طريف بن عمرو بن معين بن الحارث بن تغلب بن دودان بن أسد ابن خزيمة بن مدركة بن اليـاس بن نضر بن نزار . والمرار (بفتح الميم وتشديد الراء المهملة) ينسب تارة الى فقعس وهو أحد آبائه الأقربين وتارة الى أسد بن خزيمة بن مدركة وهو جدّه الأعلى، وله ترجمة فى الجزء التاسع من الأغانى طبع بولاق ص ١٥٨ وفى خزانة الأدب للبغدادىّ ج ٢ ص ١٩٦ ؛ والمرارون (كما فى القاموس وشرحه مادة مرر ستة) : المرار الكلبي، والمرار بن سعيد الفقعسى (وهو هذا) والمرار بن منقذ التميمى، والمرار بن سلامة العجلى، والمرار بن بشير الشيبانى، والمرار بن معاذ الحرشى وكلهم شعراء . ثم ذكر أسماء أخرى لمرارين آخرين كلهم شعراء . (٢) كذا فى حـ ، ى . والقنان : جبل لبنى أسد فيه ماء يدعى العسيلة . وفى باقى النسخ : «القيان» بالياء . ولم نجد هذا الاسم فى أسماء المواضع . (٣) كذا فى حـ هاهنا ، وهكذا أيضا وردت فى أ ، م فيما سيأتى عند إعادتها لبيان نسبة ما فيها من الغناء . وفى باقى الأصول : «ومن بكر» . (٤) فى حـ : «الحسن» . وفى أ ، م : «الجنس» .

جماعةٌ من نساء أهل مكة فى جَمْع لنا سَهِرْنَا[1] فيه ليلتَنا والغَرِيض يُغَنِّينا بشعر عمر ابن أبى ربيعة :

أَمِنْ آلِ زينبَ جدَّ البُكُورُ * نَعَمْ فلأَىٍّ هواها تَصِيرُ

إذ سَمِعْنا فى بعض الليل عَزِيفا عجيبا وأصواتا مختلفةً ذَعَرَتْنا وأَفْزَعَتْنَا، فقال لنا الغريض : إن فى هذه الأصوات صوتا إذا نِمْتُ سَمِعْتُه، وأُصبِح فأَبْنِى عليه غنائى؛ فأَصغينا إليه فإذا نَغَمَتُه نَغَمَةُ الغَرِيض بعينها فصدَّقْناه تلك الليلةَ .

نسبة ما فى هذا الخبر من الغناء

١٣٦
٢

صوت

حلفت لها ... ... البيتان[2]

عَرُوضه من الطويل . غنّاه الغريض ولحنُه من الثقيل الأوّل بالوسطى عن حَبَش . قال : ولعَلُّوَيْهِ فيه ثقيل أوّل آخر بالبِنْصَر .

ومنها :

صوت

أَمِنْ آلِ زَيْنَبَ جدَّ البُكُورُ * نَعَمْ فلأَىٍّ هواها تَصِيرُ
أبالغَوْرِ[3] أم أَنْجَدَتْ دارُهَا * وكانتْ حَدِيثا[3] بعهدى تَغُورُ
نَظَرتُ بخَيْفِ مِنًى نظرةً * إليها فكاد فؤادى يَطِيرُ
هى الشمسُ تَسْرِى بها بَغْلَةٌ[4] * وما خِلْتُ شمسًا بليلٍ تَسيرُ
ألم تَرَ أنك مستشرفٌ * وأنّ عدوّك حَوْلى حضورُ[5]

(١) فى هامش ط وفى نهاية الأرب (ج ٣ ص ٢٨٦) : «سمرنا» . (٢) كذا فى ب، س، ى، ط . وفى بقية الأصول : ذكر البيتين كاملين . (٣) فى ديوانه طبع ليبسج ص ١٩ : «أللغور ... ... قديما» . (٤) فى ديوانه : «على بغلة» . (٥) فى ديوانه : «مستشهد ... ... كثير» .

عَرُوضه من المتقارب . الشعر للنُّمَيْرِىّ، وقيل : إنه ليزيد بن معاوية . والغناء لسِيَاط خفيفُ ثقيــلٍ أوّل بالوُسْطى عن عمرو . ولابن سُرَيج فيه خفيفُ ثقيــلٍ بالوسطى، أوّله :

* هى الشمسُ تَسْرى بها بَغْلَةٌ *

وفيه للغَرِيض ثانى ثقيـل بالبِنْصر عن الهِشَامىّ وحمّاد، وذكر غيرهما أنه لابن جامع . وذكر حَبَشٌ أن فيها[(1)] لابن مُحرز ثقيلا أوّل بالبِنْصر .

أرسله ابن أبى ربيعة الى سكينة فغناها ونسوة معها بشعره

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّـاد عن أبيه قال قال أبو عبـد الله مُصْعَب الزُّبَيْرِىّ :

اجتمع نِسْوَةٌ فذكَرْنَ عمرَ بن أبى رَبيعةَ وشِعرَه وظَرْفَه وحُسْنَ مجلسه وحديثَه وتَشَوَّقْنَ إليــه وتمنَّينه، فقالت سُكَيْنة : أنا لَكُنّ به، فَبَعَثَتْ إليــه رسولًا ووعدته الصَّوْرَيْن[(2)] لليلةٍ سمّتها، فوافاها على رواحله ومعه الغَرِيض، فحدّثهنّ حتى وافى الفجرُ وحان انصرافُهنّ، فقال لهنّ : إنى والله لمشتاقٌ الى زيارة قبر النبىّ صلى الله عليه وسلم والصلاةِ فى مسجده، ولكن لا أَخْلِطُ بزيارتكنّ شيئا[(3)]، ثم انصرف الى مكة وقال :

أَلِمْ بزينبَ إنّ البَيْنَ قد أَفِـدَا[(4)] * قلَّ الثَّوَاءُ لئِنْ كان الرحيلُ غَدَا

قال : وانصرَف عمر بالغَرِيض معــه، فلما كان بمكة قال عمر : يا غَرِيض، إنى أريد أن أخبرك بشىء يتعجّل لك نفعُهُ ويبقى لك ذكْرُه، فهل لك فيه؟ قال : افعلْ من ذلك ما شئتَ وما أنت أهلُه ؛ قال : إنى قد قلتُ فى هــذه الليلة التى كنّا فيها شعرا فامضِ به الى النِّسْوَة فأَنْشِدْهُنَّ ذلك وأخبِرْهُنَّ أنى وَجَّهتُ بك فيــه قاصدا[(5)]،

(1) كذا فى أغلب الأصول . وفى ط : «فيهما» أى البيتين اللذين أوّلها «هى الشمس...» .

(2) الصوران : موضع بالمدينة بالبقيع . (3) كذا فى أغلب الأصول . وفى ط : «زيارتكن بشىء» . (4) أفد كفرح : دنا وحضر . (5) فى ط : «عامدا» .

قال : نعم . فحمل الغريضُ الشعرَ ورجع الى المدينة فقصد سُكَينة وقال لها : جُعلتُ فداكِ يا سيّدتى ومولاتى ، إن أبا الخطّاب — أبقاه الله — وجّهنى إليك قاصدا ، قالت : أوَ ليس فى خيرٍ وسرور تركتَه؟ قال : نعم ، قالت : وفيمَ وجّهك أبو الخطّاب حفظه الله؟ قال : جُعلت فداك ، إن ابن أبى ربيعة حمّلنى شعرا وأمرنى أن أُنشدكِ إياه ، قالت : فهاته ، قال فأنشدها :

أَلِمْ بزينبَ إن البَيْنَ قـد أَفِدَا * قَلَّ الثَّواءُ لئن كان الرحيلُ غَدَا

الشعرَ كلّه ، قالت : فياوَيْحَه ! فما كان عليه ألّا يرحَل فى غده ! فوجّهتْ الى النّسوة فجمعتْهنّ وأنشدَتْهنّ الشعرَ ، وقالت للغريض : هل عَملتَ فيــه شيئا ؟ قال : قد
١٣٧ غنّيتُهُ ابنَ أبى ربيعة ، قالت : فهاته ، فغنّاه الغريض ، فقالت سُكَينة : أحسنتَ
٢ والله وأحسنَ ابنُ أبى رَبيعةَ ، لولا أنّك سَبَقْتَ فغنّيته عُمَرَ قبلنا لأَحْسَنّا جائزتَكَ ،
يابُنَانةُ ، أعطيه بكلّ بيت ألفَ درهم ، فأخرجتْ اليه بُنانةُ أربعةَ آلاف درهم فدفعتْها إليه ، وقالت سُكَينة : لو زادَنا عُمَرُ لزِدْناك .

نسبة هــذا الغنـاء

صـــوت

أَلِمْ بزينبَ إنّ البَيْنَ قد أَفِدَا * قَلَّ الثَّواءُ لئنْ كان الرَّحيـلُ غَدَا
قد حَلَفَتْ ليلةَ الصَّوْرَيْنِ جاهدةً * وما على الحُـرِّ[1] إلا الصَّـبْرُ مُجْتَهِدَا
لأختها ولأخرى من مَناصِـفِها[2] * لقد وَجَدتُ به فوقَ الذى وَجَدَا
لَعَمْرُها ما أرانى إن نَوًى[3] نَزَحتْ * وهكذا الحبُّ إلا ميّتًا كَمَـدَا

(١) فى الجزء الأوّل من هذه الطبعة ص ١٠٥ : « وما على المرء إلا الحلف ... » .

(٢) المناصف : جمع منصف (كمنبر ومقعد) وهو الخادم ، والأنثى بالهاء . (٣) النوى هنا : الدار وهى مؤنثة . ونزحت : بعدت .

عَروضــه من البسيط . الشعر لعمر بن أبي رَبيعة . والغناء لابن سُرَيج ، وله فيه لحنان : أحدهما رَمَلٌ بالسبّابة فى مَجْرَى البِنْصَر عن إسحاق ، والآخر خفيفُ رَمَلٍ بالوُسْطَى عن عمرو . وفيــه لحنٌ للغَرِيض خفيفُ ثقيلٍ بالبِنْصَر عن الهشامىّ وحمّاد، وذكر عمرو: أنّه لمالك، أوّله الرابع ثم الأوّل، ومن الناس مَنْ يَنْسُب هذا الى مَعْبَد؛ وأوّله :

* يا أمّ طَلْحَة إن البَيْنَ قد أَفِدَا *

وذلك خطأ، اللحنُ الذى عَمِله مَعْبَد غير هذا وهو :

صـــوت

يا أمّ طلحةَ إنّ البَيْنَ قد أَفِدَا * قَلَّ الثَّوَاءُ لئن كان الرحيلُ غَدَا
أَمْسَى العِرَاقِىّ لا يدرِى إذا بَرَزَتْ * مَنْ ذا تَطَوَّفَ بالأركان أو سَجَدَا

عَرُوضه من البسيط . الشعر للأَحْوَص، ويقال : إنه لعمر أيضا . والغِناء لَمَعْبَد، ولحنه من الثقيل الأوّل بالبنصر عن عمرو والهشامىّ .

غنى عائشة بنت طلحة فأجزلت صلته

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن محمد بن سلّام قال :

حجّت عائشة بنت طَلْحَة بن عُبَيْد الله فجاءتها الثُّرَيّا وأخواتُها ونساءُ أهل مكّة القُرَشيّات وغيرُهنّ ، وكان الغَرِيض فيمن جاء، فدخل النِّسوةُ عليها فأمَرت لهنّ بكُسْوة وألطاف(1) كانت قد أعدّتها لَمْن يجيئها، فجعلتْ تخْرج كلّ واحدة ومعها جاريتُها ومعها ما أمَرتْ لها به عائشة والغريضُ بالباب حتى خرج مَوْلَيَاته مع جواريهنّ الخِلَعَ والألطافُ ؛ فقال الغريض : فأين نصيبي من عائشة ؟ فقلن له : أغفلناك

(1) الألطاف : جمع لطف (بالتحريك) وهو من طرف التحف ما ألطفت به أخاك ليعرف به برك .

وذهبتَ عن قلوبنا ؛ فقال : ما أنا ببارح من بابها أو آخُذَ بحظّي منها فإنها كريمةٌ بنت كِرام، وآندفع يغنّي بشعر جَميل :

تذكّرتُ ليلَى فالفؤاد عَميد * وشَطّتْ نواها فالمَزارُ بعيد

فقالت : ويلَكم ! هذا مَوْلى العَبَلات بالباب يُذكِّر بنفسه هاتوه ، فدخل ، فلما رأته ضحِكت وقالت: لم أعلم بمكانك، ثم دَعَتْ له بأشياء أَمَرت له بها، ثم قالت له : إن أنت غنّيتَني صوتا في نفسي فلك كذا وكذا (شيءٌ سمّته[1] له ذهب عن آبن سلّام) قال : فغنّاها في شعر كُثَيِّر :

وما زِلتُ من ليلى لَدُن طَرّ شاربي[2] * الى اليوم أُخْفِي حبَّها وأُداجِنُ

١٣٨/٢ وأَحمِل في ليلى لقومٍ ضَغِينةً * وتُحمَل في لَيلَى عَلَيّ الضغائنُ

فقالت له : ما عَدَوْتَ ما في نفسي ، ووصَلَتْه فأجزلت . قال إسحاق : فقلتُ لأبي عبد الله : وهل علِمتَ حديثَ هذين البيتين ؟ ولِمَ سألتَ الغريضَ ذلك ؟ قال :

الشعبي عند مصعب ابن الزبير وزوجه عائشة

نعم . حدّثني أبي قال قال الشَّعْبيّ : دخلتُ المسجد فإذا أنا بمُصْعَب بن الزُّبَيْر على سَرِير جالسٌ والناسُ عنده، فسلّمتُ ثم ذهبتُ لأنصرف، فقال لي : ادْنُ، فدنوتُ حتى وضعتُ يدي على مَرافقه[3] ، ثم قال : إذا قمتُ فاتّبعني، فجلس قليلا ثم نهض فتوجّه نحو دار موسى بن طَلْحة فتبعتُه، فلما طَعَن في الدار التفتَ إليّ فقال : ادخلْ، فدخلتُ معه ومضى نحو حُجْرته وتبِعتُه، فالتفتَ إليّ فقال : ادخل، فدخلتُ معه،

---

(١) في أ ، م ، ء ، ط : « لشيء » . (٢) طرّ شارب الغلام من باب نصر فهو طارّ : طلع ونبت . (٣) جمع مرفق أو مرفقة وهي المخدة .

فاذا حَجَلة(١)، وإنها لأوّل حَجَلة رأيتُها لأمير(٢)، فقمتُ ودخَل الحجلة فسمِعتُ حركة، فكرهت الجلوس ولم يأمرنى بالانصراف، فإذا جارية قد خرجتْ فقالت : يا شَعْبىّ، إنّ الأمير يأمرك أن تجلس، فجلستُ على وِسَادة ورُفِع سَجْف الحَجَلة، فإذا أنا بمُصعَب ابن الزُّبيْر، ورُفع السجف الآخر فإذا أنا بعائشة بنت طلحة، قال : فلم أر زوجا قطُّ كان أجمَلَ منهما : مصعب وعائشة، فقال مصعب : يا شَعبىّ، هل تعرف هذه؟ فقلت : نعم أصلح الله الأمير، قال : ومَنْ هى؟ قلت : سيدةُ نساء المسلمين عائشةُ بنت طلحة، قال : لا، ولكن هذه ليلى التى يقول فيها الشاعر

* وما زِلتُ من ليلى لَدُنْ طَرّ شاربى *

وذكر البيتين . ثم قال : إذا شئتَ فقُمْ، فقمتُ . فلما كان العَشِىُّ رُحْتُ وإذا هو جالس على سريره فى المسجد فسلّمتُ، فلما رآنى قال لى : ادْنُ، فدنوتُ حتى وضعتُ يدى على مَرافقه، فأصغى(٣) إلىّ فقال : هل رأيت مثل ذلك لإنسانٍ(٤) قطّ؟ قلت : لا والله، قال : أفتدرى لِمَ أدخلناك؟ قلتُ : لا، قال : لِتُحدِّثَ بما رأيتَ . ثم التفت إلى عبد الله بن أبى فَرْوة فقال : أَعطِه عشرةَ آلاف درهم وثلاثين ثوبا، فما انصرف يومئذ أحدٌ بمثل ما انصرفتُ به، بعشرة آلاف درهم وبمثل كارة(٥) القَصّار ثيابا وبنظرةٍ من عائشة بنت طلحة .

عائشة بنت طلحة وأزواجها

قال : وكانت عائشة عند عبد الله بن عبد الرحمن ابن أبى بكر وكان أبا عُذْرتها(٦) ثم هَلك، فتزوّجها مصعب فقُتل عنها، ثم تزوّجها عمر بن

---

(١) الحجلة (بالتحريك) : مثل القبة، وحجلة العروس : بيت يزين بالثياب والأسرة والستور .
(٢) ولاه أخوه عبد الله العراقين فتولاهما حتى سار اليه عبد الملك بن مروان ووجه أخاه محمد بن مروان على مقدّمته فلقيه مصعب فقاتله حتى قتل . (٣) أصغى : أمال رأسه . (٤) فى ط : «ذلك الانسان» . (٥) الكارة من الثياب : ما يجمع ويشدّ، وكارة القصار سميت بذلك لأنه يكور ثيابه فى ثوب واحد ويحملها فيكون بعضها فوق بعض . (٦) العذرة (بالضم) : البكارة، يريد أنه أوّل من تزوّجها .

عبيدالله بن مَعْمَر فَبَنَى بها بالحِيرة، ومُهِّدتْ له يوم عُرْسه فُرُش لم يُرَ مثلُها: سَبْعُ أذرع فى عَرْض أربع، فانصرف تلك الليلة عن سبع مَرّات؛ فلَقِيَتْه مَوْلاة لها حين أصبح فقالت: يا أبا حَفْص، كَمُلْتَ فى كل شىء حتى فى هذا. فلما مات ناحت عليه وهى قائمةٌ، ولم تَنُح على أحد منهم قائمةً — وكانت العربُ إذا ناحتْ المرأةُ قائمةً على زوجها عُلِم أنها لا تريد أن تتزوّج بعدَه — فقيل لها: يا عائشةُ، ما صنعتِ هذا بأحد من أزواجك! قالت: إنّه كان فيه خِلال(١) ثلاث لم تكن فى أحد منهم: كان سيِّد بنى تَيْم، وكان أقربَ القوم بى قَرابة، وأردتُ ألّا أتزوّج بعده!!.

وأخبرنى بخبر مُصْعَب والشَّعبىّ وعائشة أحمدُ بن عُبَيْد الله بن عمّار قال حدّثنا سليمان بن أبى شَيْخ قال أخبرنا محمد بن الحَكَم عن عَوانَة قال:

خرج مصعب بن الزُّبَيْر من دار الإمارة يريد دارَ موسى بن طَلْحة، فمرّ بالمسجد فأخذ بيد الشّعبىّ. ثم ذكر باقىَ الحديث مثلَه، ولم يذكر شيئا من حديث المُغَنِّين. قال آبن عمّار: وأخبرنى به داود بن جَمِيل بن(٢) محمد بن جَمِيل الكاتب عن آبن الأعرابىّ: ١٣٩/٢

قال آبن عمّار وأخبرنى به أحمد بن الحارث الخراز عن المدائنىّ أن الشّعبىّ قال:

دخلتُ المسجد وفيه مُصعَب بن الزبير فاستدْنَانِى فدَنَوت حتى وضعت يدى على مرافقه(٣)، فأصغى إلىّ وقال: إذا قمتُ فاتّبعنى. ثم ذكر باقىَ الحديث أيضا مثل الذى تقدّمه.

(١) فى حـ: «خصال». (٢) كذا فى جميع الأصول. ويترجح لدينا أن كلمة «بن» هاهنا محرفة عن كلمة «عن» وقد ورد الاسمان فى كتب الأنساب والتاريخ متفرقين من غير هذه الاضافة مما جعلنا نرجح أن كليهما من رجال الرواية، وقد ورد «داود بن جميل» فى تهذيب التهذيب وضبطه فى الهامش بفتح الجيم وكسر الميم نقلا عن المغنى المطبوع بهامش تقريب التهذيب وبهذا الضبط أيضا ورد فى ط فى الموضعين هنا. وورد ذكر «محمد بن جميل الكاتب» فى الطبرى قسم ثالث ص ٤٣٣ وضبطه بالقلم بضم الجيم وفتح الميم. (٣) كذا فى أ، م وهو الموافق لما تقدم. وفى: ط، ى: «على مرفقه» وفى باقى النسخ: «مرفقيه».

نسبة هذا الصوت

صوت

وما زلتُ من ليلَى لَدُن طَرّ شاربى (١) * إلى اليوم أُخفى حُبّها وأُداجِنُ
وأحمل فى ليلَى ضغائنَ مَعْشَرٍ (٢) * وتُحْمَل فى ليلَى علَىّ الضغائنُ

عروضه من الطويل . الشعر لكُثَيِّر بن عبد الرحمن . والغِناء لمَعْبَد ثقيل أول بالبِنْصر عن حَبَش . وفيه لحَنْ للغَريض .

كان الغريض اذا غنى بشعر لكثير قال أنا سريجى

أخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال :

كان الغَريض إذا غَنّى بيتين لكثيّر قال : أنا السُّرَيْجِىّ حقّا ، ولم يكن يقول ذلك فى شىء من غِنائه وكان من جيّد غنائه . وقَدِمَ يزيدُ بن عبد الملك مكّة فبعث إلى الغريض سِرّا فأتاه فغنّاه بهذا اللحن [وهو فيهما] (٣) :

قدم يزيد بن عبد الملك مكة فغناه الغريض

وإنّى لأَرْعَى قومَها من جَلالها * وإن أظهروا غِشّا نصَحت لهم جَهْدى
ولو حاربوا قومِى لكنتُ لقومها * صديقا ولم أَحمِلْ على قومها حِقْدى

فأشير إلى الغريض أن اسْكُتْ ، وفطِن يزيد فقال : دعوا أبا يزيد حتى يغنّينى بما يُريد ، فأعاد عليه الصوتَ مرارا ، ثمّ قال : زِدْنى ممّا عندك فغنّاه بشعر عمرو بن شَأْس الأَسَدِى (٤) :

فوَاندَمِى على الشباب ووَاندَمْ * ندِمتُ وبان اليومَ منّى بغير ذَمّ
أرادتْ عِرَارا (٥) بالهَوان ومن يُرِدْ * عِرارا لعَمْرِى بالهوان فقد ظَلَمْ

---

(١) فى حـ : « وما زلت فى ليلى » . (٢) فى ط : «وأحمل فى ليلى لقوم ضغينة» .
(٣) الزيادة عن أ ، م ، ى ، ط . (٤) ستأتى ترجمته فى هذا الكتاب فى ج ١٠ ص ٦٣ طبع بولاق ، وله ترجمة فى الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٢٥٤ (٥) هو عرار بن عمرو بن شأس وضبط بالقلم فى اللسان مادة «عرر» بفتح العين . وضبط فى ديوان الحماسة شرح التبريزى طبع أوروبا ص ١٣٩ و ١٤٠ والشعر والشعراء ص ٢٥٤ بالقلم أيضا بكسر العين . ولم نعثر على نص خاص فى ضبط هذا الاسم .

قال : فطَرِب يزيد وأمر له بجائزة سنيّة . قال إسحاق : فحدّثت أبا عبـد الله هـذا الحديثَ، وقد أخذنا فى أحاديث الخلفاء ومن كان منهم يسمع الغناء أيضا ، فقـال أبو عبـد الله : كان قدوم يزيد مكّة وبِعْثَتُه إلى الغريض سِرًّا قبل أن يُسْتَخلَف؛ فقلت له : فَلِمَ أُشير إلى الغريض أن يسكتَ حين غنّاه بشعر كثيّر :

* وإنى لأَرْعَى قومَها من جَلالها *

وما السّببُ فى ذلك ؟ فقال أبو عبد الله : أنا أُحدِّثُكه :

غضب عاتكة على زوجها عبد الملك ابن مروان واحتيال عمر بن بلال على الصلح بينهما

حدّثنى أبى قال: كان عبد الملك بن مروان من أشدّ الناس حُبًّا لعاتكة آمرأته، وهى آبنة يزيد بن معاوية وأُمّها أمّ كُلْثوم بنت عبد الله بن عامر بن كُرَيْز، وهى أمّ يزيد ابن عبد الملك، فغَضِبتْ مرّة على عبد الملك، وكان بينهما باب فحَجَبته وأغلقتْ ذلك الباب، فشقّ غضبُها على عبد الملك وشكا إلى رجل من خاصّته يقال له: عمر بن بِلال الأسدىّ، فقال له: ما لى عندك إن رَضِيَتْ؟ قال : حُكْمُك . فأتى عمرُ بابها وجعل يَتَبا كى ، وأرسـل إليها بالسلام ، فخرجتْ اليه حاضنتها ومواليها وجَواريها فقُلْن : مالك؟ قال : فَزِعتُ إلى عاتكة ورجوتُها، فقد علمتْ مكانى من أمير المؤمنين معاويةَ ومن أبيها بعدَه، قلن : ومالك؟ قال : ابناى لم يكن لى غيرُهما فقَتل أحدُهما صاحبَه، فقال أمير المؤمنين : أنا قاتلٌ الآخر به، فقلتُ : أنا الولىّ وقـد عفوتُ؛ قال: لا أُعوِّد الناسَ هذه العادةَ، فرجوتُ أن يُنْجِىَ(١) اللهُ آبنى هذا على يدها؛ فدخَلْنَ عليها فذكَرْنَ ذلك لها؛ فقالت : وكيف أصنع مع(٢) غضبى عليه وما أظهرتُ له ؟ قُلْن

١٦٠ ٢ إذًا والله يُقتَل، فلم يزَلْن حتى دعتْ بثيابها فأجْمَرتْها(٣) ثم خرجت نحوَ البـاب، فأقبل

---

(١) فى حـ : «أن ليحيى» . (٢) كذا فى أ ، م ، حـ . وفى باقى النسخ : «من» . (٣) أجمرتها : بخرتها .

حُدَيج الخَصِىّ[(١)] قال يا أمير المؤمنين: هذه عاتكة قد أقبلتْ، قال: ويلك! ما تقول؟ قال: قد والله طلعتْ! فأقبلتْ وسلّمت فلم يردّ[(٢)] [عليها]، فقالت: أما والله لولا عمر ما جئتُ، إنّ أحد ٱبنيْه تعدّى على الآخر فقتله فأردتَ قتْلَ الآخر وهو الولىّ وقد عفا؛ قال: إنى أكره أن أُعوّد الناسَ هذه العادة؛ قالت: أَنْشُدُك الله يا أمير المؤمنين، فقد عرَفتَ مكانه من أمير المؤمنين معاوية ومن أمير المؤمنين يَزيد[(٣)]، وهو ببابى؛ فلم تزل به حتى أخذتْ بِرجله فقبّلتها؛ فقال: هو لك، ولم يبرحا حتى ٱصطلحا؛ ثم راح عمر ابن بلال إلى عبد الملك فقال: يا أمير المؤمنين، كيف رأيتَ؟ قال: رأينا أثَرَك، فهاتِ حاجتَك؛ قال: مَزْرَعة بعُدّتها وما فيها، وألف دينار وفرائض لولدى وأهل بيتى وعيالى؛ قال: ذلك لك. ثم ٱندفع عبد الملك يتمثّل بشعر كثيّر:

* وإنى لأرعى قومها من جَلالها *

البيتين؛ فعلمتْ عاتكة ما أراد. فلما غُنّى يزيد بهذا الشعر كَرِهتْه مواليه إذ كان عبد الملك تمثّل به فى أمّه، ولم يكرَهْه يزيدُ وقال: لو قيل هذا الشعر فيها ثم غُنّى به لمـا كان عَيْبا، فكيف وإنمـا هو مَثَلٌ تمثّـل به أميرُ المؤمنين فى أجمل العالَمين!

حمل عرار بن عمرو بن شأس رأس ابن الأشعث الى عبد الملك وإعجاب عبد الملك ببيانه

قال أبو عبد الله: وأمّا خبره لمـا غَنّى بشعر عمرو بن شَأس فإن ٱبن الأشعث لما قُتِل بعث الحجاج إلى عبد الملك برأسه مع عرار بن عمرو بن شَأس، فلما ورد به وأوصَل كتابَ الحجّاج جعل عبد الملك يقرؤه، فكلما شكّ فى شىء سأل عرارا عنه فأخبره، فعجب عبدُ الملك من بَيانه وفصاحته مع سَواده، فقال متمثّلا:

وإنّ عرارا إن يكن غيرَ واضحٍ * فإنّى أُحبّ الجَوْنَ ذا المَنْكِب العَمَمْ[(٤)]

(١) كذا فى أغلب النسخ. وفى أ، م: «خديج» بالخاء والياء والجيم. (٢) الزيادة عن أ، م. (٣) فى ط: «فقد عرفت مكانه كان من أمير المؤمنين» وكتب فوق كان كلمة صح. (٤) يقال: رجل عمم، أى خير يعم بخيره وعقله. وقال فى اللسان مادة «عمم»: «ومنكب عمم: طويل» ثم ساق بيت عمرو بن شأس وهو: «فان عرارا ... الخ».

فضحك عرّار من قوله ضحكا غاظ عبد الملك، فقال له : مِمّ ضَحِكت ويلك[1] ! قال : أتعرف عرارا يا أمير المؤمنين الذى قيل فيه هذا الشعر؟ قال : لا، قال : فأنا والله هو، فضحك عبدُ الملك وقال : حظٌّ وافق كلمة، ثم أحسنَ جائزتَه وسرّحه .

قال أبو عبد الله : وإنما أراد الغريض أن يغنّىَ يزيدَ بمُتَمثَّلات عبد الملك فى الأمور العِظام، فلما تبيّن كَرَاهةَ مواليه غناءَه فيما تمثّل به فى عاتكة أراد أن يُعقبه ما تَمَثَّل به فى فتح عظيم كان لعبد الملك، فغنّاه بشعر عمرو بن شأس فى عرار .

نِسبة ما فى هذا الخبر من الغناء

صوت

وإنّى لأرعَى قومَها من جَلالها * وإن أظهروا غِشًّا نَصحتُ لهم جُهدى
ولو حاربوا قومى لكنتُ لِقومها * صديقا ولم أَحمِل على قومها حِقدى

عروضُه من الطويل . الشعر لكُثيِّر . والغناء للغريض ثانى ثقيل بالسبابة فى مجرى البِنْصر عن إسحاق . وذكر حَبَش أن فيه لقفا النّجار[2] ثانىَ ثقيلٍ بالوسطى، وفيه لعَلُّويَه ثقيل أوّل .

خرج إليه معبد بمكة وسمع غناءه

وأخبرنى الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال حدّثنى إبراهيم عن يُونس الكاتب قال حدّثنى مَعْبَد قال :

خرجت إلى مكة فى طلب لقاء الغريض وقد بلغنى حسنُ غنائه فى لحنه :

١٤١/٢ وما أَنْسَ مِ الأشياءِ لا أَنْسَ شادِنًا * بمكّة مَكْحولا أَسِيلا مَدامعُهْ

(١) فى ط : « ويحك » .
(٢) انظر حاشية ٤ من صفحة ١٠٧ من الجزء الأوّل من هذه الطبعة .

وقد كان بلغنى أنه أوّل لحن صنعه وأن الجنّ نهته أن يغنّيه لأنه فتن طائفة منهم، فانتقلوا عن مكّة من أجل حُسْنه، فلما قدمتُ مكّة سألت عنه فدُللتُ على منزله، فأتيتُه فقرعتُ البابَ فما كلّمنى أحد، فسألتُ بعضَ الجيران فقلت : هل فى الدار أحَدٌ؟ قالوا لى : نعمْ، فيها الغريض، فقلت : إنّى قد أكثرتُ دقّ الباب، فما أجابنى أحَدٌ[1]! قالوا : إن الغريض هناك ، فرجعتُ فدققتُ الباب فلم يُجِبنى أحد ، فقلت : إن نفعنى غِنائى يوما نفعنى اليومَ ، فاندفعتُ فغنّيت لحنى فى شعر جَميل :

عَلِقتُ الهوَى منها وَلِيدًا فلم يزل * إلى اليوم يَنْمِى حبّها ويزيدُ

فوالله ما سمِعتُ حركةَ الباب ، فقلت : بطَل سِحْرى[2] وضاع سَفَرى وجِئتُ أطلبُ ما هو عسيرٌ علىّ، واحتقرتُ نفسى وقلت : لم يتوهّمنى[3] لضَعْف غِنائى عنده، فما شعَرتُ إلا بصائح يصيح : يا مَعْبد المغنّى ، اِفهَم وتَلَقّ عنى شعرَ جميل الذى تُغنّى فيه يا شقىّ البخت، وغنّى :

صوت

للغريض ولم تُذْكر طريقتُه

وما أَنْس مِ الأشياءِ لا أَنْس قولَها * وقد قَرّبتْ نِضْوى[4] أَمِصرَ تريد
ولا قولَها لولا العيونُ التى تَرَى * أَتيتُــك فاعذِرنى فدَتْك جُدودُ
خَليلىّ ما أُخفى من الوجد باطِن[5] * ودمعى بمـا قلتُ الغــداةَ شَهيدُ

(١) كذا فى أ ، م . وفى سائر النسخ : «فقال» . (٢) بطل سحرى : ضاعت حيلتى وخاب مكرى . (٣) أى لم يتبينى ولم يعرفنى . (٤) النضو : المهزول من الإبل وغيرها . (٥) رواية الأمالى (ج ٢ ص ٢٩٩ طبعة دار الكتب) «ظاهر» .

يقولون جَاهِد يا جميـــلُ بغزوة * وأىّ جِهـادٍ غيرهن أُرِيدُ
لكلّ حديثٍ عنـــدهنّ بشاشةٌ(١) * وكلّ قتيـــلٍ بينهنّ شَهيدُ

عروضـه من الطويل . قال : فلقد سمِعتُ شيئا لم أسمع أحسنَ منه ، وقَصر(٢) إلىّ نفسى وعلمتُ فضيلته علىّ بما أحسّ من نفسه ، وقلت : إنه لَحَرِىّ بالاستتار من الناس تنزيها لنفسه وتعظيما لقدْره ، وإنّ مثلَه لا يستحقّ الابتذال ، ولا أن تتداوله الرجال ، فأردتُ الانصراف إلى المدينة راجعا ، فلما كنتُ غيرَ بعيد إذا بصائح يَصيح بى : يامعبد ، انتظر(٣) أكلّمك ، فرجَعتُ ، فقال لى : إن الغريض يدعوك ؛ فأسرعتُ فَرِحا فدنوتُ من الباب ؛ فقال لى : أتُحبّ الدخول؟ فقلتُ : وهـل إلى ذلك من سبيل؟ فقرع الباب فَفُتِحَ ، فقال لى : ادخل ولا تُطِل الجلوس ؛ فدخلتُ فإذا شمس طالعةٌ فى بيت ، فسلّمتُ فَرَدّ السلامَ ، ثم قال : اجلس فجلست ، فإذا أنبلُ الناس وأحسنُهم وجها وخَلْقًا وخُلُقًا ، فقال : يامَعْبد ، كيف طرأتَ(٤) إلى مكّة ؟ فقلت : جُعِلتُ فداءك ! وكيف عرفتَنى؟ فقال : بصوتك ؛ فقلتُ : وكيف وأنت لم تسمعه قط ! قال : لمّـا غنّيتَ عرفتُك به وقلت : إن كان مَعْبَدٌ فى الدنيا فهذا ؛ فقلت : جُعلت فداءك ، فكيف أجبتَنى بقولك :

وما أنسَ مِ الأشياء لا أنس قولَها * وقد قرّبتْ نِضْـــوِى أمصرَ تريدُ

فقال : قد علمتُ أنك تريد أن أُسمِعَك صوتى :

وما أنسَ مِ الأشياء لا أنس شادنًا * بمكّة مكحولًا أسِـــيلًا مدامعُـهْ

ولم يكن إلى ذلك سبيلٌ لأنّه صوتٌ قد نُهيتُ أن أغنّيه فغنّيتُك هـذا الصوتَ
١٤٢ / ٢ جوابا لمـا سألتَ وغنّيتَ ؛ فقلت : والله ما عدَوتَ ما أردتُ ، فهـل لك حاجةٌ؟

---

(١) فى أ ، م ، ء : «بينهن» . (٢) أى صغرها فى عينى . (٣) كذا فى حـ . وفى سائر النسخ : «انظر» وهى بمعناها . (٤) أى كيف أقبلت بغتة إلى مكة .

فقال لى : يا أبا عَبّاد، لولا مَلالةُ الحديثِ وثِقلُ إطالة الجلوس لاستكثرتُ منك، فاعْذِرْ؛ فخرجتُ من عنده، وإنّه لأجلّ الناس عندى، ورجعتُ إلى المدينة فتحدّثتُ بحديثه وعجِبتُ من فِطنْته وقِيافَته، فما رأيت إنسانا إلّا وهو أجلّ منه فى عينى. وذكرتُ جَميلًا وبُثَيْنة فقلتُ : ليتنى عرفت إنسانا يُحدّثنى بقصّة جميل وخبر الشعر فأكونَ قد أخذتُ بفضيلة الأمر كلّه فى الغِنَاء والشعر. فسألتُ عن ذلك فإذا الحديثُ مشهورٌ، وقيل لى : إن أردتَ أن تُخَبَّر بمشاهدته فأتِ بنى حَنْظَلة، فإن فيهم شيخًا منهم يقال له فلان يُخَبِّرُكَ الخبرَ؛ فأتيت الشيخَ فسألته فقال : نعم، بينَا أنا فى إبلى فى الربيع إذا أنا برجل مُنْطَوٍ على رَحْله كأنّه جانٌّ فسلّم علىّ ثم قال: ممن أنت يا عبدَ الله ؟ فقلت : أحدُ بنى حَنْظَلة؛ قال : فانتسِبْ(٢)؛ فانتسبتُ حتى بلغتُ إلى فَخِذى الذى أنا منه؛ ثم سألنى عن بنى عُذْرة أين نزلوا؛ فقلت له : هل ترى ذلك السَّفْح ؟ فإنهم نزلوا من ورائه؛ قال : يا أخا بنى حَنْظَلة، هل لك فى خير تصطنعه إلىّ(٣)؟ فوالله لو أعطيتَنى ما أصبحتَ تَسُوق من هذه الإبل ما كنتُ بأشكر منّى لك عليه؛ فقلت نعم، ومن أنت أوّلا ؟ قال : لا تسألنى من أنا ولا أُخبرك غيرَ أنى رجلٌ بينى وبين هؤلاء القوم ما يكون بين بنى العم، فإن رأيتَ أن تأتيهم فإنّك تجد القومَ فى مجلسهم فتَنْشُدُهم(٤) بَكْرةً أَدْماءَ تجر خُفَّيْها غُفْلًا(٥) من السِّمة، فإن ذكروا لك شيئا فذاك، وإلا استأذنتَهم فى البيوت وقلتَ : إن المرأة والصبىَّ قد يَرَيان مالا يَرَى الرجالُ، فتَنْشُدهم ولا تَدَعْ أحدًا تُصيبه عينُك ولا بيتًا

خبر جميل وبثينة وتوسيطه رجلا من بنى حنظلة فى لقائها

(١) فى ط : «فى نفسى». (٢) فى ط : «فنسبنى فانتسبت» ونسبنى : سألنى أن أنتسب.

(٣) فى حـ ، أ ، م : «معروف». (٤) تنشدهم بكرة : تناديهم وتسألهم عنها والبكرة : الفتية من الابل، والأدماء : وصف من الأدمة، والأدمة فى الناس : السمرة وفى الإبل والظباء : البياض. قال الأصمعى : الآدم من الابل : الأبيض فان خالطته حمرة فهو أصهب فان خالطت الحمرة صفاء فهو المدمى.

(٥) فى ب : «عفلاء» وهو تحريف.

من بيوتهم إلّا نشَــدتّها فيه ؛ فأتيتُ القومَ فإذا هم على جَزُور يقتسمونها، فسلّمت وآنتسبتُ لهم ونَشَدتهم ضالّتى، فلم يذكروا لى شيئا؛ فاستأذنتهم فى البيوت وقلت: إنّ الصبيّ والمرأة يريان مالا ترى الرجالُ، فأذنوا؛ فأتيتُ أقصاها بيتاً ثم آستقريتُها بيتًا بيتًا أنشُــدُهم فلا يذكرون شيئا، حتى إذا انتصف النهارُ وآذانى حَرّ الشــمس وعَطِشْتُ وفَرَغتُ من البيوت وذهبتُ لأنصرف حانتْ منّى التفاتةٌ فإذا بثلاثة أبيات، فقلت: ما عند هؤلاء إلا ما عند غيرهم، ثم قلت لنفسى: سوءَةً! وَثِقَ بى رجلٌ وزعم أن حاجتَــه تَعدِل مالى ثم آتيــه فأقول: عَجَزت عن ثلاثة أبيات! فانصرفتُ عامدًا إلى أعظمها بيتًا، فإذا هو قد أُرْخِىَ مُؤخَّره ومقدَّمه، فسلّمت فرُدّ علىّ السلامُ، وذكرتُ ضالّتى، فقالت جارية منهم: ياعبد الله، قد أصبتَ ضالّتك وما أظنّك إلّا قد اشتدّ عليك الحرّ واشتهيتَ الشراب؛ قلت: أجَلْ؛ قالت: ادخل؛ فدخلتُ فأتتْنى بصَحْفَة فيها تمرٌ من تمر هَجَر، وقَدَحٍ فيــه لبنٌ، والصَّحْفة مصريّة مُفَضَّضَةٌ والقَدَحُ مفضَّض لم أرَ إناءً قطُّ أحسنَ منه؛ فقالت: دونَك؛ فتجمّعت[1] وشربتُ من اللبن حتى رَوِيتُ، ثم قلتُ: يا أمَةَ الله، والله ما أتيتُ اليومَ أكرَمَ منكِ ولا أحقَّ بالفضل، فهل ذكرتِ من ضالّتى شيئا؟ فقالت: هل ترَى هذه الشجرةَ فوق الشَّرَف[2]؟ قلت نعم؛ قالت: فإن الشمس غَرَبتْ أمسِ وهى تُطيف حولَهــا ثم حال الليل بينى وبينها؛ فقمتُ وجَزَيتُها الخيرَ وقلت: والله لقد تغدّيتُ ورَوِيتُ! فخرجتُ حتى أتيتُ الشجرةَ فأطفتُ بها، فوالله ما رأيتُ من أثرٍ، فأتيتُ صاحبى فإذا هو مُتَّشحٌ فى الإبل بكسائه ورافعٌ عَقيرتَه[3] يُغَنّى، قلتُ: السلام عليك؛ قال: ١٤٣/٢

(١) كذا فى ا، م، ء. وفى باقى النسخ: «فهجمت» ويظهر أنه تحريف.

(٢) الشرف: المكان العالى. (٣) عقيرة الرجل: صوته اذا غنى أو قرأ أو بكى. وقيل أصله أن رجلا عقرت رجله فوضع العقيرة على الصحيحة وبكى عليها بأعلى صوته فقيــل: رفع عقيرته، ثم كثر ذلك حتى صير الصوت بالغناء عقيرة. (انظر اللسان مادة عقر).

وعليك السلام ما وراءك؟ قلتُ ، ما ورائى مِن شىء؛ قال : لا عليك! فأخبِرْنى بما فعلتَ ، فاقتَصصتُ عليه القِصّة حتى انتهيتُ إلى ذكر المرأة وأخبرتُه بالذى صنعتْ؛ فقال : قد أصبتَ طَلِبَتك؛ فعَجِبتُ من قوله وأنا لم أجد شيئًا ، ثم سألنى عن صفة الإناءيْن : الصَّحْفةِ والقَدَح فوصفتُهما له ، فتنفّس الصُّعَداء وقال : قد أصبتَ طَلِبَتك وَيْحَك! ثم ذكرتُ له الشجرة وأنّها [رأتها] (١) تُطيف بها؛ فقال : حسبُك! فمكثتُ حتى إذا أوتْ إبلى إلى مَباركها دعوتُه إلى العَشاء فلم يدنُ منه ، وجلس منّى بمَزْجَر الكلب ، فلما ظنّ أنّى قد نِمتُ رمَقتُه فقام إلى عَيْبة (٢) له فاستخرج منها بُرْدَين فاتّزر (٣) بأحدهما وتردّى بالآخر ، ثم انطلق عامدا نحو الشجرة . واستبطنتُ الوادىَ فجعلتُ أُخفِى نفسى حتّى إذا خِفْتُ أن يرانى انبطحتُ ، فلم أزل كذلك حتّى سبقتُه إلى شجَرات قريبٍ من تلك الشجرة بحيث أَسمَع كلامَهما فاستترتُ بهنّ ، وإذا صاحِبتُه عند الشجرة ، فأقبل حتّى كان منها غيرَ بعيد ، فقالت : اجلس؛ فوالله لكأنّه لَصِق بالأرض ، فَسلّم عليها وسألها عن حالها أكرمَ سؤالٍ سمِعتُ به قطّ وأبعدَه من كل ريبة ، وسألتْه مثل مسئلته ، ثم أمرتْ جاريةً معها فقرّبتْ إليه طعاما ، فلمّا أكل وفرَغ ، قالت أنشدنى ما قلتَ؛ فأنشدها :

عَلِقتُ الهوَى منها وليدًا فلم يزَلْ * إلى اليوم يَنْمِى حبُّها ويَزيدُ

فلم يزالا يتحدّثان ، ما يقولان فُحْشا ولا هُجْرا ، حتّى التفتت التفاتة (٤) فنظرتْ إلى الصبح ، فودّع كلّ واحد منهما صاحبَه أحسنَ وَداع ما سمعتُ به قطّ (٥) ثم انصرفا ،

(١) زيادة فى ط . (٢) العيبة : وعاء من أدم يكون فيه المتاع . (٣) ضبط هذا الفعل فى ط هكذا « فاتّزر » بشدة على التاء ، وهو صحيح عند من يرى إدغام الهمزة فى التاء . وحمل عليه ما جاء فى بعض الروايات : « كان النبىّ صلى الله عليه وسلم يباشر بعض نسائه وهى متّزرة » . وبعض اللغويين يمنع هذا الادغام ويخطئ المحدّثين فى هذه الرواية . (٤) كذا فى ط . وفى باقى الأصول : « التفت » . (٥) كذا فى ب ، سـ ، أ ، م . وفى باقى الأصول : « أحسن وداع سمعت به قط » ، من غير ما النافية ، وهو مستقيم وإن كان مجىء « قط » فى الإثبات قليلا حتى منعه بعضهم . وقد اتفقت النسخ على الحذف فى : « أكرم سؤال سمعت به قط » قبل هذه الجملة بأسطر .

فقمتُ فمضيتُ إلى إبلى فاضطجعت وكل واحد منهما يمشى خَطْوة ثمّ يلتفت إلى صاحبه، فجاء بعد ما أصبحنا فرفع بُرْديه ثم قال : يا أخا بنى تَميم، حتّى متى تَنام! فقمتُ وتوضّأتُ وصَلّيت وحلبت إبلى وأعانني عليها وهو أظهر الناس سرورا، ثمّ دعوتُه إلى الغَداء فتغدّى، ثم قام إلى عَيْبته فافتتحها فإذا فيها سلاحٌ وبُرْدان مما كسته الملوك، فأعطانى أحدَهما وقال: أما والله لو كان معى شيء ما ذَخَرْتُه عنك، وحدّثنى حديثَه وآنتسب لى، فإذا هو[(1)] جميل بن مَعْمَر والمرأة بُثَينة، وقال لى: إنى قد قلتُ أبياتا فى مُنْصَرَفى[(2)] من عندها، فهل لك إنْ رأيتَها أن تُنْشِدَها[(3)]؟ قلت: نعم! فأنشدنى:

وما أنسَ مِ الأشياء لا أنسَ قولَها * وقد قَرّبتْ نِضْوى أمصرَ تُريدُ

الأبيات، ثم ودّعنى وآنصرف، فمكثتُ حتّى أخذتِ الإبلُ مراتِعَها[(4)]، ثم عَمَدتُ إلى دُهْنٍ كان معى فدهنتُ به رأسى، ثم آرتديت بالبُرْدِ وأتيت المرأةَ فقلتُ: السلامُ عليكم، إنّى جئتُ أمسِ طالبا واليومَ زائرا، أفتأذنون؟ قالت: نعم، فسمِعتُ جُوَيْرِيَة تقول لها: يا بُثَيْنة، عليه والله بُرْدُ جميل، فجعلت أثنى على ضَيْفى وأذكُرُ فضلَه، وقلت: إنّه ذكرَكِ فأحسنَ الذكرَ[(5)]، فهل أنت بارزةٌ لى حتّى أنظرَ اليكِ؟ قالت: نعم، فلَبِست ثيابها ثم بَرَزت ودعت لى بطُرَفٍ[(6)]، ثم قالت: يا أخا بنى تميم، والله ما ثَوْباك هذان بمُشْتبِهين، ودعَتْ بعَيْبتها فأخرجتْ لى مِلْحَفة مَرْوِيّة[(7)] مُشْبَعة

---

(1) كذا فى أ، م، حـ . وفى باقى النسخ : «وإذا هو... الخ» بالواو .

(2) كذا فى أغلب الأصول وفى ء، هامش ط : «أبياتا فى إتيانها بعد منصرفى» وكتب بجانبها كلمة «صح» . (3) فى أ، م، حـ، ط : «فهل لك أن تأتيها فتنشدها» .

(4) كذا فى أغلب النسخ . وفى أ، م : «مراعيها» . (5) فى أ، م، حـ : «بأحسن الذكر» . (6) كذا فى أ، م، حـ، ط . وفى باقى الأصول : «بعطرف» .

(7) الملحفة (بالكسر) : اللباس الذى فوق اللباس من دثار البرد ونحوه، ومروية : نسبة الى "مرو" : بلدة بفارس . والنسبة اليها "مروى" (بالفتح وبالتحريك) و"مروزى" بزيادة الزاى . وفى ط : «ملحفة هروية» . وهذه نسبة الى هراة : مدينة من أعظم مدن خراسان حضارة وكثرة سكان .

من العُصفر، ثم قالت : أقسمتُ عليك لتقومَنّ إلى كِسْر البيت ولتخلَعَنّ مِدْرَعَتك[١] ثم لتأتزِرَنّ[٢] بهذه المِلْحَفَة فهى أشبهُ ببُرْدِك[٣]؛ ففعلتُ ذلك وأخذتُ مِدْرعتى بيدى فجعلتها إلى جانبى، وأنشدتُها[٤] الأبيات فدَمَعت عيناها، وتحدّثنا طويلًا من النهار، ثم ٱنصرفتُ إلى إبلى بمِلْحَفَة بُثَيْنة وبُرْدِ جميلٍ ونَظْرةٍ من بُثَيْنَة . قال مَعْبد : فجَزَيتُ الشيخَ خيرا وٱنصرفتُ من عنده وأنا والله أحسنُ الناس حالًا بنَظْرة من الغَرِيض وٱستماعٍ لغنائه، وعِلْمٍ بحديث جميل وبُثَيْنَة فيما غنّيتُ أنا به وفيما غنّى به الغَرِيض على حقّ ذلك وصِدْقه، فما رأيتُ ولا سمِعتُ بزوجين قطّ أحسنَ من جميل وبُثَيْنة، ومن الغَرِيض ومنّى .

144
٢

نسبة هذه الأصوات التى ذكرت فى هذا الخبر

وهى كلها من قصيدة واحدة .

منهـا :

صـــوت

عَلِقتُ الهَوَى منهـا وليـدا فلم يَزَلْ * إلى اليـومِ يَنْمِى حُبّهـا ويَـزِيدُ
وأَفنيتُ عُمْـرِى فى ٱنتظارى نوالَهـا * وأَفنتْ بذاكَ الدهْـرَ وهـو جَديدُ
فـلا أنا مردودٌ بمـا جئتُ طالبًـا * ولا حُبُّهـا فيما يَبِيـدُ يَبِيـدُ
وما أنسَ مِ الأشيـاءِ لا أنسَ قولَهـا * وقـد قَـرُبت نِضْوِى أمِصرَ تريدُ
ولا قولَهـا لولا العيونُ التى تَرَى * لَزُرتُـك فاعذِرْنى فـدتْكَ جُدُودُ
إذا قلتُ ما بِى يا بُثَيْنَـةُ قاتـلِى * من الحبّ قالتْ ثابتٌ ويَـزِيدُ
وإن قلتُ رُدّى بعضَ عقلى أَعِشْ به * تَوَلّتْ[٥] وقالتْ ذاكَ منـكَ بَعِيـدُ

(١) المدرعة : ضرب من الثياب، ولا تكون إلا من الصوف . (٢) فى ط : «لتزرن» انظر الحاشية رقم ٣ ص ٣٩٠ من هذا الجزء . (٣) كذا فى أ، م، حـ . وفى بقية الأصول : «وهى» . (٤) فى أ، م، حـ : «ثم أنشدتها» . (٥) فى أ، م وهامش ط : «مع الناس قالت الخ» .

عَرُوضه من الطويل . الشعر لجميل بن معْمَر . والغناء لمَعْبد فى الأوّل والثانى والثالث والسادس والسابع . ولَحْنُهُ ثقيل أوّل بالسبابة فى مَجْرَى الوُسْطَى عن إسحاق وعمرو بن بانَة . وذكَر عمرو والهِشَامِىّ أنّ فيه ثقيلا أوّل آخر للهُذَلِىّ، وأنّ فيه خفيفَ ثقيـل يُنْسَبُ إلى مَعْبَـد وإلى الغَرِيض وإلى إبراهيم، أوّله : «وما أنسَ م الأشـياءِ» . وفى الأربعة الأبيَات الأُوَل ثانى ثقيـل بالبِنْصِر لابن أبى قباحة[1] . ولإسحاق فى الثالث والسادس ثانِى ثقيل آخر بالوُسْطى عن الهِشَامِىّ . وأوّلُ هذه القصيدةِ فيه غناءٌ أيضا، وهو موصول بأبيات أُخَرَ :

صـــوت

أَلَا ليتَ رَيْعانَ[2] الشـبابِ جديدُ * ودهــراً تَوَلّى يا بُثَيْــنَ يعـودُ
فنَغْـنَى كما كنّا نكون وأنـتمُ * قريبٌ وما قد تَبْـذُلِين زَهِيـدُ
أَلَا لَيت شِـعْرِى هل أَبِيتَنّ ليلةً * بوادى القُـرَى[3] إنّى إذا لسـعيدُ
وهل أَلْقَيَنْ سُعْدَى من الدهرِ ليلةً * وما رثّ من حبل الصفاء جديدُ
فقد تَلْتَقِى الأهواءُ بعـد تَفاوُتٍ * وقد تُطْلَبُ الحاجاتُ وهى بَعِيـدُ

فى البيتين الأوّلين خفيفُ ثقيـلٍ مطلق فى مَجْرَى البِنْصر، ذكر حَبَش أنّه لإسحاق، وليس يُشْبه أنْ يكونَ له . وفى الثالث وما بعـده لابن سُرَيْج ثانِى ثقيل بالبِنْصر عن حَبَش أيضا .

---

(١) كذا ورد هذا الاسم فى جميع الأصول . ولم نقف عليه ولا على ضبطه بعد البحث عنه فى المعاجم التى بأيدينا . (٢) ريعان الشباب : أوّله . (٣) وادى القرى : واد بين المدينة والشام وهو بين تيماء وخيبر، فيه قرى كثيرة . قال ياقوت فى معجم البلدان فى اسم «القرى» : «قال أبو المنذر : سمى وادى القرى لأن الوادى من أوّله الى آخره قرى منظومة وكانت من أعمال البلاد، وآثار القرى الى الآن بها ظاهرة، إلا أنها فى وقتنا هذا كلها خراب ومياهها جارية تتدفق ضائعة لا ينتفع بها أحد» .

قال ابن أبى ربيعة فى شعر له الغريض فغيره الغريض باسمه لما غناه

أخبرنى إسماعيل بن يونس إجازةً قال حدّثنا عمر بن شَبّةَ قال حدّثنى أبو غَسّان قال حدّثنى الوليد بن هِشام عن محمد بن مَعْن عن خالد بن سَلَمة المَخْزُومىّ(١) قال :

خرجتُ مع أعمامى وأنا على نَجِيب ومعنا شيخٌ، فلما أسْحَرنا(٢) قال لى أعمامى : انزل عن نَجِيبك(٣) وآحمل عليه هذا الشيخَ وآركب جَمَلَه، ففعلت؛ فإذا الشيخ قد أخرج عُودًا له من غِلاف(٤)، ثم ضرب به وغنّى : ١٤٥/٢

هاجَ الغَرِيضَ الذِّكَرْ * لمّا غَدَوْا فانشَمَروا(٥)

فقلتُ لبعض أصحابنا : مَنْ هذا ؟ قال : الغَرِيض .

نسبة هذا الصوت

صوت

هاجَ الغَرِيضَ الذِّكَرْ * لمّا غَدَوْا فانشَمَروا
عَلَى بِغالٍ شُحُجٍ(٦) * قد ضَمَّهُنّ السفَرْ
فيهنّ هِنْدٌ ليتَنِى * ما عُمِّرتْ أُعَمَّرْ(٧)
حتى إذا ما جاءها * حَتْفٌ أتانِى القَدَرْ

عَرُوضه من الرجز . الذى قال عمر :

* هاجَ القَرِيضَ الذِّكَرْ *

(١) كذا فى ط . وفى أغلب الأصول : « سلمى » وربما نسخة ط لأن المعروف فى كتب التراجم خالد بن سلمة بن العاص المخزومى المتوفى سنة ١٣٢ وهذا يصح أن يروى عنه محمد بن معن المتوفى سنة ١٩٨ (انظر تهذيب التهذيب ج ٣ ص ٩٥). (٢) أسحرنا : دخلنا فى السحر. (٣) النجيب من الإبل : القوىّ الخفيف السريع . (٤) الغلاف : ما يوضع فيه الشىء . (٥) فانشمروا : مرّوا جادّين مسرعين . (٦) شحج : جمع شاحج، والشحاج : صوت البغل (انظر ص ١٨٧ ج ١ من هذا الكتاب) . (٧) هذا البيت وما بعده وردا فى قصيدة من ديوانه مطلعها :

قد هاج قلبى محضر * أقوى وربع مقفر

بالقاف، فجعَله الغَريضُ لما غنّى فيه : «الغَريضَ» يعنى نفسه. الشعر لعمر بن أبى ربيعة . والغناء لابن سُرَيج . ذكر يونُس أنّ له فيه لحنَيْن. وذكر إسحاق أنّ أحدهما رَمَلٌ مطلق فى مَجْرَى البِنصَر ولم يذكر الآخَر، وذكر الهشامىّ أنّ الآخَرَ خفيفُ رمَلٍ. وفيه للغريض ثقيلٌ أوّل بالبنصر، وقيل : إنه لحن ابن سريج، وإن خفيف الرمَل للغريض . وأوّل هذا الصوت فى كتاب يونُس :

هاج فـؤادى مَحْضَرُ(١) * بذى عُكاظٍ مُقْفِـرُ
حتّى إذا ما وازنُوا الـ * ـمَرْوَةَ حين أْتَمَـرُوا(٢)
قيـل آنزلُوا فعَرِّسُوا * من ليلكم وانشَمِرُوا
وقولُهـا لأختهـا * أَمُطْمَئِنٌّ عُمَـرُ

قدم الوليد بن عبد الملك مكة فصحبه ابن أبى ربيعة وحدثه وغناء الغريض

أخبرنى الحُسَين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه قال وذكر السَّعْدِىّ(٣) :

أنّ الوليد بن عبد الملك قدم مكّة، فأراد أن يأتىَ الطائفَ ، فقال : هل من رجل عالِم يُخْبِرنى عنها؟ فقالوا : عُمَرُ بن أبى ربيعة؛ قال : لاحاجة لى به ، ثم عاد فسأل،فذكَرُوه فأباه،ثمّ عاد فذكَرُوه فقال: هاتوه،وركب معه فجعل يُحدِّثُه ، ثم حوّل عمرُ رداءه ليُصْلِحه على نفســه ، فرأى الوليدُ على ظهره أثرا، فقال : ما هذا الأثرُ؟

(١) المحضر عند العرب : المنهل الذى يجتمعون ويحضرون عليه ، وسواء كان حاضرو المياه ممن يقرّون عليها للأبد ، أم يحضرونها شهور القيظ ويفارقونها حين يقع ربيع فى أرض فينتجعونه ، وخلاف المحضر المنتجع والمبدى . (٢) كذا فى ب ، س ، حـ ، والمراد من موازنتهم للروة محاذاتهم لها ومقابلتهم إياها، والمروة : جبل بمكة وهو أحد شعائر الحج . وأتمروا : تشاوروا . وفى سائر النسخ وديوان ابن أبى ربيعة :

حتى اذا ما وازنوا * بالمرختين ائتمروا

(ويلاحظ فى هذه الرواية تعدى وازن بالباء وهو لايتعدى بها) . والمرختان : مثنى المرخة وهما المرخة القصوى اليمانية والمرخة الشامية (انظر معجم ياقوت فى الكلام على المرختين). (٣) كذا فى أغلب الأصول . وفى ط : «السعيدى» وقد تقدّم هذا الاسم وهذه القصة فى الجزء الأوّل ص ١١٢ من هذه الطبعة ونبهنا على اختلاف النسخ فيه هنالك .

قال : كنت عند جاريةٍ لى إذ جاءتنى جاريةٌ برسالة من عند جاريةٍ أُخرى وجعلتْ تُسَارُّنى بها ، فغارت التى كنتُ عندها فعَضَّت مَنْكِبى ، فما وجدتُ ألَمَ عَضّتها من لذّة ما كانتْ تلك تنفُثُ فى أُذُنى حتى بَلَغتْ مارَى ، والوليد يَضْحَك . فلما رجع عمرُ قيل له : ما الذى كنتَ تُضْحِكُ به أميرَ المؤمنين ؟ قال : ما زِلْنا فى حديث الزِّنا حتى رَجَع . وكان قد حَمَل الغَرِيضَ معه ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنّ عندى أجملَ الناسِ وجهاً وأحسنَهم حديثاً ، فهل لك أن تسمعه ؟ قال : هاته ، فدعا به فقال : أَسمِعْ أميرَ المؤمنين أحسنَ شىء قلتَه ؛ فاندفع يغنّى بشعر عمر — ومن الناس مَنْ يرويه لجميل — :

صــــوت

إنى لأحفَظُ سِـــرَّكم ويَسُرُّنى * لو تعلمين بصالحٍ أن تُذْكَرِى

١٤٦ / ٢ ويكون يومٌ لا أَرَى لك مُرْسَلاً * أو نلتــقِى(١) فيــه علىّ كأشهُـــرِ

يا ليتنى ألــقَى المنيّــةَ بَغْتــةً * إنْ كان يومُ لقائكم لم يُقْــدَرِ

ما كنتِ والوعدَ الذى تَعِــدِينَنِى * إلّا كبَرْقِ سَحابةٍ لم تُمْطِــرِ

تُقْضَى الدّيونُ وليس يُنْجِــزُ عاجلاً * هــذا الغريمُ لنا وليس بمُعْسِرِ

— عروضه من الكامل . وذكر حَبَش أنّ الغِناءَ للغَرِيض ، ولحنه ثقيل أوّل بالبِنْصَر — قال : فاشتدّ سرورُ الوليد بذلك وقال له : يا عمر ، هذه رُقْيتُك ، ووصله وكساه وقضى حَوائجه .

وصف نصيب لنفسه وللشعراء الثلاثة جميل وكثير وابن أبى ربيعة

أخبرنى الحسن بن علىّ الخَفّاف قال حدّثنا الحارث بن محمد عن المدائنىّ عن عَوَانةَ قال حدّثنى رجل من أهل الكوفة قال :

(١) فى ط : « أن نلتق » .

قدم نُصَيْبٌ الكوفة، فأرسلني أبي إليه، وكان له صديقا، فقال: أقرئْهُ منّي السلامَ وقل له: إنْ رأيتَ أن تُهْدِيَ لنا شيئا مما قلتَ! فأتيتُه في يوم جُمُعة وهو يصلّي، فلما فَرَغ أقرأته السلامَ وقلتُ له، فقال: قد علِم أبوك أنّي لا أُنْشِد في يوم الجمعة ولكنْ تلقّاني في غيره فأبلغ ما تحبّ، فلمّا خرجتُ وانتهيتُ إلى الباب رُدِدْتُ إليه؛ فقال: أتَرْوِي شيئا من الشعر؟ قلتُ نعم؛ قال: فأنشدني؛ فأنشدتُه قولَ جميل:

إني لأَحفظ غَيْبَكم ويَسُرُّني * لو تعلمين بصالحٍ أن تُذْكَرِي

الأبيات المتقدّمة؛ فقال نُصَيْبٌ: أَمْسِكْ! أَمْسِكْ! لله دَرُّه! ما قال أحدٌ إلا دون ما قال، ولقد نحتَ[1] للناس مثالًا يَحْتذون عليه. ثم قال: أمّا أصدَقُنا في شعره فجَمِيل، وأمّا أوصفُنا لربّات الحِجال فكُثَيِّر، وأمّا أكذبُنا فعُمَرُ بن أبي ربيعة، وأما أنا فأقول ما أَعْرِف.

سمع أصوات رهبان في دير فصنع لحنا على مثالها

وقال هارون بن محمد الزيّات حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه:

أن الغَرِيض سمِع أصواتَ رُهْبان بالليل في دَيْرٍ لهم فاستحسنها، فقال له بعض مَنْ معه: يا أبا يزيد، صُغ على مِثْل هذا الصوت لحنا؛ فصاغ مِثْله في لحنه:

يا أمّ بكرٍ حُبّكِ البادِي * لا تَصْرِمِيني إنّني غادِي

فما سُمِعَ بأحسنَ منه.

نسبة هذا الصوت

صوت

يا أمّ بكرٍ حُبّكِ البادِي * لا تَصْرِمِيني إنّني غادِي

جَدّ الرحيلُ وحثّني صَحْبِي * وأُريد إمتاعا من الزّادِ

---

(١) في ط: «ولقد لحب». ولحب: أوضح وبين.

عروضه من مُزَاحَف الكامل(1) . الشعر لسعيد(2) بن عبد الرحمن بن حسّان ابن ثابت الأنصاريّ . والغناء للغريض خفيفُ ثقيل أوّل بالوُسْطى . وفيه لابن المكىّ ثانى ثقيل بالوسطى عن حَبَش . وفيه لإبراهيم بن أبى الهَيْثَم هَزَج .

غناء إبراهيم بن أبى الهيثم والرجل الناسك

وأخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عُمَر بن شبّة عن أيّوب بن عَبَاية عن عمرو بن عُقْبة — وكان يُعْرف بابن الماشطة — قال :

خرجتُ أنا وأصحابٌ لى فيهم إبراهيمُ بن أبى الهيثم إلى العقيق ، ومعنا رجلٌ ناسك كنا نحتشِم منه ، وكان محموما نائما ، وأحببنا أن نَسمع مَنْ معنا من المغنّين ونحن نَهَابُه ونحتشمه ، فقلت له : إنّ فينا رجلا يُنْشد الشعرَ فيُحْسِن ، ونحن نُحِبّ أن نَسْمَعه ، ولكنّا نهابُك ؛ قال : فما علىّ منكم ! أنا محموم نائم ، فاصنعوا ما بدا لكم ؛ فاندفع إبراهيم بن [أبى](3) الهيثم فغنّى : ١٤٧/٢

يا أُمّ بكرٍ حبّـك البادِى * لا تَصْرِمينى إنّنى غادى
جَدّ الرحيلُ وحَثّنى صَحْبى * وأُريد إمتاعًا من الزادِ

فأجاده وأحسنه . قال : فوثب الناسكُ بجعل يَرْقُص ويَصيح : أريد إمتاعا من الزاد، والله أُريد إمتاعا من الزاد، ثم كشف عن أيْره وقال : أنا أنيك أمّ الحُمّى ! قال : يقول لى ابنُ الماشطة : أعتقتُ ما أملِك إن كان ناك أمّ الحُمّى أحدٌ قبله .

أخبرنى به الحُسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن أيّوب فذكر(4) الخبرَ ولم يذكر فيه كشف الناسك عن سَوْءَته وما قاله بعد ذلك .

---

(1) كذا فى ط وهو الصواب إذ البيتان من الكامل الذى دخل عروضه وضربه الحذ وهو حذف الوتد المجموع من متفاعلن ، والاضمار وهو إسكان ثانيه . وفى باقى الأصول : « مزاحف الرجز » وهو تحريف . (2) انظر ترجمته فى الجزء السابع ص ١٦٤ من الأغانى طبع بولاق . (3) الزيادة عن حـ . وقد اتفقت الأصول على إيراده بهذه الزيادة فى سند هذا الخبر . (4) كذا فى ط . وفى باقى الأصول : « يذكر » .

هربه الى اليمن خوفا من نافع بن علقمة وموته بها

وكانت وفاة الغَرِيض فى أيام سليمان بن عبد الملك أو عمر بن عبد العزيز لم يتجاوزها . والأشبه أنّه مات فى خلافة سليمان، لأن الوليد كان ولّى نافع بن عَلْقمة مكة فهرَب منه الغريض وأقام باليَمَن واستوطنها مدّةً ثم مات بها . وأخبرنى بخبره الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن المُسَيَّبِى قال أخبرنى بعض المخزوميين أيضا بخبره .

وأخبرنى أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عُمَر بن شَبَّة قال حدّثنى أبو غسّان :

أن نافعَ بن عَلْقمة لمّا وُلِّىَ مكّة خافه الغريضُ — وكان كثيرا ما يطلبه فلم يجئه (١) — فهرَب منه واستخفى فى بعض منازل إخوانه . قال: فحدّثنى رجلٌ من أهل مكّة كان يَخْدُمه : أنّه دفع اليه يوما رَبْعةً (٢) له وقال له : صِرْبها إلى فلان العطّار يملؤها لى طِيبًا؛ قال : فصِرتُ بها إليه، فلقينى نافعُ بن عَلْقَمة فقال : هذه رَبْعةُ الغَرِيض والله! فلم أقدِر أن أكتُمَه، فقلت : نعم؛ قال : ماقِصّته؟ فأخبرتُه الخبر؛ فضحِك وقال : سِرْ معى إلى المنزل ففعلت، فملأها طِيبًا وأعطانى دنانير، وقال : أعطِه وقل له يَظهرُ فلا بأسَ عليه؛ فسِرْتُ إليه مسرورا فأخبرتُه بذلك فجَزِع وقال : الآن ينبغى أن أهرُب، إنما هذه حيلةٌ آحتالها علىّ لأقع فى يده؛ ثم خرج من وقته إلى اليَمَن، فكان آخرَ العهد به .

قال إسحاق فحدّثنى هذا المخزومىّ : أن الغَرِيضَ لمّا صارَ إلى اليمن وأقام به (٣) آجتزْنا به فى بعض أسفارِنا؛ قال: فلما رآنى بكَى؛ فقلت له : ما يُبكيك؟ قال : بأبِى أنتَ وأمّى! وكيف يَطِيبُ لى أن أعيشَ بين قوم يَرَوْنَنِي أحمِلُ عُودى فيقولون لى : يا هَنَاه (٤)، أتبيع آخرةَ (٥) الرَّحْل! فقلت له : فارجِعْ إلى مكّة ففيها أهلك؛ فقال : يابن أخى، إنّما

(١) فى ط : «فلا يجيئه» . (٢) الربعة : جونة العطر. (٣) فى أ، م، ء : «وأقام بها» . (٤) الهن : كلمة يكنى بها عن اسم الإنسان . وقد تزاد فى النداء الألف والهاء فيقال : ياهناه أو يا هناه أقبل بالضم والكسر، فالضم على أنها آخر الاسم والكسر لالتقاء الساكنين . (انظر اللسان مادة «هنا») . (٥) كذا فى أغلب الأصول، وفى ط : «مؤخرة» وآخرة الرحل ومؤخرته : ما يستند اليه الراكب، وهى خلاف قادمته .

كنتُ أستلذّ مكّة وأعيش بها مع أبيك ونحوه، وقد أوطَنتُ(١) هذا المكانَ ولستُ تاركَه ما عشتُ؛ قلنا له : فغنِّنا بشىء من غنائك فتأبّى، ثم أقسمْنا عليه فأجاب، وعَمَدْنا إلى شاةٍ فذبحناها وتَخرطْنا من مُصْرانها أوتارًا ، فشدّها على عُوده وآندفع فغنّى فى شعر زُهَير :

جَرَى دَمْعى فهيّج لى شُجُونَا * فقلبى يُستَجَنُّ(٢) به جُنــونَا(٣)

فما سمعنا شيئا أحسنَ منه ؛ فقلنا له : آرْجِع الى مكّة ، فكلُّ مَن بها يشتاقُك . ولم نَزَل نُرغّبــه فى ذلك حتى أجاب إليه . ومَضَينا لحاجتنا ثم عُدْنا(٤) فوجدناه عليلاً ، فقلنا : ما قصّتك؟ قال : جاءنى منذ ليالٍ قومٌ، وقد كنتُ أغنّى فى الليل، فقالوا: غَنِّنا؛ فأنكرتُهم وخِفتُهم، فجعلت أُغَنّيهم؛ فقال لى بعضُهم غَنِّنى :

لقد حَثُّوا الجمالَ لِيَهْــ * ـرُبُوا منّا فلم يَئِلُوا(٥) ١٤٨/٢

ففعلت؛ فقام إلىّ [هَنٌ](٦) منهم أزَبُّ(٧) فقال لى : أحسنتَ والله ! ودقّ رأسى ، حتى سقطتُ لا أدرى أين أنا، فأفقتُ بعد ثالثةٍ وأنا عليل كما ترى ، ولا أُرانى إلا سأموت . قال : فأقمنا عنده بقيّة يومنا ومات من غدٍ فدفنّاه وآنصرفنا .

أخبرنى إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عُمَر بن شَبّة عن أبى غَسّان قال :

زعم المكّيّون أنّ الغَرِيض خرج إلى بلاد عَكٍّ(٨) فغنّى ليلا :

هُمُ رَكْبٌ لَقُوا ركبًا * كما قد تَجمَعُ السُّبُلُ

(١) أى اتخذته وطنا . (٢) كذا فى أغلب الأصول وهامش ط . واستجن به (بالبناء للفعول) : صار به مجنونا . وفى ط : «يستحنّ به» بالحاء المهملة . (٣) كذا فى ب ، س ، حـ . وهامش أ . وفى ء ، حـ ، أ ، م : «حنينا» . (٤) كذا فى حـ . وفى باقى الأصول : «فقلت» . (٥) لم يئلوا : لم يجدوا موئلا وملجأ يعتصمون به . (٦) زيادة فى ط ، والهن : اسم يكنى به عن الشخص وجمعه «هنون» وفى حديث الجن : «فاذا هو بهنين كأنهم الزط» . (٧) الأزب : الكثير الشعر . (٨) عك : قبيلة، والبلاد التى تضاف اليها : مخلاف باليمن .

فصاح به صائحٌ : اكفُفْ يا أبا مَرْوان، فقد سَفَّهتَ حُلَماءَنا[1]، وأصبيتَ سفهاءَنا، قال : فأصبح ميّتا .

رواية أخرى في وفاته

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثنا عمر بن شبّة قال حدّثني محمد بن الخَطّاب قال حدّثنا رجل من آل أبي قَبِيل — يقال له مُحْرِز — عن أبي قبيل قال : رأيتُ الغَرِيض، وقال إسحاق في خبره المذكور : حدّثني محمد بن سلّام عن أبي قبيل — وهو مولًى لآل الغَرِيض — قال :

شهدتُ مَجْمعًا لآل الغريض إما[2] عُرْسًا أوخِتانًا، فقيل له : تَغَنَّ؛ فقال : هو ٱبنُ زانيــة إن فعل؛ فقال له بعضُ مَوَاليه : فأنت والله كذلك ! قال : أَوَ كذلك أنا؟ قال: نعم؛ قال : أنت أعلم بي والله ! ثم أخذ الدُّفَّ فرمى به وتَمَشَّى مِشْيةً لم أرَ أحسنَ منها، ثم تَغَنَّى :

تَشَرَّبَ لونَ الرَّازِقيِّ[3] بياضُــه * أو الزعفرانِ خالط المِسكَ رادعُهْ

فجعل يغنّيه مُقبِلا ومُدْبِرا حتى التوتْ عُنُقه وخَرَّ صَريعا ، وما رفعناه إلّا ميّتا ، وظَنَنّا أنّ فَالِجًا عاجَلَه . قال إسحاق وحدّثني ٱبن الكلبيّ عن أبي مِسْكين قال : إنما نهتْهُ الجنّ أن يتغنّى بهذا الصوت ، فلمّا أغضبه مَوَاليه تغنّاه فقتلتْه الجنّ في ذلك .

(١) كذا في ط . وأصبيت : دعوت الى الصبا . وفي باقي النسخ : «أصبت» .

(٢) كذا في جميع الأصول ، ولا بدّ من تكرار إما ، وقد يستغنى عن إما الثانية بذكر ما يغني عنها نحو: إما أن تتكلم بخير وإلا فاسكت، ونحو قراءة أبيّ في قوله تعالى: (وإنا أو إياكم لإما على هدى أو في ضلال مبين) . (٣) الرازقيّ : يقال على ثياب الكتّان البيض، وقيل : الرازقيّ : الكتّان نفسه، ويقال على ضرب من عنب الطائف أبيض اللون .

نسبة هذه الأصوات

صـــوت

منهـا :

جَرَى دَمْعِى فهيَّج لى شُجُونَا * فقلبى يَستجِنُّ(1) به جُنـــونا
أأبكى للفِرَاق وكُلُّ حىٍّ * سيبكى حين يَفْتَقِد القَرينـا
فإن تُصْبِحْ طُلَيْحَةُ(2) فارقتنى * ببَيْنٍ فالرزيَّةُ أن تَبينـا
فقد بانتْ بكُرْهِى يوم بانتْ * مُفَارِقَةً وكنتُ بها ضَنِينـا

الشعر لزُهَير. والغِناء للغَرِيض عن حَبَش. وقيل: إنه لدَحْمان. وفيه لأبى الوَرْد خفيفُ رَمَلٍ بالوُسْطى [عن حبش والهِشامىّ](3) .

اِنقضت أخبار الغريض .

ومنهـا :

صـــوت

من المـائة المختارة فى رواية جَحْظَة

لقـد حَثُّوا الجمالَ ليهـ * ـربُوا منّـا فـلم يَئِلُوا
عـلى آثارهنّ مُقَـلِّـ(4) * ـصُ السِّربال مُعتمِـلُ
وفيهـم قلبُك المَتبـو * لُ بالحسنـاء مُختَبَـلُ(5)
مُخَفَّفـة بجَمْـلِ حما * ئلِ الدِّيبـاج والحُلَـلِ(6)

(1) فى ط : «يستحنّ به حنينا» وقد تقدّمت الإشارة الى ذلك فى الحاشية رقم ٢ ص ٤٠٠ من هذا الجزء . (2) فى ط : «ظليمة» . (3) الزيادة عن ح . (4) مقلص السربال : مشمره؛ يقال : قلص قميصه أى شمره ورفعه . والمعتمل : الذى يعمل بنفسه . (5) المختبل : الذى اختبل عقله أى جنّ؛ وقد خبله الحزن واختبله . (6) فى هذا البيت إقواء، وهو اختلاف حركة الروىّ .

١٤٠/٢ أُسائل عاصمًا فى السِّـرِّ(١) أين تُراهُـمُ نزلُوا
فقـال هُـمُ قريبٌ منـ * ـكَ لو نفعوك إذ رحَلُوا

الشعرُ للحَكَم بن عَبْدَل الأَسَدىّ . والغناء فى اللحن المختار للغَرِيض ، ولحنُه خفيفُ ثقيل [أوّل](٢) بإطلاق الوتر فى مَجْرَى الوُسْطَى فى الأوّل والثانى من الأبيات . وذكر الهشامىّ أن فيهما لحنا لمَعْبد من الثقيل الأوّل . وفى الثالث وما بعده من الأبيات لابن سُرَيْج رَمَل بالسبّابة فى مَجْرَى الوُسْطَى عن إسحاق . وفيها لإبراهيم ثقيلٌ أوّل بالوُسْطى عن حَبَش . وذكر أحمد بن عُبَيد أنّ الذى صحّ فيه أربعةُ ألحان : منها لحنان فى خفيف الثقيـل للغَرِيض ومالك ، ولحنان فى الرمل لابن سُرَيج ومُخَارِق . وذكر ابنُ الكَلْبىّ(٣) أنّ فيها لعَرِيبَ رَمَلا ثالثا ، وذكر حَبَشٌ أنّ فيها لابن سُرَيج خفيفَ رَمَل بالبِنْصَر ، ولابن مِسْجَح رَمَلًا بالبِنصر ، ولابن سُرَيج ثانىَ ثقيل بالبنصر . هـذه الألحان كلها فى « لقد حثُّوا » والذى بعده .

---

(١) فى ط : «فى البين» . (٢) الزيادة عن حـ . (٣) فى أ ، م ، ء ، ط : « ابن المعتز » .

أخبار الحكم بن عبدل ونسبه

نسبه ونشأته

هو الحَكَم بن عَبْدَل بن جَبَلة بن عمرو بن ثَعْلبة بن عِقَال بن بِلَال بن سَعْد بن حِبَال[1] بن نَصْر بن غاضرة بن مالك بن ثَعْلَبة بن دُودَان[2] بن أسد بن خُزَيمة، شاعرٌ مُجِيدٌ مُقَدَّم فى طبقته، هَجَّاءٌ خبيثُ اللسان، من شعراء الدولة الأُمَوِيّة، وكان أعرجَ أحدبَ . ومنزلُه ومنشؤه الكوفة .

كان أعرج ويكتب بحاجته على عصاه فلا تردّ

أخبرنى أحمد بن عُبَيد الله بن عَمّار[3] قال حدثنى يعقوب بن إسرائيل قال حدّثنا محمد بن إدريس القَيْسىّ بواسط قال حدّثنا العُتْبىّ قال :

كان الحَكَم بن عَبْدَل الأَسَدىّ أعرجَ لا تُفارقه العصا، فترك الوقوفَ بأبواب الملوك، وكان يكتُب على عصاه حاجتَه ويبعث بها مع رُسُله[4]، فلا يُحبَس له رسولٌ ولا تُؤَخَّر له حاجةٌ؛ فقال فى ذلك يحيى بن نَوْفَل :

عَصَا حَكَمٍ فى الدار أوّلُ داخلٍ * ونحنُ على الأبواب نُقْصَى ونُحْجَبُ
وكانتْ عَصَا موسى لِفِرْعَوْنَ آيةً * وهذى لَعَمرُ الله أدهَى وأعجبُ
تُطاعُ فلا تُعْصَى ويُحْذَرُ سُخْطُها * ويُرْغَبُ فى المَرْضاة منها وتُرْهَبُ[5]

---

(١) كذا ورد مضبوطا فى ط . وفى القاموس وشرحه : أنه سمى بحبال ككتّاب وحبال كشداد، وأورد لكل منهما أسماء ليس هذا أحدها، ولم نجد نصا خاصا فى ضبط هذا الاسم غير ضبطه بالقلم فى نسخة ط .

(٢) فى ب، أ، م : «ذودان» بالذال وهو تحريف .

(٣) كذا فى أ، م . وقد مرّ كثيرا فى الجزء الأول والثانى من هذه الطبعة كذلك باتفاق الأصول . وفى ب، س : «أحمد بن أحمد بن عبيد الله» . وفى ء : «أحمد بن عبد الله» وفى حـ : «أحمد بن أبى أحمد بن عبيد الله» .

(٤) فى حـ، ء، ط : «مع رسوله» .

(٥) كذا فى ط . وفى سائر النسخ : «ويرهب» بالياء .

قال : فشاعت هذه الأبيات بالكوفة وضحك الناس منها ؛ فكان ابنُ عَبْدل بعد ذلك يقول ليحيى : يابن الزانيـة ! ما أردتَ من عصاى حتى صيّرتها ضُحْكةً[1] ؟ واجتنب أن يكتُب عليها كما كان يفعل، وكاتَب الناسَ بحوائجه فى الرِّقاع .

حبس هو وأبو علية صاحبه فقال فى ذلك شعرا

أخبرنى عمّى قال حدّثنا الكُرانىّ، وأخبرنى ابن عمّار قال حدّثنى يعقوب ابن نُعَيم قال حدّثنا أبو جعفر القُرَشىّ قال :

كان للحكم بن عَبْدَل صديق أعمى يقال له أبو عُلَيّة، وكان ابن عبدل قد أُقْعِد[2]، فخرجا ليلة من منزلها إلى منزل بعض إخوانهما، والحكمُ يُحْمَلُ وأبو عُلَيّةَ يُقَاد، فلقيهما صاحبُ العَسَس بالكوفـة فأخذهما فحبسهما ، فلمّا استقرّا فى الحبس نظر الحكمُ الى عصا أبى عُلَيّة موضوعةً الى جانب عصاه، فضحك وأنشأ يقول :

حَبْسِى وحَبْسُ أبى عُلَيْـ * ـيَةَ من أعاجيب الزمان
أَعْمَى يُقَـادُ ومُقْعَـدٌ * لا الرِّجْلُ منه ولا اليدانِ
١٥٠/٢ هـذا بلا بَصَرٍ هنـا * كَ وبى يَخُبُّ الحاملانِ
يا مَنْ رأى ضَبَّ الفَلَا * ةِ قَرِينَ[3] حُوتٍ فى مكانِ
طِرْفِى وطِرْفُ أبى عُلَيْـ * ـيَةَ دهرَنا مُتَـوافقانِ
مَنْ يفتخرْ بجَوادِهِ * فجِيَادُنا[4] عُكّازتانِ
طِـرْفانِ لا عَلَفاهُمَـا * يُشْرَى ولا يتصاولانِ
هَبْـنِى وإيّاه الحسـيرَ * ـقَ أكان يَسْطع بالدُّخانِ

(١) الضحكة (بضم الضاد وسكون الحاء) : من يضحك الناس منه . (٢) أقعد الرجل (بالبناء للفعول) : أصابه داء فلم يستطع المشى . (٣) فى ب ، س : «مرين حوت» وهو تحريف . (٤) كذا فى حـ ، ط . وفى سائر النسخ : «بجوادنا» .

قال : وكان اسم أبى عُلَيَّة يحيى ، فقال فيه الحَكَمُ أيضا :

أقول ليحيى ليلةَ الحبس سادرًا (١) * ونَومى به نَومُ الأسير المُقيَّد
أعِنِّى على رَعْى النجوم ولحظِها * أُعِنْكَ على تحبير شعرٍ مُقَصَّد (٢)
ففى حالتينا عِبرةٌ وتفكُّرٌ * وأعجبُ شىءٍ حَبسُ أعمى ومُقْعَد
كلانا اذا العُكّازُ فارقَ كفَّهُ * يُنيخ صَريعا أو على الوجه يَسجُدُ (٣)
فعُكّازة تَهْدى الى السُّبْل أكْمَهًا (٤) * وأُخرى مَقامَ الرِّجل قامت مع اليَد

ولى الشرطة والإمارة أعرجان ولقى سائلا أعرج فقال شعرا

أخبرنى محمد بن عِمْران الصَّيْرَفىّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل قال حدّثنى أحمد ابن بُكَير الأسَدىّ قال حدّثنى محمد بن أَنَس السَّلاَمىّ الأسدىّ عن محمد بن سهل راوية الكُمَيت قال :

وَلِىَ الشُّرطَةَ بالكوفة رَجُلٌ أعرَجُ ، ثم وَلِىَ الإمارةَ آخرُ أعرَجُ ، وخرج ابنُ عَبْدَلٍ وكان أعرج ، فلقى سائلا أعرَجَ وقد تعرّض للأمير يسأله ، فقال ابن عَبْدَل للسائل :

أَلْقِ العصا ودَعِ التخامُعَ (٥) والْتَمِسْ * عَمَلًا فهذى دَوْلَةُ العُرْجانِ
لِأَميرنا وأميرِ شُرْطَتِنا معًا * يا قَومَنا لِكِلَيهما رِجْلانِ
فاذا يكونُ أميرُنا ووزيرُنا * وأنَا فإنّ الرابعَ الشيطانُ (٦)

---

(١) السادر : المتحير الواجم . (٢) شعر مقصد : مطوّل كثيرة أبياته . (٣) فى هذا البيت إقواء وهو اختلاف حركة الروىّ بالرفع والكسر . (٤) فى جميع النسخ : «فعكازه يهدى الخ» .
(٥) كذا فى ط . والتخامع : التظاهر بالخمع وهو العرج ، يقال : خمعت الضبع خمعا وخموعا وخمعانا اذا ظلعت فى مشيتها كأنّ بها عرجا . وفى سائر الأصول : « التحامق » . (٦) فى هذا البيت إقواء وهو اختلاف حركة الروىّ بالرفع والكسر .

فبلغت أبياتُه ذلك الأمير فبعث إليه بمائتى درهم وسأله أن يكُفّ عنه . وحدّثنيه الأخفش عن عُبَيد الله اليَزيدىّ عن سليمانَ بن أبى شَيْخ عن محمد بن الحَكَم عن عَوَانة عن عُمَر بن عبد العزيز قال :

وَلِىَ عبدُ الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب الكوفةَ وضُمّ اليه رجُلٌ من الأشعريّين يقال له سهل، وكانا جميعا أعرَجَيْن . ثم ذكر باقىَ الحديث مثلَ حديث يعقوب بن نُعَيْم .

ابن عبدل وعبد الملك بن بشر ابن مروان

أخبرنى أحمد بن عُبَيد الله بن عمّار قال حدّثنى يعقوب بن إسرائيل عن قَعْنَب بن المُحرز الباهلىّ عن الهَيْثَم الأَحْمَرِىّ قال :

كانت لابن عَبْدَل الأسدىّ حاجةٌ الى عبد الملك بن بِشْر بن مَرْوان، فجعل يَدْخُل عليه ولا يتهيأ له الكلامُ، حتى جاءه رجلٌ فقال : إنى رأيتُ لك رؤيا ، فقال : هاتِها، فقصّها عليه؛ فقال ابنُ عَبْدَل : وأنا قد رأيتُ أيضا؛ قال : هاتِ ما رأيتَ؛ فقال :

أَغْفيتُ قبلَ الصبح نومَ مُسَهَّدٍ * فى ساعة ما كنتُ قبلُ أنامُها
فحَبَوتَنى فيما أرى بوليدةٍ * مَغْنوجةٍ(١) حَسَنٍ علىّ قِيامُها
وببَدْرةٍ حُمِلتْ إلىّ وبغلةٍ * شَهْباءَ ناجيةٍ(٢) يَصِلُّ لِجامُها(٣)
ليتَ المنابرَ يابنَ بِشْر أصبحتْ * تُرقَى وأنتَ خطيبُها وإمامُها

١٥١/٢

فقال له ابنُ بشر : اذا رأيتَ هذا فى اليَقَظَة أتعرفُه ؟ قال : نعم وإنما رأيتُه قُبيلَ الصبح؛ قال : يا غلام، ادْعُ فلانا، فجاء بوكيله ، فقال : هاتِ فلانة فجاءت،

(١) لم نعثر على هذه الصيغة فى معاجم اللغة والذى بها : « امرأة مغناج وغنجة » : حسنة الدل .

(٢) ناجية : سريعة . (٣) يصل لجامها : يصوّت .

فقال : أين هذه مما رأيتَ؟ قال: هى هى، وإلّا فعليه وعليه، ثم دعا له ببَدْرة، فقال: مثلَ ذلك، وببغلة فركبها وخرج، فلقِيَه قَهْرمانُ[1] عبد الملك، قال: أتبيعها؟ قال: نعم، قال: بكَم؟ قال: بستمائة، قال: هى لك، فأعطاه ستمائة، فقال له: أما والله لو أبيتَ إلا ألفا لأعطيتُك، قال: إيّاى تُنْدِم! لو أبيتَ إلّا ستةً لبِعتُك.

هجاؤه محمد بن حسان وقد تزوج امرأة قيسية

أخبرنى [عمّى][2] الحسن بن محمد قال حدّثنا الكُرانىّ قال حدّثنا العُمَرىّ عن الهَيْثم عن ابن عيّاش عن لَقِيط قال:

تزوّج محمد بن حسّان بن سَعْد التّميمىّ امرأةً من ولَد قَيْس بن عاصم وهى ابنة مُقَاتل بن طَلْبة[3] بن قَيْس، زوّجها إيّاه رجلٌ منهم يقال له زياد، فقال ابن عَبْدَل:

أباعَ زيادٌ سوّد اللهُ وجهَهُ * عَقيلةَ قومٍ سادةٍ بالدراهِمِ
وما كان حسّانُ بن سعدٍ ولا ابنُه * أبو المسك من أكفاء قيْس بن عاصِمِ
ولكنّه ردَّ الزمانَ على استِهِ * وضيّع أمرَ المُحْصَنَاتِ الكرائمِ
خُذى ديةً منه تكنْ لكِ عُدّةً * وجيئى الى باب الأمير نخاصمى
فلو كنت فى رَوْحٍ[4] لما قلتُ خاصِمى * ولكنّما أُلقِيت فى سجن عارِمِ[5]

(١) القهرمان : الوكيل أو أمين الدخل والخرج . (٢) الزيادة عن ى ، حـ . وفى أ ، م : « أخبرنى عمى قال حدثنا الكرانىّ الخ » . (٣) قال المبرد فى ضبط هذا الاسم فى كتابه الكامل ص ٢٧١ طبع ليبسك : « الرواية المشهورة باسكان اللام وتسامح ابن سراج فى فتح اللام » . (٤) الروح : الراحة ، ومن معانيها أيضا الفرح والسرور والرحمة ومنه فى القرآن الشريف (ولا تيأسوا من روح الله) . (٥) قال ياقوت : «وسجن عارم حبس فيه محمد بن الحنفية ، حبسه فيه عبد الله ابن الزبير لخرج المختار بالكوفة ودعا اليه ثم كان بعد ذلك سجنا للحجاج ولا أعرف موضعه وأظنه بالطائف »

قال : فلمّا بلغ أهلَها شعرُه أنِفُوا من ذلك ، فاجتمعوا على محمد بن حسّان حتى فارقها . قال : وكان محمد بن حسّان عاملا على بعض كُوَر السَّواد، فسأله ابنُ عَبْدَل حاجةً فردَّه عنها، فقال فيه هذا الشعرَ وغيره وهجاه[1] هجاءً كثيرا .

أخبرني بهذا الخبر محمد بن عِمْران الصَّيْرفي قال حدّثنا الحسن بن عُلَيْل العَنَزيّ[2] قال حدّثنا أحمد بن بُكَيْر الأَسَديّ عن محمد بن بِشْر السَّلاميّ عن محمد بن سَهْل راوية الكُمَيت، فذكر نحوا مما ذكره عمّي وزاد فيه قال :

وكانت المرأةُ التي تزوّجها مُعَاذةَ بنت مُقَاتل بن طَلْبة ، فلما سَمِعت ما قال ابن عَبْدَل فيها نَشَزَتْ على زوجها وهَرَبَتْ الى أهلها، فتوسّطوا ما بينهما وافتُدِيَتْ منه بمال وفارقها .

سمع امرأة تنشد شعره فحادثها وأنشدها من شعره

أخبرني عمّي قال حدّثني الكُرّاني عن العُمَريّ عن عَطَاء[3] عن يحيى بن نصر أبي زكريّا قال :

سمع ابنُ عبدل الأسديّ امرأةً وهى تمشّي بالبلاط تمثّل بقوله :

وأُعسِرُ أحيانا فتشتدّ عُسْرَتي * وأُدرِكُ ميسورَ الغِنَى ومعي عِرْضي

فقال لها ابنُ عَبْدَل — وكان قريبا منها — : يا أُخَيَّة، أتعرفين قائلَ هذا الشعر؟ قالت : نعم، ابن عَبْدل الأَسَديّ؛ قال : أفتُثْبِتِينَه معرفةً؟ قالت : لا ؛ قال : فأنا هو، وأنا الذي أقول :

وأَنعِظُ أحيانًا فينقدّ جِلْدُه * وأُعْذِلُه[4] جُهْدِي فلا ينفعُ العَذْلُ[4]

(١) كذا فى ط . وفى باقى الأصول : «وشيره» . (٢) كذا فى ط ، وهو الموافق لما تقدم فى ج ١ ص ٣٥ من هذه الطبعة وفى هذا الجزء ص ٤٠٦ ، وفى باقى الأصول «محمد» .

(٣) فى حـ «منصور» . (٤) كذا فى أ ، م ، حـ . وفى باقى النسخ : «وأعزله» بالزاى وهو تحريف .

وأَزدادُ نَعْظًا حين أُبصرُ جارتى * فأُوثِقُـه كيما يَثُوبَ(١) له عَقْـــلُ
ورُبّمــا لم أَدرِ ما حِيـــلَتِى له * اذا هو آذانى وغَرَّ بِه الجهلُ
فآويتُهُ فى بطن جَارِى وجارتى * مكابرةً قُـدْما(٢) و إنْ رَغِمَ البَعْلُ

فقالت له المرأة : بئس والله الجارُ لِلْمُغِيبةِ(٣) أنتَ ، فقال : إى والله، وللتى معها زوجها وأبوها وآبنُها وأخوها .

١٥٢
٢

قدم على ابن هبيرة مستجديا فأعطاه بعد إلحاح ما أراد

أخبرنى محمد بن زكريّا الصَّحّاف(٤) قال حدّثنا قَعْنَب بن المُحْرِز الباهلىّ قال حدّثنا الهَيْثَم بن عَدِىّ وأخبرنى به حبيب بن نصر المُهَلّبىّ قال حدّثنا عبد الله بن أبى سعد قال حدّثنى علىّ بن الحسن قال حدّثنى أبو خالد الخُزَاعىّ الأَسْلَمِىّ عن الهيثم بن عدىّ عن ابن عَيّاش قال :

قَدِمَ الحَكَمُ بن عَبْدَل الشاعر الكوفىّ واسطًا(٥) على ابن هُبَيرة وكان بخيلا ، فأقبل حتى وقَف بين يديه ثم قال :

أتيتك فى أمرٍ مِنَ آمرِ عَشِــيرتى * وأَعْيَا(٦) الأمورِ المُفْظِعَاتِ(٧) جَسِيمُها
فإن قلتَ لى فى حاجتى أنا فاعــلٌ * فقد ثَلِجَتْ نفسى وولّتْ همومُها

قال : أنا فاعل إن اقتصدتَ، فما حاجتك؟ قال : غُرْمٌ لَزِمَنِى فى حَمَالةٍ(٨)؛ قال: وكم هى؟ قال : أربعة آلاف، قال : نحن مُنَاصِفُوكها، قال : أصلح الله الأمير ،

---

(١) كذا فى ط . وفى باقى الأصول : «يكون» . (٢) القدم (بضمتين وسكنت الدال لضرورة الشعر) : المضىّ الإقدام . (٣) المغيبة : التى غاب عنها زوجها . (٤) الصحاف كشدّاد : بائع الصحف أو صانعها . (٥) واسط : بلد خطه الحجاج بين البصرة والكوفة ، يصرف ولا يصرف . (٦) كذا فى أ ، م . وفى ط : « أغنى » . وفى باقى الأصول : « أعمى » وكلاهما تحريف . (٧) كذا فى ط . وفى باقى الأصول : «المقطعات» . (٨) الحمالة : الكفالة ، أى الضمان .

أتخاف عليّ التُّخَمة إن أتممتَها؟ قال : أكره أن أعوِّد الناسَ هذه العادةَ ؛ قال : فأعطِنى جميعَها سرًّا وآمنعنى جميعَها ظاهرًا حتى تُعوِّد الناسَ المنعَ وإلّا فالضررُ عليك واقع إن عوّدتهم نصفَ ما يطلبُون ؛ فضحك ابنُ هُبَيرة وقال : ما عندنا غيرُ ما بذلناه لك ؛ فجثا بين يديه وقال : امرأتُه طالقٌ لا أخذتُ أقلّ من أربعة آلاف أو أنصرفُ وأنا غضبان ؛ قال : أعطوه إيّاها قبّحه الله فإنه — ما علمتُ — حلّاف مَهِين(١) ؛ فأخذها وانصرف .

أفنى الطاعون قوما من بنى غاضرة فرثاهم

أخبرنى حَبيب بن نصر المُهلّبىّ قال حدّثنا العَنزِىّ قال حدّثنى محمد بن معاوية الأَسَدىّ قال حدّثنى مشايخنا من بنى أَسَد محمدُ بن أنس وغيرُه قالوا :

لمّا وقعَ الطاعون بالكوفة أفنى بنى غاضِرة ومات فيه بنو زِرّ بن حُبَيش الغاضِرىّ صاحب علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، وكانوا ظُرَفاء ، وبنو عمٍّ لهم ، فقال الحَكَمُ بن عَبْدل الغاضِرىّ يرثيهم :

أبعدَ بنى زِرٍّ وبعدَ ابن جَنْدَلٍ * وعمرٍو أُرَجّى لَذّةَ العيشِ فى خَفْضِ
مَضَوْا وَبَقِينا نأمُلُ العيشَ بعدَهم * أَلَا إنّ مَنْ يَبْقَ على إثْرِ مَنْ يَمْضِى
فقد كان حَوْلى من جِيادٍ وسالِمٍ * كُهُولٌ مَسَاعِيرٌ(٢) وكلُّ فَتًى بَضٍّ(٣)
يَرَى الشُّحَّ عارًا والسماحةَ رِفْعةً * أغرُّ كعودِ البانةِ الناعِمِ الغَضِّ

هجاؤه محمد بن حسان وقد سأله حاجة فلم يقضها

قال أبو الفرج : ونسختُ من كتاب أبى مُحَلِّم قال : سأل الحَكَمُ بن عبدل أخو بنى نصر بن قُعَين محمدَ بن حسّان بن سعد حاجةً لرجلٍ سأله مسألتَه إيّاها ، فردّه ولم يَقْضِها ؛ فقال فيه ابنُ عَبْدَل :

(١) مهين : فاجر . (٢) مساعير : جمع مسعار وهو موقد نار الحرب ، وبض : رخص الجسم .

رأيتُ محمـــدًا شَرِهًا ظلومًا * وكنتُ أراهُ ذا وَرَعٍ وقَصْدِ
يقول أماتنى رَبِّى خِـــداعًا * أماتَ اللهُ حَسّانَ بن سَـــعْدِ
فلولا كَسْبُهُ لَوُجِدْتَ فَسْلًا(١) * لَئِيمَ الكَسْبِ شأنُك شأنُ عَبْدِ
رَكِبْتُ اليـــه فى رَجُلٍ أتانى * كريمٍ يَبْتَغِى المعروفَ عندى
فقلتُ له وبعضُ القولِ نُصْحٌ * ومنـــه ما أُسِرُّ له وأُبْدِى
تَوَقَّ دراهمَ البَكْرِىِّ(٢) إنى * أخافُ عليك عاقبةَ التعدِّى
أُقَـرِّبُ كلَّ آصرةٍ ليـــدنو * فما يزدادُ مِنِّى غـيرَ بُعْـــدِ
فأُقسمُ غـيرَ مُسْتثنٍ يمينًا * أبا بَحْـــرٍ(٣) لتَتَّخِمَنَّ رَدِّى

١٥٣/٢ أخبرنى محمد بن عِمْران الصَّيْرَفىّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزِىّ قال حدّثنى أحمد بن بُكَيْر الأَسَـدىّ قال حدّثنى محمد بن(٤) أَنَس السَّلامىّ قال حدّثنى محمد ابن سَهْل الأَسَدىّ راويةُ الكُمَيْت :

أنّ الحَكَم بن عَبْدل الأَسَدى أتى محمدَ بن حَسّان بن سـعد التَّمِيمىّ وكان على خَراج الكوفة، فكلّمه فى رجل من العرب أن يضع عنه ثلاثين درهما من خَراجه ؛ فقال : أماتنى الله إن كنتُ أقدِر أن أَضَع من خراج أمير المؤمنين شيئا ؛ فانصرف ٱبنُ عبدل وهو يقول :

---

(١) الفسل : المسترذل الضعيف الذى لا مروءة له ولا جلد . (٢) كذا فى ط . وفى باقى الأصول : « آثم » . (٣) كذا فى أغلب الأصول . وفى ط : « بحر » بالحاء المهملة وهو تحريف .
(٤) كذا فى ء ، حـ ، ط . وهو الموافق لما سيرد قريبا ص ٤١٧ ، وفى أ ، م : « الأسدى عن محمد بن بشر عن محمد بن أنس الخ » . وفى ب ، س : « الأسدى وعن ابن بشر عن محمد بن أنس الخ .

دَعِ الثلاثين لا تَعْرِضْ لصاحبها * لا بارَكَ اللهُ فى تلك الثـلاثينا
لـمّـا علا صوتُه فى الدار مُبْتكِرا * كأشـتفانٍ[1] يرى قوما يَدُوسُونا[2]
أحسِنْ فإنّك قد أُعطيتَ مملكةً * إمارةً صرتَ فيها اليومَ مَفْتونا
لا يُعطِك اللهُ خـيرا مثلَها أبدا * أقسمتُ بالله إلّا قلتَ آمينا

قال : فلم يضع له شيئا مما على الرجل، فقال فيه :

رأيتُ محـمّدا شَرِهًا ظَـلُومًا * وكنتُ أراهُ ذا وَرَعٍ وقَصْدِ
يقولُ أماتني ربِّى خِـدَاعًا * أماتَ اللهُ حَسّانَ بنَ سَـعْدِ
فـا صادفتَ فى قَحْطانَ مِثْلِي[3] * ولا صادفتُ مِثْلَك فى مَعَـدِّ
أقـلَّ براعةً وأشـدَّ بُخْـلًا * وألأمَ عنـدَ مسـئلةٍ وحَمْـدِ
نَحُوتُ[4] محمـدًا ودُخَانُ فيـه * كَرِيحِ الجَعْرِ[5] فوقَ عَطِينِ[6] جِلْدِ
فأُقسِمُ غـيرَ مُسْـتَثْنٍ يمينا * أبا بَحْـرٍ[7] لَتَتَّخِمَنَّ رَدِّى
فلو كنتَ المهـذَّبَ من تميمٍ * لَخِفْتَ مَلَامَتِي ورَجَوْتَ حَمْدِى
نَكَهْتَ علىَّ نَكْهةَ أَخْدَرِىٍّ[8] * شَتِيمٍ أَعْصَلِ الأنيـابِ وَرْدِ

---

(١) كذا فى أغلب الأصول . وفى حـ : « كاستعار » . (٢) كذا فى أغلب الأصول . وفى حـ : «يسوقونا» . (٣) كذا فى حـ . وفى باقى الأصول : « كما » . (٤) كذا فى كتاب الحيوان للجاحظ طبع مطبعة السعادة ص ١١٩ ، وفى جميع الأصول : «فقدت» . (٥) الجعر: نجو كل ذات مخلب من السباع . (٦) العطين : الجلد المنتن من عطن الجلد يعطنه اذا وضعه فى الدباغ وتركه حتى فسـد وأنتن . (٧) كذا فى أغلب الأصول . وفى ط : « أبا بحر » بالحاء . وهو تحريف . (٨) المراد من الأخدرىّ الأسـد ، غير أن الوارد فى اللسان وتاج العروس فى وصف الأسـد خادر ومخدر ؛ يقال : خدر الأسـد اذا لزم خدره أى عرينه فهو خادر ، وأخدر أى اتخذ الأجمة خدرا فهو مخدر ، وانما جاء الأخدرىّ لحمار الوحش نسبة الى فحل يقال له أخدر ، وجاء أيضا فى وصف الليل كما قال العجاج : « ومخدر الأخدار أخدرىّ » . والشتيم : الأسـد العابس . وأعصل الأنياب : معوجها . والورد : الأحمر الضارب الى الصفرة .

فما يدنو إلى فِمــه ذُبابٌ * ولو طُلِيَتْ مَشَافِرُه بِقَنْــدِ (١)
فإن أهديتَ لى من فيك حَتْفا * فإنى كالذى أهديتَ مُهْـدِى

قال محمـدُ بن سَهْل : وما زال آبنُ عبدل يزيد فى قصيدته هـذه الداليّة حتى مات وهى طويلة جدّا . قال : واشتهرتْ حتى إنْ كان المُكارِى لَيسوق بغـلَه أو حمارَه فيقول : عدْ (٢) * أماتَ اللهُ حَسّانَ بن سَـعْدْ * فاذا سمع ذلك أبوه قال : بل أماتَ اللهُ ابنى محمدًا ، فهو عَرَّضنى لهذا البلاء فى ثلاثين درهما .

ابن عبدل وأبو المهاجر

أخبرنى أحمـد بن محمد بن زكريّا الصَّحّاف قال حدّثنـا قَعْنَبُ بن مُحْرِز قال أخبرنا الهَيْثم بن عَدِىّ قال :

دعا أبو المُهَاجر الحَكَمَ بن عَبْـدَل ليشرب عنده وله جارية تغنّى فغنّت ؛ فقال آبن عبدل :

يا آبا المُهَاجر قد أردتَ كرامتى * فأهنتَنى وضربتَنى لو تَعْـلَمُ
عند التى لو مَسّ جِلْدِى جلدها * يوماً بَقِيتُ مخـلَّدًا لا أُهْرَمُ
أو كنتُ فى أَحْمَى جهنَّمَ بقعـةً * فرأيتُها بَرَدَتْ عـلىَّ جهنّمُ

قال : فجعـل أبو المهاجر يَضْحَك ويقول له : وَيْحَك ! واللهِ لو كان إليهـا سبيلٌ لوهبتُها لك ، ولكن لها منّى ولدٌ .

١٥٤ / ٢

ابن عبدل وعمر ابن يزيد الأسدى

أخبرنا الحسن بن علىّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخَزّاز عن المدائنىّ قال : كان عمر بن يزيد الأسدىّ مُبَخَّلا ، ووجده أبوه مع أَمَةٍ له فكان يُعَيَّر بذلك ، وجاءه

---

(١) القند : عسل قصب السكر اذا جمد . (٢) هذه الكلمة تقولهـا العامة لزجر البغال بدل «عدس» . قال صاحب اللسان (مادة عدس) : « وعدس وحدس زجر للبغال والعامة تقول عد » .

الحكمُ بن عبدل الأسدىّ ومعه جماعة من قومه يسألونه حاجةً، فدخلوا إليه وهو يأكل تمرا فلم يَدْعُهم اليه، وذكروا له حاجتَهم فلم يَقْضِها؛ فقال فيه ٱبن عبدل :

جئنا وبين يديه التمرُ فى طَبَقٍ * فما دعانا أبو حَفْص ولا كادا
علا على جسمه ثوبان من دَنَسٍ * لؤمٌ وجُبْنٌ ولولا أَيْرُه سادا

ابن عبدل يقتضى ديون امرأة موسرة من الكوفة

أخبرنى على بن سليمان الأَخْفش قال أخبرنا محمد بن الحسن الأَحْول عن أبى نصر عن الأصمعىّ قال :

كانت امرأة موسرة بالكوفة وكانت لها على الناس ديون بالسَّواد، فاستعانت(1) بابن عبدل فى دَينها، وقالت: إنى ٱمرأة ليس لى زوج، وجعلت تُعَرِّض بأنها تُزَوِّجه نفسَها؛ فقام ٱبن عبدل فى دَينها حتى اقتضاه؛ فلما طالبها بالوفاء كتبتْ إليه :

سَيُخطئك الذى حاولتَ منّى * فقطِّعْ حبلَ وصلك من حبالى
كما أخطاك معروفُ ٱبن بِشْر * وكنتَ تَعُدّ ذلك رأسَ مالِ

قال : وكان ابنُ عبدل أتى ابنَ بشر بالكوفة فسأله؛ فقال له : أخمسمائة أَحَبُّ اليك الآن عاجلة أم ألف فى قابل؟ قال: ألف فى قابل . فلما أتاه قال له : ألف أَحبّ اليك أم ألفان فى قابل؟ قال : ألفان؛ فلم يزل ذلك دأبَه حتى مات ٱبن بشر وما اعطاه شيئا .

ابن عبدل وعبد الملك بن بشر بن مروان

أخبرنى عمى قال حدّثنا الكُرَانىّ قال حدّثنا العُمَرىّ عن لَقِيط قال :

دخل ٱبن عبدل على عبد الملك بن بشر(2)، فقال له : ما أحدثتَ بعدى ؟ قال: خطبتُ امرأة من قومى فَرَدَّت علىّ جوابَ رسالتى بِبَيْتَىْ شعرٍ؛ قال: وما هما؟

(1) فى ط : « فاستغاثت » . (2) كذا فى ا ، م ، ط . وهذا يوافق ما تقدّم فى هذه الصفحة من أن ابن عبدل أتى ابن بشر بالكوفة ، والمراد عبد الملك بن بشر بن مروان ، وقد كان مسلمة بن عبد الملك وجهه أميرا على البصرة (انظر تاريخ ابن جرير الطبرىّ فى حوادث سنة ١٠٢) وفى باقى الأصول : « عبد الملك بن مروان » .

قال : قالت :

سيخطئك الذى حاولتَ منى * فقطِّع حبلَ وصلك من حبالى
كما أخطاك معروفُ ابن بشر * وكنتَ تعدّ ذلك رأسَ مالِ

فضحِك عبدُ الملك ، ثم قال : لِلّه دَرُّك ما أَذْكَرتَ بنفسك [(١)] ! وأمر له بألفى درهم .

ابن عبدل وبشر ابن مروان

أخبرنى أبو الحسن الأسَدىّ وحَبيب بن نصر المُهلَّبىّ قالا حدّثنا الحسن بن عُلَيْل قال حدّثنا محمد بن معاوية الأسدىّ قال حدّثنى مِنْجاب بن الحارث قال حدّثنى عبد الملك بن عفّان قال :

كان الحكم بن عبدل الأسدىّ ثم الغاضرىّ صديقا لبشر بن مروان، فرأى منه جَفاءً لشُغلٍ عَرَض له ، فغبَر [(٢)] عنه شهرا، ثم التقَيا فقال : يابن عبدل ، مالك تركتَنا وقد كنت لنا زَوّارا؟ فقال ابنُ عبدل :

كنتُ أُثنى عليك خيرا فلمّا * أَضْمَر القلبُ من نَوالك ياسا
كنت ذا مَنْصِب فَنيتُ حَيائى * لم أَقُل غيرَ أن هجرتُك باسا
لم أُطِق ما أردتَ بى يابن مروا * نَ سَتَلقى اذا أردتَ أُناسا
يَقْبَلون الخَسيس منك ويُثْنو * نَ ثناءً مُدَخْمَسًا [(٣)] دِخْماسا

فقال له : لا نَسُومك الخسيسَ ولا نريد منك ثناءً مدخمسا ، ووصَله وحَمَله وكساه .

(١) كذا فى ط ، ء ، حـ . وفى سائر النسخ : « لِلّه أنت ما أذكرت بنفسك » .
(٢) كذا فى أ ، م ، ط . وغبر عنه : ذهب عنه ولم يره . وفى باقى الأصول : « فغيب عنه » .
(٣) يقال : ثناء مدخمس ودخماس أى ليست له حقيقة ، وهو الذى لا يبين ولا يجدّ فيه . وقد ذكر صاحب اللسان فى مادة « دخمس » هذا المعنى واستشهد له بهذا البيت .

١٥٥/٢ أخبرني الأسدىّ قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل العَنَزىّ قال وحدّثني محمد بن معاوية قال حدّثني مِنْجاب بن الحارث عن عبد الملك بن عفّان قال :

ابن عبدل وقد طلبه عمر بن هبيرة للغزو

أراد عمرُ بن هُبَيْرة أن يُغْزِىَ[1] الحكَمَ بن عَبْـدَل الغاضرىّ، فاعتلّ بالزَّمانة[2] فحُمِل وأُلْقِىَ بين يديه بجَرْده فاذا هو أعرج مفلوج، فوضَع عنه الغزوَ وضمّه اليه وشخَص به معه الى واسط؛ فقال الحكم بن عبدل :

لعَمْرى لقد جرّدتنى فوجدتنى * كثير العيوب سَيِّئَ المُتَجرَّدِ[3]
فأعفيْتَنى لمّا رأيتَ زمانتى * وَوُفِّقتَ منّى للقضاء المُسَدَّدِ

فلما صار عمر إلى واسط شكا اليه الحكمُ بن عبدل الضَّبْعَة[4]، فوهَب له جاريةً من جَواريه، فواثَبها ليلةَ صارتْ اليه فنكَحها تسعا أو عشرًا طَلَقًا[5]، فلما أصبحتْ قالت له : جُعِلتُ فِداكَ من أىّ الناس أنت؟ قال : آمرؤٌ من أهل الشأم؛ قالت : بهذا العمل نُصِرْتُم .

أعفاه الحجاج من الغزو

أخبرني بهذا الخبر محمد بن عمران الصَّيْرفىّ، قال حدّثنا الحسن بن عُلَيل قال حدّثنا أحمد بن بُكَيْر الأسدىّ عن محمد بن أَنَس السَّلامىّ عن محمد بن سهل رَاوِيةِ الكُمَيْت فقال فيه :

---

(١) يقال : أغزاه إغزاء : بعثه الى العدوّ غازيا . (٢) الزمانة : العاهة .

(٣) سيّئ المتجرّد : يريد به أنه سيّئ الجسم . وفى صفته صلى الله عليه وسلم أنه كان أنور المتجرّد، أى ما جرد عنه الثياب من جسده وكشف . (٤) الضبعة : شدّة شهوة الفحل، وهو المناسب للقام . وفى ب، س، حـ : «الضيعة» بالياء . وفى أ، ء، م، ط : «الضيقة» .

(٥) طلقا : شوطا واحدا .

ضرب الحجاج البَعْثَ(١) على المُحتلمين ومن أَنْبَتَ(٢) من الصِّبيان ، فكانت المرأة تجىء إلى آبنها وقد جُرِّد فتَضمّه إليها وتقول له : «بأبى» جَزَعًا عليه ، فسُمِّى ذلك الجيشُ «جيش بأبى» ، وأُحضِر آبنُ عبدل بحُرِّد فوُجد أعرج فأُعْفِىَ ، فقال فى ذلك :

* لعمرى لقد جَرّدتنى فوجدتنى *

البيتين ، وزاد معهما ثالثا وهو :

ولستُ بذى شَيْخَيْن يَلْتزِمانه * ولكن يَتِيمٌ ساقطُ الرِّجل واليدِ

تزوج همدانية ولما كرهها قال فيها شعرا

أخبرنى أبو الحسن الأسدىّ قال حدّثنا العَنزىّ قال حدّثنا محمد بن معاوية عن مِنْجَاب عن عبد الملك بن عفّان قال :

تزوّجَ آبنُ عبدل آمرأةً من هَمْدان(٣) فقالوا له : على كم تزوّجتَ ؟ فقال :

تزوّجتُ هَمْدانيّةً ذات بهجةٍ * على نَمَطٍ(٤) عادِيّة ووسائدِ

لعمرى لقد غاليتُ بالمَهْر إنه * كذاك يُغالَى بالنساء المَوَاجِدِ(٥)

قال : فلما دخَل بها كرِهها فقال :

أَعاذِلتىّ من لَوْمٍ دعانى * أَقِلّا اللومَ إن لم تَعْذِرانى

فإنى قد دُلِلتُ على عجوز * مُبَرقَعةٍ مخضّبةِ البَنانِ

(١) البعث : بعث الجند الى الغزو . (٢) أنبت الغلام : راهق وبلغ مبلغ الرجال .

(٣) كذا فى أغلب الأصول . وفى ب ، سـ : «همذان» بالذال المعجمة ، وقوله فى البيت الآتى : « تزوّجت همدانيــة ذات بهجة » يرجح ما أثبتناه فى الأصــل لأن همدان الساكنة الميم إنما هى بدال مهملة وهى اسم لقبيلة باليمن .

(٤) كذا فى جميع الأصول ، والنمط : ضرب من البسط وجمعه أنماط ، ولم يظهر لوصف النمط بقوله « عادية » وجه إذ لم نجده فيا يؤنث من الأسمــاء . والعادية : نسبة الى عاد ، وهو كناية عن القدم ، يقال : بئر عادية أى قديمة . فلعــله محرف عن «بسط» . (٥) المواجد : جمع ماجدة ، وهى المرأة السمحة الحسنة الخلق .

تَغَضَّن جلدُها واخضرَّ إلا * اذا ما ضُرِّجَتْ بالزعفــران
فلما أن دخلتُ وحادثَتْنى * أظلَّتْـنى بيــوم أَرْوَنانِ (١)
تُحدّثنى عن الأزمان حتى * سمعتُ نداءَ حُـرٍّ (٢) بالأذان
فقالت قد نَكَحْتُ اثنين شتّى * فلمـا صاحَبـانى (٣) طَلّقـانى
وأربعــةً نكحتُهم فمـاتوا * فليت عَرِيف حىٍّ (٤) قد نعـانى
وقالت ما تِلادُك قاتَ مالى * حمــار ظالــع ومَزَادتانِ
وبُورِىٌّ (٥) وأربعــةٌ زُيُوف (٦) * وثَوْبَا مُفْلِسٍ مُتَخَــرِّقان
وقطعــةُ جُـلّة (٧) لا تَمْرَ فيهـا * ودَنّا عومــة (٨) مُتَقـابلانِ
فقالت قد رَضِيتُ فَسَمِّ ألفـا * ليسمع ما تقولُ الشّاهــدانِ ١٥٦/٢
وما لكِ عنــدنا ألفٌ عَتِيـد * ولا تِسْــعٌ تُعَــدّ ولا ثَمـانِ
ولا سَــبْعٌ ولا سِتٌّ ولكن * لكم عندى الطويلُ من الهَوانِ

كان منقطعا الى بشر بن مروان فلما مات رثاه

أخبرنى محمد بن الحسن بن دُرَيْد قال حدّثنى عمّى عن أبيــه عن ابن الكَلْبىّ قال :

كان الحَكَمُ بنُ عَبْدل الأَسَدىّ منقطعا الى بِشْر بن مَرْوان، وكان يأْنَس به ويُحبّه ويَسْتطيبه، وأخرجه معه الى البَصْرة لمّـا وَلِيَها، فلمـا مات بِشْر جَزِع عليــه الحَكَمُ وقال يَرْثيه :

(١) أرونان : صعب .
(٢) فى أ ، م : «آخر» . (٣) كذا فى ء وهامش ط مكتوبا بجانبها كلمة «صح» . وفى أ ، م ، ط : «صادقانى» . وفى باقى الأصول : «صابحانى» ولم نجد فى اللسان ولا تاج العروس صيغة فاعل من هــذه المـادة . (٤) كذا فى ط . وفى سائر النسخ : «عزيف جنّ» .
(٥) البورى : الحصير المنسوج من القصب ، فارسى معرب . (٦) أى أربعة دراهم زائفة .
(٧) الجلة : قفة كبيرة للتمر . (٨) كذا فى جميع النسخ ولم نفهم المراد منها .

أصبحتُ جَمَّ بَلَابِلِ[1] الصَّدْرِ * مُتَعجِّبًا لتصرُّفِ الدّهرِ
ما زلتُ أطلبُ فى البلاد فتًى * ليكون لى ذُخرًا من الذُّخرِ
ويكون يُسعدنى وأُسعِده * فى كلّ نائبةٍ من الأمرِ
حتى اذا ظَفِرتْ يداىَ به * جاء القَضاءُ بحَيْنِه يَجْرِى
إنّى لفِى هَمٍّ يُباكِرُنى * منه وهمٌّ طارقٌ يَسْرِى
فلأَصْبِرَنَّ وما[2] رأيتُ دوًى[3] * للهمّ غيرَ عزيمةِ الصبرِ[4]
واللهِ ما استعظمتُ[5] فُرْقَتَه * حتى أحاط بفضله خُبْرِى

خرج مع عمال بنى أمية الى الشام وكان يسمر عند عبد الملك فأنشده ليلة شعرا

أخبرنى ٱبن دُرَيْد قال حدّثنى عمّى عن أبيه عن ابن الكلبىّ قال :

لمّا ظَفِرَ ٱبن الزُّبَيْر بالعراق وأخرج عنها عُمّال بنى أميّةَ خرج ابنُ عَبْدل معهم الى الشأم، وكان ممّن يدخُل الى عبد الملك ويَسْمُر عنده، فقال لعبد الملك ليلةً :

يا ليتَ شِعْرى وليتٌ رُبّمَا نفعتْ * هل ابصِرَنَّ بنى العَوّام قد شَمِلُوا
بالذلّ والأَسْرِ والتشريد إنهمُ * على البَرِيّة حَتْفٌ حيثما نَزَلُوا
أم هل أراكَ بأكْنافِ العراق وقد * ذلّت لِعِزّك أقوامٌ[6] وقد نَكَلُوا

فقال عبد الملك — ويُرْوَى أنه قائل هذا الشعر — :

---

(١) البلابل: جمع بلبال وهو شدّة الهمّ والوسواس فى الصدر. (٢) فى ء، أ، م : «فما». (٣) الدوى بالياء مقصورا : الدواء، وقد أنشد عليه صاحب اللسان فى مادة «دوا» :

* إلا المقيم على الدوى المتأفن *

(٤) فى هامش ط أشير بازاء «غير عزيمة الصبر» الى رواية أخرى وهى: «مثل عزيمة الصبر». وكلتا الروايتين مستقيمة. (٥) فى ط، أ، م : «ما استطعمت» وقد أشير فى هامش ط الى الرواية المثبتة هنا أيضا. (٦) فى حـ : «أعداء».

إن يُمكِنِ اللهُ من قَيْس ومن جَدَسٍ (١) * ومن جُذَام ويُقْتَلْ صاحبُ الحَرَمِ
نَضْرِبْ جماجمَ أقــوامٍ على حَنَقٍ * ضَرْباً يُنَكِّلُ عنّا سـائرَ (٢) الأمم

يزيد بن عمرو بن هبيرة وبنت ابن عبدل

أخبرنى علىّ بن سليمان الأخفش قال حدّثنى هارون بن علىّ (٣) بن يحيى المنجّم عن أبيه قال حدّثنى محمد بن عمر الجُرْجانىّ عن رجل من بنى أسد قال :

خرج يَزِيدُ بن عُمَر بن هُبَيرة يسير بالكوفة فانتهى الى مسجد بنى غَاضِرةَ ، وقد أُقيمت الصلاةُ ، فنزل يُصَــلِّى ، واجتمع الناسُ لمكانه فى الطريق وأشْرفَ النساءُ من السطوح ، فلما قضى صلاتَه قال : لمن هذا المسجدُ؟ قالوا : لبنى غاضرة ، فتمثل قولَ الشاعر :

ما إن تَرَكْنَ من الغواضر مُعْصِرًا * إلا فَصَمْنَ (٤) بساقها خَلْخَالَا

فقالتْ له امرأةٌ من المُشْرِفات :

ولقد عَطَفْن على فَزارةَ عَطْفَةً * كَرَّ المَنِيح (٥) وجُلْنَ ثَمّ مَجَالَا

فقــال يَزِيد : مَنْ هذه ؟ فقالوا : بنت الحَكَم بن عَبْدل ؛ فقال : هل تلد الحيّةُ إلا حَيّةً ! وقام خَجِلا .

---

(١) كذا فى ب ، س ، حـ . وجدس : بطن من لخم . وفى أ ، م : « جرش » بالجيم وجرش (بضم ففتح) : بطن من حمير . وفى ء ، ط : « حرش » بالحاء المهملة . وحرش : اسم لعدّة قبائل . ولا نستطيع ترجيح احدى هــذه الروايات . (٢) كذا فى ء ، ويشــير الى صحته مابهامش ط . وفى باقى الأصــول : « غابر الأمم » . والغابر يطلق على المــاضى والباقى ، فهو من الأضداد . (٣) كذا فى أ ، م ، حـ . وفى باقى النسخ : « هارون بن يحيى المنجم » . (٤) كذا فى ء ، ط . وفى سائر النسخ : « قصمن » بالقاف ، والفرق بين الفصم والقصم أن الفصم كسر من غير بينونة ، والقصم هو أن ينكسر الشىء فيبين . (٥) المنيح : اسم فرس قيس بن مسعود الشيبانى .

ابن عبدل وصاحب العسس

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان قال حدّثنى أحمد بن الهَيْثَم قال حدّثنا العُمَرِىّ عن عطاء بن مُصْعَب عن عاصم بن الحَدَثان قال :

كان آبن عَبْدَل الأسَدِىّ أعرجَ أحدبَ، وكان من أطيب الناس وأملحهم، فلقِيَه صاحبُ العَسَس ليلةً وهو سكْرانُ محمولٌ فى مِحَفَّةٍ[1]؛ فقال له : مَن أنت؟ فقال له : يا بَغيض، أنت أعرفُ بى من أن تسألَنِى مَن أنا، فاذهبْ الى شُغْلك، فإنّك تعلمُ أن اللصوصَ لا يَخْرُجون بالليل للسَّرِقَة محمولين فى مِحَفّة؛ فضَحِك الرجلُ وآنصرف عنه .

ابن عبدل يعرض بابن هبيرة فى شعر حتى أغضبه

أخبرنى هاشم بن محمّد قال حدّثنا العبّاس بن مَيْمون[2] طائع قال حدّثنى أبو عَدْنان عن الهَيْثَم بن عَدِىّ عن آبن عيّاش قال :

رأيتُ ابنَ عَبْدَل الأسدىّ وقد دخل على ابن هُبَيْرة، فقال له : أنشِدْنى شيئًا، فقال : أُنْشدك مَقُولةً أيها الأمير؟ قال : هات؛ فأنشده هذه الأبياتَ — وهى قديمةٌ وقد تمثّل بها ابن الأَشْعث حينَ خرج، ويُرْوَى أنها لأَعْشَى هَمْدان — :

نُجِمّ[3] ولا نُعطَى وتُعْطَى جُيُوشُهم ❊ وقد مَلَءُوا من مالنا ذَا الأَكَارِعِ
وقد كلّفُونا عُدّةً وروائعًا ❊ فقد وأَبِى رُعْناكُمُ بالرّوائعِ
ونحنُ جَلَبْنا الخيلَ من أَلْفِ فَرْسَخ ❊ اليكم بُحْمرٌ من الموت ناقِعِ

قال : فغضب ابنُ هُبَيْرة من تعريضه به، وقال له : والله لولا أنّى قد أمّنتك وآستنشدْتُك لضَرَبتُ عُنُقَك .

(١) المحفة : مركب من مراكب النساء كالهودج .

(٢) فى حـ : «العباس بن محمد بن طائع» . (٣) فى ط . «نجمر لا نعطى الخ» .

كانت له جارية سوداء فولدت ولدا فقال فيه شعرا

أخبرنى محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان أبو عبد الله[(١)] قال حدّثنا القاسم بن عبد الرحمن قال :

كانت للحَكَم بن عَبْدل جاريةٌ سوداءُ، وقد كان يَميل اليها فولَدتْ له ابناً أسودَ، فكان من أَعْرَمِ[(٢)] الصِّبيان، فقال فيه :

يَا رُبَّ خالٍ لَكَ مُسْوَدِّ القَفَا * لا يَشْتَكى من رِجْله مَسَّ الحَفَا
كأنّ عَيْنَيْــه اذا تَشَــوَّفا * عَيْنَا غُرابٍ فوقَ نِيقٍ[(٣)] أَشْرَفَا

هجا عمر بن يزيد الأسدى لبخله

أخبرنا محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان أبو عبــد الله قال حدّثنا عُبَيد[(٤)] الله بن محمد قال حدّثنا المدائنىّ قال :

كان عُمَرُ بن يزيد الأســدىّ بخيلا على الطعام، فدخل عليــه الحَكَمُ بن عبدل الشاعر وهو يأكل بِطِّيخا، فسلّم فلم يَرُدّ عليه السلامَ ولم يَدْعُه الى الطعام؛ فقال ابنُ عَبْدل يَهْجُوه :

فى عُمَرَ بن يزيد خَلَّتَا دَنَسٍ * بُخْلٌ وجُبْنٌ ولولا أَيْرُه سادا
جِئْنَاه يأكُل بِطِّيخًا على طَبَقٍ * فما دعانا أبو حفصٍ ولا كادا

قال وكان عُمَر على شُرْطة الحَجّاج وكان بخيــلا جِدّا، فأصابه قُولَنْجٌ[(٥)] فحَقَنَه الطبيبُ بدُهن كثير، فانحلّ ما فى بطنــه فى الطَّسْت، فقال للغُــلام : ما تصنع به؟ قال : أَصُبُّه؛ قال : لا! ولكن مَيِّز منه الدُّهنَ واستصبحْ به .

(١) كذا فى أ ، م . وفى سائر النسخ : «أبو بكر» وهو خطأ اذ أن كنيته فى كتب التراجم أبو عبد الله، وسيأتى فى هذه الصفحة «أبو عبد الله» باتفاق النسخ . (٢) من أعرم الصبيان : من أخبثهم يقال : عرم الصبىّ (بالفتح والضم والكسر) اذا خبث . (٣) النيق بالكسر : أرفع موضع فى الجبــل .
(٤) فى حـ : «عبد الله» .
(٥) القولنج : مرض معوىّ مؤلم يعسر معــه خروج الثفل والريح .

ابن عبدل ومحمد ابن عمير كاتب عبد الملك بن بشر

أخبرنى عيسى بن الحُسين الوَرّاق قال حدّثنا أبو هِفّان قال :

كان لعبد الملك بن بشر بن مَرْوان كاتبٌ يقال له محمّد بن عُمَير وكان كلّما مدَحه ابنُ عَبْدل بشىء وأمر له بجائزة دافعه بها وعارضه فيها، فدخل يوما الى عبد الملك وكاتبُه هذا يُسَارُّه، فوقف وأنشأ يقول :

ألقيتَ نفسَك فى عَرُوض مَشَقَّةٍ(١) * وحَصَادُ أنفك بالمَناجِل أهْونُ
فبحقِّ أُمِّك وهى غيرُ حقيقة * باللِّين(٢) واللُّطف الذى لا يُخْزَن(٣)
لا تُدْنِ فاكَ الى الأمير ونَحِّه * حتى يُداوِىَ نَتْنَه لك أهونُ(٤)
إن كان للظَّرِبَان(٥) جُحْرٌ مُنْتِنٌ * فلَجُحْرُ أنفِكَ يا محمدُ أنتنُ

خطب امرأة فأبت فقال فيها شعرا يعيرها

أخبرنى محمد بن عِمْران الصَّيرفىّ قال حدّثنا العَنَزىّ قال حدّثنى أحمد بن بُكَيْر الأسدىّ عن محمد بن أنَس السَّلامىّ عن محمد بن سَهل راوية الكُمَيْت قال :

خطب ابنُ عبدل آمرأةً من هَمْدَان(٦) يقال لها : أُمُّ رِيَاح(٧) فلم تتزوّجه، فقال : أما والله لأفضحنَّك ولأُعَيِّرنَّك(٨) فقال :

فلا خيرَ فى الفِتْيان بعدَ ابنِ عَبْدلٍ * ولا فى الزوانى بعد أمّ رِيَاح
فأيرِى بحمد الله ماضٍ مُجَرَّبٌ * وأمّ رِيَاح عُرْضَةٌ لِنكَاحِ

---

(١) العروض : الطريق فى عرض الجبل فى مضيق . (٢) فى حـ : « بالبر » .
(٣) كذا فى ط . وفى أغلب الأصول : « لا يحزن » . (٤) كذا فى ا ، م ، سـ . ولم نجد له فى كتب اللغة التى بأيدينا معنى سوى أنه اسم رجل . وفى سائر النسخ « أهرن » ولم نعثر له على معنى . (٥) الظربان : دويبة كالهرة كثيرة الفسو منتنة . (٦) كذا فى أغلب الأصول . وفى ب ، سـ ، حـ : «همذان» بالذال المعجمة . (٧) كذا فى حـ بالياء المثناة . وفى سائر النسخ : « رباح » بالباء الموحدة (انظر الحاشية رقم ١ ص ٣٢٤ من الجزء الأول) .
(٨) فى ب ، ء ، حـ ، ط : « ولأعرنك » . وعره : ساءه وسبه .

ولد له ولد سماه بشرا تيمنا ببشر بن مروان

قال : فتحاماها النـاسُ فمـا تزوجتْ حتّى أسنّتْ . وبهذا الإسناد عن محمد ابن سهل قال : وُلِد للحكم بن عَبْـدَل ٱبنٌ فسمّاه بِشْرا ، ودخل على بِشْر بن مَرْوان فأنشـــده :

سَمَّيتُ بِشْرًا ببشر النّـدَى * فلا تَفْضَحَنِّى بتَصْـداقِهَا
اذا ماقُرَيشٌ قُرَيشُ البِطَا * حِ عنـــد تَجَمُّـعِ آفاقِها
تَسامتْ قُرُومُهمُ للنَّـدَى * تُبارِى الرِّياحَ بأَوْرَاقِهـا(١)
فـالُكَ أنفـعُ أموالِهـا * وَخُلْقُكَ أكرمُ أخلاقِهـا

اقترض مالا فدفعه عنه عبد الملك ابن بشر

فأمر له بألفَىْ دِرهم، وقال : ٱستَعِنْ بهذه على أمرك . وبإسناده عن محمد بن سهل قال : ٱقترض ٱبن عَبْدَل مالا من التّجّار وحلَف لهم بالطلاق ثلاثا أنْ يَقضِيَهم المـالَ عند طلوع الهلال، فلمّا بَقِى من الشهر يومان قال :

قد بات هَمّى قِـرْنًا أُكـابِدُهُ * كأنّمـا مَضْـجَعِى على حَجَــرِ
من رَهْبَــةٍ أنْ يُرَى هلالُ غَدٍ * فإنْ رأوْه فـحَــقٌ لى حَـذَرِى
من فَقْـــدِ(٢) بيضـاء غادَةٍ كَمُلَتْ * كأنهـا صـــورةٌ من الصُّوَرِ
أصبحتُ من أهلِ الغداةَ ومِن * مالى على مثـل ليلة الصَّــدَرِ(٣)

فبلغ خبرُه عبدَ الملك بن بِشْر فأعطاهم مالهم عليه وأضعَفَه له ؛ فقال فيه :

لمّـا أتاه الذى أُصِــبْتُ بِهِ * وأَنْشَـــدُوه إيّاه فى شِــعْرِى
جاد بِضِعْفَىْ ما حلّ من غُرمِى * عفوًا فزالت حرارةُ الصَّـــدْرِ
لأَشـكرنَّ الذى مَنَنْتَ بِهِ * ما دُمْتُ حيًّا وطال لى عُمُرِى

(١) أوراق جمع ورق وهو المـال من إبل ودراهم وغيرها . (٢) كذا فى حـ . وفى باقى الأصول : « وفقد » وهو تحريف . (٣) يقال : تركته على مثل ليلة الصدر؛ أى مضطربا كالناس حين يصدرون عن حجهم .

فضله الحجاج فى الجائزة على الشعراء

وقال محمد بن سهل بهذا الإسناد : ٱجتمع الشعراءُ الى الحجّاج وفيهم ابن عَبْدَل، فقالوا للحجاج : إنما شعرُ ابن عَبْدَل كلُّه هجاءٌ وشعرٌ سخيف؛ فقال له : قد سمعتَ قولَهم فاستمع منّى؛ قال هات؛ فأنشده قوله :

وإنّى لأستغنى فما أَبْطَرُ(١) الغِنَى * وأَعْرِضُ مَيْسُورِى لِمَنْ يَبْتَغِى قَرْضِى
وأُعْسِرُ أحيانًا فتَشْتَدُّ عُسْرَتى * فأُدْرِكُ مَيْسُورَ الغِنَى ومعى عِرْضِى

حتى ٱنتهى الى قوله .

ولستُ بِذِى وَجْهَيْن فيمن عَرَفْتُهُ * ولا البُخْلُ فاعلَمْ مِن سَمائِى ولا أَرْضِى

فقال له الحجاج : أحسنتَ! وفضّله فى الجائزة عليهم بألفَىْ(٢) دِرْهم .

أحد الاصوات المائة المختارة

صوت

من المائة المختارة

أَجَدَّ بعَمْرَةَ غُنْيَانُها * فتهجُرَ أم شأنُنا شانُها
فإنْ تُمْسِ شَطَّتْ بها دارُها * وباحَ لكَ اليومَ هِجْرانُها
فما رَوْضَةٌ من رِياضِ القَطا(٣) * كأنّ المَصابِيحَ حَوْذَانُها(٤)

---

(١) البطر : الطغيان عند النعمة . ونصب الغنى على إسقاط الخافض ، وبذلك أوّل قوله تعالى : (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها) ، قال صاحب اللسان : «وتأويله : بطرت فى معيشتها ، فحذف وأوصل . قال أبو اسحاق : نصب معيشتها باسقاط فى وعمل الفعل ، وتأويله : بطرت فى معيشتها» اهـ.

(٢) فى ط : «بألف» .

(٣) ورد فى أشعار العرب «رياض القطا» و «روض القطا» وقد ساق ياقوت فى معجم البلدان عند اسم روضة القطا نبذة من هذه الأشعار ، ثم نقل عن أبى جعفر محمد بن ادريس ما يدل على أنه من أرض اليمامة .

(٤) الحوذان بالفتح : نبات سهلىّ حلو طيب الطعم يرتفع قدر الذراع ، له زهرة حمراء فى أصلها صفرة وورقته مدوّرة .

بأحسنَ منها ولا مُزْنَةٌ * دَلُوحٌ تَكَشَّـفَ إدْجَانُهـا
وعَمْرَةُ من سَرَوات النّسا * ءِ تَنْفَحُ بالمسـك أَرْدانُهـا

أجدّ : أَسْتَمَرَّ . وغُنْيَانُهـا : آسـتغناؤُها . أم شأننا شانها : يقول أمْ هى على ما نحِبّ . وشطّتْ : بعُـدَت، قال ابن الأعرابىّ : يقـال : شطّتْ وشَـطَنَت وشَسَعَت وتشسّعت وبعُدَت ونأت وتزحزحت وشَطَرت؛ قال الشاعر :

* لا تَتْرُكَنّى فيهـمُ شَطِيرا(1) *

ومنه سُمّى الشاطر(2) . وباح : ظَهَر؛ ومنه باحَة الدار وأنشد :

* أتَكْتُمُ حُبّ سَلْمى(3) أم تَبُوحُ *

والرَّوْضَة : موضع فيه نَبْتٌ وماء مستدير، وكذلك الحديقة . وقوله :

* كأنَّ المصابيحَ حَوْذَانُها *

أراد كأنّ حَوْذانها المصابيحُ فقلَب، والعرب تفعل ذلك؛ قال الأعشى :

* ... كأنّ الجَمْـرَ مثلُ تُرابِها *

أراد كأنّ ترابَها مثـلُ الجمر . والمُزْنَةُ : السـحابةُ . والدَّلُوحُ : الثقيـلةُ ، يقال : مرّ يَدْلَحُ بحمله اذا مرّ به مُثْقَلا . والدَّجْن : إلباسُ الغيم السـحابَ(4) برَشٍّ ونَدًى ،

---

(1) شطيرا : غريبا . (2) الشاطر : هو من أعيا أهله خبثا . قال صاحب اللسان : وأراه مولدا ، ووجه أخذه من شـطر بمعنى بعـد أنه يشطر عن أهله أى ينزح عنهـم ويتركهم مراغما أو مخالفا . (3) فى حـ : « ليلى » .

(4) كذا فى أغلب الأصول . وفى ط : « إلبـاس الغيم برش وندى » بدون كلمـة السحاب وفى اللسان فى مادة «دجن» والدجن : إلباس الغيم الأرض ، وقيل : إلباسه أقطار السماء .

يقال : أدجنت السماء؛ [وقوله : تكشّف إدْجانُها][(١)] إذا انكشف السوادُ عنها، وذلك أحسن لها ، وأراد مُزْنة بيضاء . والأرْدان : ما يلى الذراعيْن جميعا والإبطَيْن من الكُمّيْن .

الشعر لقَيْس بن الخَطيم ، والغِناء لطُوَيْس خفيف ثقيل أوّل بإطلاق الوتر فى مَجْرَى الوُسْطَى .

(١) زيادة فى ى ، ط . وهى تكملة يتطلبها السياق .

إلى هنا انتهى الجزء الثانى من كتاب الأغانى
ويليه إن شاء الله تعالى الجزء الثالث منه ، وأوّله :
ذكر قيس بن الخطيم وأخباره ونسبه

فهرس

الجـــزء الثـانى من كـتاب الأغانى

فهـــرس أسمـاء الشـــعراء

فهـــرس رجال الســـند

(ب)

(ت)

(ث)

(ج)

فهـــــرس المغنين

(ط)

(ع)

(غ)

(ق)

(م)

فهـــرس رواة الألحـان

فهـــرس اسمـاء الاعـــلام

(ت)

(ث)

(خ)

(س)

(م)

(هـ)

(و)

فهرس الأمم والقبائل والأرهاط والعشائر ونحوها

فهرس أسماء الأماكن

فهـــرس أسمـاء الكـتب

فهـــرس القـــوافى*

(*) ملاحظة : ليس من الأحرف التالية الحروف : أ ، ث ، خ ، ش ، ص ، ط ، غ ، و.

(م)

(هـ)

فهـــــرس أنصاف الأبيـات

مرتبـــة حسب أوائل كلماتهـا

(أ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(ر)

(س)

(ش)

(ص)

(ض).

(ط)

(ع)

(ف)

فهـــرس أيام العـــرب

فهــــرس الأمثـــال

فهـــــرس الموضـــوعات

نسبة ما فى هذا الخبر من الأغانى

صوت من المائة المختارة من رواية على بن يحيى

ذكر عدى بن زيد ونسبه وقصته ومقتله

صوت من المـائة المختارة

خبر الحطيئة ونسبه

والسبب الذى من أجله هجا الزبرقان بن بدر

أخبار ابن عائشة ونسبه

صفحة

نسبة ما فى هذا الخبر من الأغانى

نسبة هذا الصوت الذى غناه ابن عائشة

نسبة ما فى هذا الخبر من الأغانى

نسبة هذا الصوت

نسبة هذا الصوت

نسبة هذا الغناء

وفاة ابن عائشة

نسبة هذا الصوت الذى غناه ابن عائشة

صفحة

ومما فى المائة الصوت المختارة من أغانى ابن عائشة

أخبار ابن أرطاة ونسبه

أخبار ابن ميادة ونسبه

*

استـــــدراك

لبعض نقط كان يجب النص عليها فى الكتاب ولم نعثر عليها إلا بعد طبعه

ص	س	
١٤١	٤	ذكر اسم « مدينة نهرشير » كما وردت فى جميع نسخ الأغانى، وكتبنا عليها أننا لم نجد هذا الاسم فى معجم ياقوت ، ولكن بعد طبعها عثرنا عليها فى تقويم البلدان لأبى الفدا (ص ٣٠٣) قال : «وكان الى جانبها مدينة تسمى نهرشير» ووجدنا ياقوت وضعها فى معجمه فى حرف الباء (ج ١ ص ٧٦٨) باسم « بهرسـير » وأوردها كذلك البلاذرى فى فتوح البلدان (ص ٢٦٢) بالباء الموحدة والسين المهملة .
١٤٣	٧	ضبطت كلمة «شهد» بضم الشين والأصل فيها الفتح كما فى القاموس .
٢١٧	٦	خرداذبه : تنظر الحاشية رقم ٥ ص ٣٤٤ : ١٨
٢٧١	٦	رواية اللسـان مادّتى « بهر وفقد » تفاقـد قومى ... بجارية ... الخ ومعنى « تفاقد » فقد بعضهم بعضا .

إصـــلاح خطــأ

وقع أثنـاء الطبع بعض أغلاط مطبعية نذكرها هنا ليستدركها القرّاء فى بعض النسخ التى وقعت فيها :

ص	س	خطــأ	صــواب
١٩	١٩	ديوان الشعر والشعراء	كتاب الشعر والشعراء
٢٩	١٩	« « «	« « «
٩٠	٠٠ فى الهامش	الحزن على المجنون ندم أبى ليلى على وعدم تزويجه بها	الحزن على المجنون وندم أبى ليلى على عدم تزويجه بها
٩٦	٩	وكذاكُ الدهر	وكذاكَ الدهر
١٥	٧	الأُسقف	الأُسقف
١١٦	١٩	مصدر، ميمى	مصدر ميمى
١٢٩	٤	فى البيعة	فى البيعة
١٥٨	١٨	الشيخ محمود الشنقيطى	الشيخ محمد محمود الشنقيطى
١٨٥	١٩	وقد أورد الأزهرى هذا البيت فى اللسان مادة «نكث»	وقد أورد صاحب اللسان مادة «نكث» رواية الأزهرى لهذا البيت وقال فى شرحه...
٢٤٧	٠٠ فى الهامش	بجلده الوليد بن عثمان الحدّ	بجلده الوليد بن عتبة بن أبى سفيان الحدّ
٢٥٣	٩	ســـعيد :	ســـعيد
٢٦٥	٢٣	المحتـال	المختال (بالخاء المعجمة)
٢٦٧	٠٠ فى الهامش	كان له أخوان شاعران	كان له عمان شاعران ... الخ
٢٨٧	١٩	علقـــة	علفـــة

ص	س	خطأ	صواب
٣٢٤	..	فى الهامش { كان ينشد من شعره فيستحسنه الناس	{ أنشد من شعره فاعترض عليه عيسى بن عميلة
٣٤٣	٤	قال . إسحاق	قال إسحاق
٣٤٦	..	فى الهامش غناؤه	غناءه
٣٥٣	..	فى الهامش ثم	ثمّ
٣٥٥	..	فى الهامش التاس	الناس
٣٦٦	٢٠	دايما	دائما
٣٧٤	١٦	{ (كما فى القاموس وشرحه مادة مرر ستة)	{ (كما فى القاموس وشرحه مادة مرر) ستة
٣٩٤	٢٢	وريع	وربع
٤٢٥	..	فى الهامش نشرا	بشرا

(مطبعة الدار ١٩٢٥/٢٨٠/٣٠٠٠)

دار الكتب المصرية

القسم الأدبي

كتاب الأغاني

تأليف

أبي الفرج الأصفهاني

الجزء الثاني

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م

كلمة

عن الجزء الثانى من الأغانى

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله . وبعد، فهذا هو الجزء الثانى من كتاب الأغانى، قام القسم الأدبى فى دار الكتب بمراجعته وعنى بتصحيحه وضبط أعلامه وشرح غريبه ، وتوخى فيه الخطة التى سلكها فى تصحيح الجزء الأوّل والتى رسمها له سلفى المغفور له عبد الحميد أبو هيف بك عليه رحمة الله ورضوانه .

وقد تلقت دار الكتب بالقبول الحسن الملاحظات القيمة التى تفضل بإبدائها على الجزء الأوّل كرام الكتّاب من العلماء والأدباء ، فعمل القسم الأدبى على مراعاتها والأخذ بها فى الجزء الثانى، وأدخل عليه ما رآه مفيدا من وجوه الإصلاح والتحسين .

وقد أصدرنا الكتّاب كاملا كما وضعه مؤلفه من غير حذف ولا إبدال، قياما بواجب الأمانة للعلم، ووفقا لرغبة حضرة الفاضل السيد على راتب بك الذى يرجع اليه الفضل فى خدمة العلم والأدب بالعمل على نشر كتاب من أعظم الموسوعات الأدبية فى العالم العربى على أصح صورة وأدق شكل ، إذ تبرع للدار بنفقات ألفى نسخة من طبع هذا الكتاب .

وممـا هو جدير بالذكر أن القسم الأدبى تيسر له العمل فى تصحيح هذا الجزء أكثر من سالفه حيث إنه ذلل فى الجزء الأوّل كثيرا من العقبات التى تعترض فى تصحيح هذا الكتّاب، وبذلك أصبح فى تصحيح هـذا الجزء أقدر منه فى تصحيح الجزء الأوّل على تذليل ما يلاقيه من جم الصعاب وكبير المشاق فى أثناء التحقيق والبحث فى المصادر المتعـدّدة والمظان المتنوّعة ابتغاء الوقوف على ضبط اللفظ وصحـة المعنى على أكمل وجه، حتى استطاع أن يصدر هذا الجـزء على قلة عدد العاملين فيـه فى زمن أقصر ممـا استغرقه الجزء الأوّل .

هذا وإن دار الكتب باذلة الجهد فى استحضار نسخ مما قد يوجد من هذا الكتّاب فى المكتبات الأخرى للمراجعة عليها فوق ما فى الدار منه من النسخ المخطوطة والمطبوعة التى بينت فى تصدير الجزء الأوّل .

وتشكر الدار لمن يتفضلون عليها من أهل العـلم والأدب ما يبعثون به اليها ممـا قد يعن لهم فى أثناء اطلاعهم على هذا الكتّاب من الإرشادات السـديدة والملاحظات القيمة التى يراد بها وجه الحق، سدّا لنقص يكون قد خفى على القسم الأدبى إكماله، أو تصحيحا لخطأ فاته عن غير عمد صوابه . والله الموفق،

محمد أسعد برادة

مدير دار الكتب المصرية

بيـان

(أ) روجع هذا الجزء على النسخ التى روجع عليها الجزء الأوّل ما عدا النسخة الأوروبية التى آصطلحنا على تسميتها بالحرف (ر) لأن طابعها اقتصر على طبع بعض الجزء الأوّل وانتهى، كما قلنا فيما كتبناه عنها فى تصدير الجزء الأوّل، قبل آخر أخبار ابن محرز ونسبه، وما عدا النسخة التيمورية التى آصطلحنا على تسميتها بالحرف (ت) وقد قلنا فيما كتبناه عنها هناك إنه لا يوجد منها سوى الجزء الأوّل، كما روجع هـذا الجزء على نسـخة خطية محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٧٩ أدب تبتدئ من الجزء الثانى، واليك وصفها :

نســخة (ط)

قد اصطلحنا على تسميتها بالحرف «ط» لأن كاتبها هو محمـد بن أبى طالب البدرى وذلك فى شهور سنة ٦١٤ هـ . ولم نرمز لهـا بالحرف «م» من محمد أو «ب» من البدرى، لأننا رمزنا بهذين الحرفين لنسختين أخريين عنـد تصحيح الجزء الأوّل ووصفناهما فى تصديره .

أما هـذه النسخة فالموجود منها بدار الكتب المصرية أربعة أجزاء فى أربعـة مجلدات وهى :

١ — الجزء الثـانى، أوّله فى الصفحة الأولى ذكر عدىّ بن زيد، ثم ما يلى هـذه الصفحة مخروم . والخرم يستغرق كل أخبار عدى ثم جزءا من أخبار الحطيئة،

ويبلغ مقداره نحو ٢٨ صفحة ونصف صفحة من طبعة بولاق . وتبتدئ الصحف الموجودة بهذا البيت :

باستك إذ خلفتنى خلف شاعر * من الناس لم أكفئ ولم أتنحل

وتنتهى بآخر أخبار بشار بن برد الشاعر ونسبه .

ورسم بوجه الصفحة الأولى صورة ملونة بالأحمر والأخضر والأسود واللازوردى ، وفيها بعض التذهيب ، وهى تمثل مجلسا من مجالس الرقص والغناء وقد ضم عددا من الجوارى والقيان . وفى هامش ظهر هذه الصفحة طبع خاتم لم يظهر منه إلا « أبو الحسن على الشريف » وبدائرته «لا إله إلا الله وحده صدق وعده » . ويقع هذا الجزء فى ١٧٣ صفحة . ويبلغ طول الصفحة منه ٣٢ سنتيمترا ، وعرضها ٢٣ سنتيمترا ، وطول ما كتب منها ٢٤ سنتيمترا بعرض ١٦ سنتيمترا ، وفى كل صفحة ١٥ سطرا .

وليس بهوامشه سوى بعض كلمات أو جمل سقطت من الأصل فاستدركها الناسخ وكتب فى نهايتها كلمة « صح » إشارة الى سقوطها من الأصل ، أو روايات مختلفة عن نسخ أخرى ، ويكتب فوقها الحرف « خ » إشارة الى روايتها بهذا النص فى نسخة أخرى .

أما خط الجزء فهو النسخى المعهود . وهو واضح متقن ، وأوله محلى بالذهب وتراجمه كذلك ، وقد ضبطت ألفاظه بالحركات . وورد بآخره هذه العبارة :

« الحمد لله وحده . طالعه الفقير حسن بن محمد العطار الأزهرى غفر الله له » . وهو عالم جليل ومؤلف معروف ، تولى مشيخة الأزهر الشريف سنة ١٢٤٦ هـ .

كما ورد أيضا : « طالعه الفقير درويش سنة ١٠١٦ » .

٢ — الجزء الرابع ، وأوّله أخبار طويس ونسبه ، وينتهى الى آخر نسب ابراهيم الموصلى وأخباره .

وفى أوّل هذا الجزء ورقة مكتوبة بخط مخالف لخط الكتّاب تشمل أسماء من ترجم لهم صاحب الأغانى فى هذا الجزء كما كتبت فيها هذه العبارة بخط مخالف لهذا الخط أيضا وهى :

« الحمد لله وحده . قد دخل هذا الجزء الذى هو الرابع من الأغانى فى نوبة عبد الله ابن الفقير اليه محمد بن محمود الجزائرى الشهير بابن العنابى — كان الله له — بثمن قدره تسع ريالات صغيرة جزائرية وربع واحدها ؛ وذلك بتاريخ أواخر شعبان سنة خمس عشرة واثنى (كذا) عشر (كذا) مائة أحسن الله عاقبتها بحمده اليه » .

وقد رسم بوجه الصحيفة الأولى منه صورة بالألوان كالسابقة إلا أنها تخالفها فى الوضع . وهى تمثل أميرا وحوله الغوانى والقيان وفى أيديهنّ العود والدف والقيثارة .

وأوصافه من جهة الخط والمقياس تنطبق على أوصاف المجلد السابق لأنه مخطوط بخط الناسخ المتقدّم ، ويقع فى ٢٠٥ صفحة ، وبه خروم فى الوسط .

وقد كتب بآخره : « الحمد لله . طالعه الفقير حسن بن محمد العطار الأزهرى سامحه الله » و « الحمد لله . طالعه محمد أحمد السروجى المالكى فى ثانى ذى القعدة سنة سبع وسبعين وثمانمائة غفر الله له وللسلمين وصلى الله على محمد وآله وسلم » .

٣ ــ الجزء الحادى عشر ، وأوّله خبر أساقفة نجران مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وينتهى الى أوّل أخبار سويد بن أبى كاهل ونسبه ، وهو مخطوط بخط الناسخ المتقدّم أيضا وأوصافه كأوصاف سابقيه ويقع فى ٢٠٨ صفحة .

وقد كتب بآخره : « الحمد لله . طالعــه الفقير حسن بن محمــد العطار الأزهرى سامحه الله» و «الحمد لله . طالعه فقير [الى] رحمة ربه الغنى محمــد أحمد السروجى المالكى فى حادى عشر محرم الحرام سنة ثمان وسبعين وثمانمائة ... وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم » و « الحمد لله وحده . وصلى الله على سيدنا محمد، طالع فى هــذا الكتاب المبارك الفقير سليمان جاويش الشهير بالأخرس وبابن أزدمر غفر الله له بمنــه ، وذلك فى أوائل شهر المحرم الحرام سنة ثلاثة (كذا) عشر بعد ألف» و «طالع فى هذا الكتاب المفتقر الى رحمة ربه ومغفرته ورضوانه الحقير رمضان أغا ابن المرحوم سـليمان جاويش الخدم العالية غفر الله لهما ولوالديهما ولمن طالع فيه وأهدى ثواب لا إله إلا الله محمد رسول الله لهما مع الفاتحة فى شهر ذى القعدة سنة ١٠١٥» و « الحمد لله . تعلق به نظر الفقير أحمد بن محمد بن محمد بن محمد الهوانى » .

٤ ــ الجزء الثالث عشر وهو مخروم من الأوّل والأثناء والآخر، وأول ما فيه من أثنــاء أخبار عبد الله بن الزبير، وينتهى الى أثناء أخبار عمرو بن بانة، وهو مخطوط بخط الناسخ المتقــدم أيضا ، وأوصافه كأوصاف الأجزاء السابقة . والموجود منه ١٧٢ صفحة .

(ب) لم نراع فى فهرس هذا الجزء وضع الحرف (ت) بجانب الرقم ليدل على عدد الســطر فى التعليقات المكتوبة أســفل الصحف ، بل رأينا لسهولة المراجعة

الاقتصار على رقم الصفحة وعدد السـطر فقط سواء كان في صلب الكتاب أو حواشيه .

(حـ) نبهنا حضرة الباحث المحقق الأب أنطون صالحانى اليسـوعى الى أن نضع فى هامش كل صفحة إزاء السطر الخامس والعاشر والخامس عشر الخ الأعداد ٥ و١٠ و١٥ وهكذا ليقف المطالع بسرعة وبدون عناء على السطر المطلوب الذى عينه الفهرس دون أن يلتجئ الى عدّ الأسطر لتعيين السطر المطلوب وفى ذلك شيء من الاعنات للقراء لا نود لهم أن يتورطوا فيـه ، كما نبهنا أيضا الى أن نضـع أرقام صحف النسخة المطبوعة ببولاق وهى المنتشرة غالبا فى أيدى النـاس كما أنها النسخة التى يشير اليها الباحثون والمستشرقون فى مؤلفاتهم حين ينقلون عن كتاب الأغانى ، لكى يسهل على من يريد الرجوع الى عبارة منبه عليها بصفحتها فى هـذه الطبعـة (طبعة بولاق) الرجوع اليها بلمحة بصر فى طبعتنا هـذه ، وقد ابتدأنا ذلك من الصفحة ١١٣ من هـذا الجزء ووضعنا رقم الصفحة وتحته مفصولا عنـه بشرطة أفقية رقم الجزء فمثلا $\frac{١٢٥}{٢}$ يدل على الصفحة ١٢٥ من الجزء الثانى وهكذا . وسنراعى ذلك فى جميع أجزاء الكتاب إن شاء الله مع تقديم جزيل الشكر له على هـذه الملاحظات القيمة .